

٣

سلسلة تاريخ العصور الوسطى

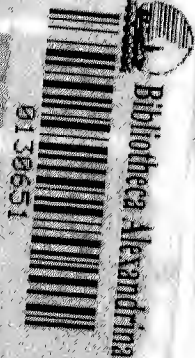
نشأة الجامعات في العصور الوسطى

دكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربية

٧١



نشأة الجماعات في المنصور الوسطى

٣

سلسلة تاريخ العصور الوسطى

نشأة الجامعات في العصور الوسطى

دكتور هوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت من.ب ٧١٩

إهداء

الى الأجيال المتعاقبة ، من باحثين ودارسين ،
بين جامعة العصر الوسيط وجامعة القرن العشرين ؟

مقدمة الطبعة الثانية

يسرني أن أقدم لقراء العربية المجلد الثالث في «سلسلة تاريخ العصور الوسطى»، التي تصدرها دار النهضة العربية ببيروت بلبنان، وعنوانه «نشأة الجامعات في العصور الوسطى»، وكانت قد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧١. وهو يشتمل على قسمين كبيرين: أولهما قمت بإعداده تحت اسم «المدخل الى جامعات العصور الوسطى»، والثاني هو كتاب شارل هومر هاسكنز المعنون «نشأة الجامعات» الذي قمت بنقله الى العربية مع التمهيد له والتعليق عليه. والقسمان يتتمان بعضهما، فأولهما يتحدث عن الحركة العلمية والفكرية في الفترة المبكرة من العصور الوسطى، وعلى وجه التحديد منذ بدايتها حتى نشأة الجامعات. وثانيهما يعالج بتفصيل وتدقيق ثلاث نقاط هامة هي: الجامعات المبكرة، واستاذ العصور الوسطى، ثم طالب العصور الوسطى. وفي اعتقادي أن كتاب هاسكنز يسد فجوة واضحة في تاريخ التعليم والمدارس والجامعات في العصور الوسطى

جوزيف نسيم يوسف

بيروت (لبنان) يناير ١٩٨١

تصدير الطبعة الأولى

الكتاب الذى بين يدى القارئ ينقسم إلى قسمين متممين لبعضهما : الأول قننا بإعداده تحت اسم « المدخل إلى جامعات العصور الوسطى » ، ويتناول تطور الحركة العلمية والفكرية فى الغرب الأوروبى منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة وبداية العصور الوسطى حتى نشأة الجامعات . والثانى هو كتاب شارل هورمهاسكز المعنون « نشأة الجامعات » ، الذى قننا بترجمته إلى العربية مع التقديم له والتعليق عليه ، ويتحدث عن الجامعات الأوروبية المبكرة وعن كل من الأستاذ والطالب فى القرون الوسطى . والقسمان يتمم كل منهما الآخر ، فالقسم الأول هو مدخل طبيعى لثانى ، كما أن القسم الثانى امتداد طبيعى للأول . وقد رأينا أن يكون عنوان المجلد متضمنا القسمين على النحو الذى صدر به وهو « نشأة الجامعات فى العصور الوسطى » .

وبالله التوفيق

جوزيف نسيم يوسف

الاسكندرية فى يوليو ١٩٧١

القسم الأول

المدخل
إلى
جَامَعَاتِ الْعَصْرِ الْوَسْطَى

تأليف

جوزيف نعيم يوسف

مقدمة

تعالج هذه الدراسة موضوع النشاط العلمى والفكرى فى الغرب الأوروبى منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة فى أواخر القرن الخامس الميلادى حتى نشأة الجامعات وانتشارها اعتباراً من القرن الثانى عشر . وقد رأينا أن نمهد بها لترجمتنا العربية لكتاب شارل هومر هاسكنز باعتبارها المدخل الطبيعى لقيام الجامعات فى أخريات العصور الوسطى . إذ ليس من السهل تفهم مختلف العوامل التى أدت إلى قيام الجامعات ، والتعرف على الأدوار الرئيسية التى مرت بها ، دون الرجوع عدة قرون إلى الوراء عند ما قضى الجرمان البرابرة على الإمبراطورية الرومانية ، وعلى نظمها وحضارتها وتقاليدها ، وأقاموا على أنقاضها دولاً وبممالك جرمانية جديدة لها أنظمة وحضارة جديدة مغايرة . وبهذا الحدث الخطير يطوى التاريخ القديم صفحته ، ويبدأ عصر جديد فى التاريخ الأوروبى هو العصر الوسيط . وقد بدأ بداية سيئة غير طبيعية فى ظل الفوضى التى أثارها غزوات الجرمان الدامية المدمرة التى كانت تكتسح فى طريقها كل شئ ، وفى ظل انهيار الجهاز الرومانى المتيق فى العلم والفكر والفلسفة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والدين . فقد تحطم جهاز العمل الرومانى ، وانهار من أساسه ذلك الصرح الشامخ الذى كان سائداً عند الرومان القدماء لتحل محله أنظمة مخالفة وأمم جديدة لها حضارتها وتفكيرها ومشاكلها الأدبية والمادية والاجتماعية الخاصة بها .

وغير خاف أن من أهم الآثار التى ترتبت على غزوات الجرمان فى أواخر القرن الخامس الميلادى ، هى حالة الفوضى التى سادت كافة أنحاء الغرب الأوروبى ،

حتى أن مؤرخاً معروفاً مثل إدوارد جيبون يقول إنه كان في حكم المستحيل أن تبرز الإلسانية أى تقدم في ذلك العهد المضطرب . (١) هكذا بدأت العصور الوسطى في جو من القلق والاضطراب الذى لم يكن لها يد فيه ؛ ولم يكن هناك مناص من أن تواجه هذا الوضع ومن أن تبدأ على هذا النحو . لقد كان العصر عصر تغير وانتقال من القديم بمثله وقيمه التى آمن بها المجتمع الرومانى إلى الوسيط بفلسفته وأفكاره ؛ ولم يكن هناك شيء ثابت على حاله ، بل كان كل شيء في تغير دائم تدريجى مستمر . وفي مثل هذه الظروف لم يكن من السهل أن تبرز الإلسانية أى تقدم ، في وقت كان فيه الفرد في الغرب يعيش يومه ولا يدري تماماً ما يمكنه له غده من كوارث وسكبات

بدأت العصور الوسطى ، إذن ، بداية غير طيبة ، حتى أن مؤرخاً مثل و. ب. كير (٢) أطلق على القرون الأولى منها اسم « العصور المظلمة » . ويأخذ بهذا رأى كثير من المؤرخين المعنيين بتاريخ هذه الحقبة من الزمن . (٣) ولقد كانت تركة مثقلة بالمشاكل مليئة بالصعاب تلك التى تسلبتها العصور الوسطى المتقدمة ، وهى تركمة انعدم فيها نور العلم والمعرفة ، وانطفأت فيها شعلة الحضارة الرومانية القديمة الزاهرة ، وساد بدلا من ذلك ظلام دامس لا يستبين المرء منه أى شيء ، وسرت برودة شديدة تقشعر من قسوتها الأبدان . وكان على هذه العصور أن تقوم بدور هام ، وهو العمل على الخروج من هذا الظلام والقضاء على تلك

(١) أنظر رأى جيبون وتعليق المؤرخ جورج جوردون كولتون عليه في كتاب كولتون (ج. ج) : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق دكتور جوزيف ليم يوسف - ط. ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ٧ و ١٦ و ٥٠ .

(٢) CF. W. P. Ker, The Dark Ages (London, 1955), p. 1 ff. (٣)

(٣) أنظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٣٥ .

البرودة ليحل عليها بصيص من نور وقبس من دفء . وكان عليها أيضاً العمل على تحقيق نوع من الأمن والهدوء والاستقرار النفسي . ولم يكن هناك بد من ذلك لتعود الحياة إلى سيرتها الأولى ، وليسترد المجتمع الأوروبي المنهك أنفاسه اللاهثة ويأخذ طريقه نحو التقدم والرقى .

لقد تمطلت عجلة الحياة في الغرب قروناً طويلة ، ولم يكن لها عمل سوى أن تسجل الزمن وهو يمر مرأً بطيئاً رتيباً . وقد أحاط بالحياة الفكرية ، على وجه الخصوص ، ظلام كثيف ، اللهم إلا من شعاع ضئيل خافت من بقايا تراث لا تبنى ذابل كان للكنيسة الرومانية دور هام في الإبقاء عليه داخل جدرانها خدمة لأهدافها الدينية فحسب . وكان ذلك ، بحكم الظروف ، في أضيق الحدود وفي أضيق نطاق . وعلى هذا ظل شعاعاً رفيعاً ، أو بكلمة أدق في التعبير ، بصيصاً من شعاع وسط ظلام شامل عم الغرب من أقصاه إلى أقصاه . ومع ذلك فقد خلف لنا عدداً من الفلاسفة والمفكرين وغيرهم من آباء الكنيسة الأول الذين تكشف تأليفهم عن نوعية الفكر وقتذاك ، وعن سمات الثقافة التي ارتبطت أساساً بالمسيحية وفلسفتها وبالكنيسة وتعاليمها في هذا العصر المبكر .

وهكذا تركت الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط ، والتي ارتبطت بالجرمان وغزواتهم وبالمسيحية وكنيستها ، بصماتها الواضحة على الثقافة والعلم خلال القرون الأولى من ذلك العصر ، مثلما تركت بصماتها على العقلية والفكر الوسيط ، بل وعلى كلغة أوجه الحضارة والحياة في الغرب . واستمر الحال على هذا المنوال عدة قرون . ولكن ، مع بدايات القرن الثامن ظهرت نهضة عليية مبكرة ومتواضعة ، إذا قورنت بالتدهور العام الذي ساد الغرب في القرون السابقة . وكان مركزها إيرلندا وإنجلترا ، وارتبطت بعدد

من الشخصيات مثل بيده والكوين أكثر من ارتباطها بالعصر نفسه . فلم تكن الظروف والأوضاع مهيأة بعد لإحداث تغيير جذري عميق ، كما لم تكن العقول والأفكار هي الأخرى معدة لتقبل كل ماهو جديد في ميدان العلم والفكر والثقافة بعامة .

وما يقال عن القرن الثامن ونهضته ، يقال أيضا عن القرن التاسع ونهضته العلمية التي ارتبطت بالإمبراطور شارلمان في بدايات ذلك القرن وبالمملك الفريد السكسوني قرب نهايته .

كانت هذه كلها بواكير ومقدمات طيبة لنهضة أكثر شمولا واتساعا شهدها المجتمع الغربي الوسيط مع بدايات القرن الحادى عشر الذى تميز بأسطورة سنة ١٠٠٠ المعروفة التى كان لها أثرها فى إيقاظ الغرب من سبات عميق ، وفى وجود حالة من الاستقرار أخذ يستشعرها ويحنى ثمارها ويتمتع بنتائجها . إذ بدأ الظلام ينقشع تدريجيا معلنا عن صبح مشرق ، وأخذ الدفء يسرى فى الشرايين ليقضى على برودة القرون المظلمة وجودها . وبدأ العقل الأوروبي ينطلق من عقاله عابولا الخروج من الدائرة الضيقة المغلقة التى عاش أسيرها ، ليضع حدا للجمود المكرى الذى اكتنفه قرونا عديدة . وكانت النتائج طيبة تلخص فى ظهور الفكر الحر والفلسفة المدرسية واتعاش النهضة الفكرية فى القرن الحادى عشر التى هيأت بدورها الجو لنهضة القرن الثانى عشر المعروفة بالنهضة العلمية الأولى ، (١) التى

(١) يعتبر هـ. ولف هاسكينز من نهضة القرن الثانى عشر أفضل ما كتب فى هذا الموضوع حتى الآن . أنظر G. H. Haskins, The Renaissance of the Twelfth Century (Cambridge, 1928) . والكتاب يمتاز بأهمية الكبرى فى إلقاء الضوء على الخلفية الثقافية والفكرية التى على أساسها قامت أقدم الجامعات فى المجتمع الغربى الوسيط .

دعت إلى تحرير الفكر والعودة إلى التراث الكلاسيكي القديم ، وبخاصة فلسفة أرسطو . وقد أخرجت هذه النهضة الكثير من كبار المفكرين والدعاة من أمثال الفيلسوف بطرس أبيلارد صاحب الفكر الحر والقديس برنارد أوف كليرفو صاحب الفكر الديني للقديم ، وغيرهما من ملأوا العالم الوسيط حركة ونشاطا بمناقشاتهم ومجادلاتهم وكتبهم وتأليفهم التي لا يزال معظمها باقيا إلى اليوم يروى قصة تلك الانعطاف الفكري العملاقة وذلك الاحتكاك الذهني الكبير على مسائل حيوية في الدين والفلسفة كان لها قدرها ووزنها وقتذاك . وقد أدى هذا بالتالي إلى نشأة الجامعات التي كانت ، في حقيقتها ، وليدة تلك الجهود العلية السابقة الطويلة البطيئة المضنية . وقد قامت تلك الجامعات لتحتل مكانة مرموقة في المجتمع الغربي في القرون الأخيرة من العصر الوسيط ، ولتؤدي دوراً بارزاً انتقل بالغرب ، وبصفة نهائية ، من عصر الجهل والظلمات إلى عصر العلم والنور والمعرفة ، ونعني بذلك عصر النهضة الذي مهد بدوره للعصر الحديث ومدنيته الزاهرة .

الفصل الأول

حركة التعليم في العصور المظلمة حتى بداية حكم شارلمان

- الغزوات الجرمانية وأثرها في القضاء على العالم الروماني وحضارته .
- تدهور اللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم .
- بداية عصر جهود وظلام .
- العلم والإنتاج الأدبي والشعري في العصر الوسيط المبكر .
- الإنتاج الفكري ينحصر في أعمال الآباء المسيحيين الأول .
- دور الكنيسة اللاتينية في الحفاظ على العلم في فترة العصور المظلمة .
- أشهر الكتاب والفلاسفة والمفكرين ، وأثرهم على العلم والثقافة : بيوثيوس ، كاسيودورس ، مارتيناوس ، جوردانيس ، البابا جريجوري الكبير .
- النهضة العلمية الإيرلندية في القرن الثامن وأثرها : بيده ، السكوين .

شغلت العصور الوسطى قرابة عشرة قرون من الزمان ، ففى تبدأ سنة ٤٧٦ م بسقوط روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة أمام جحافل المتبريرين ، وتنتهى فى سنة ١٤٥٣ م بسقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية فى أيدى الأتراك العثمانيين . وقد بدأت بداية سيئة فى وقت كانت فيه الدولة الرومانية فى طور الاحتضار بسبب الأزمات العنيفة التى هدت كيانها . ولهذا نظر إليها فريق من المؤرخين على أنها عصور تأخر وانحطاط ليس فيها من نور العلم والمعرفة شىء يذكر ، وكيف لا وقد قامت غزوات الجرمان البرابرة فى التاريخ الأوروبى على أنقاض الحضارة الرومانية الزاهرة وحلت محلها (١) .

ولا شك أن غزوات البرابرة قد أوجدت حالة من الفوضى والتوتر فى شتى مرافق الحياة ومختلف أوجه النشاط فى الغرب ، إذ قضت على معالم الحضارة والمدنية الرومانية وأحلت محلها حضارة قبلية بدائية لحد ما ، لم تسكن لترقى بحال إلى مستوى حضارة الرومان القدماء . ولهذا يطلق بعض المؤرخين على الفترة المبكرة من هذه العصور اسم « القرون المظلمة » ، وعلى رأس هؤلاء إدوارد جيبون و و . ب . كير . ويقول كير إن أحلك فترة فى العصور المظلمة هى التى تمتد من نهاية القرن السادس حتى حركة إحياء العلم فى عهد شارل العظيم فى أخريات

(١) أنظر Goff, J. le, La Civilisation de l'Occident Médiéval (Paris, 1965), p. 27 ff ; Katz, S., The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe (New York, 1960), pp. 69, 71, 88 ; Brinton, G. and Others, A History of Civilization, Vol. I (New Jersey, 1967), pp. 203, 295 ; Homo, L., Nouvelle Histoire Romaine (Paris, 1941), p. 525 ff.

الوسطى (القاهرة ١٩٥٩) ، ص ١ وما بعدها .

القرن الثامن وبدايات القرن التاسع . إذ أصبح لإعمال قواعد النحوي في اللغة اللاتينية أمرا شائعا مألوفاً ، بل كان موضع تشجيع في بعض الأحيان . وكان البابا جريجوري العظيم (٥٩٠ — ٦٠٤ م) يستشهد أحيانا بالكتاب المقدس مستنكرا العلوم الإنسانية . وتزايد مع الزمن لإعمال دراسة الكتاب الوثنيين القدامى وأعمالهم . وكثر التساؤل الذي كان يحمل بين طياته أكثر من مغزى ودلالة : هل تنقذ قواعد اللغة اللاتينية النفس الخالدة ؟ ، أو د ما الفائدة التي يمكن أن نجنيها من الكتابة عن آلهة أو فلاسفة الديانة الوثنية القديمة أو أعمال هرقل أو سقراط ؟ ، (١) كذلك أصبحت الكتب نادرة الوجود . ولم يعد شعراء أو خطباء العالم القديم في أخريات أيامه يقومون بصناعة نسخ الكتب كما كان الحال من قبل ، اللهم إلا القليل منهم . وكان تدهور هذه الدراسات أوضح ما يكون في كل من غالة وإيطاليا (٢) .

/ لقد أخذت الحضارة الرومانية المرتبطة بالثقافة اللاتينية تنكش تدريجيا من دول الغرب الأوروبي ، وأغلقت المدارس القديمة أبوابها ، وعم الجهل ، وساد الظلام . وكان هذا أمراً طبيعياً متوقفاً . فقد غدا المجتمع الروماني في نهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط مجتمعا جامداً لا حياة فيه ، وانعدمت نتيجة لذلك

(١) "Quid posteritas emolumenti tulit legendo Hectorem pugnantem aut Socratem philosophantem ؟"

وهذه العبارة من قول سوليبيكيوس سفيرس (٤٠٠ م) Sulpicius Severus .

وكان مثل هذا النوع من النقاش سائدا زمن جريجوري الكبير وبعده بوقت غير قصير .

أنظر Ker, op. cit., p. 24 n. 1.

(٢) Ker, op. cit., pp. 24 ~ 5.

الاصالة في اللغة والعلم والأدب الكلاسيكي القديم . (١) ولا جدال أن المسيحية قد أثرت على اللغة اللاتينية باستحداث ألفاظ وكلمات وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل ، حتى تنمى مع الآراء والأفكار الجديدة التي نادى بها تلك الديانة التي كانت بمثابة رد فعل للتاريخ القديم ووثنيته . هذا ، فضلا عن الكلمات التي هي من أصل جرمانى ، والألفاظ العامية والدارجة التي أدخلت على اللغة الفصحى . ويمكن التأكد من ذلك بالمقارنة بين اللاتينية القديمة الفصحى النقية من كل الشوائب كما كتبها أناس مثل شيشرون وفرجيل وأوفيد وستاتيوس وسالوست وقيصر وبليني وكاتو ، وبين اللاتينية الجديدة التي استخدمها الآباء والقديسون في العصر المسيحي الأول . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن البلاغة التي تميز بها الأسلوب اللاتيني القديم قد انتهت ليحل محلها وضع جديد لم يهتم فيه الناس باختيار اللفظ المناسب أو العناية بالنسجاء العبارات واتزان الجمل . ولم يعد الكاتب في فجر العصور الوسطى يعنى بقواعد النحو في كتاباته كنتيجة للأوضاع التي أسلفنا إليها . مثال ذلك أن كل كلمة في اللاتينية الكلاسيكية كان لها مكانها الخاص في الجملة ، فالجملة تبدأ بالفاعل وتختتم بالفعل ، ولكن كتاب العصر المسيحي الأول لم يراعوا هذه القواعد بالمرّة ، وقد كان لهم في ذلك عذرهم . وإن كانوا بموقفهم هذا قد أضروا اللغة اللاتينية ضررا بالغا ، حتى أنه مع بداية الحقبة الوسيطة من التاريخ كانت هناك لغة لاتينية جديدة تماما ، وتختلف في نفس الوقت اختلافا بيّنا عن اللاتينية الكلاسيكية ، ونعنى

(١) كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٢٤ ؛ كرامب (ج) وجاكوب (١) : تراث العصور الوسطى - راجع الترجمة العربية محمد بدوان والدكتور محمد زيادة - ج ١ (القاهرة ١٩٦٥) ص ٢٥٣ و ١٠ بعدها و ٢٧٨ . راجع أيضا Goff, op. cit., p. 147 ff ; Kitchen, G.W., A History of France, Vol. I (Oxford, 1899), p. 66.

بها اللاتينية العامة *Lingua Rustica* أو الدارجة *Lingua Vulgaris* أو الشعبية *Lingua Plebea* حسبما كان يطلق عليها (١).

وكما تأثرت اللغة اللاتينية بكل من المسيحية والغزوات الجرمانية ، كذلك تدهور مستوى الخط والكتابة تدهورا واضحا بسبب نقشي الجبل في عصر مظلم؛ وكثرت الأخطاء النحوية والنحوية حتى غدا من المتعذر قراءة المخطوطات التي وضعت في العصر المسيحي المبكر أو فك طلاسمها ورموزها . والخلاصة أن اللاتينية التي كانت في وقت ما هي لغة العلم والتعليم لدى كافة الشعوب الغربية المثقفة قد دب فيها الخلل والفساد بسبب الظروف الجديدة التي استجدت على العالم الأوروبي وقتذاك (٢).

وكان كل ما تبقى من حضارة الرومان القدماء هي بقايا ذابلة باهتة اثبتت من المؤسسات الدينية والديرية التي أخذت تنتشر بسرعة في الغرب مع انتشار المسيحية وتأصل جذورها . وثمة صلة وثيقة بين المسيحية وفلسفتها التي جاءت كرد فعل للعصر القديم بثله وأفكاره ومبادئه ، وبين ما أصاب التراث الكلاسيكي

(١) أنظر Kitchin, op. cit., I, p. 164 ; Painter, S., A History of the Middle Ages (London, 1966), p. 11 ; LaMonte, J.L., The World of the Middle Ages (New York, 1949), pp. 554-556 ; Bloch, M., Feudal Society, Vol. I (London, 1967), p. 107.

أنظر أيضا سعيد هاشور : أوروبا المصور الوسطى - ج ٢ (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ كرامب وجاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٢١٦ وما بعدها .

(٢) أنظر كرامب وجاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ،

ج ١ ، ص ٢٨٩ .

من تدهور وانحطاط . فلم يكن قيام الدين الجديد وفلسفته لينفقان بحال مع بقايا الحضارة الرومانية التقليدية والتراث الكلاسيكي القديم . لقد كان هذا التراث في نظر المسيحية تراثاً ضاراً عديم الفائدة لارتباطه بالوثنية وما كانت تدعو إليه من الحرية والانطلاق وتعدد الآلهة (١) .

وللزبد من الإيضاح نقول إن فلسفة المسيحية تنادى بأن الحياة الدنيا ما هي إلا مطية زائلة إلى الدار الثانية دار الخلد والنعم المقيم ، ولذلك وجب على الفرد أن يعد نفسه لهذه الحياة الأبدية الباقية بالصلاة والتبتل والتقرب إلى الله والعمل على مرضائه . لذا حرمت على الفرد أن يتمتع بمباهج الحياة الدنيا وملذاتها باعتبارها متناً زائلة يجب أن ينهى نفسه عنها ، ونادت بأن الخلاص — أى خلاص النفس — هو الغاية النهائية لكل كائن حي . في حين أن الوثنية القديمة كانت تتميز بالتححرر من كل القيود كنتيجة لتعدد النواحي . فكانت تدعو إلى التمتع بالحياة وباطبيعة وجمالها في شتى صورها ومظاهرها . وهكذا صبغت المسيحية الحياة في المجتمع الغربي الوسيط بصبغة خاصة ظهر أثرها جلياً في شتى المجالات ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم والفكر والثقافة . فلم يكن ، مثلاً ، يسمح للأديب أو المفكر أو الفنان أو الشاعر أن يعبر عن أحاسيسه وانفعالاته في كلبة أو رأى أو لوحة أو قصيدة وما إلى ذلك بما حرمته المسيحية وفلسفتها ، تلك الفلسفة التي اعتبرت الأساس الأول للحياة والنفكير في العصور الوسطى . كذلك لم يكن مسموحاً بتدريس علوم وآداب اليونان والرومان القدماء لما فيها من

(١) أنظر كوايتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٤٨ و ٥٤ .

راجع أيضاً كتاب : Sullivan, R. E., Heirs of the Roman Empire (New York, 1960), p. 6.

عناصر وثنية لا تتفق بحال مع المسيحية وما كانت تدعو إليه . ولهذا نبذتها الكنيسة اللاتينية . وبلغ من تعنتها حيال التراث الكلاسيكي القديم أن حاربتهم دون رفق أو هوادة حتى أن المتبقى منه مع بدايات العصر الوسيط ، والذي حفظه لنا الزمن من الضياع ، كان ضئيلاً جداً وضعيفاً في مستواه (١) .

وهكذا صاحب القرون الأولى من العصر الوسيط تدهوراً وانهاراً في أمور العلم والتعليم بصفة عامة وفي اللغة اللاتينية وما يتصل بها من نحو وأجرومية وبلاغة على وجه الخصوص . ولازم ذلك ظهور أدب لاتيني جديد يختلف عما كان سائداً من قبل . وقد كان لهذا الأدب الجديد الذي أرمى قواعده آباء الكنيسة الأول أثره الواضح في تفكير العصر الوسيط المبكر . ومن بين هؤلاء الآباء ينبغي الإشارة إلى إثنين بالذات هما القديس جيروم (حوالي ٣٤٧ — ٤٢٠ م) St. Jerome والقديس أوغسطين أوف هيبو (٣٥٣ — ٤٣٠ م) St. Augustine of Hippo

كان أولهما عالماً كبيراً وكاتباً عظيماً ، له مؤلفات عديدة هامة منها ترجمته لحياة الرهبان المصريين وأنظمهم إلى اللغة اللاتينية التي ساعدت على سرعة انتشار

(١) كوانتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٥٤ و ٥٥ وما بعدها ؛ كرامب وحاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ج ١ ، ص ٢٦٩ و ١٠٠ بعدها ؛ عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٢) ص ٦ — ١٤ .
أنظر أيضاً المراجع الأجنبية التالية : Goff, La Civilisation de l'Occident : Médiéval, pp. 147 ff., 155 f. ; Taylor, H. O., The Classical Heritage of the Middle Ages (New York, 1957), p 44 ff., 107 ff.; Cantor, N. F. (ed), The Medieval World (New York, 1963), p. 27 ff. ; Katz, op. cit., p. 180 ff.; Brinton & Others, op. cit., I, pp. 167 — 168 .

الرهينة في الغرب . وكذلك ترجمته اللاتينية للإنجيل التي أصبحت الترجمة المعتمدة المعترف بها في العالم بعد أن حلت محل النص الأصلي القديم . وقد تأثر عالم اللاهوت تأثراً واضحاً بهذه الترجمة الجديدة (١) .

أما أوغسطين فهو يعتبر — بحق — أعظم آباء الكنيسة اللاتينية في هذا العصر المبكر . وكان قبل اعتناقه المسيحية مدرساً لعلم البيان في إيطاليا . كما كان على دراية واسعة بأدب اللاتين القدامى والمناقشات الفلسفية والأدبية واللاهوتية في عصره . وقرأ الكثير عن فلسفة الإغريق وأدبهم في التراجم اللاتينية . وله ، هو الآخر ، مؤلفات عديدة تركت أثرها على العقليّة الوسيطة . ومن أهمها ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، كتابه الذي وضعه باللاتينية باسم « مدينة الله » ، *De Civitate Dei* ، الذي يعد أعظم تأليفه الفلسفية والذي تمحدث فيه عن فلسفة المسيحية .

وجدير بالذكر أنه ثار الجدل والخلاف لقرون طويلة حول المقصود بالمدينين

(١) أنظر كوانتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٥٣ . واجع أيضاً Coulton, G. G., *Medieval Panorama* (New York, 1955), pp. 9, 11, 113, 264, 272, 666, 690, 692 ; Burgh, W. G. de, *The Legacy of the Ancient World* (London, 1955), Vol. I, pp. 810 - 811; Duroselle, J. - B., *Histoire du Catholicisme* (Paris, 1949), p. 21 ; Kutz, op. cit., pp. 92, 129, 138 f., 146 ; Glanville, S. R. K. (ed.), *The Legacy of Egypt* (Oxford, 1957), pp. 802, 818, 828 ; Grump, C. G. & Jacob, E. F. (eds), *The Legacy of the Middle Ages* (Oxford, 1951), pp. 42, 147 — 152; LaMonte, op. cit., pp. 77 f., 85 f.

هذا ، ونحمد مقتطفات من أوائل جيروم ، وبخاصة ما يتعلق بالمسيحية والتراث

الكلاسيكي القديم في كتاب Cantor, op. cit., pp. 27 - 30.

اللتين وصفهما أوغسطين في كتابه ، وهما مدينة الإنسان ومدينة الله . ولكن وجهة النظر المتفق عليها الآن أنه يعنى بمدينة الإنسان العالم الديوى الذى نعيش فيه ويقصد بمدينة الله السماء ، وذلك على الرغم من أن رجال الدين فى الغرب قد أصرروا لفترة طويلة أثناء صراعهم مع القوى العلمانية حول المسائل الديوية ، أن المقصود بالمدينتين الدولة العلمانية والدولة الكنسية . ويتبع كتاب مدينة الله ، بحرى التاريخ الرومانى منذ الكارثة التى حلت بروما على يد الأريك Alario الجرمانى فى بدايات القرن الخامس ، ويكشف عن الأزمات التى نزلت بها بسبب تمسكها بألهة زائفين ثم يستطرد أوغسطين ليناقد خطة الله من أجل تخليص الإنسان وعودته إلى مدينة الله الخالدة . وإن كان لهذا الكتاب من أثر ، فهو الأثر الذى تركه على الفكر الدينى فى الغرب أكثر من أى مؤلف آخر . ويمكن أن القديس أوغسطين لم يكن موضع دراسة وتقدير علماء اللاهوت فى العصر الوسيط فحسب ، وإنما تركت تعاليمه أثراً الواضح على كل من الفكر الكاثوليكي والفكر البروتستانتي فى العصر الحديث أيضاً . وللقديس أوغسطين ، إلى جانب كتاب مدينة الله ، مؤلفات أخرى من أهمها : اعترافات ، التى تعتبر فى الواقع أول ترجمة يدونها شخص عن نفسه فى تاريخ الأدب قاطبة (١) .

(١) أنظر عن ذلك LaMonte, op. cit., p. 77 f.; Mommsen, T. E., *Medieval and Renaissance Studies* (Ithaca, 1959), pp. 265-298 ; Durand, op. cit., 21 ; Garin, E. & others, *Les Utopies à la Renaissance* (Bruxelles & Paris, 1963), pp. 63, 65, 188 ; Cantou, *Medieval Panorama*, pp. 11 f., 15, 32, 34, 36, 96, 110, 122 et seq.; Grupp & Jacob, op. cit., pp. 25, 32, 39, 41 f., 48 f., 54f., 152, 201 et seq.; Kitchin, op. cit., I, p. 65 ; Katz, op. cit., pp 70 f., 92, 133 f.; Goyau, G., *Orientations Catholiques* (Paris,

هذا عن وضع اللغة اللاتينية والكتابة والانتاج الأدبي اللاتيني الجديد في العصر الوسيط المبكر الذي ارتبط أساساً بالدين ، وقد ترك أثره وطابعه على العقل والفكر وقتذاك . أما عن الشعر فقد وجد نوعان منه يختلفان تماماً عن بعضهما هما : الشعر المسيحي الديني والشعر المسيحي الديني . وقد تخطى الشعر الديني عن المقاييس الكلاسيكية القديمة المعروفة ، وأصبح يعتمد على أوزان إيقاعية مما ساعد على ذبوح الترانيم والترانيل والأناشيد الدينية ، وبالتالي سرعة انتشار المسيحية نفسها في الغرب . ومن شعراء العصر المسيحي المبكر الذين قرأوا هذا النوع من الشعر يجب أن نذكر القديس امبروز St. Ambrose الذي عاش في القرن الرابع وكان أسقفاً على مدينة ميلان في عهد الامبراطور فالنتينيان الثاني (٣٧٤-٣٩٧ م) . وقد اشتهر بترانيمه الدينية التي وضعها باللغة اللاتينية (١) . وهناك أيضاً الشاعر

1925), pp. 1—11.

أنظر مقال نورمان بينز المعنون : "The Political Ideas of St. Augustine's De Civitate Dei," The Historical Association, London, 1962, pp. 3—17.

راجع أيضاً كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٤٥ — ٤٦

و ٢٦٥ — ٢٧١ .

(١) له ثلاث ترانيم مشهورة باللغة اللاتينية يحتمل أن يكون قد وضعها في الوقت الذي

حدث فيه أوغسطين ، أى في عيد القيامة لسنة ٣٨٧ م ، وهذه الترانيم هي :

أ - تسبحة المساء ومطامير « الله خالق الكل » « Deus creator omnium »

ب - تسبحة الصباح ومستهلها « الأزل خالق كل شيء »

« Aeternae rerum conditor »

ج - ترنيمة عيد الميلاد وبدايتها « جاء مخلص البشر »

« Veni redemptor gentium »

أنظر كتاب Ker, op. cit., 205 ، راجع أيضاً Piganiol, A., L'Empire

الأسباني برودنتيوس Prudentius (٣٤٨ — ٤٠٥ م) الذي يمتاز بأشعاره الدينية المستوحاة من الكتب المقدسة ومن تعاليم المسيحية ذاتها ، والتي كانت تبعث على الأمل وتبحث على التواضع والبعد عن العظمة والكبرياء (١) . وكذلك القديس باولينوس أوف نولا St. Paulinus of Nola (حوالي ٢٥٣ — حوالي ٤٣١ م) بمجنوب إيطاليا الذي أسهمت أشعاره في تثبيت دعائم المسيحية في وجه الحكام الرومان المصنطهدين لها وفي وجه الوثنية القديمة (٢) .

ولكن هذا لا يعني أن الشعر الذي نظمته شعراء المسيحية الأول وقت انهيار الامبراطورية القديمة وبداية العصر الوسيط ، كان كله دينياً بحتاً . فقد وجد كثير من الشعراء المسيحيين ، وبخاصة خلال القرون الرابع والخامس والسادس الميلادية ، ظلوا وثنيين في تفكيرهم بالرغم من اعتناقهم الدين الجديد . وكان

Chrétien : 325—395 (Paris, 1497), pp. 194, 207, 227, 241, 246, = 256, 262, 264, 268, 389, 391. 408 ; Cochrane, C. N., Christianity and Classical Culture (New York, 1957), pp. 347 ff., 373 f.

Hillgarth, J.N. (ed.), The Conversion of Western (١) أقطار Europe (London, 1961), p. 17 ; Crump & Jacob, op. cit., 156; Katz, op. cit., pp. 134, 141 ; LaMonte, op. cit., 84 ; Piganiol, op. cit., p. 387; Cochrane, op. cit., p. 290 .

راجع أيضاً سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

Coulton, Medieval Panorama, p. 16 ; Crump & (٢) أقطار Jacob, op. cit., p. 51 ; Painter, op. cit., p. 85 ; LaMonte, op. cit., p. 84; Bury, J. B , History of the Later Roman Empire, Vol. I (New York 1958), p. 168 n 6 ; Hillgarth, op. cit., pp. 17, 21, 68 f. ; Piganiol, op. cit. loc. cit.

راجع أيضاً سعيد عاشور : نفس المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة .

معظم هؤلاء الشعراء من الفرنجة ، ونذكر منهم الشاعرين أوزونيوس Ausonius (٣١٠ — ٣٩٥ م) الذى عاش القرن الرابع بكل أحداثه ، وسيدونيوس ابوليناريس Sidonius Apollinaris أسقف كليرمون الذى عاش فى القرن الخامس — إذ تبدو الانجاسات والنقايد الوثنية القديمة واضحة فى أشعارهما (١) .

وفى هذا الصدد يجب أن نشير أيضا إلى أحد شعراء العصر الميروفنجى وهو الشاعر فناثيوس فورتوناتوس Venantius Fortunatus (٥٣٠ — ٦١٣ م) أسقف بواتييه الذى سار فى نفس الاتجاه الذى سار فيه كل من أوزونيوس وسيدونيوس من قبل . فقد تناول فى أشعاره مواضيع عديدة متنوعة تتميز بذوقها الكلاسيكى القديم أكثر من اتسامها بالسمة العامة التى كانت مألوفة فى فترة العصور المظلمة . ومن أفضل ما خلف لنا تلك الأشعار التى وجهها إلى عدد من أصدقائه والتى تبدو فيها جوامب البطولة فى قالب من السخرية . مثال ذلك القصيدة التى كتبها عن صديق له يدعى جوجو Gogo ، يقول فيها : « ماذا يفعل جوجو ؟ أيرقب شباك السالمون فى نهر الراين ؟ أم يسير وقد انثنى من الخمر ؟ أم يصطاد الجاموس من الغاب ؟ لتكن السحب والرياح رسلا بين جوجو وصديقه

(١) أنظر Ker, op. cit., p. 122 ff. ; Golf, op. cit., p. 151 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 132, 169; Katz, op. cit., pp. 110, 184; LaMonte, op. cit., pp. 74, 84 ; Bury, op. cit., I, pp. 326, 331, 334 f., 337 f., 342 f. ; Piganiol, op. cit., 176, 202, 204, 221, 279, 325, 385, 393. راجع أيضا دوسن (كرستوفر) : تسكوين أوروبا — ترجمة ومراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٦٧) ، ص ١٠٢ و ١١١ و ١١٤ و ١٢١ . هذا، ونجد مقتطفات من أعمال أوزونيوس فى كتاب Cantor, op. cit., pp. 16—19.

فورتوناتوس ، . وفي نعمة أكثر جدية ووقاراً يكتب الشاعر إلى صديقه لوبوس Lupus دوق شامبانيا ، مبيناً كيف أنه يحس بالراحة والطمأنينة لأفكار صديقه النبيل التي هي أشبه ما تكون بالظل الواقى أو الماء الرطيب بالنسبة للإنسان أجهلته مشقة الطريق تحت وهج الشمس المحرقة ، ثم أخذ قسطاً من الراحة وهو يتذكر شاعره الذي يعرفه حق المعرفة ، وقد يكون هذا الشاعر هو هومير أو فرجيل أو أوفيد .

وعلى أية حال ، فإن المتتبع لأعمال فورتوناتوس يدرك أنه كان ينهج في قرصه الشعر التقليد القديم . إذ كان يعتبر الشعر اللاتيني أفضل أشكال عالم الصياغة والبيان ، وكان يؤثر استخدامه باعتباره من الأساليب الهامة لمعالجة أى موضوع من الموضوعات التي يتطرق إليها في شعره ، وبخاصة الموضوعات الدينية (١) .

هذا عن الإنتاج الشعري الديني والديوى في العصر المسيحي المبكر وأثره على الثقافة وعلى العلم والتعليم ، في وقت اكتسح فيه الجرمان الجهاز الرومانى العتيق وانتصرت فيه المسيحية على الديانة الوثنية . وأما عن السكتابات الفكرية ، فقد برع فيها عدد قليل من الكتاب الذين تناولوا شتى الموضوعات في تأليفهم ، ومن أبرز هؤلاء سولبيكيوس سفيروس Sulpicius Severus وجريجورى التورى Gregory of Tours نسبة إلى مدينة تورز الفرنسية .

Cf. Ker, op. cit., pp. 119—124 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 132, 156 ; Kitchin, op. cit., I, p. 101 ; Katz, op. cit., p. 110 ; Painter, op. cit., p. 68 ; LaMonte, op. cit., 84 f. ولديزيد من المعلومات من هذه الشخصيات ، أنظر سعيد ماهرور : أوروبا النصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

ويعتبر سفيروس (٤٠٠ م) من الكتاب المشهورين . كان من رجال القانون، وقد تشبع بروح الرهبانية، ووضع مؤلفا عن حياة القديس مارتن التورى الذى كان من معاصريه، وكان له أكبر الأثر فى الإسهام فى نشر الديرية فى الغرب الاوروبى إلى جانب مؤلفات غيره من أمثال القديس أوغسطين والقديس جيروم . هذا، ويلاحظ أن قواعد النحو لم تكن تراعى فى تلك الفترة المتقدمة فى الكتابة النثرية. كما كانت الأخطاء اللغوية شائعة ، وأهمل دراسة كل ما يتعلق بالتراث الكلاسيكى القديم باعتباره تراثا ضارا لما فيه من عناصر وثنية حاربتها المسيحية دون رفق أو هوادة . ونلس ذلك بما قاله سفيروس نفسه عندما تساءل : : هل تشفع أجرومية اللغة اللاتينية لخلاص الروح الخالدة؟ ، ومن تسأله أيضا : : ما الفائدة التى نجم عنها من الكتابة عن الآلهة أو الفلاسفة الوثنيين أو أعمال سقراط ؟ ، ولم تكن مثل هذه التساؤلات ، فى حقيقة الأمر ، بغير مغزى أو دلالة . وكان هذا يعنى - بكلمة مختصرة - نبذ كل ما يتعلق بالوثنية فى التراث الكلاسيكى القديم باعتبار أنه يتعارض مع ما كانت تنادى به المسيحية وما كانت تدعو إليه فلسفتها القائلة بأن الخلاص هو الغاية النهائية لكل كائن حى (١) .

أما المؤرخ جريجورى التورى (٥٣٨ - ٥٩٤ م) فقد عاش فى القرن السادس، وكان أسقفا على مدينة تورز الفرنسية ، وهو يمثل العصور الوسطى المبكرة بمشاهير وأفكارها وخصائصها وقيمتها خير تمثيل . لقد خلت كتاباته من التقاليد الكلاسيكية والوثنية القديمة . وبما يذكر فى هذا الصدد أنه بدأ تاريخه الذى وضعه عن الفرنجة

(١) Ker, op. cit, p. 24 & n 1 ; cf. also LaMonte, op.

cit., p.85 ; Bury, op. cit, I, p.807 n. 1 ; Hillgarth, op.cit.,p. 16.

أنظر أيضا سعيد هاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

« History of the Franks » ، والذي يعتبر المصدر الاساسى عن تاريخ غالة في ذلك العصر ، بالشكوى من تدهور العلم والتعليم وانحطاط الدراسات الدينيوية . ولكنه يستدرك فيقول إن انحطاط هذه الدراسات لا يجب أن يؤدي إلى إهمال التاريخ . وكان جريجورى يستهدف تسجيل الاحداث ، وبخاصة تلك التى وقعت في عصره . كذلك لم يمتن في مؤلفه باللغة اللاتينية نفسها أو بإبراز نواحي الجمال فيها . ولم يتقيد بقواعد النحو وأجرومية اللغة . وإنما قصر اهتمامه على الاشخاص والاحداث فحسب . وكان كل ما يعنيه أن يجد المستمع أو القارئ الذى يفهم أسلوبه ، وبمنص قوله : *Philosophantem rhetorem intellegunt : pauci, loquentem rusticum multi* . لذلك نراه يستخدم في تاريخه الاسلوب اللاتينى الدارج السهل ، بينما كان يوسعه أن يكتب بلاتينية أكثر نقاء وصفاء . لكنه أثر اختيار اللغة التى يفهمها عامة الناس الذين يكتب لهم في عصر تدهورت فيه اللاتينية والثقافة المرتبطة بها (١) .

(١) أنظر Ker, op. cit., pp. 125—180 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 132, 152, 154 ; Kitchin, op. cit., I, p. 90 ; Katz, op. cit., pp. 110, 135 ; Painter, op. cit., pp. 68, 444, LaMonte, op. cit., p. 88 f.

هذا ، ونجد مقتطفات من كتاب تاريخ الفرنجة لجريجورى في مؤلف ن. ف. كانتور :

Cantor, op. cit., pp. 77—81 .

ويتحدث كثير عن تاريخ جريجورى في شيء من الإفاسة والتحليل ، فيقول إنه يستمر حتى سنة ٥٩١ م ، وهو يقع في عشرة كتب ، وتبدأ ذكرياته الخاصة بالكتاب الرابع . وتدل مذكراته على الدور الكبير الذى لعبه في تاريخ بلاده . وكان في نفس الوقت يوجه نهاية فائقة إلى كل ما يتعلق بالمعجزات والمنامات ، كما كان يتمتع بمقدرة هائلة على التخيل ومرد القصص ، وبصفة خاصة ما يتعلق بالفترة السابقة لعصره ، بالإضافة إلى تجاربه الخاصة . ويعتبر جريجورى التورى ، فضلاً عما تقدم ، من المؤلفين القلائل الذين كان باستطاعتهم

ولقد كان جريجورى التورى فى كتاباته يعبر — فى الواقع — عن عصر تغير وانتمقال فى نواحى العلم والمعرفة وما أصاب اللاتينية والثقافة المرتبطة بها من تدهور وانحلال . ويقول المؤرخ جون لامونت إن معرفته باللاتينية تكشف إلى أى حد تدهور العلم فى الغرب الأوروبى وقتذاك ، وكيف أن اللاتينية الجديدة كانت مليئة بالأسخطاء اللغوية والكلمات الدخيلة التى هى من أصل جرمانى (١) .

ومع كل ما تقدم يجب ألا ينطبع فى الذهن أن العصور الوسطى المبكرة كانت سخلاً تقريباً من حركة التفكير والإنتاج العلمى ، أو أن عجلة العلم قد توقفت تماماً عن الحركة ، إذا استثنينا هذه الأمثلة الفردية التى ألمعنا إليها والتى لا يجوز اتخاذها كقياس ثابت لاتجاه معين . حقيقة لقد شمل القارة الأوروبية ، وبخاصة القسم الغربى منها ، ظلام دامس كنتيجة للظروف التى نشأت عن غزوات البرابرة وتدفعهم فى أعداد هائلة فى قلب الامبراطورية الرومانية وهدم نظامها العتيق الذى كان هو الآخر فى طور الاحتضار . ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً ولم تستمر إلى ما لا نهاية فقد كانت الكنيسة ، وهى كل ما تبقى من الدولة الرومانية القديمة ومدنيتها بعد اكتساح الجرمان لها ، هى معقل التفكير ومنبع الحركات

== ريم سورة حية نابضة الموضوع الذى يكتبون عنه . ويرى كير أنه بالرغم من عدم تفيد جريجورى بقواعد النحو وأجرومية اللغة ، وبالرغم من أسلوبه اللاتينى العادى ، وبالرغم من أن الكثيرين غيره من كتاب الحوليات كانوا يستخدمون أسلوباً أفضل من ذلك الذى استخدمه جريجورى — بالرغم من كل ذلك فقد نجح جريجورى بذلك الإمكانيات الضئيلة التى كانت تحت يده والمواهب البسيطة التى كان يتمتع بها ، فى حين فشل كثيرون غيره من كبار الكتاب . ويكشف مؤلف جريجورى ، الحاس بتاريخ الفرنجة عن هذه المواهب وانقذرات التى كان يتمتع بها فى تلك الفترة المبكرة من التاريخ الوسيط . أنظر كير : نفس المرجع ، س ١٢٥ — ١٢٦ .

LaMonte, op. cit., pp. 88—89.

الأدبية . كما احتفظت بطابع علمي متواضع على قدر مفهوم الناس وقتذاك . هذا ، إلى جانب نشاطها في العلوم الدينية والمعارف الدنيوية . وقد اجتذبت لخدمتها عدداً كبيراً من الناس الذين ذاع صيتهم وبرزت شهرتهم (١) .

ومن هنا اصطبح التعليم في هذه الفترة المبكرة بصبغة دينية واضحة . وكان هذا أمراً طبيعياً متوقفاً . فهو مرتبط شكلاً وموضوعاً بالمسيحية ، وهي الديانة التي كانت قد تأصلت جذورها في الغرب بعد القضاء على الوثنية وعبادة الإمبراطور . وقد ترتب على ذلك ظهور نهضة تعليمية متواضعة في ظل الكنيسة الجديدة التي أصبحت بحكم وجودها في روما الوريثة الشرعية للإمبراطورية القديمة بعد انهيارها ونقل الكرسي الإمبراطوري من روما إلى القسطنطينية في طرف أوروبا الأقصى عند النقاء البسفور بسحر مرمرة . فاكتملت بحكم هذه الظروف التي أحاطت بنشأتها ونموها وبحكم الأحوال التي ألمت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط ، سلطة ونفوذاً كبيرين . وأصبحت هذه الكنيسة ، وعلى رأسها البابا ، قوة عظمى تسيطر على مصائر الأفراد وعقولهم ومقدراتهم وعلى حياتهم العامة والخاصة كذلك . ونتيجة لهذا المركز الكبير الذي تتمتع به في الشؤون الدينية

(١) أنظر وهيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٢) ص ١٤٥ وما بعدها + ولزيد من المعلومات عن التعليم الديني في المجتمع الغربي الوسيط ، وبخاصة في فروعه المبكرة عند ما كان النظام السائد هو النظام الإقطاعي وعند ما كان الجهل متفشياً بين غالبية أهل الغرب وبين الفلاحين السكادحين في الأرض بصفة خاصة ، أنظر المراجع الأجنبية التالية : Coulton, G. G., Medieval Village, Manor and Monastery (New York, 1960), ch. XIX, pp. 258—278 ; Baldwin, M.W., The Mediaeval Church (New York, 1953), p. 66; Brinton & others, op cit., p. 305.

والديونية على السواء ، أصبح لها دور واضح في الإبقاء على العلم في بداية العصر الوسيط ، أو حسبما قال المؤرخ كولتون غدت الكنيسة هي المحتكرة شرعا لكل ما يتعلق بشئون العلم والتعليم^(١) .

وقد قامت تلك الكنيسة بإنشاء المدارس في الأديرة لخدمة أغراضها فحسب . فكان يوجد بكل دير مكتبة وعدد من النساخ^(٢) ومدرسة لتعليم النشء تعليما دينياً بحتاً . وكان هذا يعني — بكل بساطة — دخول الغرب الأوروبي في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وارتباطه بالثقافة اللاتينية . وأخذت المدارس الديرية تنتشر في طول البلاد وعرضها لتعليم الصغار الذين يقس عليهم الاختيار لكي يصبحوا قساوسة ويعملوا في سلك الكهنوت . بعض المعارف والعلوم الدينية^(٣) ، لقد اقتصر التعليم في هذه المدارس الديرية ، إذن ، على تلقين الطلاب

(١) كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٩٩ — ١٠١ ؛ أنظر أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٦ ؛ كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦١ — ٣٦٢ . راجع أيضا Goff, op. cit., pp. 149,167; Coulton, Medieval Panorama, p. 385; Painter, op. cit., p. 466 f. ; Poole, A. L., From Domesday Book to Magna Carta (Oxford, 1964), p. 282.

(٢) كان يطلق على مكاتب النسخ في الأديرة باللاتينية لغة scriptoria . أنظر عن ذلك Baldwin, Mediaeval Church, p. 27 ; Cantor, op. cit., p. 109 ; Painter, op. cit., p. 81.

(٣) أنظر من ذلك Chateaubriand, Génie du Christianisme, t. II ذلك (Paris, 1922), pp. 245-246 ; Duroselle, op. cit., 31 ; Baldwin, op. cit., p. 32.

راجع أيضا كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٢٨٩ وما بعدها .

ما يؤهلهم للعمل في السلك الكنسي فحسب . فكان عليهم دراسة اللغة اللاتينية لإجادة قراءة الكتب الدينية والقيام بالوعظ والإرشاد . كما كان عليهم تفهم أسفار الكتاب المقدس ودراسة الموسيقى والألحان الدينية اللازمة لأداء الخدمات والطقوس الشعائرية . ومع أن هذه الدراسات قد اصطبغت بالصبغة الدينية البحتة ، إلا أنها كانت تستلزم على سبيل المثال تعليم رجل الدين تعليماً دينياً يتخذ أساساً لثقافته الدينية . فعليه أن يدرس قواعد الحساب والرياضيات والفلك والهندسة حتى يتسنى له تحديد التواريخ والأعياد وأيام القديسين وما إلى ذلك مما يتعلق بالشئون الدينية . ويجب أن نفهم أن كل هذه المواد من دينية وديوية كانت مجرد أداة لفهم الدين فحسب ، وإن كانت قد ساعدت فيما بعد وبطريق غير مباشر على تطور الفكر البشري وانطلاقه من عقالة وتحرره من القيود التي عاش أمبرها عدة قرون عندما حانت الفرصة وتبأت الظروف لذلك . وقد عبر عن هذا التفكير القديس أوغسطين أوف هيبو في القرن الرابع ، وردد صدى هذا القول في القرن الثالث عشر القديس بونا فتورا الفرنسيكاني St. Bonaventura (١٢٢١ — ١٢٧٤ م) ، عندما أوضح أنه ليس من المستطاع فهم الكتب المقدسة بدون دراسة مختلف العلوم دراسة علمية (١) . وقد استغرق قيام هذه الدراسات وتواصلها وقتاً غير قصير . وجدير بالذكر أنها كانت مستقاة من تآليف عدد من الكتاب الذين عاصروا المرحلة الأخيرة من مراحل الحضارة الرومانية عند انهيار العالم القديم وبداية العصر الوسيط ، وهم بيوتوس

(١) Cf. Grump & Jacob, op. cit., p. 256 ; Coulton, G. G.,

Medieval Panorama, p. 391 f. ; Goff, op. cit., p. 167.

واجهم أيضاً كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ،

Boethius وكاسيودورس Cassiodorus ومارتيانوس Martianus وجوردانيس Jordanis ، الذين يعتبرون في الواقع من آخر بقايا الحضارة الرومانية والتراث الكلاسيكي القديم ، والذين اعتمد عليهم الغرب وهو يطوى صفحة قديمة ويفتح صفحة جديدة من تاريخه (١) .

ويستحق هؤلاء الرجال الأربعة كلبة سريعة . أولهم الفيلسوف أنيكيوس مانليوس Anicius Manlius Boethius (٤٧٠ - ٥٢٥ م) ، وهو أحد المفكرين الذين نهجوا نهج القديس أوغسطين أوف هيبو (٣٥٣ - ٤٣٠ م) ، ويعتبر من أشهر الأدباء ليس في إيطاليا فحسب وإنما في الغرب المسيحي كله ، إذ اجتمعت فيه خصائص التراث الكلاسيكي والتقاليد الوثنية القديمة مع فلسفة المسيحية ومبادئها ومثلها . وهو من أسرة رومانية عريقة ، ذهب وهو صبي صغير إلى أرمينا حيث درس بها الأدب والفلسفة . وفي سنة ٥١٠ م أصبح وزيراً لثيودوريك ملك القوط الشرقيين في إيطاليا . ثم أعتقت به زوراً بعض التهم ومنها التآمر على حياة مليكه وممارسة أعمال السحر والشعوذة ، وزج به ظلماً في السجن دون أن تتاح له فرصة الدفاع عن نفسه . وقاسى شق ألوان العذاب في الحبس ثم أعدم آخر الأمر . وقد عمل ييوثيوس على إرساء أسس الديانة المسيحية ووضع قواعدها مثلما فعل آباء الكنيسة الأول . كذلك عمل جاهداً على التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية القديمة ، تلك المحاولة التي تعد في الواقع مرحلة انتقال بين الفلسفة القديمة التي كانت قد انتهت منذ أوائل القرن السادس وبين فلسفة العصور الوسطى التي تقبع فيما بين القرنين التاسع والرابع عشر أو الخامس عشر . ومن الخدمات التي قدمها ييوثيوس إلى الفكر الغربي

(١) أنظر سعيد عاشور : الجاهليات الأوربية في العصور الوسطى ، ص ٢ - ٣ .

ترجمته لمنطق أرسطو إلى اللغة اللاتينية ، فحفظ لنا جانباً كبيراً من تراث هذا الفيلسوف اليوناني في كتاباته . ولكن أعظم ما خلفه هو مؤلفه المعروف باسم « سلوى بيوثيوس الفلسفية » ، أو « عزاء الفلسفة » ، *De Consolatione Philosophiae* الذى وضعه وهو فى السجن فى بافيا والذى ترجم فيه لنفسه . وهو لهذا يشبه اعترافات القديس أوغسطين إلى حد بعيد .

ولكتاب « سلوى الفلسفة » مكانته التى لا تنكر فى ثقافة وأدب العصر الوسيط المبكر . ويرى كير فى تقييمه للكتاب أنه يعتبر من كتب المرتبة الثانية . ويقول إنه من ذلك النوع من الكتب الذى يعوزه الخلق والإبتكار والتجديد ، أو هو من ذلك النوع الذى يعتمد فيه مؤلفه على غيره من الكتاب . وإن هذا الكتاب الذى وضع بعضه شعراً وبعضه نثراً ، عبارة عن حوار بين الفلسفة التى تبدو لبيوثيريوس فى صورة امرأة لاسمها فيلسوفيا وبين المؤلف السجين فيما تشيره الحياة فى نفسه من مسائل ومشاكل وشجون كالعذاب الذى يعاينه الشخص الصالح ، ويعنى بذلك عذابه هو داخل السجن ، ثم العناية الإلهية والخير الأعظم . وقد خلص المؤلف من ذلك كله إلى أن الحياة الدنيا التى يجتازها الإنسان لا توفر له السعادة المنشودة ، بل هى مبعث شقاء بالنسبة له ، وأن الله هو الخير الأعظم الأعم ، وأن السعادة يجب أن يلتصق بالبشر عنده ، وأن الآلام التى يعاينها البشر هى امتحان الصالحين وعقاب الطالحين . كما تناول بيوثيريوس ، إلى جانب ذلك ، موضوع القدر والإرادة الحرة والجبر والشبهة . ومن أقواله المأثورة

التي تتميز بقيمتها وأصالتها : « *Nam in omni adversitate fortunae* »

« *infelicissimum est genus infortunii fuisse felicem* » ، وترجمتها :

« يتجنب الحكماء شهوة الشهرة ، بالرغم من أنها آخر مراتب الضعف والعجز » .

لقد ناقش بيوثيوس مثل تلك المسائل والقضايا على منوال الأفلاطونية . ومن هنا فإن كتابه « سلوى الفلسفة » يدور ، أساساً ، حول السؤال التالي : « كيف يلتزم بيوثيوس العزاء عند الفاسفة ولا يلتزمه عند دينه ؟ » ونجد في الكتاب محاولة لتفسير الدين بالفلسفة وإقامة الإيمان على أساس عقلي . وقد فهم مفكرو العصر الوسيط الكتاب على هذا الوجه ، ولم يثيروا أى اعتراض عليه . ويكفى لبيان أهميته أن الشاعر الإيطالى دانتى اليجيرى (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) اقتبس من عباراته عندما تعرض للمقابلة التى تمت بينه وبين فرنسيسكا Francesca فى ملحمة الشعرية الرائعة « الكوميديا الإلهية » . كما أخذ عنه ، مرة ثانية ، فى العبارة الختامية لفردوسه (١) . كذلك ورد ذكره فى إحدى رسائل سير لابو ماتزى Ser Lapo Mazzei ، وهو كاتب عقود فلورنسى من أواخر القرن الرابع عشر ، عندما أشار إلى كتاب « سلوى الفلسفة » ، على أنه كتاب يتناول فلسفة رفيعة .

لقد كان بيوثيوس يرى ضرورة التمييز بين الفلسفة والدين ، مع الاستعانة بالاولى لتوضيح الثانى . ويظهر أثر الفلسفة جلياً فى جميع مؤلفاته اللاهوتية حيث يدخل على العقيدة الكثير من المعانى الفلسفية . وما يذكر أنه ترك عدداً غير قليل من الكتب المؤلفة والمترجمة . كذلك نقل بعض كتب أرسطو إلى اللاتينية وله شروح وتعليقات عليها ، وله أيضاً شرح على كتاب الجدل لشيثيرون . ومن تأليفه الخاصة كتاب فى القسمة وآخر فى الجدل ، فضلاً عن العديد من المؤلفات فى

(١) انظر اليجيرى (دانتى) : الكوميديا الإلهية - القسم الثالث (الفردوس) -

ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور حسن عثمان (القاهرة : ١٩٦٩) ، ص ٥٥٥ .

اللاهوت والرياضة والموسيقى^(١). والخلاصة أن إنتاج هذا الفيلسوف الذي عاش في أخريات القرن الخامس وبدايات القرن السادس ، في المنطق والموسيقى والرياضة وغير ذلك من الفنون ، يرتبط ارتباطاً واضحاً بشئون العلم والتعليم في المجتمع الغربي الوسيط وقتذاك ، وقد ترك أثره عليها .

ولإى جانب بيونوريوس يوجد كاتب من طراز آخر هو ماجنوس اورليوس كاسيودورس Magnus Aurelius Cassiodorus وزير ثيودوريك . ولد حوالى سنة ٤٨٠ م وتوفى سنة ٥٧٥ م وله من العمر قرابة ٩٥ عاماً . وتكشف رسائله الرسمية التى كان يبعث بها إلى من كانت تربطه بهم صلة صداقة ومودة ، عن أحوال إيطاليا من الناحيتين السياسية والحضارية في عهد القوط الشرقيين . وقد قام كاسيودورس نفسه بنشر تلك الرسائل باللاتينية تحت اسم «متنوعات» Variae ، وكان نشره لها بعد وفاة ثيودوريك بحوالى ١٢ سنة . كذلك وضع كتاباً عن تاريخ إيطاليا فقد ولم يصلنا ؛ ولو كان قد حفظه لنا الزمن من الضياع لربما أمدنا بمعلومات قيمة عن إيطاليا في القرن السادس . وتنحصر قيمة كاسيودورس الحقيقية في محاولته لإثبات أهمية العلوم الدنيوية وفائدتها في وقت بدأت فيه هذه العلوم تفقد مكانتها . كذلك كان من المهتمين بالحركة الديرية التى كانت قد بدأت في الظهور والانتشار في الغرب وقتذاك ، فأسس ديراً في أواخر أيامه

(١) Ker, op. cit., pp. 103—117 ; cf. also Shorter Cambridge Medieval History, vol. I (Cambridge, 1952), pp. 75, 140 ; Goff, op. cit., p. 166 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 387, 520 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 153, 186, 272 ; Firrenne, H., Medieval Cities (Princeton, 1948), p. 7 ; Katz, op. cit., pp. 110, 135 ; Painter, op. cit., pp. 72, 440, 466 ; Bury, op. cit., II, pp. 216-220. أنظر أيضاً سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٠.

وهبه مكتبته الخاصة . وكان من المشجعين للأديرة على المحافظة على التراث الكلاسيكي القديم ، والعمل على تأليف كتب جديدة . وكان لهذا الاتجاه بطبيعة الحال — آثاره التي لا تنكر في مجال التأليف والمحافظة على القديم في ذلك العصر النائي ، وبقدر ما كانت تسمح به الظروف وقتذاك (١) .

ومثال هؤلاء هو مارتيانوس كابيلا Martianus Capella ، وهو الآخر من رجال العلم . وقد ترك عدداً من المؤلفات تعتبر من نوع الكتب العامة التي احتفظت بمكانة كبيرة باعتبارها خير ممثل للثقافة الكلاسيكية القديمة في ظل الأوضاع الجديدة التي استجدت على العالم الأوروبي وقتذاك ، حيث حافظ على التقاليد الكلاسيكية فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم (٢) .

وفي هذا المجال يجب الإشارة إلى المؤرخ الأسقف جوردا نيس القوطي الذي حفظ لنا في مختصره مادة كتاب كاسيودورس المفقود عن تاريخ القوط . ووضع هو نفسه كتاباً عن تاريخ العالم ، ولكن مؤلفه عن القوط هو الذي

(١) Ker, op. cit., pp. 117-119 ; Bury, op. cit., II, pp. 220-

224 ; cf. also Goff, op. cit., pp. 151, 166 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 263 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 152, 175, 202f. ; Downs, N. (ed.), Basic Documents in Medieval History (New York, 1959), p. 30 ; Pirenne, op. cit., p. 7 ; Katz, op. cit., pp. 110, 135 ; Baldwin, op. cit., pp. 26-27 ; Painter, op. cit., 72 ; LaMonte, op. cit., pp. 82, 86 f.

انظر أحوال كاسيودورس حول انتقال التراث الكلاسيكي القديم إلى العصر الوسيط في

كتاب كاتور Cantor, op. cit., pp. 109-112.

(٢) Ker, op. cit., pp. 25, 33, 34 ; Goff, op. cit., pp. 149,

151 ; Crump & Jacob, op. cit., p. 277 ; LaMonte, op. cit., pp. 81, 84.

أكسبه تلك الشهرة التي تتمتع بها . ويلاحظ أن الشخصية الرئيسية في إنتاج جوردانيس ليست بطلاقوطيا كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ولكن أتيليا Attila ملك الهون . وقد عرض تاريخ أتيليا الذي استقاه من بريسكوس Priscus عرضاً أكثر استيفاء من الشخصيات الأخرى التي تناولها . هذا ، وقد تميز أسلوب جوردانيس اللاتيني بالضعف والركاكة والخشونة في وقت تدهورت فيه اللاتينية تدهوراً واضحاً وداخلتها ألفاظ جرمانية غريبة (١) .

لقد كانت المعلومات التي كتبها هؤلاء الرجال الأربعة في الحساب والهندسة والفلك معلومات سطحية غير عميقة بمكس الدراسات المتعلقة بالنحو والبلاغة والجدل . واشتمل النحو على فقه اللغة اللاتينية وقواعدها . وبقيت الدراسات اللاتينية الكلاسيكية هي الأساس لتعلم هذه اللغة . وظل طلاب العلم في تلك المصور يطالعون مؤلفات فرجيل Virgil وأوفيد Ovid وبليني Pliny وشيشيرون Cicero وسالوست Sallust ، وغيرهم من أعلام الشعر والنثر عند الرومان القدماء — ظل طلاب العلم يطالعون مؤلفاتهم لتعلم البلاغة وقواعد النحو اللاتيني الصحيحة ، وكان للجدل والمنطق أهمية كبرى في تلك المصور ؛ إذ سمحت الكنيسة لرجالها بالتوسع في دراستهما ليتسنى لهما إقناع الخارجين عايمهما واكتساب الناس إلى حظيرتها ، بمعنى أنها استخدمتهما لخدمة الدين الجديد

(١) Ker, op. cit., p. 130 ; Cramp & Jacob, op., cit., p. 151 ; LaMonte, op. cit., p. 88.

أنظر أيضاً سعيد عاشور : أوردوا المصور الوسطى، ج ٢ ، ص ٢٣٠—٢٣١ ، وفي كتاب كاندور مقنطفات عن غزوات القوط الغربيين مأخوذة من كتاب تاريخ القوط لجوردانيس .
أنظر Cantor, op. cit., pp. 69-78.

وأهدافه فحسب ، وإن كان ذلك قد ساعد فيما بعد — وبطريق غير مباشر — على تحرر الفكر وانطلاقه .

وإن كنا قد تحدثنا عن بيوثيوس وكاسيودورس ومارتيانوس وجورثانيوس في شيء من التفصيل ، فذلك لأنهم يعتبرون من أشهر الفلاسفة والمفكرين الذين عاصروا فترة احتضار الدولة الرومانية ومدنيتها وبداية العصر الوسيط ، فامتزج في كتاباتهم التراث الكلاسيكي القديم بالمسيحية ، واختلط الدين بالديانة ، وتناوبك العالم القديم وهو عالم الإمبراطورية الرومانية وجهازه العقلي في الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر بالعالم الجديد الذى ارتكز على البرابرة وغزواتهم والمسيحية وكنيستها .

وقد أنتج ذلك حضارة جديدة لها طابعها الخاص بها ، لاهى رومانية بحثة ولاهى جرمانية خالصة — تلك الحضارة التى ميزت العصور الوسطى المبكرة التى يطلق عليها فريق من المؤرخين لاسم « العصور المظلمة » ، تمييزاً لها من العصور الوسطى الحقيقية (١) .

لعلنا نخلص مما سبق أنه أصاب العلم واللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم الكثير من التدهور والانحلال فى الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسادس بسبب حالة الفوضى التى ألمت بالغرب إثر غزوات البرابرة التى قضت على المدنية الرومانية وهى تكتسح فى طريقها كل شيء ، والديانة المسيحية التى حلت محل الوثنية وعبادة الامبراطور . وقد اعترف الكتاب اللاتين القدامى أمثال سفيروس وجريجورى التورى بذلك . وكان البابا جريجورى الكبير نفسه

(١) أنظر عن ذلك كوتول : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٣٥ .

راجع أيضا Ker, op. cit., p. 1.

من ألد أعداء الثقافة الرومانية لما فيها من عناصر وثنية نبذتها المسيحية .

ونعرف عن البابا جريجورى أنه اعتزل الحياة الدنيا واعتنق مبادئ الرهبنة . وقد اشتهر بالتقشف والتقوى والتدين والبعد عن ملذات الحياة . وقام بتأسيس عدد من الأديرة . كما كان رجلا حازما ، عالما مثقفا ، يتمتع بمقدرة سياسية وإدارية هائلة . وامتاز بنشاطه الفائق في ميدان التبشير بالدين الجديد بين أهل الغرب الأوروبى بعمامة ، وبين الأنجلوسكسون فى الجزيرة البريطانية بصفة خاصة . كل هذا لم يشغله عن التعمق فى العلم والفلسفة واللاهوت ، ودراسة مؤلفات آباء الكنيسة الأول ، والكتابة فى موضوعات كان لها خطرهما وقتذاك . ومن أهم كتاباته سلسلة من المواعظ الكبرى عرفت باسم « Homilies » ، لها شهرتها التى لا تنكر ، وغدت مصدرا أساسيا للوعاظ ورجال الدين فى العصور التالية يستمدون منها مادتهم الوعظية . وله أيضا شروح وتعليقات على أسفار الكتاب المقدس . ومن مؤلفاته كذلك كتاب فى الأخلاقيات المسمى « Moralia » ، الذى تضمن تعليقات على سفر أيوب من العهد القديم . وهو يمتاز بمكانته المرموقة فى الأدب الغربى الوسيط لتأكيد الطريقة القديمة الخاصة بالتفسير المجازى . ثم أنه من نوع الكتب التى تحوى زبدة وخلاصة المصادر القديمة وتحل محلها لتصبح المصدر الأساس الذى يرجع إليه عوضا عن تلك الأصول . وكيفما كان الأمر ، تعتبر تلك التعليقات من إنتاج واحد من أكبر رجال العلم فى العالم . وله - بالإضافة إلى ما تقدم - كتاب « العناية الربانية » ، « The Pastoral Care » ، وهو عبارة عن إرشادات وتوجيهات لرجال الدين ، ويفضل بكثير تعليقات جريجورى على سفر أيوب إذا قيمناه من وجهة النظر الأدبية ، وذلك بالرغم مما يحويه من الكناية والمجاز . ويكشف أسلوبه فى هذا الكتاب عن شخصيته ، ويتناول فيه أقرب الموضوعات

إلى قلبه ونفسه . ويقال إنه عندما اشتد المرض على جريجورى وأوشك على الموت ، طلب أن يقرأ له فى هذا الكتاب . واعتقد الناس أن نفسه امتلأت راحة وطمأنينة ، وأنه واجه لحظة الفراق بشجاعة وهدوء . أما محادثاته « The Dialogues » ، فهى تتمتع بشعبية أكثر من تأليفه الأخرى ، وقد ترجمت إلى اللغتين الانجلوسكسونية والفرنسية القديمة . وهى تتضمن سلسلة من القصص والأساطير عن حياة القديسين الذين يعيشون فى الصحارى والقفار ومعجزاتهم . وقد لقيت الشيوع والرواج لأنها كانت تمثل عقلية الشعب فى المجتـع الغربى الوسيط وقتذاك خير تمثيل . وخصوص المؤلف كتابا كاملا منها للقديس بندكت . بينما احتوت الكتب الأخرى على معلومات مختلفة فيها من الأهمية بقدر ما فيها من المتعة والطرافة والتسلية . ولا تعتبر هذه المحادثات ، نوعا من التأمل والتفكير أو العبادة ، وإنما هى أقرب ما تكون إلى التاريخ أو تسجيل للأحداث والذكريات .

ولعل الأمر الذى يعنينا أكثر من غيره هو أن البابا جريجورى الكبير قد اشتهر بعدائه الصريح للتراث الكلاسيكى وكل ما يمت إليه بصلة لما فيه من أفكار لا تتماشى مع المعارف المستحدثة والفلسفة المسيحية الجديدة . فهو يكشف فى كتابه « المحادثات » عن احتقاره الشديد للأدب اللاتينى القديم ودراسته ، وذلك فى قوله المأثور :
« Despectis itaque litterarum studiis ... sanctae conversationis
habitu(m) quaesivit » (١) . ويضع الكاتب ر. ا. ساليغان R.E. Sullivan

Ker, op. cit., pp. 132-138 ; cf. also Goff, op. cit. , (١)
pp. 159, 164 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 9, 24 ff. et
seqq. ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 48, 50, 150, 152, 207 f., 218 ;
Painter, op. cit., pp. 84 f., 98, 449 .
Downs, op. cit., p. 24ff. فيما يتعلق بالبابا جريجورى فى ميدان التفكير ، أنظر

جرىحورى الكبير فى الميزان مبينا انه اكتسب شهرة فائقة باعتباره زعيما روحيا ،
إذ كان موهوبا فى العمل على تعزيز العقيدة المسيحية بأسلوب يناسب عقلية أهل
الغرب خلال تلك الحقبة من الزمن . ويستطرد قائلا إن مؤلفاته العديدة وكتاباته
الملمة تعتبر جزءا أساسيا من التراث الدينى فى الغرب الأوروبى (١) .

يتضح مما سبق أن البابا جرىحورى الكبير قد اشتهر بعدائه الصريح للتراث
الكلاسيكى وكل مايت له بصلة لما فيه من أفكار لا تتماشى مع المبادئ المسيحية
الجديدة (٢) ، وتكشف عن ذلك مؤلفاته التى كانت معروفة فى عصره ، والتى كان
يتدارسها الجميع فى العصور الوسطى ، ولا تزال تقرأ وتدرس فى مدارس العلوم
اللاهوتية الكاثوليكية إلى يومنا هذا .

هكذا بدأ نجم اللاتينية بخاصة والتراث الكلاسيكى بعامة فى الأفول فى الغرب ،
حتى إذا كانت سنة ٥٢٩ م نجد أنه قد تحدثت فيها معالم شخصية العصر المسيحى
وسمات العلم والثقافة فيه . ففى تلك السنة أغلق الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ —
٥٦٥ م) مدارس أئينا الفلسفية القديمة . كما أسس القديس بندكت ديريه المعروف
فى مونت كاسينو . ولهذا ، بطبيعة الحال ، دلالتة ومغزاه ، إذ يعنى انتهاء عصر
الرومفة والتحرر والانطلاق وبداية عصر الدين والإيمان ، وما يرتبط بهما من مثل
وفيم ومفاهيم تركت آثارها على العلم والفكر وقتذاك ولفترة طويلة لاحقة .

ولكن على الرغم من معاداة المسيحية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية لكل
مايت إلى العلم والحضارة الرومانية والتراث القديم بصلة ، فلم يعدم ذلك العلم

Sullivan, Heirs of the Roman Empire, pp. 48-49. (١)

Ker, op. cit, p. 132, (٢)

وهاتيك الحضارة والتراث أن يمدوا الألبان والمؤيدين مع قلتهم وقد ساعد ذلك — إلى حد ما — على حفظ جانب من العلم والتراث القديم من جهل البرابرة وتعنت المسيحية . إذ وجد بعض المثقفين في المجتمع الغربي من عز عليهم أن يندثر هذا التراث العظيم ويصبح في خبر كان بين يوم وليلة . فعملوا جاهدين على المحافظة عليه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه منه . وكان على رأس هؤلاء كاسيودورس الذي سبق الإشارة إليه ، والذي يمثل البقايا الذابطة للعلم والفكر الروماني القديم وسط عصر من الجور والظلام .

وعلى أية حال ، ظل الجور والظلام هما السمة العامة حتى أواخر القرن السابع الميلادي في وقت كانت فيه غالبية الناس تعيش في جهل مطبق وتنط في نوم عميق (١) ، عندما ظهرت نهضة عظيمة في أيرلندا كان على رأسها الكنيسة والأديرة الأيرلندية . فقد حملت أيرلندا مصباح العلم والمعرفة في ذلك العصر المظلم الذي ألقى بظلاله الكثيفة على دول الغرب التي كانت مرتعا خصيبا للقوضى والحزات العنيفة في كافة مناحي الحياة ، وقد ترك هذا أثره على العقل والفكر في القرون الأولى من العصور الوسطى . وكانت النتيجة أن حفلت أيرلندا الكثير من مظاهر الأدب الكلاسيكي من العبث والضياع . وقد أدت هجرات الأيرلنديين إلى إنجلترا وباقى دول الغرب إلى ذبوع تلك النهضة العلمية وانتشارها في القارة الأوروبية . وبلغت هذه الحركة ذروتها في أخريات القرن السابع وخلال القرن الثامن في شخص كل من المؤرخ المعروف بيده Bede (٦٧٥ - ٧٣٥ م) والفيلسوف الكوين

Cf. Coulton, Medieval Village, Manor and Monastery, (١)
p. 254.

Alcuin (٧٣٥—٨٠٤ م) ^(١).

كان أولها، وهو بيده، من تلامذة ييسكوب. وقد تثقف على يديه وقرأ تأليفه وأشعاره العلية والدينية التي كان قد أحضرها معه من روما إلى إنجلترا. وجعلته هذه الثقافة التي تشبع بها فوق مستوى معاصرة وتفكيرهم، وأصبح يمثل بحق خلاصة التناج الفكرى لغرب أوروبا في الفترة الواقعة بين زوال الحضارة والتراث الرومانى القديم عقب غزوات البرابرة وبين قيام النهضة الكارولنجية بإحياء الإمبراطورية الرومانية في مستهل القرن التاسع أيام شارلمان. قضى بيده حياته في دير جارو Jarrow منكباً على القراءة والدراسة والتحصيل، كما امتاز بحاسة تاريخية أصيلة لم تكن معروفة في مثل هذا العصر المبكر حيث لم يكن من السهل التمييز بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الخيالية. وله العديد من المؤلفات من أهمها، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، كتابة المسمى «التاريخ الكنسى للأمة الانجليزية» The Church History الذى فرغ منه سنة ٧٣١ م، وتناول فيه تاريخ الجزيرة البريطانية وشعبها في العصر الانجلوسكسونى. وكانت كتاباته الأولى في قواعد اللغة وعلم البيان، وقد نهج في هذا نهج كل من كاسيودورس وايزيدور. ومن مؤلفاته التاريخية التي خلفها لنا بالإضافة إلى «التاريخ الكنسى» كتاب «حياة القديس كثربرت» Life of St. Guthbert الذى ألف جانباً منه بالشعر وجانباً بالنثر، وكذلك «حياة رهبان ديرى ويرماوث وجارو» Lives of the Abbots of Wearmouth and Jarrow. وله أيضاً تعليقات على الكتاب المقدس، ومجموعة

(١) عاغور: أوروبا العصور الوسطى، ج ٢، ص ٢٣٣؛ كرامب وجاكوب: تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ج ١، ص ٢٩٦ وما بعدها. انظر أيضاً Goff, op. cit., pp. 158, 164 f.

من العظات الدينية التي أصبحت هي والمصادر التي استقى منها مادته ، مثل مؤلفات
أوسطين وجيروم وجريجورى الكبير ، مصدراً أساسياً للعظات الدينية التي
وضعت فيما بعد (١) .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى انتظار الإجابة عنه هو : ماهى المشكلة التى
يحتلها بيده فى تاريخ العلم والتعليم وقتذاك ؟ تقول السكاتبة دوروثى هوايتلوك
Dorothy Whitelock إن المثقفين من أمثال بيده كانوا ينظرون بإعجاب
وتقدير زائدين إلى بقايا التراث الرومانى القديم . وقد أشار بيده نفسه إلى المدن
والمعابد الرومانية وإلى الجسور والطرق المعبدة التى كانت لا تزال باقية حتى
أيامه (٢) . ويزيد و.ب. كير W. P. Ker الأمر وضوحاً فيقول إنه من الفين
بالنسبة للقرن السابع ألا نعتبر تأليف بيده ممثلة للعلم والمعرفة فى تلك الحقبة
السحيقة من الزمن . لقد بدأ دراسته بالسيطرة على الفنون الحرة ، وأخذ فى تلقى
العلم منذ نعومة أظفاره ، وعمل مدرساً فى سن مبكرة . ومن بين رجال العلم
المتجولين فى ذلك الزمن ، أمضى بيده حياته كلها داخل جدران ديريه فى جوارو
ولم ير من وجه الدنيا إلا القليل (٣) . أما أسلوبه اللاتينى فيمتاز بسلاسته

(١) حول بيده وكتابه ، أنظر Whitelock, D., The Beginnings
of English Society (London, 1954), p. 11 ; Ker, op. cit., pp.
141-146 ; Goff, op. cit., p. 166 ; Coulton, Medieval Panorama,
pp 16, 34, 40 f., 110, 157, 607, 610 ; Crump and Jacob, op.
cit., pp. 63, 72, 156, 172, 207, 210 ; Paitter, op. cit., pp. 87 f.,
444, 449 ; LaMonte, op. cit., p. 242 ; Stenton, F. M., Anglo-Saxon
England (Oxford, 1963), pp. 8, 10f., 18ff., 23f., 96 ff., 160, 185 ff.
Whitelock, op. cit., 16. (٢)

Ker, op. cit., pp. 141, 142. (٣)

ووضوحه ، فضلا عن أنه كان يكتب اللاتينية في سهولة ويسر ، وهي لغة تختلف كلية عن تلك الجمل والعبارات المنداخلة في بعضها التي لم تراعى فيها إطلاقا قواعد النحو والتي استخدمها سلفه جريجورى التورى (١) .

والامر الذى يعنيننا هنا أن كتابات بيده ، وبخاصة مؤلفه التاريخ الكنسى ، تضمنت أفكارا وآراء كانت تعتبر جديدة وقتذاك ، فيما يتعلق بضرورة تقدم الجنس البشرى عن طريق العلم والدين . وهو يعتبر أول مفكر انجليزى حر استطاع أن يخرج من ظلمات المصور الوسطى ، وأن يتحدث إلى العالم الجديد في موضوعات شتى متنوعة وفي دقة ووضوح كبيرين . وعلى هذا فإن أعماله تمثل — فى الواقع — تقدم العلم والفكر فى عصره أصدق تمثيل .

ولم تكد تمضى أيام على وفاة بيده حتى خرج إلى العالم شاعر يكاد يبرز بيده فى شهرته ، ونعنى به الكوين الذى يعتبر حلقة الوصل بين النشاط الفكرى والثقافة فى الجزيرة البريطانية وإيرلندا من ناحية وبين دول الغرب الأوروبى بعامة وغالاة بصفة خاصة من ناحية أخرى . وقد عبر عن ذلك كثير بقوله إن المؤلفات التى وضعها الكوين لا ترقى بحال إلى شهرته كرجل من رجالات العلم (٢) .

(١) Ker, op. cit., p. 146.

(٢) للزبد من المعلومات عن الكوين وسيرته وإنتاجه ، أنظر ديفز (هـ. و.ك.): شارلمان — نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العريشى (القاهرة ١٩٥٩) ، ص ١٤٩ وما بعدها . أنظر أيضا Ker, op. cit., pp. 151—153 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 393; Crump and Jacob, op. cit., pp. 43, 73, 217 f. ; Pirenne, Medieval Cities, p. 18 ; Bloch, op. cit., I, p. 42; Stenton, op. cit., pp. 90, 92 f. ; Trevelyan, G. M., A Shortened History of England (Aylesbury, 1960), pp. 59, 65 ; Maurois, A., — Histoire d'Angleterre (Paris, 1937), p. 58 f.

نخلص مما تقدم أن الغرب كان يعيش خلال القرون الأولى من العصر الوسيط في جهالة مطبقة نتيجة للظروف التي مر بها في فترة التغير والانتقال من القديم إلى الوسيط ، اللهم إلا من فئة قليلة من رجال الدين تزودت بثقافة دينية واضحة ، وتركت لنا أعمالاً ومؤلفات لا يزال معظمها باقياً إلى اليوم. ولهذا انحصر الانتاج الفكري في هذه الفترة المبكرة في أعمال الآباء المسيحيين الأول التي اصطفت — في معظمها — بصيغة دينية واضحة تتلائم ومقتضيات العصر (١) . أما النهضة العلمية الإيرلندية في آخريات القرن السابع وخلال القرن الثامن ، فقد ارتبطت بأشخاص أمثال بيده والسكوين ، أكثر من ارتباطها بالعصر نفسه ، وإن كانت قد مهدت للنهضة العلمية الكارولنجية في القرن التاسع التي هيأت بدورها الجو لنهضة القرن الثاني عشر المعروفة بالنهضة العلمية الأولى .

= وسنحدث في الفصل التالي عن دور الكوين كريس لدوسة العصر التي أسسها الإمبراطور شارلمان في عاصمة ملكه أكس لا شابيل ،

(١) يقول المؤرخ الفرنسي جاك لي جوف إن إنتاج الآباء الأول من رجال الكنيسة كان يمثل شعاعاً وسط ظلام دامس في بدايات العصر الوسيط ، بينما يعتبرهم كاتب آخر وهو ك. راند K. Rand مؤسس الصور الوعظية . انظر Goff, op cit., p. 165.

الفصل الثاني

النهضة العلمية في عصر شارلمان وخلفائه

- أثمر النهضة الكارولنجية في إحياء العلم والتعليم في القرن التاسع .
- اهتمام شارل العظيم بأمور العلم والتعليم :
- ا — الكوين ومدرسة البلاط .
- ب — المدارس الأخرى التي أسسها الإمبراطور الألماني ونوع الدراسات بها .
- ج — استمرار المدارس الدينية في أداء رسالتها في عهده .
- استمرار النهضة العلمية في عهد خلفاء شارلمان . مع ازدياد الاهتمام بالتراث الروماني القديم .
- الفريد السكسوني والنهضة العلمية في عصره وأهم آثارها .
- النهضة الألمانية السكسونية في القرن العاشر ، ومواصلة الاهتمام بشئون العلم والتعليم .
- أشهر علماء العصر :
- برونو رئيس أساقفة كولونيا ، الراهب ويدوكند ، الراهبة هرتسويث .
- إيطاليا وليوبتراند السكريموني في القرن العاشر .
- فرنسا في القرن العاشر :
- فلودورد الريمي ، ريتشارد الريمي .

إذا كان غرب أوروبا قد عاش — بصفة عامة — في جهالة مطبقة خلال القرون الأولى من العصر الوسيط ، باستثناء فئة قليلة من رجال الدين ، فإن الفضل يرجع إلى الامبراطور شارلمان (٧٦٨ — ٨١٤ م) في إحياء نهضة علمية شاملة اعتباراً من أواخر القرن الثامن الميلادي سمي باسمه ونسبت إليه ، فعرفت باسم النهضة الكارولنجية نظراً للجهود الضخمة التي قام بها في هذا السبيل (١) . ويربط الكاتب شاتوبريان Chateaubriand بين هذه النهضة وبين الحركة الجامعية في الغرب ، فيقول إن أولى جامعات العصور الوسطى وهي جامعة باريس إنما ترجع أصولها وجذورها إلى تلك النهضة العلمية التي تنسب إلى شارلمان (٢) .

ولقد ساعد استقرار الأحوال في غالة بصفة خاصة وفي الغرب بوجه عام ، بعد فترة طويلة من الركود والاضطراب ، على رقي الحضارة والثقافة وظهور هذه النهضة العلمية الكبيرة وإنقاذ الأدب اللاتيني من الهوة السحيقة التي تردى فيها طوال القرون السابقة . وقد تميز عصر شارلمان بميزة خاصة وهي المزج التدريجي البطيء بين التراث الروماني القديم وبين حضارة الجرمان المتبرزين لانتاج مدينة جديدة لها طابعها الخاص لا هي رومانية خالصة ولا هي جرمانية خالصة ، ولكنها رومانية جرمانية في ذات الوقت . وكان لشخصه ونفوذه وطموحه وآماله العريضة أكبر الأثر في تدعيم هذه النهضة العلمية المبكرة .

(١) Duroselle, Histoire du Catholicisme, p.36. وللزيد من المعلومات عن النهضة الكارولنجية وخلائعها وأبرز أعلامها ، أنظر سعيد عاشور ومحمد أنيس : النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة (القاهرة ١٩٦٠) ، ص ٤١ وما بعدها ؛ سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ٤ وما بعدها .

(٢) Chateaubriand, Génie du Christianisme, II, p. 247.

ويقول المؤرخ جون لامونت إن النهضة العلمية الكارولنجية ^(١) تعتبر من أهم مظاهر عصر شارلمان . فقد قامت بفضل رعايته وتشجيعه ، ولم تنحصر في عاصمة ملكه اكس لاشابل فحسب ، وإنما امتدت لتشمل كذلك باقى أجزاء دولته الواسعة المترامية الأطراف . ويستطرد قائلاً إن بلاد الفرنجة وقتذاك كانت ، فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم والثقافة السامة ، أقل بكثير في مستواها عن إيطاليا أو بريطانيا . ولذلك قرر شارلمان النهوض بغالة ، وسعى جاهداً على أن تبز جيرانها في القارة الأوروبية قدر الاستطاعة . لذلك وجه عناية خاصة إلى الحركة العلمية ، وعمل على إحياء الدراسات الأدبية بالرغم من أنه لم يكن عالماً أو متعلماً بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة . واهتم هو شخصياً بجمع الكتب القديمة التي ظلت باقية والتي لم تعد عليها عواذى الزمن من مؤلفات اللاتين القدامى في إيطاليا وغيرها من دول الغرب . وحتى يجعل من هذه النهضة حقيقة واقعة ، استدعى إلى عاصمته كثيراً من علماء عصره من الأدباء والفلاسفة واللاهوتيين والمفكرين . ومن بين هؤلاء ثيودولف الأسباني Theodulphus أرق شعراء ذلك العصر ، وبطرس

(١) يقول يرتون إن الجهود التي بذلها شارلمان في سبيل إحياء العلم والتعليم في عصره والتي يطلق عليها اسم « النهضة الكارولنجية » لم تكن في الحقيقة مولداً جديداً ، وإنما كانت مرحلة من مراحل التقدم البطيء المستمر في سبيل إقامة ثقافة وسيطة متوسطة الشأن ابتداء من أسفل السلم في القرن السابع حتى ذروة القمة في القرن الثالث عشر ، بمعنى أنها كانت مرحلة من مراحل مجاهدات طويلة شغلت الفترة الواقعة فيما بين القرنين السابع والثالث عشر . أنظر من ذلك Brinton & Others, A History of Civilization, I, p.204. وللزيد من المعلومات عن النهضة العلمية الكارولنجية ودور شارلمان فيها : أنظر دوسن : تكوين أوروبا (الترجمة العربية) ص ٢٧٤ وما بعدها ؛ Calmette, J., Le Monde Féodal (Paris, 1937), pp. 111-112. وحول نقائص النهضة الكارولنجية وعيوبها ، أنظر ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ١٦٥-١٦٦ .

البيرى Peter of Pisa المتخصص في النحو وقواعد اللغة اللاتينية ، والمؤرخ بولس الشماس Paul the deacon الذى وجد أن صرامة الشمال الاوروبى أكثر من أن يتحملها فذهب ليستقر في مونت كاسينو. ومن جملهم أيضا باولينوس أوف اكويليا Paulinus of Aquileia ، وهو يعتبر ثمرة نتاج الحضارة الايطالية المباركية (١) .

استدعى شارلمان هؤلاء وغيرهم من العلماء من مختلف أنحاء القارة الأوروبية، وبخاصة من انجلترا وإيطاليا وأسبانيا ، للاشتغال بأمور العلم والتعليم في مدرسة البلاط المشهورة التي أسسها بمدينة اكس لاشابل لتعليم أبنائه وأبناء كبار رجال حاشيته (٢) . وعهد بإدارة هذه المدرسة إلى الكوين الذى بحث في طلبه من

(١) حول هذه الشخصيات ، أنظر Ker, The Dark Ages, pp. 122, 124, 153 ff., 163-171, 213 ; Kitchin, A History of France, I, p. 122 ; Painter, A History of The Middle Ages, p. 81 ; LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 243 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 112. أنظر أيضا ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢) يتناول كبير في مؤلفه « المصور المظلمة » الكوين وانتاجه بالدراسة والتحليل. يقول إن مؤلفاته التي وضعها لا ترقى بحال إلى مرتبة شهرته كعلم ، وإنه لم يكن يتمتع بالفكر القوى المستقل الذى كان يتمتع به بيده من قبله. كما أنه لم يتناول أى موضوع عن رغبة صادقة أو لشبعا لفضوله العلمى. ويستمر كبير في نقده قائلا إن جميع أنكاره وآرائه تكاد أن تكون سطحية غير متعمقة ، وإنه في أشعاره متأثر إلى حد بعيد بالشاعر فورتوناتوس ، وقد عالج في أشعاره النواحي التاريخية ، نذكر من بينها « تاريخ حياة القديس ويلبرود » Life of St. Willibrod ، و « تاريخ يورك » History of York . ويختم كبير تقييمه قائلا إن الكوين يشبه الشاعر فورتوناتوس في أن قصائده التاريخية تقل في قيمتها وأهميتها عن رسائله وحكمه التي ضمنها في مقاطع شعرية موجزة ، وهي تلقى ضوءا على تاريخ حياة الشاعر =

يورك بالجملة ، والذي كان يمثل — بحق — الثقافة التي كانت تشع من أديرة نورثمبريا التي احتفظت بمستوى ثقافي يفوق بكثير المستوى الذي بلغه الشمال الأوروبي وقتذاك (١). ولقد خدمت هذه الفئة المختارة التي جابها شارل العظيم من دول الغرب ، إلى جانب مهامها التعليمية ، باعتبارها سفراء مسكيين من قبل الإمبراطور الألماني . فعين ثيودولف ، مثلاً ، أسقفاً على أورليانز وكان موضع ثقته وتقديره (٢). وكان السكويين بمثابة كاتب الإنشاء لشارلمان ، فقد دون له العديد من المكاتبات الموجهة إلى المسؤولين في أوروبا من أمثال البابا ليو الثالث (٧٩٥ — ٨١٦ م) والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الأول (٨١١ — ٨١٣ م)، والتي حفظها لنا الزمن من الضياع (٣).

وبالرغم من أن شارلمان كان متقدماً في السن وقتذاك ، وبالرغم من كثرة أعماله ومشاغله وحروبته التي كانت تلتهم معظم وقته ، وبالرغم من أنه لم يكن عالماً أو متعلماً بالمعنى المفهوم — بالرغم من كل هذا فقد كان رجلاً مستنيراً ، ولم يجد

== نفسه وعصره . وتمتبر قصيدته عن الشتاء والريم من أبرز القصائد التي وضعها . أنظر Ker, op. cit., pp. 151-152.

Seignobos, Ch., Histoire Sincere de la Nation Française (١)
(Paris, 1933), p. 82 f.

LaMonte, op. cit., pp. 160, 242 f. ; cf. also Cantor, The (٢)
Medieval World, p. 133 ff. ; Chateaubriand, op. cit., p. 247 ;
Duroselle, op. cit., p. 41 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 393 ;
Kitchin, op. cit., I, p. 122 f.

(٣) أنظر نماذج من خطابات السكويين في كتاب كانتور , Cantor, op. cit.,
P. 145 ff.

عضاضة في أن يجلس إلى جانب صبيان القصر الإمبراطورى في هذا المعهد الأول من نوعه في تاريخ المجتمع العربى الوسيط ليستزيد من نور العلم والمعرفة . وكان يناقش الأساتذة ويناقشونه مناقشة علمية ، كما كان يتلقن العلم على أيديهم مع أبنائه وأبناء حاشيته . وقد أمر شارلمان بانتقال هذه المدرسة معه أينما ذهب وحيثما حل ، حتى وهو في حملاته الحربية ، فكانت بمثابة مركز على متنقل من نوع فريد (١) .

لقد كانت هذه المدرسة هي المدرسة التي تدرب فيها أقدر أساتذة الجيل التالى لجيل شارلمان . وكان الامبراطور الألمانى يسهم — كما رأينا — بنصيب فيها عندما كانت الظروف تسمح له بذلك ، فيدعو الجميع إلى المشاركة على الدرس والنحصيل ، ويحث الكسالى على العمل والمذاكرة . وكان في بعض الأحيان يشارك في حوار روحى مع رئيس المدرسة . وما يؤسف له أنه ليست لدينا معلومات مؤكدة تتعلق بالنظام الذى كان متبعاً فيها . وهي — على أية حال — لم تكن من خلق شارلمان تماماً ، إذ وجدت منذ أيام شارل مارتل . ولكنها كانت وقتها محددة الأهداف والغايات ، كما كان الالتحاق بها أيضاً محدوداً ، وكان غرضها الأساسى هو تدريب الأمراء المملوكين وأبناء النبلاء والإشراف على أعمال الفروسية فحسب . أما أهداف شارلمان فقد كانت أبعد من ذلك بكثير ، إذ حرص على أن يسود النزيه والتدريب الذهنى فوق أى شئ آخر . ومن هنا أخذت هذا الطابع العلمى الذى اشتهرت به في عهده . وقد اتخذ قراراً بعدم تحديد الانسحاب إليها بدائرة البلاط فقط . وكانت أعمار التلاميذ متفاوتة ، فمنهم العسبية

(١) كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٤٠١ ؛
 هوسن : تسكوبن أوروبا (الترجمة العربية) ، ص ٢٧٦ — ٢٧٨ ؛ هبتر : شارلمان
 (الترجمة العربية) ، ص ١٥١ و ١٥٤ — ١٥٥ .

الصغار ومنهم أيضا البالغون . ويبدو أن الكوين وغيره من الاساتذة ، الدائمين منهم والمؤقتين ، مثل بطرس البيزوى ، لم يستطيعوا تحمل نظام المدرسة الصارم الذى كان مفروضا على الدارسين . أما بالنسبة للطرق التعليمية ، فإن الطريقة المثلى التى اتبعت هى تلك التى ضمنها الكوين فى كتاباته . فكانت كلها على شكل حوار ، فيها عددا مقالاته التى كتبها فى موضوع « النطق السليم » . وأما المعلومات التى يزودنا بها فهى معلومات أولية مأخوذة من مؤلفات عدد من الكتاب فى عصور سابقة من أمثال دوناتيوس Donatius وإيريدور Isidore وفوكاس Phocas . وقد كتب هؤلاء بأسلوب صحيح خال من الأخطاء اللغوية . وكانت الدراسات التى تدور حول الفضائل والذائل مقتبسة عن إيريدور وجريجورى وكاسيان. (١)

لم تقتصر النهضة العلمية الكارولنجية على مدرسة البلاط وعلى فئة قليلة مختارة من المدرسين والدارسين بها ، بل وجه شارلمان عناية خاصة إلى التعليم والمدارس والمسكبات بصفة عامة ، وعمل جاهدا على إحياء الدراسات الدينية والأدبية والفلسفية والتاريخية فى كل مكان فى دولته . لذلك نراه يعمم المدارس فى الأديرة والسكائندرائيات والأسقفيات ، (٢) وفيها تعلم الأحداث مبادئ الحساب وقراءة اللاتينية وكتابتها ، فضلا عن الموسيقى والترايم الدينية . وإلى جانبها وجدت

(١) Laistner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe* (London, 1957), p. 207 ; Ker, op. cit., p. 138 f. ; Painter, op. cit., 81.

أنظر أيضا ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ١٥١ - ١٥٢ .
(٢) Duroselle, op. cit., p. 41; Kitchin, op. cit., I, p. 149 ;
Painter, op. cit., pp. 81, 467 ; Calmette, *Le Monde Féodal*, p. 112.

مدارس عليا أتم فيها الراغبون من رجال التعليم تعليمهم. وكان شارلمان يستهدف من وراء ذلك رفع المستوى العلى لرجال الدين من ناحية ، وتوفير طبقة من المثقفين لإدارة شئون البلاد بعد أن اتسعت رقعة دولته من ناحية أخرى. ونلس اهتمام شارلمان الزائد بالاديرة وغيرها من المؤسسات الدينية من الناحية العملية ، وعمله على رفع المستوى الثقافى للرهبان الذين أخذوا يهتمون أصول العلم والتعليم. نلس ذلك كله من الخطابات التى بعث بها إلى عدد من رؤساء الاديرة والوعاظ وغيرهم من رجال الدين يستحثهم فيها على التزود بالثقافة الادبية ومواصلة العلم والتعليم إلى جانب الاهتمام باشتون الدينية والآور الروحية . وقد نص فى هذه الخطابات على الاعتناء بالنطق السليم والكتابة الصحيحة الخالية من الأخطاء . كذلك دعا إلى تدريس الفنون الحرة بجميع الكنائس ، والعمل على تنقية الكتب المقدسة من الشوائب العالقة بها . وطالب بالإكثار من إنشاء المدارس التابعة للمؤسسات الدينية ، وأن تفتح تلك المدارس أبوابها لكل راغب فى تلقى العلم بدون استثناء ، لافرق فى ذلك بين غنى وفقير أو عبد ونبيل (١) .

كذلك أصدر شارلمان عدة قوانين كنسية تقضى بضرورة وجود مدرس أجرومية فى كل كاتدرائية ووجود أستاذ فى علم اللاهوت فى كل كاتدرائية أسقفية ، بهدف تعليم الشباب فى مختلف أرجاء دولته . ولا يهزى عدم تقدم تلك المدارس تقدما ملموسا إلى أخطاء وقع فيها هذا المشرع الكارولنجى العظيم الذى لم يعرف قط كيف يكتب لاسمه وإن كان قد أولى العلم والتعليم عناية واهتماما زائدين ، وإنما

(١) Cantor, op. cit., p. 183 ff. أنظر سعيد ماحور : أوربا العصور

الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٢٧-١٢٨ ؛ أنظر أيضا الملحقين الأول والثانى بآخر القسم الأول من هذا المجلد .

يعزى إلى أسباب أخرى عديدة متفاوتة التأثير (١) .

وتبدو ثمار أعمال شارلمان وتناح هذا الجيل من العلماء الذين استدعاهم الإمبراطور الألماني من إنجلترا والغرب في الجيل التالي لعصره . فهي تبدو في شخص رجل مثل اينهارد Einhard مؤرخ حياة شارلمان ، وفي شخص كل من سماراجدوس Smaragdus ، وهرابانوس ماوروس Hrabanus Maurus مقدم دير فولدا ، وغيرهم من العلماء والمعلمين الذين نقلوا النهضة العلمية الكارولنجية إلى بلادهم في الغرب . (٢) وأصبحت غالبية في جيل أحفاد شارلمان وأحفاد أحفاده هي مركز النشاط العلمي والثقافي في الغرب الأوروبي . فقد كان قادة الغرب في الناحية العلمية هم جون سكوتوس اريوجينا John Scotus Eriugena ، ولوبوس أوف فريير Lupus of Ferrières ، وأجوبارد الليوني Agobard of Lyons (ت ٨٤٠ م) ، وسدوليس سكوتوس Sedulius Scottus ، وهنكار الريمي (٣) Hincmar of Rheims .

LaMonte, op. cit., p. 160.

(١)

Ker, op. cit., pp. 139, 160, 171-174, 217, 243 ; Crump (٢) & Jacob, Legacy of the Middle Ages, p. 474 ; Painter, op. cit., pp 76, 80, 444 ; LaMonte, op. cit., p. 244 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 112. — أنظر أيضا دوسن : تكوين أوروبا (الترجمة العربية) ، ص ٢٨١ ؛ ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ١٥٨ . هذا ، وتوجد مقتطفات من كتاب اينهارد عن حياة شارلمان في مؤلف كاتور عن المصور الوسطى. Cantor, op. cit., pp. 134-145.

LaMonte, op. cit., pp. 160, 243, f., 733 ; Ker, op. (٣) cit., pp. 160-162, 216 ; Duroselle, op. cit., p. 42 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 106, 107 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 133, 229 ff., 281, 476, 511 ; Kitchen, op. cit., I, 166 ff. ; =

وجدير بالذكر أنه على الرغم مما نعرفه عن النهضة العلمية في عصر شارلمان وخلفائه ، فإنه تنقصنا المعلومات الدقيقة التفصيلية عن كيفية الممارسة العلمية وقتذاك (١) . وكيفما كان الأمر ، فقد كان للبدارس الكارولنجية أثرها الواضح في تطور الحياة الفكرية في الغرب الأوروبي ، وفي إحياء اللغة اللاتينية في الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط . بعد قرون طويلة توقفت فيها الحياة الفكرية عن الحركة بعد أن أصابها شلل وفق نتيجة ظروف معينة .

وبما يذكر أنه بينما أرسل شارلمان إلى انجلترا في طلب السكوين للنشر العلم في غالة في أوائل القرن التاسع ، أرسل ألفريد ملك وسيكس الانجلو سكسوني (٨٧١ — ٨٩٩ م) من مقاطعة وسيكس الإنجليزية في نهاية ذلك القرن في طلب

Calmette, J., *Le Moyen Age* (Paris, 1948), pp. 102, 113 ;
Idem, *Le Monde Féodal*, p. 112.

أنظر أيضا دوسن : تكوين أوروبا (الترجمة العربية) ، ص ٢٧٦ و ٢٨٢ و ٣٢٣ و ٣٢٥ وما بعدها ؛ بدوى : فلسفة العصور الوسطى ص ٤٦ — ٦٠ .

هذا ، ويرى ديروزيل (نفس المرجع والصفحة) أن القرن التاسع ، وليس شارلمان ، هو الذي يتميز بأزدهاره في الناحيتين الفكرية والعلمية . بمعنى أنه لا ينسب هذه النهضة إلى شارلمان نفسه ، وإنما إلى عصر شارلمان . وأما المؤرخ جاك لي جوف فيعتبر النهضة الكارولنجية مرحلة من مراحل التكوين العلمي في المجتمع الغربي الوسيط . ويزيد الأمر وضوحاً فيقول إنها في الواقع مجموعة من النهضة الصغيرة السابقة لعصر شارلمان ، وقد أخذت شكل نهضة شاملة في عهده وفي عهود خلفائه من بعده . أنظر Goff, op. cit., p. 166 ff. ويحدد هنري بيرين طابع هذه النهضة وماهيتها قائلاً إن الإمبراطورية الكارولنجية تتميز بشخصيتها الزراعية والاقتصاد الطبيعي وحضارتها الريفية في وقت كان النظام الاقتصادي السائد في الغرب هو النظام الانطباعي . أنظر Pirenne, *Medieval Cities*, p. 28.

Laistner, op. cit., p. 207.

العلماء والأدباء والمفكرين من ألمانيا وفرنسا ليستعين بهم على تثقيف نفسه وشعبه في الجزيرة البريطانية . وكان من بين هؤلاء الأسقف آسر الغالي Asser the Welshman (ت حوالي ٩٠٨ م) الذي عاش في القصر الملكي . وهكذا نجح الفريد في تكوين طبقة من المثقفين عملت على نشر العلم والمعرفة في أنحاء الجزيرة البريطانية . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن النهضة العلمية التي شهدتها غالة في أوائل القرن التاسع قد قامت أساسا على أكتاف عدد من العلماء الإنجليز ، في حين أن النهضة الثقافية التي تم إحيائها في إنجلترا في أخريات ذلك القرن قامت بدورها بفضل عدد من الأساتذة الغاليين (١) .

هكذا ارتبطت النهضة العلمية السكارولنجية في بواكير القرن التاسع بشخص شارل العظيم نفسه ، بينما ارتبطت نهضة أخريات ذلك القرن بشخص الفريد السكسوني ولا تغالي إذا قلنا إنه لو لم يظهر كل من شارلمان والفريد في ذلك الوقت المبكر لكان من الجائز ألا تقوم تلك النهضة المتصلة بإحياء العلم والتعليم بعد عصور طويلة من الجهل والفوضى والظلام (٢) .

ويعلق الكاتبان البرت مالهيه Albert Malet وجيل ايراك Jules Isaac على النهضة السكارولنجية قائلين إنه كانت تعوزها صفات الجمال والحرية والجرأة التي اتسمت بها الحركة الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية المعروفة ، إذ كانت

(١) LaMonte, op. cit., loc. cit. ; Kér, op. cit., pp. 177 f., 308 ff. ; Browne, R.A., British Latin Selections (Oxford, 1954), p. 25 f. — أنظر أيضا راوس (١، ل) : التاريخ الإنجليزي — نقله إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٤٦ م) ص ٣٠ .

(٢) Cantor, op. cit., p. 134. — أنظر أيضا ، ما سبق ، ص ٦٠ ج ١ من هذا الكتاب .

نهضة شارلمان العلمية مجرد حركة للإحياء أكثر منها تجديدًا وخلقا وإبداعا وإبتكارا، وكان هدفها المحافظة على التراث اللاتيني القديم الذى كان قد حفا عليه الزمن . ويستطرد الكاتبان فى توضيح وجهة نظرهما قائلين إنه من وجهة نظر شارلمان وعقليته المتدينة لا ينبغي أن يعدو العلم خدمة الدين والعمل على تحقيق أهدافه . ولذلك فهو لم يطلب من العلماء الذين اجتذبهم إلى بلاطه من الغرب أن يكتشفوا حقائق جديدة تستهدف تنوير العقل الإنسانى ، وإنما كانت رسالة أهل العلم - فى نظره - تنحصر فى نسخ الكتب المقدسة نسخا واضحا ، وفى أن تكون الكتابة سهلة القراءة والفهم ليتسنى دراستها والتأمل فيها . ولا جناح إذا اقتضى الأمر توضيح بعض نصوصها بشروح وتفسيرات من عندهم لتقريبها إلى أذهان التلاميذ . وعلى هذا فن الواضح أن الابتكار والخلق ليسا من سمات ذلك العصر ، لاسيما إذا عرفنا أنه لم تكن توجد وقتذاك فكرة واضحة عن العلم بالمعنى الحديث . ومن الواضح أيضا أن ذلك العصر لم يكن يحكم الضرورة والظروف فى حاجة إلى الابتكار والمبتكرين ، بل كان بحاجة إلى الرجال القادرين على استعادة ما فقد من علم وتراث قديمين والعمل على استيعابها وإحيائها وصياغتها فى بناء مجتمع مستنير وسط ظلام شامل . ويختتم ماله وإيراك تقييما لهذه النهضة شارلمان العلمية قائلين إنه لولا مصابيح العلم والأدب التى أضاءت عددا من بلدان الغرب بقبس من نور وقتذاك ، لما استطاع شارلمان أن يحقق شيئا يذكر من ذلك الهدف الذى كان يسعى جاهدا إلى تحقيقه . (١)

وفى هذا شيء من الحقيقة . ومع ذلك يجب ألا ننحى باللائمة على شارلمان

Malet, A. & Isaac, J., *Le Moyen . Age* (Paris, 1926), (١)
p. 152 ff.

لأن نهضته لم توت ثمارها في حينها بالخلق والإبداع . وليس لنا أن ننتظر من شارلمان وعصره أو حتى من خلفائه خلقاً وإبداعاً . فقد كان الغرب يستعد لينفض عن كاهله غبار قرون طويلة مضت بالعودة إلى القديم لاستيعابه والإفادة منه حتى يكون أساساً متيناً لانطلاقة فكرية مبدعة ، هي التي شهدناها فيما بعد . وعلى هذا فقد كانت تلك النهضة المبكرة لبنة من اللبنة الأولى التي هيأت الجوهر للانطلاقة الفكرية في الغرب في القرن الثاني عشر . وكان من الطبيعي أن تقوم النهضة الكارولنجية على الاستيعاب والنقل والتقليد والمحاكاة لتعقبها مرحلة التجديد والابتكار .

هذا ، وعند التعرض للنهضة العلمية الكارولنجية ، نجد أن التاريخ قد احتل فيها مكانة مرموقة . إذ اتمعت حركة التدوين التاريخي وتقدم فن الكتابة التاريخية . فكتب بولس المباردي ^(١) Peter Lombard « تاريخ اللباردين » ، كما وضع اينهارد باللاتينية مؤلفه عن تاريخ حياة شارلمان Vita Karoli ، وهو يعتبر المصدر الأدبي الأساسي في هذا الصدد . والعيب الوحيد فيه أن مؤلفه تقيد بمنهج المؤرخ الروماني سوتونيوس ^(٢) Suetonius (٦٩ - ١٤١ م) . ووضع كاتب آخر يسمى أدلهارد ^(٣) Adelhard مؤلفاً باللاتينية عنوانه « النظام في البلاط

(١) Coulton, Medieval Panorama, pp. 414, 421, 431, 633, 683, 70 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 57, 279, 345 ; Painter, op. cit., pp. 138, 263 f., 302 f., 474.

(٢) Coulton, Medieval Panorama, p. 438 n. ; Grump & Jacob, op. cit., p. 201 ; LaMonte, op. cit., pp. 5, 243, 558.

(٣) Kitchen, op. cit., I, p. 164. راجع أيضاً درس : تكوين أوروبا

(الترجمة العربية) ، ص ٣٢٥ ،

الإمبراطورى ، De ordine palati ، فقد ولم يصلنا . ولكن من حسن الحظ أن أحد رؤساء أساقفة ريمز فى القرن التاسع ، ويدعى هنكار الريمى احتفظ بالمادة الأساسية للكتاب المفقود فى رسالة لاتزال باقية إلى اليوم . ولم تهمل أيضا سير القديسين والآباء الأول فى ذلك العصر . فضلا عن الكتب التاريخية التى تناولت أخبار الحروب ، مثل الكتاب الذى وضعه نيثارد (١) فى القرن التاسع تحت اسم « تاريخ الحروب الأهلية » .

وظهر فى ذلك الحين نوع جديد من التدرين التاريخى ، ونعنى به نظام الحوليات Annals الذى ظل قائما حتى نهاية العصر الوسيط . ولم تكن تلك الحوليات تتضمن مجرد وقائع وأحداث فحسب ، وإنما تضمنت سردا لاهم أحداث السنوات المتعاقبة ، كل سنة على حدة . ونعرف أن هذا النوع من الكتابة التاريخية ظهر لأول مرة فى نورثمبرلاند Northumburland بانجلترا عندما كانت الاديرة تقوم بتدوين الحوادث أولا بأول ، ويحتمل أن يكون الكوين هو الذى نقل تلك الطريقة فى التدوين التاريخى إلى غالة ، وإن كانت ايس هناك أدلة ثابتة تقطع بذلك . وعندما أدرك شارلمان أهميتها ، أمر الاديرة التى تدخل فى نطاق إمبراطوريته باتباعها عند تسجيل الأحداث . وكان لهذه الحوليات الديرية شأنها فى تدوين كثير من الأحداث والوقائع التاريخية الهامة ، التى كان من الجائز ألا تصلنا لولا

(١) حول نيثارد ، أنظر كتاب كير . Ker, op. cit., pp. 174, 348. ويقول لامونت إن النهضة السكاروانجية تركت أثرها الهام على كتابة التاريخ . فبالإضافة إلى نوارىخ بواس المماس وإينهارد ، أنتجت مدرسة القصر فى أكس لاشابل المؤرخ نيثارد ، وهو حفيد غير شرعى للإمبراطور شارلمان ، وهو أيضا الذى دون تاريخ عصر لويس الثقى والحروب الأهلية التى نشبت بين أبنائه . أنظر عن ذلك كتاب جون لامونت :

LaMonte, op. cit., p. 343.

محافظة تلك الأديرة عليها . وإلى جانب تلك الحوليات الديرية ، وجد نوع آخر هو الحوليات الملكية التي تناولت تاريخ الكارولنجيين ، وكانت تدون تحت إشراف رجال البلاط (١) .

وهكذا امتد تأثير النهضة الكارولنجية الجديدة إلى شتى نواحي العلم والمعرفة ، ويشمل أيضا حركة تحسين الخطوط . إذ أن الخط اللاتيني الذي كان قد أصابه الفساد الذي أصاب اللغة نفسها عقب غزوات البرابرة ، قد تطور في هذا العصر تطورا واضحا . وإن ما وصلت إليه الحضارة الكارولنجية في العلوم والآداب يعتبر في الواقع خطوة أولى إلى الأمام وفي سبيل التقدم بعد قرون طويلة من الظلام والفوضى والخلل منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة وانحيار الحضارة الرومانية واندثار التراث الكلاسيكي .

هذا عن فن التدوين التاريخي وحركة تحسين الخطوط في العصر الكارولنجي . وإذا انتقلنا إلى الشعر نجد أنه قد فاق النثر كما لا يخفى . ذلك أن الاتجاه السائد كان يميل إلى استخدام الشعر في مختلف شؤون الحياة . ولذلك كان معظم الأدباء والمعلمين أمثال بواس الشماس والكوين وثيرودولف من يقرضون الشعر . ومن مآثر ذلك العصر أنه خلف عددا كبيرا من القطع الشعرية من أغاني المآثر (٢)

(١) حول فن التدوين التاريخي في ذلك العصر من حيث كتابة سير القديسين والقادة والحكام ، إلى جانب الحوليات الديرية والملكية ، أنظر : Painter, op. cit., p. 448 ; LaMonte, op. cit., p. 243 f. راجع أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) Crump & Jacob, op. cit., p. 151 ; Baldwin, Medieval Church, p. 71 ; Bloch, Feudal Society, I, pp. 105, 106 ; Calmette, J., Le Moyen Age, p. 631. أنظر أيضا سعيد عاشور : نفس المراجع والجزء ، ص ٢٣٥ .

المعروفة باسم Chansons de Geste ، وهى قصائد تتناول سير البطولة ، وقد كتبت من عشرة مقاطع ، وكان الشعراء وطلاب العلم المتجولين الذين عرفوا باسم تروفر ، Trouveres أو جونجليير ، Jongleurs ، ينشدونها داخل القلاع وفى الأماكن العامة . وتنقسم هذه الأغاني إلى ثلاث مجموعات من القطع الشعرية تدور حول الشخصيات التاريخية . والمجموعة الأولى تتناول أعمال شارلمان وأهم الأحداث التى تمت فى عصره ، ومن أهمها أغنية حج شارلمان ، Chanson de Roland و Pelerinage de Charlemagne وألشودة رولان^(١) . أما المجموعة الثانية تتناول عصر جويوم دورانج Guillaume d'Orange ، أما المجموعة الثالثة والأخيرة فتدور حول عصر رينوه دى منتوبان Renand de Montauban .

وإن امتازت هذه الملاحم بشيء ، فإنما تمتاز بأهميتها الفائقة لكل من المؤرخ والأديب واللغوى . فقد انعكست فيها صورة حية للمجتمع الغربى الإقطاعى ، كما أنها تلقى الأضواء على فارس العصور الوسطى ووسائل اللهو والتسلية التى كان يقضى فيها أوقات فراغه ، وكذلك الحياة الدينية والفكرية وقتذاك ، فضلا عن النواحي الإدارية والعسكرية . وكان شارلمان هو الشخصية الرئيسية التى اتخذتها تلك الملاحم موضوعا لها . لقد احتل مكانة بارزة فى أغاني المسامر التى كتبت

(١) المزيد من التفاصيل عن كل من الأغنية والأشودة ، أنظر جوزيف نسيم يوسف : الدفاع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية -- مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية -- العدد ١٦ (السنة ١٩٦٣/٦٢) -- الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ١٨٥-١٨٨ والحواشى؛ جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى - ط ١ . ثانية - الاسكندرية ١٩٦٧ - ص ٥١ و ٥٢ والحواشى . أنظر أيضا ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

باللغة الوطنية بدلا من لاتينية العصور الوسطى ، وقد ذاعت ذيوها كبيرا فيما بعد في عصر التوسع الصليبي ضد العالم العربي لما كانت تحض عليه من الاستبسال في القتال حتى الموت . وتعتبر أنشودة رولان — بلا شك — من أهم الملاحم الشعرية التي عرفها العصر الوسيط ، وتدور حوادثها الأصلية في عصر شارلمان نفسه . إذ تنفى مؤلفها المجهول الاسم ببطولة شارلمان ورجاله وعلى رأسهم رولان في حروبهم ضد العرب في اسبانيا في كثير من المبالغة والتحويل . ولكنها تحولت زمن الحروب الصليبية إلى أسطورة شعبية لعب فيها الخيال دورا كبيرا ، بحيث أصبح هدفها إثارة روح الحرب والقتال لدى أهل الغرب اللاتيني وإيقاظ النعرة الدينية بينهم للاشتراك في تلك الحروب التي تعرض لها العالم العربي . وما يقال عن أنشودة رولان يقال أيضا عن قصيدة حج شارلمان إلى الأراضي المقدسة وغيرها من الأغاني والأناشيد التي كان هدفها حث الناس في الغرب على الاشتراك في الحروب الصليبية أو تشجيعهم على زيارة الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين وروما . ويبدو أن جانبا كبيرا من هذا التراث كتبه رجال الدين أنفسهم ، واستغلته الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية كنوع من أنواع الدعاية الدينية في ذلك الزمن السحيق الذي كانت فيه العقيدة تسبق العقل والايان يتقدم على الفكر ، والذي كان فيه لكنيسة روما سطوتها وهيبتها وقد سبتها . وقد اتخذت هذه الأشعار شكل ملاحم خنائية الأمر الذي ساعد على سرعة انتشارها وشيوعها بين الناس (١) .

(١) تعتبر طبعة جوزيف بدييه من أفضل طبعات أنشودة رولان ، فهي تتضمن الأصل الفرنسي القديم من نسخة أكسفورد الخطية وإبائه الترجمة الفرنسية الحديثة مع التقديم لها . أنظر Bédier, J., La Chanson de Roland (Paris, 1937), pp. I—XIV ; cf. also Vodoz, J., Roland (Paris, 1920), pp. 9—61 ; Pernot, M., La Chanson de Roland (Paris, 1950), pp. 3—

وإن نظرة فاحصة على الشعر الكارولنجي تبين أنه كان يئلب عليه الطابع الديني لأن معظم ناظميه كانوا من رجال الكنيسة ، فضلا عن أن معظم شعراء ذلك العصر استوحوا قصائدهم من شعراء المسيحية الأسبقين أمثال بروديتيوس وفورتوناتوس .

وعلى أية حال ، فن أبرز شعراء العصر الكارولنجي شاعران هما الراهب والافريدسترابو Walafrid Strabo (٨٠٩ — ٨٤٩ م) الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع ، والراهب الايرلندي سيدوليوس سكووتوس Sedulius Scottus (٨٤٨ — ٨٧٤ م) .

كان والافريد راهبا في دير ريخناو Reichenau ، وقد واصل منهاج الكوين العلى ، كما تشبه به في قصائده التاريخية وغيرها . وله كذلك أشعار تدور حول الحكمة ، وقصائد غنائية ورسائل دينية . وتعتبر قصيدته المسماة « هورتولوس » Hortulus ، أفضل إنتاجه على الإطلاق ، وهى تتألف من سلسلة من المقاطع الشعرية السداسية الوزن يصف فيها نباتات حديقة دير . (١)

أما سيدوليوس سكووتوس فهو الشاعر اللاتيني الرئيسى فى أواسط القرن التاسع . وهو عالم ايرلندى متجول استقر به المطاف آخر الأمر بمدينة ليبج

13 ; Paris G., *Mediaeval French Literature* (London, 1903), pp. 32, 38 ff. ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 63, 183, 193 ; Calmette, op. cit., pp. 92, 163 ; Cordier, A., *La Chanson de Roland* (Paris, 1935), pp. 5—16 ; Perier, A., *La Chanson de Roland* (Paris, N. D.), pp. 2—9.

Ker, op. cit., p. 159 f.; Crump & Jacob, op. cit., p. 42. (١)

أنظر أيضا دوسن : « كوين أوربا (الترجمة العربية) » ، ص ٢٨١ .

بفرنسا وقد ألف مجموعة من الاغانى امتازت بدقة نظمها . ولم ينس موطنه الاصلى وانتصارات الايرلنديين على الشماليين التى قام بتسجيلها فى عدد من قصائده . ولعل أهم ما قام به هو صياغة بعض الاجزاء من الكتاب المقدس فى قالب شعري^(١) .

وعلى الرغم من وفرة الشعر السكارولنجرى فى النواحي الدينية والدينية على السواء ، فإن أهم ما يؤخذ عليه أنه لم يتعرض للحياة العامة وحياة الشعب وآلامه وعقائده . ويرجع السبب فى ذلك إلى الأساس الاقتصادى والشكل الاجتماعى والسياسى للغرب الأوروبى وقتذاك . فقد كان الإفطاح هو النظام السائد هناك ، وهو عبارة عن علاقة بين سيد ومسود قوامها الأرض وما تغله من خيرات ، واقتصاده اقتصادا طبيعيا يرتبط بالأرض ، وحضارته حضارة ريفية زراعية قروية بحتة . وعلى أساسه انقسم المجتمع أفقيا إلى طبقات تنسج تدريجيا كلها نزلنا إلى أسفل ، فى أعلى القمة مجموعة من السادة الاشراف ينعمون ببناء الترف ، وفى القاعدة غالبية ساحقة من العبيد والاقنان والفلاحين على مختلف فئاتهم ومستوياتهم يكدحون فى الأرض^(٢) . وفى ظل هذا المجتمع الذى كانت فيه السلطة للقوى صاحب الأرض ومن عليها ، كان الإنتاج الأدبى ، والشعر بخاصة ، يدور حول تمجيد السادة الإفطاحيين من رجال الدنيا والدين على السواء ، أو حول للوضوعات

(١) Ker, op. cit., pp. 160, 216. أنظر أيضا سعيد عاشور : أوروبا

المصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) المزيد من التفاصيل ، أنظر هارتمان (ل ه م) وباراكلاف (ج) : الدولة

والإمبراطورية فى المصور الوسطى - ترجمة وتقديم الدكتور جوزيف نسيم يوسف - ط ١ .

ثانية (الاسكندرية ١٩٧٠) ، ص ١٠٧ - ١٢٢ .

الدينية بسبب ارتباط الغرب بالكنيسة اللاتينية وتعاليمها ، تلك الكنيسة التي سيطرت على مقدراته وحياته وأفكاره . ولهذا السبب لم يحظ عامة الشعب من هذا الإنتاج الثمير إلا بنصيب ضئيل جداً يكاد لا يذكر . ولهذا السبب أيضاً عاش غالبية الناس في فقر مدقع وجهالة مطلقة . وغير خاف أنه كان الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت الغرب أثرها في ذلك . ولعل هذا يكشف عن التناقض العجيب والهوة الشاسعة بين المثل والواقع الملوس وبين النظرية والتطبيق في كل ناحية من نواحي الحياة في مجتمع العصور الوسطى بعامة ، وفيما يتعلق بأمور العلم والتعليم على وجه أخص . (١)

وإذا تركنا النثر والشعر في العصر الكارولنجي جانبا ، نجد أن أبرز ما يميز القرن التاسع هو العناية بالتراث الروماني القديم بصفة عامة والأدب الكلاسيكي بصفة خاصة ، ويكفى أن ما نسخ في ذلك القرن من المخطوطات الكلاسيكية القديمة يبلغ أضعاف ما نسخ من تلك المخطوطات خلال القرنين العاشر والحادي عشر . ويرجع الفضل الأول في ذلك إلى السكوين رئيس مدرسة البلاط بمدينة إكس لاشابل في عصر شارلمان . وكان أهم ما قام به في هذا الصدد مراجعته لترجمة اللاتينية للكتاب المقدس . وإلى جانب السكوين وجسد شخص آخر هو سرفاتوس لوبوس Servatus Lupus مقدم دير فريير الذي كان من كبار المعنيين بالأدب الكلاسيكية في القرن التاسع . (٢)

(١) أنظر في ذلك كتاب Coulton, Medieval Village, Manor and

Monastery, p. 254.

(٢) Bloch, op. cit., I, p. 191. راجع أيضا دوسن : تكوين أوروبا

(الترجمة العربية) ، ص ٢٨١ ؛ سعيد هاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

ولا يعنى ما تقدم أن الأدب الجرمانى كان كما مبهلا . فقد وجه شارلمان ، وهو الجرمانى الأصل ، عنايته إليه . فحاول أن يجمع قواعد اللغة الجرمانية ، واحتفظ بمجموعة من الأغاني والأشعار الجرمانية . وكانت تلك الأغاني تتناول موضوعات فى الحب والحرب . ولما كانت تحويه من عناصر وثنية ، فقد نبذتها الكنيسة اللاتينية حتى أحرقها خليفة شارلمان وهو ابنه لويس الصالح (٨١٤ — ٨٤٠ م) . ولو كانت هذه الأغاني وغيرها من أدب الجرمان قد بقيت ، لرَبما أمكن الكشف عن بعض غوامضه وعن اللغة الجرمانية وقواعدها^(١) .

ومهما يكن من أمر ، فإذا دققنا النظر فى النهضة العلمية السكارولنجية فى القرن التاسع ، سوف نجد أنها — فى الواقع — قد اقتصرَت على فرنسا وجانب من ألمانيا ، حيث توجد امبراطورية الفرنجة . وفيما عدا ذلك ، فقد أصاب العلم والدراسات الأدبية قدرا كبيرا من التدهور . فبعد موت شارلمان أخذت امبراطوريته فى التصدع بسبب تقسيم الملك بين أبنائه والاساس الاقتصادى الذى قامت عليه وهو أساس زراعى إقطاعى بحث ، إلى أن انتهى الأمر بمعاهدة فردان Treaty of Verdun سنة ٨٤٣ م التى انقسمت الإمبراطورية بمقتضاها إلى ثلاثة أقسام : القسم الغربى ويشمل فرنسا ، والشرقى ويشمل ألمانيا ، والقسم الثالث عبارة عن ممر طويل بينهما يشمل مقاطعات فيزييا ولوثارينجيا وبرجنديا وبروفانس ولبارديا وبقية إيطاليا من بحس الشمال إلى البحر المتوسط ، ويحمل الحاكم على هذا القسم الأخير وهو لوثير لقب الإمبراطور . وظلت الأمور غير

(١) Painter, op. cit., p. 448 f. راجع أيضا كرايب وجاكوب : ثرات

المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٥٩ وما بعدها ؛ سعيد هاشور : أوربا المصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

مستقرة فترة من الوقت الى أن قامت أسرة السكسون بألمانيا (٩١٩ — ١٠٥٦ م)، وبقيامها بعثت الفكرة الإمبراطورية من جديد أيام الإمبراطور أوتو الكبير في القرن العاشر الميلادي. (١)

وأعظم ملوك هذه الأسرة هو أوتو الأول (٩٣٦ — ٩٧٣ م) ابن هنري الصياد الذي نهج نهج شارلمان في الاهتمام بشئون العلم والتعليم (٢). وكان نجاحه في فتوحاته وتجديد الإمبراطورية في عهده مدعاة لدمعها بالعمل على إحياء العلم والتعليم وتشجيع العالمان في ميدانه بكافة الطرق والوسائل. ومن كبار علماء عصره برونو (٣) Bruno رئيس أساقفة كولونيا الذي كان مهتما بالعلوم القديمة، حتى أنه تعلم اللغة اليونانية وكان مشجعا للعلم والمتعلمين. وإلى جانب برونو أسفرت النهضة الألمانية السكسونية (٤) عن ظهور عدد من العلماء، نذكر منهم ويدوكند Widukind الراهب بدير كوربي Corbey، وكذلك هرتسويث Hrotswith الراهبة في دير جاندرشايم Gandersheim. ويشبه ويدوكند السكسوني في تاريخه الذي وضعه عن السكسون، المؤلف بولس

(١) حول هذه الأحداث أنظر المراجع التالية 162 p. LaMonte, op. cit., ff. ; Sullivan, Heirs of the Roman Empire, p. 141 f. ; Shorter Cambridge Medieval History, I, p. 342 ff.

Cf. Calmette, Le Monde Féodal, p. 127. (٢)

Crump & Jacob, op. cit., p. 28 ; Baldwin, op. cit., (٣) p. 42 ; Painter, op. cit., pp. 141—142 ; LaMonte, op. cit., p. 405 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 127.

(٤) بخصوص النهضة الألمانية السكسونية، أنظر سعيد عاشور : أوروبا العصور

الوسطى، ج ٢، ص ٢٣٨.

الشماس في مناجاة وطريقته . فهو يكتب عن قومه فحسب ، كما أنه مولع بالقصص والأغاني الشعبية والتعاليم التاريخية . وقد أهدى تاريخه بعد الفراغ منه الى ماتيلا ابنة أوتو العظيم . وأما الشخصية البارزة في مؤلفه فهي شخصية الإمبراطور السكسوني نفسه . وقد فرغ ويدوكند من كتابته سنة ٩٦٨ م ، وأضيفت إليه زيادات طفيفة بعد وفاة أوتو سنة ٩٧٣ م . وتعرض في بدايته لمعادات وتقاليد السكسون القدماء . ويمكن للقارئ أن يلمس في ثناياه بساطة الجرمان القدماء التي احتفظ بها السكسون باعتبارهم أحد العناصر الجرمانية . كذلك احتوى الكتاب على شذرات من أدب الملاحم السكسوني ؛ وليس من الصعب العثور فيه على آثار من القصص والروايات الشعبية . وما يذكر أن هذا الكتاب يوضح أن ويدوكند كان يتمتع بموهبة تدوين المذكرات *memoirs* . وقد أثبت مقدرة كبيرة في الكشف عن أعمال الإمبراطور أوتو الكبير وفي إلقاء الأنواء على شخصيته ، وذلك عندما تناول أوتو وشخصيته وحياته بالدراسة والتحليل في مؤلفه (١) .

وأما الراهبة هروتسويث (ت قبل ٩٨٤ م) فقد دونت مجموعة من الأشعار باللغة اللاتينية منها « أعمال الإمبراطور أوتو الأول ، *De Gestis Oddonis* ، *I. Imperatoris* » ، تحدثت فيها عن أعماله وسيرته حتى تتويجه لإمبراطورا سنة ٩٦٢ م . ووضعت كذلك عددا من القصص الدينية شعرا ، منها قصيدتها عن كل من القديس جنجولفوس *St. Gungulphus* وثيوفيلوس *Theophilus* ، وغيرهما من الشخصيات . وقد لقيت قصة ثيوفيلوس الشيوع والرواج ، وكانت متداولة

Ker, op cit., p. 186 f. ; cf. also LaMonte, op. (١)
cit., p. 245 ; Bloch, op. cit., vol. I, p. XX.

بجميع اللغات (١) .

ومن الشخصيات البارزة في إيطاليا في القرن العاشر التي يجدر الإشارة إليها في هذا المقام ليوتبراند أسقف كريمونا Liutprand of Cremona الذي كان يجيد اللغة اليونانية لإجادة تامة ، حتى لقد اختاره الإمبراطور أوتو الأول مبعوثا من قبله إلى القسطنطينية . وكان يعمل قبل ذلك في السلك الدبلوماسي ، كما زار العاصمة البيزنطية بوصفه مبعوثا من قبل الملك هيوج Hugh . ولم يمض وقت طويل على وفاة والده (حوالي سنة ٩٢٧ م) حتى أرسل وهو لا يزال صبيا إلى بلاط بافيا لتلقى العلم . وكان ليوتبراند لا يزال مقيما في البلاط بعد سقوط هيوج واعتلاء برنجمار Berengar العرش . وفي سنة ٩٤٩ م أرسله برنجمار في مهمة إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بورفiroجنتيوس Constantine VII Porphyrogenitus (٩٤٤ - ٩٥٩ م) ، ولكنه تعرض بعد عودته لاضطهاد برنجمار وزوجته ويلا Willa ، ولجأ إلى أوتو الكبير الذي احتضنه وضمه إلى بطانته . وفي سنة ٩٦١ م أصبح أسقفا على كريمونا ، وكان له دور بارز في الاتصالات التي تمت بين أوتو والرومانيين . وتولى ترجمة خطبة الإمبراطور الألماني التي ألقاها في روما سنة ٩٦٣ م بعد تنويجه امبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة الغربية المجددة وفي السنة التالية قام بكتابة تاريخ رحلة أوتو إلى إيطاليا . وفي سنة ٩٦٨ م ذهب ثانية إلى القسطنطينية للاتفاق مع الإمبراطور البيزنطي نقفور الثاني فوكاس (٩٦٣ - ٩٦٩ م) من الأسرة المقدونية على موضوع زواج المصاهرة بين ابنة الإمبراطور المسماه ثيوفانو

Ker, op. cit., p. 179 f. ; Cf. also LaMonte, op. cit., p. 247; (١)

Crump & Jacob, op., cit., pp. 167 f., 267 ; Cantor, op. cit , pp. 164-166 ; Calinette, Le Monde Féodal, p. 129.

وبين أوتو الصغير . وبعد حياة حافلة بالأعمال الضخمة توفي ليوتبراند سنة ٩٧١
أو ٩٧٢ م. (١)

لقد عاش ليوتبراند حياة حافلة بالمهام الكبيرة التي كلف بها والتي أداها على
خير وجه . إذ شاهد الأحداث بنفسه ، وعاش فيها وتفاعل معها . وكان على صلة
بكبار رجال عصره ، وموضع ثقة الكثيرين منهم . وأبدى مقدرة وكفاءة في
المسائل السياسية التي كلف بها والمهام الدبلوماسية التي ترسل فيها . وسجل ذلك كله في
كتب وأبحاث لاتزال باقية إلى اليوم . ومع كل هذا لا تخلو كتاباته من القدح
والدعابات الفكاهية الساخرة . ونجد مثلا لأهاجيه عندما تعرض لبرنيجار في كتابه
المسمى « Antapodoses » الذي تناول فيه تاريخ إيطاليا والإمبراطورية الغربية
في الفترة من سنة ٨٨٧ م إلى سنة ٩٥٠ م . وأما عن دعاباته وتعليقاته اللاذعة
فنجد مثلا لها عندما تعرض لأباطرة بيزنطة ، وبخاصة ليون بازيل (٢) . ويقول
المؤرخ لامونت إن ليوتبراند كان رجلا مثقفا ثقافة طيبة ، يجيد اللاتينية
واليونانية ، وكان يستخدم في كتابته أسلوبا روائيا لطيفا جملة محببا للقراءة في كل
وقت . وقد دون أوصافه عن الناس الذين التقى بهم في سخرية لاذعة . ومن
خلال مؤلفاته نجد أن خلقه الذي تميز بطابعه الديبوي قد فرض نفسه على قصصه

(١) Ker, op. cit., pp.180—185 ; cf. Baldwin, op. cit., p. 96;
LaMonte, op. cit., 140,146, 174, 245 f.
أنظر أيضا هارتمان وباراكلاف z
الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ١٤٦ — ١٤٧ . هذا ،
وحول سفارة ليوتبراند الكر، وفي إلى القسطنطينية ، أنظر Cantor, op. cit., pp.
160—164.

(٢) هو ليو السادس المعروف بليو العاقل، وله حكم من سنة ٨٨٦ إلى سنة ٩١٢ م.

القصيرة والشخصيات التي أبدع قلبه تصويرها، وهذا أمر يستحق الذكر إذا قورن بمن جاءوا بعده في عصر أكثر دينوية وأوسع علما واستنارة. (١).

هذا عن ايطاليا وليوتبراند الشكريموني، أما في فرنسا فقد لمع في القرن العاشر اسم مؤرخين هما فلودورد الريمي Flodoard of Rheims وريتشارد الريمي Richer of Rheims، وكلاهما من ريمز، ويعتبر فلودورد (٨٩٤ — ٩٦٦ م) من أشهر مؤرخي القرن العاشر. وهو صاحب تاريخ ريمز الكنسي Historia Remensis Ecclesiae، ويشتهر بمنهاجه الواضح وأمانته ودقته فيما يكتب. وأما ريتشارد فهو راهب بدير القديس ريمي St. Remy بفرنسا، وقد تلمذ على يد جربرت Gerbert، وله مؤلف باسم «التواريخ» «Histories» يقع في أربعة كتب، ويتميز أسلوبه اللاتيني بصعوبته لاستخدامه خليطا من الألفاظ والمصطلحات الفنية والحربية والإدارية (٢).

وهكذا نجد أن تلك النهضة العالمية المبكرة في غالة وانجلترا وباقي أجزاء الغرب الأوروبي خلال القرنين التاسع والعاشر قد أثمرت بخلق أجيال متتابعة من العلماء والأدباء والمؤرخين والكتاب الذين كان معظمهم ينتمى إلى هيئة رجال الدين ممن أسهموا بانتاجهم المتنوع في خلق فئة من المتعلمين ومن المعنيين بأمور العلم والثقافة مما سيظهر أثره في القرن التالي.

LaMonte, op. cit., pp. 245—246.

(١)

Ker, op. cit., pp. 180, 187 ff. ; cf. also LaMonte, op. (٢)

cit., pp. 229, 245 f. ; Bloch, op. cit., Vol. I, pp. 12, 28, 29, 30, 40, 191.

الفصل الثالث

ظهور الفكر الحر ونهضة القرن الثاني عشر

- تعطل الحياة الفكرية والثقافية في الغرب منذ وفاة شارلمان وتصدع إمبراطوريته .
- التعليم في العصر البندكتي ، واهتمام الأديرة البندكتية بالدراسات الكلاسيكية .
- أسطورة سنة ١٠٠٠ ودلالاتها .
- إرتباط نهضة القرن الحادى عشر بالمؤسسات الدينية .
- نهضة القرن الثاني عشر ثورة حقيقية في شتى مرافق الحياة في الغرب .
- أمر العرب في الحصار الأوروبية .
- ازدهار الحركة المدرسية .
- الديرية الكلوئية وحركة التعليم .
- نشاط الجماعات الرهبانية الأخرى في القرن الثاني عشر .
- أشهر المفكرين والدعاة إلى تحرير الفكر في القرن الثاني عشر :
برنارد ، ابيلارد ، بطرس اللباردى ، برنجار ، انسيلم ، روسيلين .
- نشاط الدراسات القانونية في إيطاليا :
ارنريوس ومدرسة بولونيا القانونية .
- النشاط الأدبي في القرن الثاني عشر كظهور من مظاهر التقدم العلمي :
جربرت الريمى ، فلبرت ، هيلدبرت .

عرفنا من الفصل السابق أن الغرب لم يلبث أن عاد إلى حالته الأولى من الفوضى السياسية والخلول الذهني — بصفة عامة — بعد وفاة شارلمان سنة ٨١٤م وتقسيم دولته الواسعة بين خلفائه . وقد ساد الظلام ثمانية حتى أخريات القرن العاشر تقريبا حيث تعطلت الحياة الفكرية تعطلا يكاد أن يكون تاما ، وذلك باستثناء الأديرة التي ظلت تؤدي رسالتها التعليمية والثقافية كما كان الحال من قبل ، وباستثناء بعض الشخصيات التي ألمعنا إليها ، والتي لا يمكن اتخاذها كقياس عام لاتجاه الفكر والثقافة خلال تلك الفترة من الزمن . وقد سميت تلك الفترة باسم العصر البندكتي نظرا لما قامت به الأديرة البندكتية من نشاط واضح في هذا المضمار وقتذاك .

لقد كانت هذه الأديرة من أهم المراكز التي اهتمت بالدراسات الكلاسيكية القديمة . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من بينها أنها كانت أقدم الأديرة التي تأسست في الغرب (١) ، كما انتقل إليها تراث النهضة الكارولنجية . ثم أنها لم تشارك

(١) نسبة إلى القديس بندكت الذي بدأ حياته راهبا متوحدا بأحد الكهوف بمنطقة سويياكا بوسط إيطاليا . وليس ما كان يمايه الرهبان المتوحدون من صعاب فقام بتأسيس دهره الأول في مونت كاسينو ، والتف حوله عدد من الرهبان الذين وضع لهم قانونه المعروف باسمه ، وهو يقوم على أربع قواعد رئيسية هي : التبتل والطهارة وتكران القدا والطاعة العمياء . وكان أساس قانونه إنساني وروحي في آن واحد ، لئلا يجعل حياة أتباعه في أديرته حياة اجتماعية وخطف من حدة التقشف التي كانت سائدة قبلئذ . وما يذكر أنه وجه عناية خاصة إلى التعليم ، فأوجد في كل دير نواة مكتبة ومكالا لنسخ الكتب فجميعا أن يجدون في نفوسهم ميلا للكتابة والتأليف . وأصبحت الديرية البندكتية منبع العلم والمعرفة والاندثرت بسرعة في شتى أرجاء الغرب أنظر : Coulton, Medieval Panorama, p. 263 ff. ; Cantor, Medieval World, p. 97 ff. راجع أيضا كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٧٠ — ١٧١ .

الهيئات الديرية الجديدة في الاهتمام بما يتعلق بالشئون الدينية فحسب ، ولكنها ظلت المكان الذي حافظ على الدراسات الكلاسيكية الرومانية من العبث والضياع . ويكفى أن نعرف أنه وجد في كل دير من أديرتها نواة لمكتبة ومكان لنسخ المخطوطات زود بالأدوات اللازمة للكتابة والعناية بالآداب والعلوم والأبحاث، وذلك حتى يتسنى لكل من يتوسم في نفسه ميلا نحو العلم والكتابة والتأليف أن يواصل نشاطه في هذا الميدان . وعلى هذا يمكن القول بأن الديرية البندكتية قامت بأكبر خدمة للحضارة الفكرية والعلمية والأدبية في المجتمع الغربي الوسيط . وقد حفظت في مكتباتها ، بالإضافة إلى ما تقدم ، الكثير من أمهات الكتب الكلاسيكية القديمة التي كانت معرضة لفقدان والضياع أثناء غارات البرابرة على الغرب والدمار الذي حل بالمدن الرومانية ، وأثناء محاربة الكنيسة المسيحية لكل ما عمت للتراث الروماني القديم بصلة ، باعتباره تراثا ضارا عديم الفائدة من وجهة نظر المسيحية وفلسفتها . وفي تلك الديرية التي كانت في ذات الوقت دورا للعلم والتعليم ، واصل النساخ والمؤلفون تحرير للكتب العلمية والتاريخية والأدبية واللاهوتية والقانونية التي مازال الكثير منها متداول إلى اليوم (١) .

(١) أنظر من ذلك المراجع التالية : Chateaubriand, Génie du Christianisme, p.248 ; Duroselle, Histoire du Catholicisme, p. 52 ; Coulton, Medieval Panorama, p.263 ff. ; Cantor, op. cit., p. 97 ff. أنظر أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ؛ سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية ، ص ٧ وما بعدها ؛ إبراهيم المدوي : المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦١) ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ كرامب وجاكوب : تراثه العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ؛ فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ج ١ (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ١١١ .

ولقد نمت هذه النزعة الثقافية والأدبية في أغلب الأديرة في وقت كان الناس فيه في الغرب لا يزالون يخطون في جهل عميق لا يفهمون معنى العلم، وفي وقت كانت فيه الأمة شائعة بين الجميع . ويلقى التركيب الطبقي للمجتمع الغربي وقتذاك حيث ساد النظام الإقطاعي الضوء على ذلك . فهناك القاعدة العريضة في أسفل الهرم الإقطاعي من الفلاحين على مختلف مستوياتهم من صغار المستأجرين والأرقاء والعميد الكادحين في الأرض الذين يمثلون الغالبية العظمى في هذا المجتمع . وهناك الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية مالمسكة الأرض التي تمثل أقلية ضئيلة ترتفع على قمة الهرم ، ولم يكن يعينها في قليل أو كثير التزود بالعلم والمعرفة ، بل لم يكن هذا بما يشرفها أو يرفع من قدرها على الإطلاق ، إنما كان ههما الأول والآخر تعلم الفروسية والتدريب على فنون الحرب والقتال التي تشبع فيها هوايتها التي ورثتها عن أجدادها الجرمان^(١) وأخيرا توجد طبقة رجال الدين ، وهي قليلة العدد وقد تزود أفرادها بالعلم الذي كان يستهدف أساسا خدمة الدين المسيحي^(٢) وعلى هذا كانت نسبة المتعلمين قليلة جدا في الغرب وقتذاك ، وتكاد تنحصر في رجال الدين ، أو بالأحرى في عدد منهم ممن كانوا يلمسون في أنفسهم القدرة على الدراسة والعلم^(٣) . وبمرور الزمن تأسست المدارس في تلك الأديرة البندكتية لتثقيف

(١) كان أبناء الأشراف يتلقون تدريبهم في مدارس الفروسية التي كانت مقصورة عليهم . وحول هذه المدارس ، أنظر كرامب وجاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٢) Goff, La Civilisation de l'Occident Médiéval, p.319 f. ; (٢) Coulton, Medieval Panorama, p. 389. ويستبر المؤرخ الفرنسي مارك بلوك من أفضل من كتبوا عن التنظيم الطبقي في المجتمع الغربي الوسيط ، أنظر Bloch, Feudal Society, vol. II, p. 283 ff.

(٣) أنظر كولتون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٠٠ و ١٠١ .

الناس. وأصبحت تلك المدارس الديرية مع الوقت معاهد علمية يشغل فيها الكثير من الرهبان بالنسخ والتأليف والمحافظة على التراث القديم الذى أهملته القرون السابقة ، هذا إلى جانب مهنة التعليم .

وباختصار فإن المدارس التى قدمت تعليماً متقدماً حتى أواخر القرن العاشر كانت مدارس ديرية ، وذلك باستثناء مدرسة القصر فى عصر شارلمان . وعلى هذا يكاد أن يكون جميع الرجال المثقفين ثقافة حقيقية من فئة الرهبان أو من رجال الدين الذين تم تدريبهم كالرهبان تماماً (١) . وفيما عدا ذلك فإن طبقة الفرسان المحاربين والعمال الكادحين فى الأرض لا شأن لهما بأمور العلم والتعليم بحكم الظروف التى أحاطت بالمجتمع الغربى الوسيط وقتذاك .

وفى أخريات القرن العاشر الميلادى ، وفى ظل الأوضاع المشار إليها ، انتشرت فى الغرب أسطورة تقول بأن العالم سينتهى بنهاية الألف الأولى ، وأن المسيح سوف يظهر للثومنين به . ويرى الكتاب أن هذه الأسطورة كان لها أثرها فى ظهور موجة من التقشف والزهد والبعد عن ملذات الحياة الدنيا وبلهيتها ، والتقرب إلى الله والعمل على مرضاته . وهم يرون أيضاً أنها إن كانت قد تركت أى أثر فهو وجود حالة من الاستقرار فى الغرب كان منعطفاً لها ولم يستشعر بها قبل ذلك بقرون طويلة (٢) . وعلى حد قول المؤرخ جورج جوردون

(١) أنظر من ذلك Painter, History of the Middle Ages, p. 467.

(٢) حول أسطورة سنة ١٠٠٠ وآثارها ، أنظر المراجع التالية كولتون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ ؛ حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى - ط ٠ ثانية (القاهرة ١٩٥٨) ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ جوزيف إسم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ص ١٧٣ - ١٧٤ . راجع أيضاً : ==

كولتون أنه بعد تلك السنة الحاسمة لم يعد ثمة غزوات بربرية ذات أهمية ، وكانت أوروبا قد استقرت تماماً وأصبح التجديد ميسوراً . فأن بدأ العمل حتى أخذ يسير بخطوات ثابتة . ويستطرد نفس المؤرخ قائلاً : « وكانت هذه الحركة التقدمية في سنة ١٠٠٠ نهضة حقيقية لاشك فيها ، أشبه ما تكون بالنهضة المتأخرة التي تعارف المؤرخون على تسميتها باسم عصر النهضة Renaissance » (١) . والواقع أن هذه الأسطورة وإن امتازت بشيء فإنما تمتاز بقيمتها الرمزية فحسب باعتبارها من أسباب نهضة القرن الحادى عشر في أوروبا ، حينما بدأ الغرب يهيب من سباته العميق وقد أخذ يسترد أنفاسه اللاهثة ويشق طريقه نحو التقدم والرقى ، بعد قرون من التكاسل والركود .

وهكذا ، اعتبر ساراً من القرن الحادى عشر بدأت أوروبا تدخل في فترة استقرار كانت أحوج ما تكون إليها في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وقد كان لها أثرها في الانتماء التدريجى الذى أصاب النهضة الفكرية بصفة خاصة . وأخذت الحياة العلمية الجديدة تستمد أصولها من النهضة للكارولنجية . فنجد ، مثلاً ، أن نظم التعليم ومنهج تنمو على نفس الأساس الذى قامت عليه المدارس الدينية أيام شارلمان . وقد كان من الممكن أن تحقق تلك النهضة المبكرة في القرى الحادى عشر تقدماً أكثر مما حققته بالفعل لولا الأحداث السياسية والحربية الخطيرة التى كانت أوروبا مسرحاً لها وقتذاك ،

Coulton, G. G., *Medieval Scene* (Cambridge, 1961), p. 102 f.; = idem, *Medieval Panorama*, p. 394 ; Goff, op. cit., p. 82 f.

(١) كولتون : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٠ . راجع أيضاً Duroselle, op. cit., pp. 45—46.

والتي أعافت تلك الانطلاقة عن أن تشق طريقها بسرعة نحو أهدافها التقدمية .
ففي القرن الحادى عشر بدأ الصراع المعروف بين البابوية والإمبراطورية على
المسائل العلمانية ، وما ترتب عليه من آثار وخيمة بالنسبة للسياسة الأوروبية
بصفة عامة ، والتدهور الذى أصاب كلا من الكنيسة والمسيحية وألمانيا وإيطاليا
على وجه أخص . وفيه أيضاً قام النورمان بنشاطهم التوسعى المعروف فى صقلية
وجنوب إيطاليا وإنجلترا . وفيه أيضاً كانت الحرب دائرة على أشدها بين الممالك
المسيحية فى الشمال الأسباني وبين العرب فى الجنوب . وفى أزمرياته كذلك قامت
الحركة الصليبية بتوجيه من البابوية وتحمت إشرافها ورعايتها بقصد الاستيلاء
على الأراضى المقدسة (١) . كل هذه الأحداث وغيرها ، لم تفتح للحركة الفكرية
الفرصة الكاملة للإطلاق غير المحدود ، ولم تهيم تربة خصبة للازدهار العلمى
بالمعنى الواسع .

وبانتهاء القرن الحادى عشر ، وكان الغرب قد بدأ يلتقط أنفاسه وأخذت
الأحوال فى الاستقرار ، بدأت النهضة العلمية الأولى التى اشتهرت فى التاريخ
باسم « نهضة القرن الثانى عشر » ، والتى تمثل فى الحقيقة ثورة شاملة فى شتى مرافق

(١) أنظر جوزيف نعيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ١٧٢ — ١٧٧
والمواشى . راجع أيضاً ، Halphen, L., L'Essor de l'Europe (Paris, 1941),
pp. 3 ff., 23 ff., 47 ff., 55 ff. ; Arnold, T. & Guillaume, A.,
The Legacy of Islam (London, 1952), p. 44 ff. ; Pirenne,
Medieval Cities, p. 56 ff. ; Setton, K. M. (ed.), A History of
the Crusades, vol. I (Philadelphia, 1958), pp. 10 ff., 20 f., 26f.,
39 ; Lewis B., The Arabs in History (London, 1958), pp. 125
f., 150.

الحياة في أوروبا ، وهى ثورة في الحياة الديرية وفي الفنون والنواحي الدينية والفكرية والثقافية والعلمية (١) . ويقول جون لامونت إنه ليس ثمة ميدان من ميادين النشاط يتضح فيه تقدم الغرب خلال القرن لثاني عشر أكثر من ميدان النشاط الثقافي . فبينما كانت الدولة البيزنطية والعالم الإسلامى قبل ذلك التاريخ يحتفظان بمستوى رفيع في مجال النشاط الفكرى ، كان الغرب اللاتينى متأخراً . ولكن في القرن الثاني عشر ، الذى أصبح يطلق الآن على النهضة التى شهدناها اسم « نهضة القرن الثاني عشر » ، أحرز الغرب تقدماً كبيراً في حياته الفكرية بعد أن هدأ واستقر وبعد أن استوعب أفضل ما في الثقافات الشرقية الإسلامية والبيزنطية ، بل وأحرز تقدماً نحو إنجازات جديدة متفوقاً بذلك على جيرانه الشرقيين من مسلمين وبيزنطيين . ويستطرد لامونت قائلاً إن نهضة القرن الثاني عشر تعتبر مظهراً من مظاهر هذا النتاج الهائل للنشاط الذى عم العالم الغربى ، والذى كان من ثماره أيضاً ظهور المدن بسكانها الأحرار واقتصادها النقدي وحضارتها المدنية ، وكذلك لإحياء التجارة ونمو الملكيات ؛ ومن أهم مخططاته الملموسة الكاتدرائيات على الطراز القوطى في كل من روما وألمانيا وإنجلترا (٢) .

Cf. Cantor, op. cit., p. 208 ; Sabine, G. H., A (١)

History of Political Theory (London, 1948), p. 215.

أنظر أيضاً الدراسة القيمة التى كتبها الدكتور سعيد عاشور بعنوان « النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر » في كتاب سعيد عاشور وعبد أليس : النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، س ١١١ - ٢٣١ ، ففيها تحليل رائع للأسس التى قامت عليها هذه النهضة .

LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 563 ff. (٢)

Cf. Pirenne, H., Economic and Social History of Medieval Europe=

وجدير بالذكر أن هذه النهضة قد تميزت بالاحتكاك الفكري بين الغرب والحضارة العربية الإسلامية عندما تدفقت المعارف والعلوم العربية واليونانية إلى أوروبا عن طريق معابر الأشماع الشفافي الأربعة وهي : الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الشام . وقد أفاد الغرب فائدة كبرى من الحضارة الإسلامية اليانعة . وساعد على ذلك أنه كان قد بدأ ينفض عن كاهله كابوس العصور المظلمة ، ويتمتع بحالة من الأمن والهدوء بعد قرون طويلة من الفوضى والاضطراب . وكان أمر المدنية العربية الإسلامية واضحا في الغرب في شتى أفرع العلم والمعرفة ، وبخاصة في ميادين الأدب والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة (١) .

وهكذا أقبل الأوروبيون يرتشفون في نهم وشغف من هذه المعارف والعلوم حتى ضاقت بهم المدارس الدينية في وقت ازدهرت فيه حركة الفلسفة المدرسية

(London, 1961), pp. 26 ff.

ويضيف العالم البلجيكي هنري بيريث قائلا إن هذه النهضة العلمية الجديدة ارتبطت بنهضة المدينة في الغرب ونشاطها التجاري وسكانها الأحرار واتصافها المادي وحضارتها المدنية والانجاء العلماني فيها . انظر : Pirenne, Medieval Cities, p. 165 ff.

(١) للزبد من التفاصيل عن فضل العرب على الحضارة الأوروبية في العصر الوسيط ، انظر سعيد عاشور : المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية (القاهرة ١٩٦٣) ، وبخاصة صفحات ٤٩ وما بعدها و ٧١ وما بعدها ؛ كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٣١ وما بعدها ؛ يعقوب (ج) : أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على (القاهرة ١٩٤٦) ، ص ٢٠ وما بعدها ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية (القاهرة ١٩٦٥) ، ص ٣٤ وما بعدها . راجع أيضا Crump & Jacob, Sabine, op. cit., p. 215 ; Legacy of the Middle Ages, pp., pp. 184—185.

Scholasticism ، وأصبحت الأساس الذي انبثقت منه الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى . إذ قامت تلك الجامعات لتحقق هذه الدراسات الجديدة وتشملها برعايتها وتشجيعها حتى غدت مناراً للعلم ومراكز إشعاع تخرج منها الشباب المثقف المستنير من العلماء ورجال الدين الذين نادوا بالفكر الحر والمناقشة الحرة (١) .

وعلى هذا يمكن القول بأن النهضة العلمية الأولى التي اشتهرت باسم « نهضة القرن الثاني عشر » بدأت أول ما بدأت في المؤسسات الدينية والمدارس التابعة لها التي كان عددها في ازدياد مطرد. ذلك أن تلك المؤسسات كانت تجتذب لخدمتها والعمل بين جدرانها كل من تتوهم فيه الاستعداد للبحث والدراسة والتحصيل . كذلك عيّنت الأديرة منذ الإصلاح البندكتي بالعلم والكتابة والأدب . فكنا نجد في معظمها المكاتب والنساخ المهرة والكتاب المبرزين من بين هؤلاء الرهبان أنفسهم المهتمين بالشؤون العلمية . وفي داخل هذه الأديرة خصصت أماكن للعنيين يشتغلون الكتابة والنسخ والقراءة والتأليف . وكانت مثل هذه القاعات العلمية تحمل الإسم اللاتيني Scriptoria ، أى مكاتب النسخ في الأديرة (٢) .

(١) أنظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٥ وما بعدها ؛ سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ١١ وما بعدها ؛ عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى ، ص ٤٣ — ٤٤ . أنظر أيضاً Goff, op. cit., p. 426 f. ; LaMonte, op. cit., p. 563

(٢) أنظر Caüter, Baldwin, The Mediaeval Church, p. 27 ; Painter, op. cit., p. 81. راجع أيضاً ما سبق ، ص ٣٩ و ح ٢ من هذا الكتاب .

ولذا كان الإصلاح البندكتى قد اعتنى بالعلم والأدب ، فلم يغفل الإصلاح الكلوني (١) كذلك أمرهما . ولم يهمل القائمون على أمره هذه النزعة العلية والأدبية ، وإنما شجعوها وتولوها برعايتهم . وقد ألحقت بمعظم الأديرة الكلونية المدارس لتعليم الأطفال الذين أعدهم آباؤهم للدخول في سلك الكهنوت والتدرج في وظائفه أو للعمل في خدمة الحكومة والقيام بالمهام التي كانت تتطلب القراءة والكتابة مثل المحاماة والطب . (٢)

وفي تلك الأثناء واصلت الجماعات الرهبانية الأخرى التي نشأت في القرنين الحادى عشر والثانى عشر مثل الإخوان الفرنسيسكان والإخوان اليسوعيين والإخوان الدومينيكان وغيرها تلك الجهود العلية والأدبية التي بدأها من سبقهم ، حتى لقد أصاب الكثير من بين رجالها بسهم وافر في الفلسفة والقانون

(١) نسبة إلى جماعة كلوني الديرية التي بدأت حركتها ضيقة في أول الأمر ، ثم أخذت تنسج تدريجياً إلى أن أصبحت في القرن العاشر الميلادى مثلاً يحتذى من أمثلة الإصلاح . وكان أساس نظام كلوني الاستقلال التام عن السلطات الدينية والديوية ، والاتصال المباشر بالبابوية ، والقضاء على استقلال الأديرة عن بعضها ، والمناواة بإصلاح الجهاز الكنسى البابوى من الفاسد التي تملكت فيه . ومما يذكر أن رهبان كلوني اعتنوا أيضاً بالعلوم والأعمال الأدبية ، ومن هنا كان لحركتهم آثارها البائدة الأهمية ، فأصبحت حركة دولية واسعة بعد أن اعتدت حدودها خارج فراسا نفسها . انظر *Coulton, Medieval Village, Manor and Monastery*, p. 210 ; *Baldwin, op. cit.*, pp. 34 — 36, 41 — 42.

(٢) انظر *Brinton & Others, A History of Civilization*, Vol. I, p. 299 ff.

والآداب ومختلف العلوم. (١) وقامت على أكتاف هؤلاء نهضة القرن الثاني عشر ، حينما احتكت الأذهان والعقول بين العنصر الرجعي من المفكرين الذي يعبر عن المكرة الدينية القديمة المترمة ومثله القديس برنارد أوف كليرفو ، وبين العنصر المجدد من المتأدين بتحرير الفكر ويتزعمه الفيلسوف بطرس ابيلارد زعيم الفكر الحر وتحرير الذهن من التقاليد العتيقة والداعى إلى فلسفة الشك والتشكك الشهيرة .

وهكذا نشأت هذه النهضة كنتيجة طبيعية ومنطقية لاحتكاك الفكر بين عنصرين متباينين من المفكرين ، تمثلها أصدق تمثيل هاتان الشخصيتان اللتان ملأتا العصر الوسيط ضجيجا وجدلا وحركة وحياء : القديس برنارد الذى قامت نظرياته على أساس الكنيسة اللاتينية وسيادتها ، فكان بحق أصدق ممثل للتفكير الدينى الوسيط . والثانى هو الفيلسوف بطرس ابيلارد زعيم حركة تحرير الفكر من التقاليد البالية فى تلك القرون الغابرة التى سيطرت فيها الكنيسة بحكم مركزها والسلطات الضخمة التى تمتعت بها ، على تفكير الفرد وعقليته ، وكان عليه أن يتقبل أوامرها وتعاليمها ونواهيها بالسمع والطاعة دون جدل أو مناقشة ، بحيث لم يكن من السهل عليه الإفلات من تلك الدائرة الضيقة المخلقة التى وضعتها فيها . بل إن محاولة التفكير فى الخروج على تعاليم الكنيسة كانت تعرض صاحبها لأشد أنواع العقاب ، وما أكثر أسلحة الكنيسة التى كانت تستخدمها ضد معارضيها

(١) حول هذه الجماعات الرهبانية ومدى إسهامها فى حركة العلم والتعليم ، أنظر كوثون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٧٣ وما بعدها . راجع أيضا Baldwin, op. cit., p. 42ff. ; Coulton, Medieval Panorama, p. 266 ; Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, p 502 ff.

والخارجين عليها من حرمان ونقمة ولعنة وقطع (١) .

ويعتبر القديس برنارد من الشخصيات البارزة التي أخرجتها جماعة الإخوان السيستريسيان (٢) Cistercians . ولد سنة ١٠٩١ م وتوفي سنة ١١٥٣ م وله من العمر حوالي ٦٢ عاما . وهو يعتبر ، بحق ، أكبر ممثل للتفكير الديني القديم ، ومن المتحمسين للنظام البندكتي بعد الإصلاحات التي أدخلت عليه ، كما كان متصوفا منكمرا لذاته . وقد أسس ديرَه المعروف في كليرفو Clairvaux وأصبح رئيسا له وكان يتمتع بنفوذ كبير ونشاط فائق نلمسها في مواقف عديدة له . فهو الذي حسم النزاع البابوي سنة ١١٣٠ م ، وقضى على الانقسام الكنسي بإعادة البابا انوسنت الثاني (١١٣٠ — ١١٤٣ م) إلى روما . وكان البابا ايوجين الثالث (١١٤٥ — ١١٥٣ م) من تلامذته ، ولإليه أيضا يرجع أمر تأسيس جماعة الفرسان الداوية التي قامت بدور خطير في الحركة الصليبية التي تعرض لها العالم العربي . وهو الذي ساعد في الدعوة إلى الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧ م التي قام بها الغرب الأوروبي من أجل استعادة الرها التي كان قد استولى عليها عماد الدين زنكي سنة

(١) أنظر جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ٦٨ ؛ كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٢) أسس هذه الجماعة حوالي سنة ١٠٩٨ م راهب فرنسي يدعى روبرت ، وكانت تستهدف العودة إلى التعاليم البندكتية الأولى مع إدخال نوع من التصوف والتقشف فيها . وقد انقطع أتباع هذه الجماعة عن العالم إلى الجهات الفقيرة ، واختصوا برعاية الأغنام وتسيير الصحارى . وانتشرت أديرتهم بسرعة في الغرب . ومن أعظم من أخرجتهم جماعة السيستريسيان القديس برنارد مؤسس دير الشموور في كليرفو سنة ١١١٥ م . وإطلاق على هذه الجماعة أيضا اسم « البرنارديين » نسبة إلى راعيهم الرئيسي القديس برنارد . أنظر Baldwin, op. cit., pp. 42—44 ; Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, pp. 502—504.

١١٤٤ م . ومن أهم ما ينسب إليه أنه وجه عناية فائقة للدرس والكتابة والتأليف ، وترك لنا رسائل ومؤلفات تجمع بين البلاغة والتفكير والمنطق . وهو في فلسفته وتفكيره يقوم بالدفاع عن الكنيسة والقضاء على أى بادرة تم عن الهرطقة أو الخروج على تعاليم المسيحية . وكان هذا الحساس الزائد للأفكار والمثل الدينية القديمة المزمته من الأسباب الجوهرية التى أدت إلى قيام الصراع الفكرى بينه وبين زعيم من أكبر زعماء حركة تحرير الفكر الإنسانى فى القرن الثانى عشر الميلادى ، إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق ، ونعنى به الفيلسوف ايبيلارد (١) .

ولد بطرس ايبيلارد سنة ١٠٧٩ م وتوفى فى ١١٤٢ م عن ثلاثة وستين عاما . وهو ، فى الحقيقة ، زعيم نهضة تحرير الفكر فى القرن الثانى عشر ، ومن أشهر رجال زمانه فى علم الجدل . كما أنه صاحب فلسفة الشك والتشكك الشهيرة فى كل شئ . حتى فى طبيعة المسيح نفسه ، وما إلى ذلك من المسائل الخطيرة التى كان لها شأنها وقتذاك . ونعرف أنه درس فى مستقبل حياته على أئمة العلم فى عهده ، ومن بينهم وليم أستاذ المنطق فى مدرسة باريس وائسليم اللاهوتى . وكان ايبيلارد يثير عاصفة قوية من الجدل والنقاش فى أى مكان يحل به ، وكثيرا ما ينتهى النقاش

(١) أنظر من ذلك المراجع التالية Heer, F., *The Medieval World* (London, 1962), pp. 79—87 ; LaMonte, op. cit., pp. 404—406, 564—565 ; Painter, op. cit., pp. 148, 147, 210, 212 ; Brinton and others, op. cit., vol. I, p. 301 ; Duroselle, op. cit., pp. 60—62 ; Coulton, *Medieval Panorama*, pp. 30 f., 104, 119, 141, 207, 220 f. et sqq. ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 22, 48, 45, 57, 156, 161, 166, 237 ; Baldwin, op. cit., pp. 42—44 ; Lesourd, P., *Histoire de l'Eglise* (Paris, 1989), p. 57 f.

بتفوقه على أساتذته بعد أن يبين لهم نقط الضعف في فلسفتهم . وقد انتهى به الأمر إلى تأسيس مدرسة خاصة به في أحد أحياء باريس ، والتف حوله المريدون والأتباع يستمعون إليه وينهلون منه . ولكن ظروفها خاصة اضطرتته إلى ترك باريس واعتناق الرهبنة بدير القديس دنيس . ومع ذلك فقد استمر في المحاضرة والمجادلة على أساس فلسفة الشك والتشكك التي نادى بها . واضطرت الكنيسة بعد أن وجدت فيه خطرا يهددها إلى إدانته بالهرطقة سنة ١١٢٢ م وإبعاده عن ديره .

ظل ايبيلارد طريدا فترة من الوقت ، ثم التجأ إلى منطقة كوينسى Quincy بمقاطعة شامبانيا في فرنسا حيث بنى له كوخا وكنيسة صغيرة ، وأخذ يواصل محاضراته وتعليمه . ولم يمض وقت طويل حتى تبعه عدد كبير من تلامذته الأولين الذين استمروا ملتفين حوله ينصتون إليه وإلى تعاليمه . وازداد مع الوقت أتباعه من المشتغلين بالعلم والتعاليم حتى لم تجد الكنيسة بدا من العفو عنه . وأخذ يتدرج مرة ثانية في السلك الكنسى حتى أصبح رئيسا لدير القديس جيلداس St. Gildas بمقاطعة بريتاني الفرنسية . ولكنه وجد أن الحياة داخل هذا الدير مع عدد من الرهبان الذين يكرهون العلم والتعليم لا يمكن أن تستمر . فهرب من الدير وعاد مرة ثانية إلى باريس ليواصل الجدل الحامى والنقاش العنيف مع القديس برنارد . وكان ايبيلارد في جدله ونقاشه لا يهتم على الإطلاق بالتقاليد الدينية الشائعة في القرون الوسطى المبكرة ، والتي كانت قد اهتزت في زمنه بعنف بسبب الفساد الذى استشرى في الجهاز الكنسى البابوى ، كما كان لا يخشى بالمرة المجاهرة بالشك في التعاليم المسيحية أيا كانت . وأخذ خطره يشتد على الكنيسة ويهدد سلطانها وكيانها ، فحكم عليه البابا انوسنت الثانى (١١٣٠ —

١١٤٣ م) بالمرطقة مرة أخرى. وانزوى بقية أيام حياته بدير كلوني الرئيسى بفريسا كاكفا على الدراسة والتحصيل والتأليف إلى أن وافته منيته (١).

لقد دعا ابييلارد إلى استخدام العقل وتطبيقه على كل ما يقع تحت يد الإنسان، قائلا إن الإنسان يجب ألا يؤمن فى شيء قبل فهمه، وبمص قوله: *Nothing is to be believed unless it is understood*، وهكذا بعد أن كان الإيمان يسبق العقل فيما مضى وبعد أن كان الأساس هو «إلى أو من كى أفهم»، تغير الوضع وأصبح الفهم والإدراك يسبقان العقيدة. وقد نادى ابييلارد بتطبيق هذا المبدأ على كل شيء حتى على الدين نفسه. وهكذا كانت فلسفته تقوم على الشك؛ ففي نظره لا يتأتى الوصول إلى الحقيقة إلا عن طريق التشكك والمعارضة. وقد وجد القديس برنارد أن اعتقاد ابييلارد باستخدام العقل فى المسائل اللاهوتية أمر لا يمكن قبوله على الإطلاق، وكان على يقين من أن ابييلارد مدان فى وجهة نظره. (٢)

(١) عن ابييلارد وسيرته وحياته وفلسفته، أنظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط (القاهرة ١٩٥٧)، ص ٩٢ - ٩٤؛ عبد الرحمن بدوي: فلسفة المصور الوسطى، ص ٧٩ - ٨٤. راجع أيضا Ker, The Dark Ages, p. 210 ; Garin & Others, Les Utopies à la Renaissance, pp. 61, 68, 65 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 207, 241, 307, 394, 466, 591, 664 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 57, 156, 237, 259, 270, 326, 513 ; Gandillac, M. de, Oeuvres Choisies d'Abélard (Paris, 1945), p. 5 ff. أنظر أيضا سيرة ابييلارد كما يروها بنفسه و Cantor, op. cit., pp. 220 — 228.

(٢) أنظر كولدون: عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية)، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

ومن أهم مؤلفات ايبيلارد التي خلفها لنا كتابه باللاتينية المعروف باسم « نعم ولا » Sic et Non الذى قدم له بكلمة عن تفسير الكتاب المقدس ، وضمنه فلسفته الشهيرة . وقد تناول فيه موضوعات خصبة للبحث والمناقشة ، كما جمع فيه الآيات الواردة فى الكتاب المقدس التي يبدو فيها التناقض وعدم الانسجام بقصد المقارنة ولكن دون أية محاولة من جانبه للتوفيق بينها (١) .

ولا جدال أن فلسفة ايبيلارد كان لها أثرها الواضح فى دفع عجلة التقدم إلى الامام وتحرير الفكر الانسانى من القيود القديمة البالية فى فترة بدأ فيها الغرب ينفض عن كاهله كابوس الماضى المزجج ، مما هيا الجو لظهور عصر النهضة الذى يعتبر مرحلة تغير وانتقال من العصر الوسيط إلى العصر الحديث .

وقد يبدو مما تقدم أن الحزب الرجعى بزعامة برنارد أوف كليرفو قد أحرز انتصاراً مؤقتاً على حركة تحرير الفكر التي نادى بها ايبيلارد . ومع ذلك لم يكن من السهل إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء فى وقت كان كل شيء فيه فى تغير تدريجى مستمر ، ولم يكن هناك أمر ثابت على حاله . كانت الدماء الساخنة تجرى فى العروق ، والأفكار الجديدة تنصارع مع المبادئ القديمة . وكانت المثل والقيم القديمة تحارب ، فى واقع الأمر ، فى معركة خاسرة أمام القوى التقدمية الجديدة . إذ صمدت قوة فلسفة ايبيلارد فى الأجيال التالية ، وانتصر مذهبه فى نهاية الأمر فى عصر مفعم بالنشاط متعطش إلى العلم والمعرفة (٢) .

(١) كولتون : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ . أنظر أيضا Goff, op. cit., p.

427 ; LaMonte, op. cit., p. 564.

(٢) كولتون : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ .

ويكفى للدلالة على ذلك أن تلامذة ايبيلارد وصلوا إلى المراكز العليا في الكنيسة اللاتينية ، ومنهم تلميذه بطرس المباردى Peter Lombard الذى وصل إلى مركز أسقفية باريس ، وقام بنشر تعاليم أستاذه ومبادئه التى ضمنها فى مؤلفه المعروف باسم « كتاب الجبل » Liber Sentiae الذى غدا مصدرا رئيسيا فى دراسة علم اللاهوت فى الفترة الباقية من تاريخ القرون الوسطى . (١) ويعتبر هذا الكتاب أوفى من كتاب « نعم ولا » ، إذ حاول فيه مؤلفه التوفيق بين مختلف الآيات المتناقضة فى الكتاب المقدس ، حتى غدا الكتاب الأساسى الذى يرجع إليه فى علم اللاهوت . ويقول كولتون إن هذا الكتاب فى القرن الثالث عشر قد أغنى بالمرة عن دراسة الكتاب المقدس نفسه (٢) .

وما دمنّا نتحدث عن أبرز الدعاة إلى تلك الحركة الجديدة فلا بد أن نشير إلى برنجار التورى Berengar of Tours . وهو أحد المعلمين بكاتدرائية مدينة تورز بجنوب فرنسا . وقد تشكك هذا الرجل فى أمر الجسد المقدس والدم المقدس الذى يعرف اصطلاحا باسم « الأفخارستية » Eucharist ، وهى العقيدة الشائعة بين الناس القائلة بأن القربان والنيذ ينقلبان فعلا إلى الجسد المقدس والدم المقدس ؛ بمعنى أنه كان يتشكك فى حقيقة وجود المسيح فى القربان المقدس . ولما كان

(١) - حول بطرس المباردى وكتابه ، أنظر Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, pp. 626, 629 ; Monroe, P., A Text-Book in the History of Education (New York, 1914), p. 323 ; LaMonte, op. cit., pp. 564-565, 572 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 414, 421, 431, 683, 688, 700 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 57, 279, 345 ; Painter, op. cit., pp. 128, 268, 289, 302 f., 474.

(٢) أنظر كوايتون - عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .

فما ينادى به برنجمار تهديداً خطيراً للعقيدة نفسها ولللبادى الأساسية التى تقوم عليها المسيحية ، فقد تصدى له أحد رؤساء أساقفة كاتدربرى من أعضاء الحزب الدينى المحافظ ويدعى لانفرانك Lanfrane . واضطر برنجمار تحت الضغط والتهديد إلى سحب اعتراضاته على العقيدة المسيحية^(١) .

وثمة شخص آخر يدعى روسلين Roscelin of Compiègne (١٠٥٠ — ١١٢٠ م) الذى يعتبره بعض الكتاب رسول نهضة القرن الثانى عشر . فهو الذى افتتح أزهى عصور الفلسفة المدرسية وقتذاك . وقد أخذ هذا المفكر — شأنه شأن غيره من المفكرين الغربيين — فى تطبيق أساليب العقل والمنطق فيما يتلقاه من دراسات لاهوتية . فهاجم مبدأ الثالوث الأقدس The Holy Trinity ، وهو فكرة الإله الواحد ذى الصفات أو الأقسام الثلاثة ، وهى الآب والابن والروح القدس . ونتيجة لذلك أدين روسلين بتهمة الهرطقة لخروجه على تعاليم المسيحية ومبادئها ، واعتبرت تعاليمه هرطقة . وقد اضطر — هو الآخر — إلى التراجع عنها وبزها ، ولكنه كان قد ترك أمره العميق على تلميذه بطرس ابيلارد^(٢) .

وقد ابرى لروسلين وآرائه القديس انسيلم St. Anselm (١٠٣٣-١١٠٩ م) .

Cf. LaMonte, op. cit., pp. 247, 301, 304 ; Coulton, (١) Medieval Panorama, pp. 62 f., 124, 128, 207, 241, 322, 394, 446, 637 ; Crump & Jacob, op. cit., 368 ; Painter, op. cit., pp. 185, 148, 467.

Painter, op. cit., p. 432 ; Crump & Jacob, op. cit., (٢) p. 284 ; LaMonte, op. cit., p. 564. أنظر أيضاً سميد ماشور : الجامعات

الأوربية ، ص ١٤ — ١٥ .

وهو ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية الإيطالية ، ثم اعتنق الرهبنة ، وغدا زعيما للرهبنة النورمانية ، واختتم نشاطه الدينى بشغل منصب رئيس أساقفة كانتربرى فى انجلترا . وقد قامت فلسفته على أساس تقبل الإيمان دون جدل أو مناقشة ، أى عدم تحكيم العقل والمنطق فيما يتعلق بشئون الإيمان والعقيدة . وله عدة مقالات باللاتينية عن طبيعة الله أهمها مقالته المسماة « لماذا تجسد الله فى شخص إنسان ؟ » ، « Cur Deus homo ? » التى أوضح فيها فلسفته المعروفة وهى أن العقيدة يجب أن تتقدم الفكر عند الإنسان Credo ut intelligum ، بمعنى أن تفهم الأشياء يتبع العقيدة . وبناء على ذلك يصبح الشك فى طبيعة الثالوث المقدس وهو ما نادى به روسلين أمرا باطلا (١) . لقد كان انسيلم من كبار المدافعين عن الواقعية وهى أحد المذاهب المدرسية الرائدة فى فلسفة العصر الوسيط ، بينما كان روسلين من الإسميين (٢) .

(١) أنظر بحث انسيلم المعنون « الدلائل على وجود الله » وكذلك نبذة عن السبل نفسه فى كتاب كانتور ، Cantor, op. cit., pp. 208—210. Cf. also Coulton, Medieval Panorama, pp. 62, 64, 112, 125, 128 ff., 171 f., 265, 394, 637 ; Crump and Jacob, op. cit., pp. 235, 252, 368 ; Painter, op. cit., pp. 148, 467 ; Browne, British Latin Selections, p. 36 ; Bloch, op. cit., vol. I, pp. 103, 108.

وللمزيد من المعلومات عن القديس انسيلم وسيرته وحياته ومؤلفاته افسلفية واللاهوتية ، أنظر حسن حنفى حسنين : نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط (الاسكندرية ١٩٦٩) ، ص ١٠٣—١٧٧ ؛ بدوى : فلسفة العصور الوسطى ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) أشار شارل هومر هامسكنز إلى ذلك فى مؤلفه عن نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، الذى قُنا بترجمته إلى العربية فى القسم الثانى من هذا المجلد ، وللمزيد من المعلومات عن الإسمية والواقعية وعن وجهتى نظر الإسميين والواقعيين وكذلك مشكلة السكليات فى العصور

وإلى جانب هؤلاء يوجد مفكر آخر أسهم بنصيب وافر في نهضة القرن الثاني عشر ، وهو جون أوف ساليسبورى (حوالى ١١١٥ - ١١٨٠م) أسقف مدينة شارتر ، ومن أشهر تلامذة الفيلسوف بطرس ابيلارد . وهو من مدينة شارتر الفرنسية التى كانت مدرستها وقتذاك أعظم مركز لتدريس العلوم الإنسانية في القرن الثاني عشر . وفيها وصلت تلك الدراسات ذروتها في شخص ساليسبورى . وكانت ثقافته الكلاسيكية ومعرفته الواسعة بالكتاب اللاتين القدامى ، تسمح له بالرجوع إليهم والإفادة من إنتاجهم . وليس هناك من هو أحق من جون من علماء ذلك العصر بأن يحمل لقب « عالم في الدراسات الإنسانية » . وقد اختتم حياته باعتباره أسقفا على شارتر حيث تلقى تعليمه ودراسه ، وترك عددا من البحوث والمؤلفات التى ضمنها آراءه وأفكاره (١) .

والخلاصة أن هؤلاء المفكرين وغيرهم أسهموا بنصيب واضح في الربط بين

==الوسطى ، أنظر بدوى : فلسفة العصور الوسطى ، ص ٦١ - ٦٤ ، وكذلك Stone, D., France in the Sixteenth Century (New Jersey, 1969), p. 15 f. ; Wallon, H., Saint Louis (Tours, 1879), p. 350.

(١) حول جون أوف ساليسبورى وسيرته وأفكاره ، أنظر المراجع التالية : LaMonte, op cit., pp. 558 — 559, 565, 577, 733 ; Lewis, E., Medieval Political Ideas, vol. I (London, 1954), pp. 147, 169, 170-172, 197 f., 225, 246 f., 249, 276 f. ; Figgis, J. N., Political Thought from Gerson to Grotius (New York, 1960), p. 193 ; Heer, op cit., pp. 78-79, 90-92 ; Sabine, op. cit., pp. 216-217 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 394 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 150, 164, 238, 263, 506, 515 f. ; Painter, op. cit., pp. 303, 447 f., 465, 467 ; Browne, op. cit., p. 57 f.

الأفكار والمبادئ التي أعلنوها ونادوا بها وبين النظريات المتعلقة بعلم اللاهوت . وقد ترك بطرس ابيلارد ، بصفة خاصة ، أثرا عميقا في الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وبلغت الحركة المدرسية في أيامه مرحلة الارتباط بالحركة الجامعية الناشئة . وبالرغم من أن أولى الجامعات الأوروبية لم تظهر إلا بعد مرور جيل تقريبا من وفاة ابيلارد ، فقد كان هذا الفيلسوف صاحب الفضل الأول في بعث ولإثارة موجة من النشاط الفكرى والعقلى ، وهى التى هيات الجو — إلى جانب عوامل أخرى — لظهور جامعة باريس فيما بعد . ذلك أن ابيلارد بحث في كتابه المعنون « نعم ولا » ، الذى أشرنا اليه من قبل ، عددا من المسائل اللاهوتية بطريقة جدلية فلسفية . وأصبح هذا المنهج نموذجا لمن جاء بعده من اللاهوتيين والفلاسفة ، مثل بطرس اللباردى ، فى تنفيذ آراء معارضيه ودحضها . وهكذا غدت طريقة السؤال والجواب هى الطريقة المثلّية فى التدريس بالجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى . كذلك كان ابيلارد هو الرجل الذى استهل الحركة الجامعية فى أوروبا الغربية . ذلك أن المدارس الديرية بعد أن أغلقت أبوابها فى وجه الطلاب العلمانيين بعد حركة انسيلم المعروفة ، اتجه هؤلاء الطلاب إلى المدارس الكاتدرائية ، وكانت هذه المدارس أكثر ميلا نحو الطابع العلمانى . وكانت مدرسة كاتدرائية باريس التى قام ابيلارد بالتدريس فيها هى النواة التى انبثقت منها أولى الجامعات فى الغرب ألا وهى جامعة باريس (١) .

وشاءت الظروف أن صاحب شهرة بطرس ابيلارد العلمية فى باريس ارتفع شأن هذه المدينة فى الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فأصبحت كعبة لطلاب العلم يحجّون إليها من مختلف بلاد الغرب لفترة غير قصيرة من الزمن . واستمرت

(١) سنعبر إلى ذلك فى شيء من التفصيل فى الفصل التالى .

تمتع بهذا المركز العلمى الممتاز الذى أرسى أسسه ووضع لبناته الأولى ايبيلارد، إلى أن ظهرت مجموعة أخرى من الجامعات الأوروبية ، وعندئذ بدأ الضغط يخفف بعض الشيء عن باريس وجامعتها (١) .

هكذا ارتبطت الدراسات الفلسفية واللاهوتية والدينية بقيام جامعة باريس نتيجة لظروف خاصة أحاطت بالحركة الفكرية فى فرنسا . أما الدراسات القانونية فقد كان مسرحها — بطبيعة الحال — إيطاليا مهد الحضارة الرومانية القديمة والتعليم الرومانى القديم اللذين لم يندثرا طوال العصور المظلمة . وإذا كان التعليم فى فرنسا قد أصبح حكرا على المدارس التابعة للتؤسسات الدينية ، فإنه لم يكن كذلك فى إيطاليا . فقد وجد فى الشمال الإيטالى كثير من الأساتذة العلمانيين الذين لا يمتون إلى الدين بصلة والذين لا يخضعون للكنيسة وسلطانها ورقابتها . كما درج النبلاء هناك على تزويد أبنائهم بقسط من التعليم خروجاً عن القاعدة المنبذة فى بقية أجزاء الغرب . ولهذا الأسباب كان جمهور المتعلمين فى إيطاليا من العلمانيين ، بعكس الحال فى البلاد الواقعة شمال جبال الألب حيث كان العلم مقصوراً على رجال الدين ، وبخاصة فى كل من فرنسا وألمانيا والمجملترا .

وكان طبيعياً كذلك أن يصحب الاختلاف والتباين الفكرى بين شمال أوروبا وجنوبها ، اختلاف وتباين فى مواد الدراسة بينهما . فبينما وجهت البلاد الواقعة شمال الألب اهتمامها إلى الجدل والمنطق والمشاكل المتعلقة بعلم اللاهوت ، اهتمت إيطاليا بالنحو والبلاغة والقانون . وكان لذلك فوائده فيما يتعلق بصياغة الوثائق والمستندات الرسمية وإعداد الفرد للعمل بالحماماة أو كتابة الدعاوى والعرائض .

Poole, From Domesday Book to Magna Carta, p. 232. (١)

وقد استخدموا المنطق لخدمة الدراسات القانونية . كل هذا جعل الإيطاليين يقبلون على دراسة القوانين والرجوع إلى تراثهم القديم . وترتبت على ذلك حركة بحث وإحياء للدراسات القانونية ارتبطت أول ما ارتبطت باسم المشرع ارنريوس Irnerius ومدرسة بولونيا . ولقد ظلت المدرسة الرومانية القديمة قائمة في إيطاليا ، وبخاصة في السهول الشمالية . ولهذا السبب ظل القانون الروماني هو الآخر حياً لم يندثر كلية طوال العصور المظلمة إلى أن قامت نهضة القرن الثاني عشر لتعمل على إحياء هذه الدراسات وتلك المدرسة ، في نفس الوقت الذي قامت فيه المدن في الغرب بنشاطها التجاري والصناعي على أنقاض الإقطاع وحضارته ، تدافع عن استقلالها ضد سيادة الامبراطورية الرومانية المقدسة (١).

ولا يعني هذا أن الناحية الروحية كانت أمراً مذهبياً تماماً في إيطاليا وجنوب الألب ، فقد ظهرت واضحة تماماً في الصراع العنيف بين البابوية والإمبراطورية خلال القرون الحادى عشر والثاني عشر والثالث عشر حول المسائل العلمانية والأمور الدنيوية ، وما ثار حوله من آراء ونظريات ومجادلات فقهية كان لها دويها وقتذاك (٢).

(١) Coulton, Medieval Panorama, p. 386 ; Painter, op. cit., p. 469 ; Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, p. 619. أنظر أيضاً سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ١٩ وما بعدها ؛ هارتمان وباراكلاف : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) فيما يتعلق بالصراع العلماني والنظريات التي قامت حوله ، أنظر هارتمان وباراكلاف : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٤٨ — ٦٢ والحواشي و ٢١٨ — ٢٢٤ : كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، =

وهكذا أدت الظروف إلى وجود نهضة قانونية كبرى في إيطاليا ارتبطت في التاريخ باسم المشرع ارنريوس ومدرسة بولونيا للقانون^(١) التي كانت قائمة بالفعل قبل عصره . وقد اشتهرت بدراساتها الأدبية والقانونية حتى لقد اجتذبت إليها من وراء جبال الألب عدداً غير قليل من طلاب العلم الذين كانت تستهويهم مثل هذه الدراسات . وأدت شهرة ارنريوس ومحاضراته في القانون الروماني إلى ذيوع صيت مدينة بولونيا ومدرستها في كافة أنحاء أوروبا ، بالإضافة إلى عوامل أخرى من بينها موقع بولونيا الجغرافي الممتاز ك مركز حيوي لالتقاء الطلاب الوافدين من البلاد الواقعة شمال جبال الألب وجنوبها على السواء (٢) .

وهنا يجب أن نعرف أن مدرسة بولونيا لم تكن شب شهرتها بين يوم وليلة ، فقد مرت بعدة مراحل إلى أن أصبحت كبرى مدارس القانون في إيطاليا . ومن ذلك الاهتمام الكبير بموسوعة جستنيان المعروفة باسم مجموعة القوانين المدنية^(٣)

== س ٢٦ وما بعدها ؛ سعيد عاشور : أوروبا المصور الوسطى ، ج ١ (القاهرة : ١٩٥٨) ، س ٢٥٩ وما بعدها ، وج ٢ (القاهرة : ١٩٥٩) ، س ١٨٤ وما بعدها ؛ سعيد عاشور ومحمد أنيس : النهضة الأوروبية في المصور الوسطى وبداية الحديثة ، س ٢٠٠ وما بعدها ؛ سباين (ج) : تطور الفكر السياسي - ترجمة حسن جلال العروسي - ج ٢ (القاهرة : ١٩٦٤) ، س ٣٢٠ وما بعدها ؛ وهيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في المصور الوسطى (القاهرة : ١٩٦٢) ، س ١١ وما بعدها .

(١) حول المشرع ارنريوس ومدرسة بولونيا ، أنظر Grump & Jacob, op. cit., pp. 259, 367; Kitchin, A History of France, vol. I, p. 296; Painter, op. cit., p. 469 ; LaMonte, op. cit., pp. 572, 575.

(٢) أنظر سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية ، س ٢٨ .

(٣) حول هذه الموسوعة أنظر المراجع التالية : Runciman, S., Byzantine

Corpus Juris Civilis ، ثم القيام بدراسة مصادر القانون ، ثم دراسة القانون في حد ذاته كعلم مستقل له كيانه بعد أن اتسعت دائرته وبعد أن أصبح له أساتذته وطلابه المنقطعون له .^(١) وقد كشف المؤرخ شارل هومر هاسكنز عن ذلك بوضوح في كتابه عن نشأة الجامعات^(٢) .

وإذا كان ارنريوس قد اهتم بإحياء القانون الروماني ، فقد وجه زميلان له هما المشرعان السكسنيان جراسيان Gratian^(٣) وهوجاشيو Hugaccio^(٤) ،

Civilisation (London, 1948), pp. 74-75 ; Barker, E. (ed.), Social and Political Thought in Byzantium (Oxford, 1957), pp. 75-76 ; Ostrogorsky, G., History of The Byzantine State (Oxford, 1956), pp. 51-52, 69-70.

راجع أيضا هارتمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢١٩ ح ٢ .

Cf. Katz, Decline of Rome, pp. 142-143. (١)

(٢) أشار هاسكنز إلى هذه التطورات عند حديثه عن بولونيا ومدرستها القانونية في الفصل الأول من مؤلفه اقدمنا بترجمته في القسم الثاني من هذا المجلد .

(٣) حول الراهب جراسيان ومرسومه ، أنظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٠ و ٢٥٠ - ٢٥١ . راجع أيضا : Goff, op. cit., p. 427 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 29, 272, 332 338, 615, 623 ; Crump and Jacob, op. cit., pp. 52, 57, 326, 344. 348, 351, 527 ; Kitchin, op. cit., vol. I, p. 296 ; Painter, op. cit., pp. 138, 268, 302.

(٤) وأما عن المشرع الكنسي هوجاشيو (ت ١٢١٠ م) اقدم ترك أعمى الأثر على الفكر والقانون الكنسي في زمانه ، أنظر هارتمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٤١ ح ٣ . راجع أيضا : Crump &

عنايتهما إلى إحياء القانون الكنسى ، ويكتسب مرسوم جراشيان المعروف باسم Decretum الذى أصدره فى منتصف القرن الثانى عشر أهمية خاصة . فهو لم يصدر فى شكل مجموعة قانونية بالمعنى المقنوم ، وإنما فى شكل مرجع للطلاب امتاز بطابعه المدرسى . وكان هذا المرسوم — بطبيعة الحال — سنداً للبابوية فى صراعها العلمانى مع الإمبراطورية . ونجد فى مؤلف جراشيان المراسيم البابوية مرتبة حسب الموضوع ، وذلك على غرار القانون المدنى . وقد أضاف جراشيان إليها بعض التعليقات التى قصد من ورائها التنسيق بين المواد للعديدة المتناقضة أو المتعارضة . وعلى الرغم من أن البابوات لم ينشروا هذا الكتاب بصفة رسمية ، إلا أنه كان من أوائل الكتب التى أفادوا منها فائدة كبرى ، وبخاصة فى صراعهم ضد القوى العلمانية (١) .

وعلى هذا إذا كان لارنريوس الفضل فى الفصل بين دراسة القانون والفنون الأخرى ليجعل منه علماً مستقلاً قائماً بذاته ، كذلك كان لجراشيان وزميله هوجاشيو الفضل فى الفصل بين القانون الكنسى وعلم اللاهوت . ولهذا دلالة البالغة وأهميته الكبرى فى تطور النظام الجامعى فى بولونيا بعد أن تضافرت جهود أساتذتها من علمانيين وكهنيين على السواء للنهوض بمدرستها لتصبح بعد ذلك التاريخ بفترة وجيزة إحدى جامعتين رئيسيتين مع بداية الحركة الجامعية فى

Jacob, op. cit., pp. 327, 337, 352, 353, 356 ; Lewis, op. cit.,= vol. II, pp. 390, 526.

(١) كولون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

أنظر أيضاً Haskins, C. H., The Renaissance of the Twelfth Century (Cambridge, 1928), p. 215 ; Rashdall, H., Universities of Europe in the Middle Ages, (Oxford, 1936), vol. I, p. 127.

الغرب ، هما جامعة بولونيا في إيطاليا وجامعة باريس في فرنسا ، اللتين وضعنا
أساس الحياة الجامعية والتعليم الجامعي في الغرب الأوروبي في أواخر العصور
الوسطى .

نستخلص مما سبق أنه نشأ عن احتكاك الفكر بين عنصرين متباينين من
المفكرين في القرن الثاني عشر ، يقظة شعوب الغرب بعد سبات طويل عاشت في
كنفه ، الأمر الذي أسهم في بعث النهضة العلمية والفكرية الهائلة التي عمت مدارس
الغرب . وقد انعكست هذه النهضة على النشاط الأدبي والدراسات الأدبية التي
احتلت جانبا بارزا فيها . فتم الرجوع إلى التراث الكلاسيكي القديم ، أو بالأحرى
ماتبقى منه ، وبخاصة الأدب ، والعمل على إحيائه بالرغم من الضعف الذي أصابه
في القرون السابقة . وبدأت هذه الحركة في مدينة ريمز للفرنسية على يد شخص
يدعى جربرت الريمي Gerbert of Rheims الذي يعتبر الممثل الحقيقي للثقافة
اللاتينية قبل عصر الفلسفة المدرسية والفكر الحر . وتكشف رسائله عن اهتمامه
بالكتابة في العديد من الموضوعات ، فضلا عن تعمقه في الفلسفة وعلم البيان . كما
أنها تلقى ضوءا كافيا على هذا العصر وأبرز سماته وخصائصه . ويتضح اهتمام
جربرت بأمور العلم والتعليم من مراسلاته العديدة ، وبصفة عامة من طلب
تزويده بكتب ومراجع معينة ، وكذلك من سعة اطلاعه واتساع دائرة
معارفه وقراءاته (١) .

وقد انتقلت هذه النهضة الأدبية من ريمز إلى مدينة شارتر الفرنسية على يد أحد
تلامذة جربرت وهو الأسقف فولبرت Fulbert (١٠١٠م) ، كما انتقلت إلى مدينة

Ker, op. cit., p. 198 ; cf. also Bloch op. cit., vol. I, (١)
p. 79.

تورز على يد أسقفها هيلدبرت Hildbert المتوفى سنة ١١٢٣ م ، والذي امتازت قصائده بسلامة أسلوبها وجمال تعبيرها ، وهو يعتبر من أعظم شعراء عصره ، إذ كتب في معظم فنون الشعر كالرثاء والمديح ، بالإضافة إلى الموضوعات الدينية المطروقة آنذاك (١) .

ومع ذلك فقد وجد في القرن الثاني عشر بعض المتزمتين من رجال الدين الذين نادوا بمحاربة الأدب الكلاسيكي القديم بحجة أنه مظهر من مظاهر الوثنية التي جاءت المسيحية لكي تقضى عليها ، مقننين في ذلك خطى البابا جريجوري العظيم . ولكن أمثال هؤلاء كانوا قلة في ذلك الحين ، ولم تؤثر أفكارهم الضيقة المحدودة على النهضة الجديدة التي انطلقت من عقائدها نتيجة الظروف والمؤثرات التي استجدت على مسرح الأحداث وقتذاك ، في عصر ساخط على كل ما هو قديم متعاش إلى كل ما هو جديد . وعلى هذا لم تكن هذه الفئة الرجعية خطرا على التراث الكلاسيكي الذي نادى أصحاب الفكر الحر بالرجوع إليه والإفادة منه . بل كانت دعوتهم صرخة في واد ذهب مع الريح دون أن يكون لها أي أثر . ذلك أنها لم تكن خطرا على المنادين بتحكيم العقل والمنطق في كل شيء ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور العقيدة فظهرت كتابات باللغة اللاتينية لها قيمتها ووزنها مثل رسائل الفيلسوف ابيلارد وجربرت الريمي وأشعار هيلدبرت التورى .

ولإذا انتقلنا إلى ميدان البلاغة نجد أن إنشاء الرسائل قد احتل المكانة الأولى في القرن الثاني عشر . إذ ازدهر فن تدوين الرسائل في كل من بولونيا وفرنسا ،

Cf. Coulton, Medieval Panorama, pp. 394, 411 et sqq. ; (١)
LaMonte, op. cit., p. 245 ; Bloch, op. cit., vol. I, pp. 65, 219,
228 ; Painter, op. cit., pp. 447 f., 467.

وقد كتبت بأسلوب نثرى لاتينى رفيع ، وبخاصة تلك التى ترجع إلى عهد الملك الفرنسى فيليب اوجسطس ، ويزيد من قيمة تلك الرسائل أنها تلقى الضوء على الأوضاع السائدة فى العصر الذى دومت فيه (١).

وأما عن الشعر اللاتينى فى القرن الثانى عشر ، فلم يكن أقل شأنًا من النثر . إذ بلغ — هو الآخر — درجة كبيرة من الوفرة وتنوع موضوعاته وقوة أسلوبه . وقد تأثر هذا الشعر الجديد بكل من الشعر الكلاسيكى من ناحية والطابع الدينى الذى أوحى به المسيحية من ناحية أخرى. ويبدو الأثر الرومانى القديم فى أشعار هيلدبرت ، بينما يتضح الطابع الدينى فى أشعار كل من ايلارد وماربود Marbode (١٠٣٥ — ١١٢٣ م) ، وفى مئات الفصائد التى تتناول الموضوعات الدينية البحتة مثل سير الرسل والقديسين والقصص المستوحاة من الكتاب المقدس (٢).

وكانت التراجم الدينية ، فى الواقع ، أنحصب أنواع الشعر فى تلك الفترة من الزمن . إذ أن طبيعة العصر كانت تشجع مثل هذا النوع من الشعر الذى كان يدور معظمه حول القصة الخالدة المتعلقة بالله والإنسان كما وردت فى الكتب المقدسة ، والتى قامت عليها فلسفة المسيحية . وكانت مثل هذه التراجم تترتل فى الكنائس فى أيام الآحاد والأعياد والمواسم الدينية ، وكان الناس يحفظونها عن ظهر قلب .

وإلى جانب هذا النوع من الشعر الدينى وجد أيضاً الشعر الغنائى أو الشعر الجولياردى، نسبة إلى شخصية غامضة ثار حولها الكثير من الجدل والخلاف بين

Haskins, The Renaissance of the Twelfth Century, (١)
p. 142 ff.

(٢) سعيد عاشور : أوروبا المصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

المؤرخين هي شخصية جولياس^(١) . وكان هذا الشعر يدور حول تمجيد البطولة وسير الأبطال ، ويدبر عن الطبيعة وجمالها وعن مختلف المواطن والمعاملات والأحاسيس الإنسانية من الحب والبغض والغيرة والسكره والأمل والألم وما إلى ذلك . وقد امتاز هذا النوع من الشعر بطابعه الديوى المرح الساخر الذى يدعو إلى التمتع بالحياة ومباهجها فى شتى صورها ومظاهرها . وهو يعتبر بمثابة رد فعل للمسيحية وفلسفتها التى حرمت على الفرد فى القرون المبكرة من العصر الوسيط مجرد التفكير فى الحياة الدنيا ومتعها وملذاتها . وكان من الطبيعى أن تعارض الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية مثل هذا الشعر الديوى المتعارض مع روح المسيحية فحاربته حرباً لا هوادة فيها ، وأنزلت أشد أنواع العقاب بأصحابه والداعين إليه . ولكن هؤلاء الشعراء الديويين ، ويبدو أن معظمهم كانوا من طلبة العلم الجاهلين ، لم يستكينوا ولم يسكتوا أو يستسلموا . بل اتخذوا من مفاصل الكنيسة ورجالها ، من رشوة أو سيمونية وزواج القسس وانغماس فى المسائل الديوية وانزلاق إلى الإقطاعية ، ومن بيع صكوك الغفران فى سوق البابوية وخروج على المثل والقيم التى تبنتها المسيحية — اتخذوا من كل هذه المفاصل وغيرها مادة خصبة لأشعارهم الغنائية الساخرة . فكانت هذه القصائد والأناشيد تعبر تعبيراً صادقاً عن روح العصر ، وعن تصميم الناس على الخروج على الكنيسة وتعاليمها بعد أن انحرفت هى نفسها عن التقاليد الأصلية للمسيحية . وكانت تعبر ، بحق أيضاً ، عن روح السخط والاستياء التى عمت الغرب من أقصاه إلى أقصاه . ولم يسلم البابا نفسه من سخرية أولئك الشعراء وتهكمهم عليه . وكان مثل هذا

(١) تعرض هاسكنز فى الفصل الثالث من كتابه « نشأة الجامعات » المترجم فى القسم الثانى من هذا المجلد ، لشعر الجولياردى والشعراء الجوليارديين وشخصية جولياس فى شيء من التفصيل والإسهاب والتحليل ،

الشعر الفكاهي الساخر يلقى الشيوخ والرواج في كل مكان في الغرب ، لأنه كان يعبر عن مسخط مكبوت وأمل في التجديد . ومن أبرز شعراء هذا النوع هيو ج أوف اورليانز الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر . وقد درس في باريس ثم قام بالتدريس فيها فيما بعد ، وتعمق في الدراسات الكلاسيكية ، وكان على معرفة بأوزان الشعر اللاتيني القديم مما ساعد على نبوغه في قرض الشعر الخفيف الذي تجلت فيه شخصيته ومواهبه ، والذي كشف بوضوح عن أوضاع عالم متغير . وأما الشاعر الجولياردى الثانى فهو مجهول الاسم وإن كان يطلق عليه «أركيوبيس» ، وتجهلى في أشعاره اللاتينية الروح الدنيوية الكلاسيكية (١).

مخلص مما سبق أن نهضة القرن الثانى عشر كانت نهضة حقيقية لا يمكن إغفالها أو التهمين من شأنها ، وقد شملت كافة النواحي والأنشطة والمجالات ، وعلى رأسها أمور العلم والتعليم ، وقد سبقتها عوامل وظروف عديدة متعددة هيأت الجو لظهورها وأوجدت تربة خصبة لنورها وازدهارها ، ترجع جذورها إلى أواخر القرن الثامن وبدايات القرن التاسع أيام الإمبراطور شارل العظيم ، بل وقبل ذلك أيام النهضة الإيرلندية في القرن الثامن . كما ترتبت عليها نتائج وآثار لها أهميتها البالغة فيما يتعلق بنشأة الجامعات التى تعتبر من نتاج العصور الوسطى والى تخرج من بين جدرانها الشباب المثقف ، مما ساعد على ظهور عصر النهضة الذى يعتبر مرحلة فاصلة بين التاريخ الوسيط بفاسفته ومثله وأفكاره ومبادئه وبين العصر الحديث بمدينته العملاقة الزاهرة .

Painter, op. cit., p. 447 f.; Bloch, op. cit., vol. I, (١)

p. 104. راجع أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ —
٢٤٥ . وقد تعرض هاسكوتز لهذه الناحية في شئ . من التفصيل والتحليل في الفصل الثالث
من مؤلفه المترجم في القسم الثانى . من هذا المجلد ، والذي تناول فيه حياة الطلبة في العصور
الوسطى .

الفصل الرابع

جامعة العصور الوسطى

المراحل التي مرت بها ، ونشأتها ، وانتشارها

- الجامعة بمفهومها الحديث من نتائج العصور الوسطى .
- المراحل الرئيسية التي مرت بها الجامعة إلى أن اكتملت شخصيتها :
 - أ — تأسيس المدارس العامة الملحقة بالمؤسسات الدينية .
 - ب — قيام المعاهد العلمية .
 - ج — إنشاء اتحادات الطلاب .
 - د — الاعتراف الرسمي بالكيان الجامعي من قبل السلطات الدينية والديوية على السواء .
- أهم المراكز العلمية الجامعية في القرن الثاني عشر :
 - أ — جامعة باريس .
 - ب — جامعة بولونيا .
- جامعات القرن الثالث عشر والقرون التالية له .
- الجامعة المعنوية قامت في العصور الوسطى قبل الجامعة المادية .

لا خلاف أن تأسيس الجامعة بمعناها المعروف في كل العصور يعتبر — حسباً — أوضح كل من هاسكنز ولا مونت وغيرهما من المؤرخين المعنيين بهذه الناحية — من أهم الآثار الفكرية التي أنتجتها العصور الوسطى في دوائر العلم والتعليم . إذ ليس هناك فيما سبق في التاريخ القديم أيام اليونان والرومان القدماء ما يدل على وجود مثل هذه الفكرة الجامعية التي عرفت لأول مرة في القرون الوسطى . بل إن التاريخ القديم بكل ما وصل إليه من التقدم والازدهار وما حققه من الرقي في شتى نواحي الحضارة الفكرية لم يكن فيه جامعة واحدة بالمعنى الذي نفهمه (١) . وقد أصبحت تلك الجامعات مراكز علمية تفيض بالحياة والنشاط والحركة الدائبة ، كما غدت أمراً مشيراً للدهشة والإعجاب في ذات الوقت . إذ اجتذبت إليها الطلاب من كل مكان في الغرب الأوروبي ، وكان من بين أساتذتها أكثر رجال العصر مقدرة وألمعية وكفاءة (٢) .

-
- (١) LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 567 ;
Haskins, C. H., The Rise of Universities (New York, 1960), p. 1.
أنظر أيضاً الفصل الأول من مؤلف هاسكنز سالف الذكر وعنوانه « الجامعات المبكرة » المترجم في القسم الثاني من هذا المجلد . وهنا يجب أن نذكر أن الجامع الأزهر كان يعتبر من أقدم الجامعات التي ظهرت في أواخر العصر الوسيط سواء في المشرق أو الغرب . وقد أسسه القائد جوهر الصقل عام ٩٧٢ م ، وكان لهذا الحدث أهميته البالغة ليس في مصر فحسب وإنما في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وقد أوقف عليه الخلفاء الفاطميون المتعاقبون وبخاصة العزيز الهبات والمعطاي . وأخذ الجامع الأزهر صفته الجامعية الواضحة بعد اكتمالها للمدينة بغداد سنة ١٢٥٨ م بصفة خاصة . أنظر Glanville, S.B.K.
(ed.), The Legacy of Egypt, p. 351.
للزبد من المعلومات عن الأزهر
كجامعة علمية ، أنظر Atiya, A. S., Crusade, Commerce and Culture
(Bloomington, 1962), pp. 244 - 246 ; Dodge, B., Al-Azhar - A
Millenium of Muslim Learning, Princeton, 1961 ; Mahmud, S.F.,
The Story of Islam (Karachi, 1959), p. 307.
Cf. Sabine, History of Political Theory, p. 215. (٢)

وعلى هذا يمكن القول إن الجامعات بشكلا ونظمها التي وصلت إلينا عبر القرون الطويلة تعتبر من مخلفات العصر الوسيط ومآثره، وهي تعتبر — بحق — عن روح ذلك العصر الذي نشأت في ثمناياه وترعرعت بين أحضانها. وكان يطلق عليها في العصور الوسطى الاسم اللاتيني Studium generale (١)، أى المدرسة العامة، بمعنى أنها كانت المكان العام الذي يستقبل طلاب العلم الوافدين إليه من جميع الجهات حيث يتلقون قسطاً من الدراسات العليا في مختلف فروع المعرفة على أيدي أساتذة مختصين أكفاء. وقد شاع لفظ «المدرسة العامة» عند مستهل القرن الثالث عشر، وهو الذي يعبر عن الجامعة في معناها الحديث. وهي بذلك تختلف اختلافاً واضحاً عن تلك المدارس المحلية المحدودة الضيقة التي أشرنا إليها من قبل مثل المدارس التابعة للمؤسسات الدينية بمختلف أنواعها ومدارس القصور والفروسية.

وغنى عن القول إن هذه الجامعات لم تكن وليدة يوم وليلة، ولم تنشأ طرفة واحدة في محيط العلم والتربية والتعليم، شأنها في ذلك شأن أى ظاهرة من ظواهر التاريخ أو أى حركة من حركاته. إنما كانت نتيجة طبيعية ومنطقية لعدة عوامل وظروف ترجع إلى قرون طويلة سابقة، إلى أن انتهى الأمر بفرس النواة الجامعية بمعناها المألوف. وقد بدأت هذه النواة صغيرة متواضعة في أول الأمر يكاد لا يحس بها أحد، ولكنها أخذت تنمو نموًا تدريجياً بطيئاً مستمراً، وكان من حسن حظها أن وجدت تربة صالحة ومناخاً ملائماً لنموها إلى أن شبت

(١) Grump & Jacob, *Legacy of the Middle Ages*, p. 259; Coulton, *Medieval Panorama*, p. 394; Baldwin, *Medieval Church*, pp. 68, 69; LaMonte, op. cit., p. 569; Bailly, A., *Saint Louis* (Paris, 1949), p. 223; Moreau, E. de, *Histoire de l'Eglise* (Paris, 1931), p. 154. أنظر أيضاً سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج ٢، ص ١٢٨ - ١٢٩.

وترعرعت ، ثم تضجعت واكتملت شخصيتها بمختلف كلياتها ومناهجها وأساتذتها وطلابها ونظمتها وأنظمتها .

ولإذا رجعنا إلى الوراء ، وألقينا نظرة فاحصة مدققة إلى تطور الحركة الفكرية والعلمية التي أثمرت بنشأة الجامعات ، يمكن القول بأن الجامعات قد مرت بعدة مراحل رئيسية مميزة إلى أن وصلت إلى طور النضج والكمال^(١).

تقع المرحلة الأولى من تاريخ نشأة الجامعات في المدارس العامة الملحقة بالمؤسسات الدينية من كنائس وأديرة وكاتدرائيات وأبروشيات .^(٢) فقد كانت هذه المؤسسات هي المشعل الذي أضاء ظلمات القرون الأولى من العصور الوسطى ، وارتبطت بها حركات الإصلاح الدينية العديدة التي ظهرت في أوروبا من وقت لآخر ، وأصبحت بحكم مركزها وظروف التي أحاطت بنشأتها المهيمنة على التعليم منذ البداية ، كما أصبحت معاهد العلم من ملحقاتها فترة غير قصيرة من الزمن.^(٣) وكان من الطبيعي أن يرتبط تأسيس مثل هذه المدارس المبكرة بالدين ، فلم يكن الغرض الأصلي منها هو إعداد أفراد الشعب لمواجهة مطالب الحياة الدنيا أو العمل في الوظائف الحكومية ، وإنما كان — أولاً وقبل كل شيء — وسيلة لإعداد الصغار لكي يصبحوا قساوسة فيما بعد ويخدمون في السلك الكنسي . ولذلك أصبح التعليم في تلك المدارس منحصرًا ، أساسًا ، في تفهم الدين وتلاوة الصلوات وقراءة الكتب المقدسة والقيام بالطقوس الدينية والخدمات الشعائرية الكنسية . وكان

Baldwin, op. cit., p. 70. (١)

Grump & Jacob, op. cit., p.259; Poole, op. cit., p.252. (٢)

وللمزيد من المعلومات عن النظام الأبرشي في المجتمع الغربي الوسيط ، أنظر كواتون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٠٣ وما بعدها .

(٣) أنظر كواتون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٩٩ - ١٠١ .

الأساقفة ورؤساء الأسقفية ومقدمو الأديرة بحكم مراكزهم هم نظار هذه المدارس ومديرها بل ومؤسسيها (١).

وكان من الطبيعي أيضا أن ترتبط مناهج الدراسة في تلك المدارس بما يحتاج إليه الطالب لتفهم العلوم اللاهوتية والقيام في النهاية بواجبه كرجل من رجال الدين . ولذلك كانت الأجرومية وقواعد اللغة اللاتينية هي أولى المواد وأهمها ، وقد اعتنى المعلمون بتدريسها لطلابهم . وتأتى بعد ذلك العلوم الكلامية والمقصود بها المنطق والجدل ، والهدف الرئيسى من تدريسها إقناع الخارجين على الدين والرد المقتنع على الهرطقة والوثنيين . ثم تأتى قواعد الحساب والفلسفة لتحديد أيام الأعياد والتدريسين . وكان للتبليذ يتلقى أحيانا دروسا في فن الموسيقى وقواعد الغناء حتى يتمكن من أداء الترانيم الكنسية . ويحجب أن تفهم أن كل هذه المواد كانت مجرد أداة لتفهم الدين فحسب ، وإن كانت قد ساعدت فيما بعد وبطريق غير مباشر على تطور الفكر البشرى وتحرره من القيود التي عاش أسيرها والتي فرضتها الكنيسة عليه لعدة قرون .

والواقع أن هذا التفكير يرجع إلى أقدم القرون في العصور الوسطى . إذ عبر عن ذلك في القرن الرابع الميلادى القديس أوغسطين أوف هيبو ، وردد صدى هذا القول في القرن الثالث عشر القديس بونافنتورا St. Bonaventura بقوله : « لأنه بدون درسى مختلف العلوم دراسة عليية لا يكون من المستطاع فهم الكتب المقدسة . » (٢)

Coulton, Medieval Panorama, p. 385 ; Funck-Brentano, (١)
F., Le Moyen Age (Paris, 1922), p. 101. أنظر أيضا كرامب
وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .
Cf. Grump & Jacob, op. cit., p. 256. (٢)

أنظر أيضا ما سبق ، ص ٤٠ من هذا الكتاب .

وكان من الطبيعي أن يشجع كبار رجال الدين في الكنيسة اللاتينية وعلى رأسهم البابوات مثل هذه المدارس التي أنشئت لتثقيف الطلاب ثقافة دينية بحجة تخدم أولا وأخيرا أهداف الدين المسيحي . كذلك لقيت الكثير من عناية العلمانيين من الحكام والملوك والاباطرة منذ أيام الإمبراطور شارلمان الذي أمر بتأسيس مدرسة بكل دير ، وأباح التعليم للجميع في تلك المدارس لمن يرغب فيه وبدون مقابل . وكان يحث رؤساء الأديرة وعامة رجال الدين في رسائل حفظها لنا الزمن من الضياع على الاهتمام بأمور العلم والتعليم ، وعلى تثقيف أنفسهم ودراسة اللغة اللاتينية وأجروميتها حتى يمكنهم أداء الخدمات الدينية بها وتلاوة الكتب المقدسة والقيام بالوعظ بأسلوب سليم خال من الشوائب والأخطاء (١) .

كان هذا في أوائل القرن التاسع الميلادي ، وفي أخريات ذلك القرن نهج الملك الفريد السكسوني نهج شارل العظيم مقتفيا خطاه ؛ وأرسلت مراكز الإشعاع الثقافي بأشعتها من غالة إلى الجزيرة البريطانية لتنتشر في باقي أجزاء القارة . ومع الزمن ازدادت هذه المدارس الدينية عددا ، وازدهر بعضها ورجحت كفتها على غيرها من المدارس بسبب ظهور أساتذة مبرزين فيها بما دفع طلاب العلم على الإقبال عليها من كل مكان في الغرب لتلقى العلم على أساتذتها والإفادة منهم . ولكن إذا كانت بعض هذه المدارس قد ذاع صيتها واتسع نطاقها وعظم شأنها ، فقد تدهورت بعض المدارس الأخرى التي لم يتيسر لها الوقوف على قدميها لأسباب متعددة

(١) أنظر الترجمة العربية لخطابي شارلمان إلى رؤساء الأديرة ورجال الدين في دولته في الملاحق الأول والثاني بآخر القسم الأول من هذا المجلد ، راجع أيضا ، ما سبق ، ص ٦٤-٦٥ من هذا القسم .

من بينها وجود أساتذة خاملين بها ، وانتهى الأمر بها إلى الزوال (١).

وهكذا ، أعقب تأسيس المدارس في الأديرة وغيرها من المؤسسات التابعة للجهاز الكنسي البابوي في الغرب ، ازدهار بعض تلك المدارس ونموها في المرحلة الثانية حيث تحولت إلى معاهد علمية كبيرة بفضل أساتذتها الذين كانوا يحاضرون بها . فكلما ارتفعت مكانة الأساتذة من الناحية العلمية ، كلما ارتفع شأن المعهد الذي يدرسون فيه ، وكلما ازداد إقبال الطلاب عليه من كل حدب وصوب . ونجد مثلاً حياً لذلك في عهد الفيلسوف بطرس ابيلارد صاحب فلسفة الشك والتشكك الشهيرة ، حينما أخذ يحاضر ويجادل في باريس ، وقام القديس برنارد أوف كايروف بتفنيد آرائه وتعاليمه ومقارنته بالحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والدليل بالدليل ، فأثاراً جدلاً علمياً رائعاً ، وحركة فكرية نشطة ، وهرع إليهما آلاف الطلاب من الممالك المجاورة يستمعون إليهما ويستفيدون منهما وينهجون نهجها ، وهو أمر لم تألفه باريس من قبل . وهكذا أخذ الإقبال يتزايد على تلك المعاهد لتلقى العلم والتزود به ، واتضح ذلك بصفة خاصة خلال القرن الثاني عشر الذي ارتبط بقيام النهضة الفكرية الأولى ، والذي بدأت الجامعات الأولى تظهر في النصف الثاني منه ظهوراً جلياً واضحاً (٢) .

(١) Goff, La Civilisation de l'Occident Médiéval, p. 113 ;
Coulton, Medieval Panorama, pp. 385, ff., 393 f. ; Baldwin, op. cit., p. 68 ; LaMonte, op. cit., p. 567 ; Brinton & Others, A History of Civilization, vol. I, p. 305. أنظر أيضاً سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٣١ وما بعدها ؛ كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٢ و ٣٦٦ .
(٢) Coulton, Medieval Panorama, p. 394. أنظر أيضاً كرامب =

وكانت النتيجة أن عدد الطلبة أخذ يزداد في تلك المعاهد زيادة مطردة ، حتى أنهم بلغوا الآلاف المؤلفة في باريس وحدها التي كانوا يأتون إليها من كل مكان لتلقى العلم في مراكزه المعروفة وقتذاك . وإزاء ذلك ، وحتى يضمنوا لأنفسهم سبل الأمن والسلامة والاستقرار في هذه المراكز العلمية الجديدة البعيدة عن بلادهم وأوطانهم ، قرروا أن ينشئوا فيما بينهم اتحاداً unit أو نقابة guild ، على نسق ما كان جارياً في العصور الوسطى بين طوائف التجار والعمال والصناع . والهدف أن يكون هذا الاتحاد — كما يفهم من اسمه ومدلوله — بمثابة شخصية معنوية تنظر في مشاكلهم وترعى شئونهم ومصالحهم الخاصة والعامة ، وتستهدف أمنهم وسلامتهم وتحررهم من وسائل الضغط التي قد يتعرضون لها وهم في مراكز إقامتهم الجديدة ، حتى يتسنى لهم مواصلة الاشتغال بالعلم والتعليم في يسر واطمئنان لا يشغل بالهم شيء ولا يعوقهم عن مواصلة دراستهم عائق . ولقد ظل هذا النظام مائماً في بادئ الأمر . ولكن كلما لقي طلاب العلم مضايقات داخل المدينة التي ينقلون فيها العلم ، رحلوا عنها جماعة ، ولم تكن هناك عقبات تحول دون رحيلهم ، فلم تكن ثمة مبان يرتبطون بها أو تشدهم إليها (١) . والحقيقة أنه ثارت مشاكل عديدة في وجوه أولئك الطلاب الغرباء الذين تركوا ديارهم ليلتحقوا بتلك المعاهد النائية ، من بينها تهينة وسائل وسبل الراحة لهم من حيث المأوى والمأكل ، والحيولة دون استغلال المدينة التي يقيمون فيها لهم فيما يتعلق بإيجارات المساكن وأسعار اللوازم والحاجيات الضرورية وما إلى ذلك . وقد

== وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٧ — أظفر خريطة
 « المراكز الفكرية في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر » ، بآخر القسم الأول من
 هذا الكتاب .

استدعى كل هذا إيجاد تلك الرابطة التي تجمع بينهم وتعمل على تأمينهم وحمايتهم من الاستغلال والمضايقات وتتولى شئونهم وترعاها (١) . وقد اتخذت خطوة أخرى في هذا السبيل عندما افتتح بعض المدرسين نزلا للباوى والمساكن لم يكن يسمح للإقامة بها سوى للطلبة المغتربين ، بينما أقيمت نزل لصالح المدقعين في الفقر كان ينفق عليها من الإعانات الخيرية الخاصة (٢) .

وجاءت بعد ذلك المرحلة الرابعة والأخيرة في تكوين الجامعات ، وتنمشل في الاعتراف الرسمي بشخصيتها وكيانها من جانب السلطات الدينية والدنيوية على السواء . وبذلك أصبح للجامعة من الحقوق الخاصة بها باعتبارها وحدة مستقلة لها كيانها ومقوماتها ما يضمن لها سلطة تنظيم أمور العلم والتعليم فيها ، ومنح الدرجات العلمية ، وتحديد المناهج والمقررات وما إلى ذلك مما يضمن لخصمبها حق مواولة مهنة التدريس ، إما بالدخول في السلك الكنسى أو بالانضمام إلى

-
- (١) Coulton, Medieval Panorama, p. 394 f. ; Baldwin, op. cit., p. 568. أنظر أيضا كتاب كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٧ وما بعدها .
- (٢) Grump & Jacob, op. cit., p. 259. وجدير بالذكر أنه كان يطلق على هذه النزل اسم Colleges ، أى بيوت الطلبة ، وهى عبارة عن دور تعيش فيها مجموعة من الطلبة في مجتمع خاص بهم ، وقد غدت الوحدة الرئيسية لمعسر الطلاب . وكان نشأة هذا النظام في باريس ، وانتقل منها إلى أكسفورد وكامبريدج ، ولا يزال يعتبر من السمات المميزة للنظام الانجليزى . وأقدم هذه البيوتات كان يعرف باسم Dixhuit ، وقد تأسس في باريس عام ١١٨٠ م ، وكان يحوى على ثمانية عشر سريرا خصصت لطلبة المعوزين . وبعد ذلك مرغان ما استقل الطلبة بدار خاصة بهم تحولت فيما بعد إلى معهد علمى . أنظر من ذلك ، Funck-Brentano, op. cit., p. 571 ; LaMonte, op. cit., p. 202 ; Wallon, II., Saint Louis (Tours, 1879), p. 349 ; Boutié, L., Paris au temps de Saint Louis (Paris, 1911), pp. 127—129.

خدمة الحكومة (١) .

نضرب مثلاً لذلك بجامعة باريس التي منحها فيليب أوغسطس ملك فرنسا مرسوماً سنة ١٢٠٠ م نص في شيء من التفصيل على كافة الإجراءات التي تتخذ لحماية طلبتها في حالة الاعتداء عليهم، والعمل على المحافظة على حياتهم إذا ما تعرضوا للخطر ، حتى يتفرغوا لمهنتهم الأصلية وهي مواصلة العلم ، إلى جانب العديد من الامتيازات الأخرى التي منحها لهم (٢) . ونجد مثلاً ثانياً في مرسوم البابا جريجوري التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١ م) الذي منحه لتلك الجامعة سنة ١٢٣١ م، والذي ركن فيه على ضرورة تحرى الدقة عند اختيار الأساتذة للعمل بالجامعة ، حتى لا يقع الاختيار إلا على الأكفاء فحسب ، وذلك حفاظاً على المستوى العلمي للجامعة . فضلاً عن النص على تنظيم شئون الطلبة فيما يتعلق بالمناهج الدراسية والمحاضرات وعددها ومواعيدها ووسائل الانتظام فيها ، والأجازات والزي المميز للطلبة ، إلى جانب العديد من التشريعات التي تكفل حمايتهم من أى أذى أو سوء مع طمأنتهم على حياتهم ومستقبلهم . ومما يذكر أن البابا منح الأساتذة والطلاب في هذا المرسوم — بصفة رسمية — حقاً جديداً لم يكونوا يتمتعون به من قبل ، وإن كان تأكيداً لأوضاع فرضت نفسها وقتذاك ، ألا وهو حق التوقف عن الدراسة والامتناع عن إلقاء المحاضرات إذا لحقت إساءة بأى طالب (٣) .

-
- (١) Coulton, Medieval Panorama, p. 395. أنظر أيضاً إبراهيم العدوي : المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ، ص ١٦٥ .
- (٢) أنظر الترجمة العربية لمرسوم فيليب أوغسطس في الملحق الثالث بآخر القسم الأول من هذا المجلد .
- (٣) أنظر الترجمة العربية لمرسوم البابا جريجوري التاسع في الملحق الخامس بآخر القسم الأول من هذا المجلد .

وهكذا أخذ البابوات والاباطرة يصدرون المراسيم والبراءات تباعا لصالح تلك الجامعات ، والتي حولتها الكثير من الحقوق والامتيازات ، وبالتالي رفعت من مكانتها وهيبتها . وبالرغم من أن مثل هذه المراسيم والبراءات كانت تستهدف أساسا تشجيع العلم والتعليم في عصر متعطش للمعرفة وفي زمن شملت فيه النهضة الفكرية الغرب الأوروبي من أقصاه إلى أقصاه ، إلا أنها توضح في ذات الوقت كيف أن المسؤولين وأولى الأمر في الغرب كانوا يعملون بشق السبل والوسائل على أن تبقى هذه الأعداد الكبيرة الهائلة من الطلاب في المراكز العلمية التي يتلقون فيها علمهم في باريس أو بولونيا أو أكسفورد ، وما يترتب على ذلك من إنعاش الحالة الاقتصادية في تلك المدن ، في وقت أخذت فيه المدينة بسكانها الأحرار ونشاطها التجاري والصناعي واقتصادها النقدي تحمل عمل الإقطاع باقتصاده الطبيعي وحضارته الريفية الزراعية التي ترتبط بالأرض وما تغله من خيرات . وعلى هذا كان توقف طلبة أى جامعة عن الدراسة ورحيلهم عن المدينة التي يتلقون فيها العلم يعنى باختصار كساد الحالة الاقتصادية فيها ، بينما كان بقاؤهم فيها بأعداد كبيرة يؤدي إلى انتماعها اقتصاديا . فلم يكن من الصالح العام هجرة هذه الجموع الهائلة من طلاب العلم من المدن التي كانوا يتلقون فيها علمهم مهما كانت الأسباب . بل كان أولو الأمر في تلك المراكز العلمية يبذلون قصارى جهدهم للعمل على بقاء الطلبة فيها وعدم نزوحهم عنها بتقديم المغريات لهم في شكل براءات ومراسيم .

وكيفما كان الأمر ، فقد وجدت في أوروبا منذ القرن الثاني عشر أربعة مراكز علمية جامعة تتمتع بشهرة واسعة ، وتخصص كل منها في ناحية معينة أظهر فيها تفوقا واضحا . وهذه المراكز هي جامعة باريس التي اشتهرت بالدراسات اللاهوتية ، وجامعة بولونيا التي اشتهرت بأنها مدرسة للقانون ، وجامعة سالرنو التي تخصصت في الطب ، وجامعة أكسفورد التي تعتبر واحدة من أعظم الجامعات

الانجليزية والتي تشبه جامعة باريس في كثير من الوجوه ، وإن جاء تطورها متأخراً بعض الشيء عن الجامعات الثلاث السابقة (١) .

ولا شك أن الجامعتين المبكرتين اللتين طبقت شهرتهما الآفاق مع بداية الحياة الجامعية في الغرب هما جامعة باريس الفرنسية وجامعة بولونيا الإيطالية . وما لاشك فيه أيضاً أنه كان لهما أثرهما الواضح في نشأة وتطور بقية الجامعات التي عرفتها أوروبا منذ أخريات القرن الثاني عشر فصاعداً .

أما عن جامعة باريس ، فقد ثارت الروايات حول الأصول الأولى لها . فهناك من يرجع بها إلى مدرسة القصر أيام شارلمان ، أى إلى عده قرون قبل خروجها الفعلي إلى حيز الواقع والأشياء الملبوسة . وهناك من يربط بينها وبين المدارس التي قام الفيلسوف ايبيلارد بالتدريس فيها في القرن الثاني عشر مثل مدرسة كاندراية نوتردام ومدرسة القديسة جنييفيف Sainte-Geneviève ومدرسة كنيسة القديس فيكتور . ومما يمكن من شيء ، فالمعروف أن هذه الجامعة قد ولدت داخل نطاق أسقفية باريس ومدرستها . ولهذا اتخذت منذ البداية طابعاً دينياً لاهوتياً فلسفياً واضحاً ، شأنها شأن بقية الجامعات التي وجدت في شمال أوروبا (٢) .

Cf. Mott, G. F. & Dee, H. M , An Outline-History (١)
of the Middle Ages (New York, 1950), p. 169.

(٢) أنظر : Duroselle, Histoire du Catholicisme, p. 68 ;
Coulton, Medieval Panorama, p. 394 ; Painter, A History of the
Middle Ages, p. 470 ; LaMonte, op. cit., p. 567 f.
لاموت (س ٥٦٧ — ٥٦٨) أن جامعة باريس هي ثمرة الامتزاج بين مدارس ثلاث هي :
مدرسة كاندراية نوتردام ومدرسة دير القديسة جنييفيف ومدرسة دير القديس فيكتور .
أنظر أيضاً سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ٥١ — ٥٣ . هذا ،

والقد اكتسبت مدينة باريس نفسها شهرة واسعة منذ أيام ابيلارد ، وكانت النتيجة أن ازداد عدد الدارسين والمدرسين بها . وانتهى الأمر بقيام رابطة union أو نقابة guild أو جامعة universitas لتنظيم أمور الاساتذة وتحديد علاقاتهم ببعضهم البعض من جهة وعلاقاتهم بالمجتمع المحيط بهم من جهة أخرى . وكان على المدرس الذي يرغب في التدريس أن يحصل على ترخيص أو براءة لمباشرة مهنته من أمين كاتدرائية باريس ، وهو الشخص المكلف بالإشراف على شئون العلم والتعليم داخل حدود أسقفية باريس . وغير خاف أن قيام نقابة الاساتذة وتبلورها إلى أن وصلت إلى طور النضج لم يتم بين يوم وليلة أو بطريقة فجائية ، وإنما استغرق فترة غير قصيرة من الزمن . وكانت هذه النقابة هي اللبنة الأولى في بناء جامعة باريس نفسها . وعلى هذا فإن نشأة هذه الجامعة كانت بالتالي نتيجة لتطور تدريجي بطيء مستمر . وكان طبيعياً أن يستتبع ذلك الاعتراف بالطلبة الذين يتلقون العلم في باريس كهيئة لها شخصيتها ومقوماتها وكيانها

وقد اختلفت آراء المؤرخين المحدثين المعنيين بهذا الموضوع أمثال راعدال وهاسكنز حول الروايات المتعلقة بانعاش جامعة باريس ومدى أصيبتها من الصعقة . ووجدوا بالذکر أن هذا الموضوع الهام لا يزال يحتمل الكثير من الدراسة والبحث للوصول إلى رأى حاسم قاطع بشأنه . ويرى الكاتب ديروزيل (نفس المرجع والمصنعة) أن القرن الثاني عشر كان يعتبر قرن المدارس الأسقفية ، وأنه مع بدايات القرن الثالث عشر ، وحتى يحول البابوات دون قيام حركات جديدة تمزج الجاهل الكسبي البابوي ، فقد عملوا جاهدين على حصر مصادر الثقافة والفكر وتنظيمها وتسييرها بحيث تصبح كلها خاضعة لأحكامهم وتسييرهم . وقد قامت بمساعدتهم في هذا السبيل جماعات الإخوان الرحبان التي كان أفرادها يعيشون على التسول والإحسان . وهذا يعني أن ديروزيل يرى أن الأصول الأولى للجامعات المصورة الوسطى ، وعلى رأسها جامعة باريس ، ترجع أساساً إلى خشية البابوية من ظهور حركات جديدة تهدد كيانها وتقوض بنيانها ؛ أي أنها قامت بتشجيع البابوية وتأييدها حتى تكون سنداً لها .

وحقوقها وامتيازاتها المعترف بها . وجدير بالذكر أنه كان ينظر إلى هؤلاء الطلبة على أنهم من رجال الدين لأنهم كانوا مرتبطين بمدارس كنسية . ولهذا السبب تمتعوا بالحصانات التي تتمتع بها باقى الأفراد المرتبطين بالكنيسة .

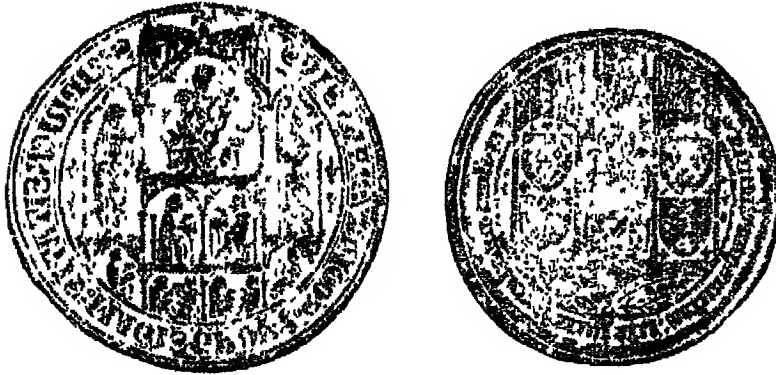
وفي سنة ١٢٠٠م حدث تطور هام في تاريخ جامعة باريس . إذ حدث أن اعتدى بعض أهالى المدينة على جماعة من الطلبة ، وقام محافظ باريس بالتنكيل بالطلبة ، فقاموا بشورة يطالبون بمنح جامعتهم المزيد من الحقوق والامتيازات . والتجأ أساتذتهم إلى فيليب أوغسطس ملك فرنسا يلتمسون منه رفع الظلم الذى لحق بهم . وخشى الملك الفرنسى أن يهجر الطلاب والأساتذة مدينة باريس وماقد يترتب على ذلك من آثار من حيث الإضرار باقتصاد البلاد ، فأمر بعقاب المعتدين وحبس محافظ باريس لموقفه المتشدد من الطلبة . وفى نفس العام منح الجامعة براءة نصت على أن تتولى الكنيسة محاكمة أى طالب تقبض عليه السلطات المدنية في تهمة أو جريمة ما ، كما طالب المواطنين باحترام حقوق الطلبة ومعاملتهم بالحسنى واللين ، واشترط على محافظ المدينة الجديد احترام امتيازات الجامعيين وعدم المساس بها . ويلاحظ أن هذه البراءة ، وإن لم تنص رسمياً على الاعتراف بالجامعة ، إلا أنها اعترفت ضمناً بقيام هيئة من رجال العلم والتعليم لها حقوق يجب مراعاتها وامتيازات تتمتع بها (١) .

وقد مرت رابطة الأساتذة التي كانت أساس جامعة باريس بعدة خطوات إلى

(١) أنظر الترجمة العربية لهذه البراءة في الملحق الثالث بآخر القسم الأول من هذا المجلد . وقد أورد هاسكنز في الفصل الأول من مؤلفه المترجم في القسم الثاني من هذا الكتاب ، الأسباب التي حدثت فيليب أوغسطس إلى إصدار البراءة المذكورة سنة ١٢٠٠ م لصالح الأساتذة وعلااب العلم في باريس .

أن أصبحت اتحاداً معترفاً به من كلا السلطتين الدينية والدنيوية على السواء .
وتمثل هذا الاعتراف في تسجيل نظمها في شكل لائحة وإعطائها حق تعيين الموظفين
الإداريين لتصريف شئونها ، وأن يكون لها خاتم رسمي تختم به أوراقها ، وما إلى
ذلك . وقد تم هذا في أوائل القرن الثالث عشر عندما صدرت لائحة مدونة من
عدة بنود لرابطة الأساتذة ، وعندما أصدر البابا انوسنت الثالث مرسوماً يعترف
فيه رسمياً بالجامعة . وقد أدت هذه التطورات التي مرت بها نقابة الأساتذة
في النصف الأول من القرن الثالث عشر إلى مولد الجامعة نفسها .

لوحة رقم (١)



(أ) إلى اليسار خاتم جامعة باريس وتبدو فيه علامة الصليب من أعلا ، ثم السيدة
العذراء وهي تحمل المسيح ، وإحدى القديسات ، فأسفله باريس حاملاً
عصا الأسقفية . ومن أسفل يبدو الأساتذة والطلاب .

(ب) إلى اليمين خاتم يمثل الأمم الأربع في جامعة باريس ، وكل أمة يرمز إليها شعارها .
[الخاتمان محفوظان بالمكتبة الأهلية بباريس]

ولم يكن الطريق بهذا تماماً أمام هذه الجامعة الوليدة ، فقد كان عليها أن

تتخطى العديد من العقبات ومن بينها السلطات التي كان لا يزال يتمتع بها أمين كاتدرائية باريس الذي كان له حق تعيين الاساتذة أو حرمانهم من مواصلة مهنة التدريس بالجامعة ، وحق توقيع الجزاءات على رجال العلم العلمانيين . فضلا عن إصدار التنظيمات الخاصة بتنظيم شئون الاساتذة وطلاب العلم على السواء . ولم يكن هذا ليمشى مع وجود نقابة للاساتذة هدفها حماية أعضائها من استبداد أمين الكاتدرائية والعمل على كبح جماحه والحد من نفوذه الواسع . ولذلك كان طبيعيا أن يثور النزاع بين أمين الكاتدرائية وبين أعضاء نقابة الاساتذة الذين كلبوا أحسرا بزمن واقع عليهم لجأوا إلى البابوية يستنجدون بها ويلتمسون مساندتها لهم . وفي أغلب الأحيان كانت البابوية تقف إلى جانبهم وتدافع عن حقوقهم ضد تعسف أمين الكاتدرائية . وكان كل امتياز جديد تحصل عليه الجامعة بمثابة لبنة جديدة تضاف إلى اللبنة السابقة في سبيل نشأتها وقيامها واستقلالها (١).

وهكذا مرت الجامعة بالعديد من التطورات ، وتخطت العديد من العقبات التي كان عليها مواجهتها ، ومن بينها النزاع الذي قام بينها وبين أهالي مدينة باريس والملكية الفرنسية خلال عامي ١٢٢٨/١٢٢٩ م . ووقفت البابوية ، مرة أخرى ، إلى جانب الجامعة في هذا الصراع الجديد عندما أصدر البابا جريجوري التاسع سنة ١٢٣١ م مرسوما بعد توقف الدراسة بالجامعة لمدة عامين ، حيث أعطى الجامعة الحق في وضع اللوائح الخاصة بها وعقاب الخارجين على نظامها . كذلك حدد من سلطات أمين كاتدرائية باريس وأسقفها فيما يتعلق باختيار الاساتذة ، كما أكد ضرورة عدم إفشاء أسرارهم أو المساس بقوانين الجامعة

Gf. Duroselle, op. cit; p. 68.

(١)

وحقوقها ، إلى جانب العديد من الامتيازات التي نص عليها المرسوم للأساتذة والطلاب بالجامعة (١) .

وأمام هذه الامتيازات التي حصلت عليها جامعة باريس من البابوية والملكية الفرنسية ، أخذت سلطة أمين كاتدرائية باريس في التقلص والانكماش التدريجي أمام مركز مدير الجامعة . وبنهاية القرن الثالث عشر كانت سلطة أمين الكاتدرائية قد زالت تماما ، واستراحت الجامعة من تعسفه ومضايقاته . ولكنها لم تسكد تستقر وتأخذ أنفاسها بعمق حتى تعرضت لضغط جديد كان مصدره هذه المرة الملكية للفرنسية نفسها التي أخذت تتدخل في شئون الجامعة واختصاصاتها بعد أن كانت فيما مضى من أشد مناصريها . واستمر هذا التدخل يأخذ أشكالا عدة حتى صدر في أواسط القرن الخامس عشر أمر ملكي بخضوع الجامعة لأحكام برلمان باريس . وكانت الملكية تستهدف من وراء ذلك الحد من الإعفاءات والامتيازات والحقوق العديدة التي كانت الجامعة تتمتع بها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، بعد أن وجدت في ذلك خطرا يهددها . وأخذ هذا التدخل يزداد مع الوقت حتى أواخر القرن الخامس عشر ؛ إذ قضى ملك فرنسا لويس الحادى عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣ م) على ما تبقى لها من نفوذ عندما حرم على رجالها الاشتغال بالسياسة ، وأمر بأن يشترك مندوب ملكي في عملية انتخاب مدير الجامعة . وفي عام ١٤٧٤ م أمر لويس الحادى عشر بأن يكون مدير الجامعة خاضعا لنفوذه خضوعا تاما . وجاء بعد ذلك لويس الثانى عشر (١٤٩٨ - ١٥١٥ م) الذى حرم على الجامعة حق الإضراب ، وهو حق كان

(١) أنظر الترجمة العربية لهذا المرسوم في الملحق الخامس بآخر القسم الأول من هذا المجلد .

قد منحت لها البابوية في القرن الثالث عشر .

هكذا نمت ونشأت وترعرعت جامعة باريس إلى أن نضجت واكتملت شخصيتها بعد الامتيازات والحقوق العديدة التي تمتعت بها . ثم ما لبثت أن تلقت العديد من الضربات من قبل الملكية الفرنسية إلى أن تم خضوعها تماما للتاج الفرنسي . ولم يأت القرن السادس عشر حتى كانت قد زالت آخر الامتيازات والاعفاءات التي كانت تتمتع بها من قبل . وقد تم هذا في عصر تغير وانتقال من القرون الوسطى إلى عصر النهضة ، وفي وقت تم فيه القضاء على آخر بقايا النظام الإقطاعي في المجتمع الغربي الوسيط ، وبدأت شخصية الفرد في الظهور التي كانت الإقطاعية قد طمست معالمها ، وقامت المدن والممالك الوطنية الناشئة وظهرت اللغات الرومانتيكية بدلا من لاتينية العصور الوسطى ، والتفت الشعوب حول حكامها معلنة نهاية عصر بمثابة وفلسفته وأفكاره ، وبداية عصر جديد له آراء ومبادئ

لوحة رقم (٢)



خاتم كلية اللاهوت بجامعة باريس ويبدو فيه السيد المسيح وهو يخط

جديدة مغايرة (١) .

ولكن إذا كانت جامعة باريس بكلياتها الأربع وهي اللاهوت والقانون الكنسى والطب والآداب قد اتخذت طابعا دينيا منذ البداية بحكم الظروف التي أحاطت بمولدها ونشأتها (٢) ، فقد تزعمت مدرسة بولونيا في الجنوب النهضة القانونية في إيطاليا . وكان أول اعتراف رسمى بالأساتذة والطلاب في مدن شمال إيطاليا سنة ١١٥٨ م عندما أصدر الإمبراطور الألماني فريديريك بارباروسا براءة تضمنت بعض الامتيازات للأساتذة والطلاب في المدن اللباردية بصفة عامة . ولم تنص هذه الوثيقة صراحة على قيام رابطة رسمية للطلبة أو الأساتذة ، وإنما ترجع أول إشارة في وثائق ذلك العصر إلى قيام تلك الرابطة إلى سنة ١٢١٥ م . ولم تأت سنة ١٢١٩ م حتى كان نظام الدرجات العلمية قد اكتمل شكله في بولونيا . ومنذ ذلك التاريخ كثرت الإشارات في مصادر العصر التي توضح اعتراف كل من البابوية والإمبراطورية بجامعة بولونيا .

وهنا يجب أن نعرف أنه إذا كانت جامعة باريس قد اشتهرت بأنها « جامعة أساتذة » لظروف أحاطت بها ، فقد اشتهرت جامعة بولونيا بأنها « جامعة طلبة » ،

(١) Cf. Kitchen, A History of France, vol. I, pp. 295— 299, 327, 352, 501 ; Baldwin, op. cit., pp. 68, 69; Painter, op. cit., p. 470 ff. ; Waugh, W. T., A History of Europe (London, 1932), 10, 31, 34, 35, 36 ; Wallon, op. cit., p. 348 ff.; Boutié, op. cit., p. 70 ff.; Bailly, op. cit., p. 223 ff. سميد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٣٧ وما يليها ، والجامعات الأوروبية ، ص ٥٣ وما يليها .

(٢) للتزيد من المعلومات عن هذه الكليات الأربع ، انظر Boutié, op. cit., pp. 76—121.

لأن اتحادات الطلبة بها كانت تسيطر سيطرة تامة على الجامعة وشئونها . وإن كان أساتذة بولونيا قد تحكموا في شيء فقد تحكموا فيما يتعلق بامتحان الطلاب والترخيص لهم بالتدريس من عدمه أو الدخول في رابطة هيئة التدريس . وثمة ظروف عديدة ساعدت على نشأة اتحاد الطلبة في بولونيا وتمتعه بهذه السلطة الضخمة ، ومن أهمها ظروف البيئة التي تنحصر في تمسك الأسر الشريفة في إيطاليا بالتراث العلى القديم ، واهتمام الناصحين من ذوى المكانة والثروة والجاه بالدراسات القانونية . ولذلك كان الأستاذ في بولونيا — على عكس زميله في باريس — مجرد محاضر استأجره عدد من السادة طلاب العلم لتلقى العلم على يديه مقابل ما ينقدونه من أجر . كذلك ساعد على تطور هذا الاتحاد الوضع السياسى لهذه المدينة الإيطالية التي نشأت فيها هذه الجامعة . إذ حرمت على نزلائها المغتربين التمتع بالحقوق المدنية التي منحها لابنائها . ولذلك أراد طلاب العلم الوافدين على بولونيا من الخارج أن يعرضوا داخل جامعتها ما يفتقدونه داخل محيط المدينة ذاتها ، فسعوا إلى بسط سيطرتهم على أساتذتهم . وساعد على ذلك أن أولئك الأساتذة كانوا في المراحل الأولى من نشأة الجامعة من مواطنى بولونيا يتمتعون بحقوقها ويساندون السلطات الحاكمة ضد الطلبة المغتربين .

ولم تعترض السلطات الحاكمة على هذا الوضع الخاص باتحادات الطلبة لما يترتب على وجود أعداد غفيرة من الطلاب من اتعاش اقتصادى في المدينة ، وما يسببه رحيلهم عنها من كساد للحالة الاقتصادية فيها . وأصبحت هذه الاتحادات الطلابية تتمتع بحقوق معترف بها وتخضع لقوانينها الخاصة لا لقوانين المدينة نفسها . ولذلك أخذ الطلاب المغتربون في بولونيا يتكثرون في هيئة نقابات ترضى مصالحهم وشؤونهم شأنها شأن غيرها من النقابات التي عرفها أوروبا في العصر الوسيط ، مع ملاحظة أن الطلبة والأساتذة من مواطنى بولونيا ظلوا خارج

نقابات الجامعة لا يتمتعون بصوت يعبر عن رغباتهم . ومع بدايات القرن الثالث عشر كان يوجد في جامعة بولونيا أربعة اتحادات للطلبة الغرباء ، ولكنها اتحدت وتداخلت في اتحادين كبيرين في أواسط القرن الثالث عشر : الأول يضم الطلبة الوافدين من البلاد الواقعة شمال جبال الألب ، بينما يضم الثاني الطلبة القادمين من باقي الأقاليم الإيطالية .

وأخذت هذه الاتحادات تنمو تدريجيا وتزداد سلطاتها حتى أنه كان لكل من هذه الاتحادات في القرن الثالث عشر مدير أو رئيس يوجه أموره ويرعى مصالح أعضائه ، ولم تأت المعارضة من ناحية السلطات الحاكمة ، ولكنها كانت من أساتذة القانون بالجامعة نفسها الذين طالبوا بأن يكون لهم وليس للطلبة الحق في وضع النظم والقوانين الخاصة بالجامعة . وقد ذهبت هذه النداءات أدراج الرياح أمام قوة اتحادات الطلبة بالجامعة التي أصبحت تسيطر سيطرة تامة على أساتذتها . وكانت النتيجة الطبيعية والمتوقعة هي قيام الاحتكاك بين الطلبة والأساتذة الذين طالبوا القيام بما يقوم به الطلبة . ولم يكن من السهل على الطلبة أن يتنازلوا عن هذه السلطات التي كانوا يتمتعون بها ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأن الطلبة في بولونيا لم يحارلوا على الإطلاق التدخل في توجيه النشاط العلني بالجامعة الذي كان من صميم اختصاص الأساتذة .

وأخيرا في القرن الرابع عشر اندمج الاتحادان الخاصان بالطلبة في اتحاد واحد له نظمه الموحدة وله مدير واحد وخاتم واحد تدمج به الأوراق والقرارات الرسمية . وكانت اختصاصات مدير جامعة بولونيا ، وهو رئيس اتحاد طلبتها ، مستمدة في أول الأمر من قوانين الاتحاد . ولكنه لم يلبث أن استمد نفوذه فيما بعد من لائحة الجامعة نفسها ، وعلى أية حال ، لم تستمر هذه الوظيفة

طويلا ، إذ تلاشت في أواخر القرن الخامس عشر لأنها لم تكن مجزية أو مغرية لمن يقبل عليها (١).

وإذا كنا قد تحدثنا في شيء من التفصيل عن نشأة وتطور جامعتي باريس وبولونيا ، فذلك لأنها تعتبران من أقدم جامعات أوروبا في العصور الوسطى ، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق . (٢) ثم إن ما قيل عنهما يمكن أن يقال أيضا عن الجامعات الأخرى القديمة التي قامت بعدهما والأدوار التي مرت بها إلى أن اشتد ساعدها واعترفت بها السلطات الدينية والديوية . وعلى أية حال ، فقد أخذ عدد هذه الجامعات يزداد في طول أوروبا وهرضها . فتكرمت خلال القرن الثالث عشر سبع عشرة جامعة جديدة من بينها جامعة تولوز (سنة ١٢٢٩ م) ، وجامعة مونتبلية في مقاطعة لانجويديك في فرنسا (سنة ١٢٨٩ م) ، وجامعة سالمانكا Salamanca في أسبانيا (٣) ، وجامعة كامبريدج التي وضع هنري الثاني ملك

(١) Coulton, *Medieval Panorama*, p. 395 f. ; Baldwin, op. cit., pp. 47, 68, 70 ; Painter, op. cit., p. 469 f. ; LaMonte, op. cit., p. 567. أنظر أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، والجامعات الأوروبية ، ص ٣٧ وما بعدها ؛ وهيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في العصور الوسطى ، ص ١٨٠ — ١٨٣ .

Gf. Burckhardt, J., *The Civilization of the Renaissance* (٢) (London, 1944), p. 125, n. 54 ; Moreau, *Histoire de l'Eglise*, 154 f.

(٣) ترجع أصول هذه الجامعة إلى أوائل القرن الثالث عشر ، وأخذ منذ ذلك الحين يرتفع شأنها وتوسع مساحتها لتستوعب الطلاب الذين كانوا ينفدون إليها من مختلف الدول . كذلك اجتذبت إليها الطلاب من كل الطبقات ابتداء من الأثرياء الذين يحيط بهم أتباعهم حتى الفقراء والموزين الذين يعيشون على الصدقة والإحسان . وقد بلغت هذه الجامعة =

انجملترا أساسها سنة ١٢٢٩ م عندما عرض على الطلبة المتذمرين من الدراسة في باريس أن ينتقلوا إلى كامبريدج ليبدأوا لأنفسهم معهداً خاصاً بهم في تلك المدينة . ولم تبلغ هذه الجامعة ، في الواقع ، مرتبة الجامعات الأخرى إلا خلال القرن الخامس عشر عندما ساءت الحال في جامعة أكسفورد بسبب الانقسامات الدينية في كلياتها ، فزح كثير من طلبتها إلى كامبريدج ^(١) . أما في القرن الخامس عشر فقد تأسست في الغرب الأوروبي خمس وثلاثون جامعة جديدة ^(٢) . وعلى هذا النمط أخذت الجامعات تنتشر ويزداد عددها في الغرب حتى أنها بلغت قرابة ٨٠ جامعة في أخريات العصر الوسيط ^(٣) .

== ذرونها في أواخر القرن السادس عشر . هذا وفيما يتعلق بجامعة سالمانكا والجامعات الأسبانية الأخرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، أنظر Davies, R.T., *The Golden Century of Spain* (London, 1964), pp. 25 f., 280 f.

(١) حول كل من جامعتي أكسفورد وكامبريدج ، أنظر Coulton, *Medieval* Panorama, p. 397; McKisack, *The Fourteenth Century* (Oxford, 1959), p. 501 ff.; Painter, op. cit., p. 471; Poole, A. L., *From Domesday Book to Magna Carta* (Oxford, 1964), pp. 236—240; Powicke, M., *The Thirteenth Century* (Oxford, 1962), pp. 56, 57, 70, 701; Jacob, E. F., *The Fifteenth Century* (Oxford, 1961), pp. 420 ff.

(٢) Mott & Dee, op. cit., p. 169; Duroselle, op. cit., pp. 68—69.

(٣) Painter, op. cit., p. 472; LaMonte, op. cit., p. 568; Rashdall, *Universities of Europe*, vol. III, p. 335. عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج ٢، ص ١٤٦؛ وهيب إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور الوسطى، ص ١٨٣ — ١٨٤ و ١٨٨ و ٢٠٢ .

وجدير بالذكر أن التعليم كله في تلك الجامعات كان باللغة اللاتينية وهي اللغة الرسمية للغرب الأوروبي من أقصاه إلى أقصاه، ولغة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وهي أيضا لغة الموضوعات الخطيرة كاللاهوت والفلسفة، كما كانت معظم الوثائق الرسمية تدون بها (١). وقد ارتبطت ثقافة الغرب وحضارته بهذه اللغة ارتباطا وثيقا. ولهذا كان من الميسور على كافة طلاب العلم من أية أمة في الغرب أن يتلقوا تعليمهم على أيدي من يريدون من كبار الأساتذة في أي جامعة وبأي دولة. ولا نغالي إذا قلنا إن وحدة اللغة في جامعات ومعاهد أوروبا في العصور الوسطى قد ساعدت، إلى حد بعيد، على وحدة الفكر في المجتمع الغربي في وقت بدأ فيه هذا المجتمع ينفض عن كاهله غبار القرون الماضية ليضع اللبنات الأولى في مقدمة الحضارى (٢).

وكيفما كان الأمر، فقد أصبحت الجامعات الأوروبية تضم طلابا من مختلف الأمم من انجليز وفرنسيين وإيطاليين وألمان وغيرهم. وأدت الظروف بهم إلى أن يقسموا أنفسهم إلى د طوائف، أو د أمم، (٣) nations كما هو معروف في العصور الوسطى. ففي باريس، مثلا، كان هناك أربع د طوائف، رئيسية

Painter, op. cit., p 447.

(١)

Katz, The Decline of Rome and the Rise of (٢)

Mediaeval Europe, pp. 146, 148. راجع أيضا سعيد عاشور : الجامعات

الأوروبية، ص ٧٦ وما بعدها ؛ كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ج ١، ص ٢٧٦ .

Coulton, Medieval Panorama, p. 401 ff. ; Kitchin, (٣)

op. cit., vol. I, p. 297 ; Baldwin, op. cit., p. 68 f. ; LaMonte, op. cit., pp. 570, 571.

هي : طائفة الفرنسيين ، وطائفة النورمان ، وطائفة البيكارديين ، وطائفة الانجليز . وقد أدى وجود هذه الطوائف ذات المشارب والأهواء والأجناس المختلفة إلى قيام المشاحنات فيما بينها التي كثيرا ما كانت تتطور إلى معارك دامية لازمتها ما اتصف به القرون الوسطى بصفة عامة من عنف وفوضى . وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير السكاتب جاك دي فيتري ، من كتاب النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (١)

ومع مرور الزمن ، ومع النهضة الشاملة التي عمت أوروبا اعتبارا من القرن الثاني عشر فصاعدا ، ازدحمت الجامعات بجمهير الطلبة الذين قدموا من مختلف أرجاء الغرب لتلقى العلم على أساتذة طبقت شهرتهم الآفاق . ويكفي أن بلغ عدد دم في باريس (٢) خلال النصف الأخير من القرن الخامس عشر حوالي ٢٥ ألفا حتى فاضت جموعهم من جزيرة فرنسا وهي الجزيرة الواقعة وسط نهر السين ، والتي قامت على ساحلها الجنوبي كاتدرائية نوتردام الشهيرة ، فاضت جموع الطلبة من هذه الجزيرة إلى الضفة اليسرى من هذا النهر التي تواجه الكنيسة المذكورة

(١) أنظر الترجمة العربية لنص جاك دي فيتري من حياة الطلبة في جامعة باريس في المجلد الرابع بآخر القسم الأول من هذا المجلد . وفيما يتعلق بالتواعد الخاصة بتنظيم حياة الطلبة وبرامجهم اليومية ومستوى معيشتهم ووسائل الامور والتسليّة التي كانوا يمارسونها ، ومصاعب حياتهم ومشاكلهم ، أنظر سعيد عاشور : الجامعات الأوربية ، ص ١٧٣ وما بعدها و ١٨٩ وما بعدها . والمزيد من المعلومات عن جاك دي فيتري (ت ١٢٤٠ م) أنظر Grump & Jacob, op. cit., pp. 402 ; Runciman, S., A History of the Crusades, vol. II, (Cambridge, 1954), p. 477, III (Cambridge, 1955), pp. 146-7, 161-2, 483, 489.

(٢) أنظر خريطة « باريس في العصور الوسطى » بآخر القسم الأول من هذا الكتاب .

وجدير بالذكر أن هذه الضفة وما قام عليها من معاهد ومبان ومساكن لإيواء الطلبة الغرباء هي التي عرفت بإسم حى الجامعة أو الحى اللاتينى Cartier Latin ، ولا تزال تعرف بهذا الإسم حتى اليوم. والواقع أن هناك أكثر من عامل أدى إلى قيام الجامعة وازدهارها على هذا الجانب من النهر ، منها مواجهتها لكنيسة موتردام ، فضلا عن أن تلك المنطقة كانت تقع على الطريق المؤدية إلى روما ، وهى الطريق الذى كان الحجاج يسلكونها لزيارة مقابر القديسين هناك والتبرك بها .

ولم تكن هذه الزيادة فى عدد الطلاب قاصرة على جامعة باريس وحدها ، فقد بلغ عدد طلبة جامعة اكسفورد فى حكم ملكها هنرى الثالث (١٢١٦ - ١٢٧٢ م) حوالى ٣٠ ألفا ، بينما وصل عدد طلاب جامعة بولونيا فى القرن الثالث عشر قرابة عشرة آلاف (١). وهكذا (١). وقد يكون فى هذه الأرقام شيء من المبالغة كما هو الحال فى البيانات الإحصائية والرقمية الخاصة بأعداد الجيوش فى المعارك والحروب وأعداد الأسمرى والجرحى والقتلى ، أو تعداد سكان المدن وما إلى ذلك من إحصائيات زودتنا بها وثائق العصور الوسطى وسجلاتها — قد يكون فى هذه الأرقام شيء من المبالغة ، واسكنها على أية حال تدل دلالة واضحة على ماهية هذه الإنطلاقة الفكرية الكبرى التى شملت الغرب من ناحية ، وعلى ما كانت تتمتع به تلك المعاهد والجامعات من مكانة بارزة مرموقة فى تلك القرون الغابرة من ناحية ثانية ، الأمر الذى حدا بالآلاف المؤلفة من الطلاب إلى الالتحاق بها ، لى يرثىوا العلم من منابعه .

(١) LaMonte, op. cit., p. 568. - راجع أيضا سميد عاشور: الجامعات

الأوربية ، ص ١٦٩ وما بعدها ؛ وهيب سيمان : الثقافة والنزعة ، ص ١٨٩ .

وثمة مسألة جدية بالملاحظة ، وهي أن كل جامعة من تلك الجامعات تميزت بنوع خاص من الدراسات التي تتفق مع الظروف والأوضاع والتقاليد المحيطة بالمنطقة التي نشأت بها ، ومع تخصصات العلماء الذين حاضروا بها . فمثلا تفوقت باريس على غيرها في العلوم الفلسفية ، بينما تفوقت كل من مونتبلييه وسالرنو في الدراسات الطبية ، وبرزت بولونيا في القانون الروماني بحكم مكانها في إيطاليا مقر القياصرة الرومان القدماء وموطن التراث والحضارة الرومانية المعروفة وعلى رأسها القانون . كذلك اشتهرت كل من تولوز وأورليانز بدراسة القانون المدني الذي لم يكن يدرس في جامعة باريس ، وهكذا (١) .

وكانت الجامعة تتكون عادة من أربع كليات أو معاهد هي كليات الآداب واللاهوت والقانون والطب . وكان عمل كل كلية من الكليات الثلاث الأخيرة مرتبطا أشد الارتباط بكلية الآداب التي اقتصرت على الدراسات التحضيرية التحضيرية لتوجيه الطلبة بعد ذلك إلى التخصص في المعاهد الأخرى كل حسب ميله ورغبته (٢) .

وكانت مواد الدراسة في كلية الآداب بعد أن نهضت وتبلورت تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما : المجموعة الثلاثية وتعرف باللاتينية بإسم Trivium ، والمجموعة الرباعية التي عرفت بإسم Quadrivium . وتشمل المجموعة الأولى

(١) Baldwin, Mediaeval Church, p. 69. انظر أيضا سعيد ماحور:

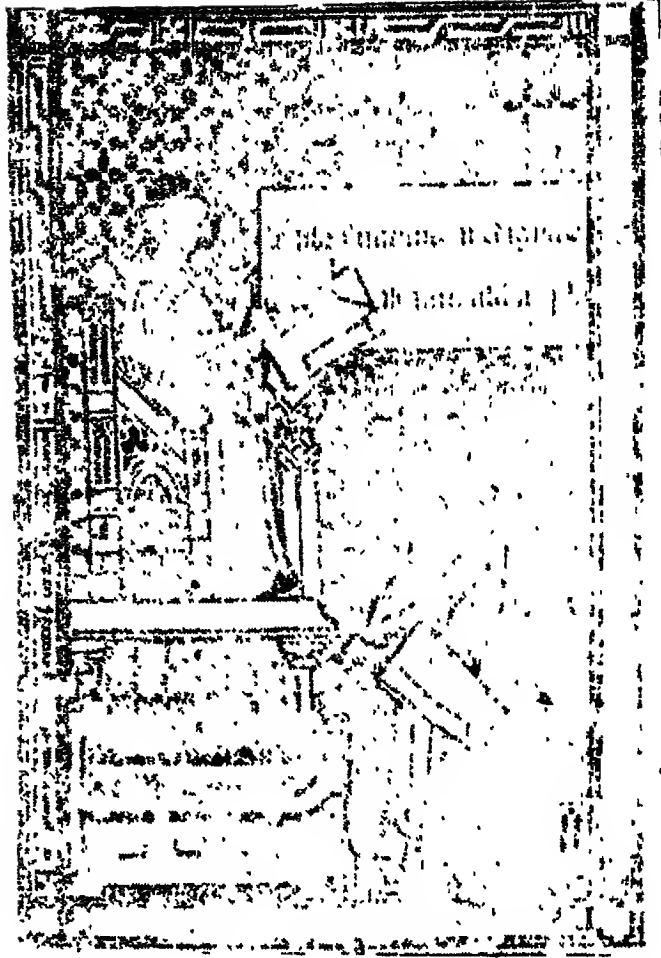
أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٢) LaMonte, op. cit., p. 570. راجع أيضا كرامب وجاكوب : تراث

العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

— ١٤٧ —

لوحة رقم (٣)



أستاذ بجامعة باريس يبدأ الدرس

ويبدو في الصورة وهو يعلن على طلبته أنه سوف يتحدث عن النباتات الطبية

[من مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس]

الثلاثية على قواعد اللغة اللاتينية وأصولها والمنطق والبلاغة . أما المجموعة الثانية الرباعية فكانت تتكون من الموسيقى والحساب والهندسة والفلك (١) . ولم يكن الهدف الرئيسى من دراسة هذه العلوم الديوية مجرد تثقيف الطالب تثقيفا عاما ، بل كانت تستهدف إعداد الطالب لدراسة العلوم اللاهوتية المتعلقة بشئون الكنيسة اللاتينية . مثال ذلك اللغة اللاتينية التى كان يقصد من تدريسها تمكين الطالب من قراءة الكتب الدينية ، والهدف من دراسة أجرومية اللغة هو تمكينه من قراءة الكتاب المقدس وحياة وسير القديسين والآباء الأول وعختلف الصلوات والقداسات فى الكنائس قراءة صحيحة لانتشوبها شائبة . وكان المقصود من تدريس الموسيقى هو تعليم الطالب مايلزمه من أجل الاشتراك فى الترانيم والتراويل الكنسية وأداء الألحان أداء سليما . والغرض من الحساب والهندسة والفلك تحديد أيام القديسين وغيرها من الأعياد الدينية . أما المنطق والبلاغة فكان الهدف منهما تقويم لسان الطالب حتى يتمكن من القيام بالوعظ والإرشاد والرد على الخارجين على تعاليم الكنيسة واجتذاب غير المسيحيين إلى حظيرتها .

وأما عن المحاضرات ونظام الامتحان والدرجات والرسائل العلمية فقد تحدث هاسكنز عنها فى شيء من الإفاضة . وعلى أية حال ، كانت المحاضرات تلقى على الطلبة باللغة اللاتينية . وكانت المحاضرة الواحدة تستغرق أحيانا ساعتين أو أكثر دون مبالاة براحة الطالب البدنية أو الذهنية الذى كان يستمع إليها وهو جالس القرفصاء على أرضية الحجرة المفروشة بالقش . ونظراً لأن الطباعة لم تكن معروفة وقتذاك ، ونظراً لأن الكتب والمراجع كانت بالتالى كلها مخطوطة

(١) حول الفنون السبعة المرة ، أنظر : Painter, op. cit., p. 466 ;
Poole, op. cit., p. 232 ; Funck-Brentano, op. cit., p 191.
وقد وردت الإشارة إليها أكثر من مرة فى ثنايا هذا الكتاب .

لوحة رقم (٤)



طلبة القانون يستمعون إلى درس يلقيه عليهم الأستاذ
ويلاحظ أنهم لا يكتبون ، وإنما يستمعون إليه ويتناقلون معه .
[تحت باروز من كاتدرائية ييستوبا بإيطاليا]

ونادرة ومرتفعة الثمن مما أعجز غالبية الطلاب عن اقتنائها ، فقد اتبع الاساتذة
خطة إملاء النصوص التي يكتبها الطلبة وسط الصفحات ، ثم يضيفون بعد ذلك
بين السطور مذكراتهم وعلى هامشها العريضة مائتسر من الشروح والتعليقات
التي تلقى عليهم من أستاذ آخر ، وهكذا .

وكان نظام الامتحان قائماً على المناقشة العلنية في رسالة يكتبها الطالب باللغة
اللاتينية . وكانت الدرجات العلية التي تمنحها الجامعة للطلاب هي الإجازة التي
تعرف بإسم الليسانس التي تتيح لحاملها حق ممارسة التدريس في المدارس . وهناك
أيضاً الإجازات العالية التي تعطى لحاملها الحق في المحاضرة بالكلية ، وأولى
الشهادات العالية هي درجة الماجستير والثانية هي درجة الدكتوراه في الآداب
أو القانون أو اللاهوت . وكانت مثل هذه الدرجة الأخيرة تعطى للحاصل
عليها الحق في أن يصبح أستاذاً بالجامعة . كذلك كانت موضوعات الرسائل المقدمة

في العصر الوسيط لها طابعها الخاص . فهي تمتاز ، بصفة عامة ، بالروح الدينية الجدلية الاستقرائية وليست الروح الاستنباطية الاجتهادية (١) .

وخلاصة القول إن جامعة العصور الوسطى لم تظهر من العدم إلى الوجود طفرة واحدة ، ولم تكن بنت يوم وليلة ، إنما كانت هناك عوامل مهدت لها ترجع إلى قرون طويلة قبل نشأتها . وقد بدأت حياتها متواضعة بسيطة ، وأخذت في النمو تدريجياً ثابتاً بطيئاً إلى أن كبرت ونضجت وبرزت شهرتها بفضل أساتذة كبار حاضروا بها إلى جانب آلاف مؤلفة من الطلبة اجتمعوا لكي ينهلوا على أيدي أولئك الأساتذة مختلف المعارف والعلوم . ومع الزمن توطدت أركانها ، واعترفت بها السلطات الدينية والديوية في الغرب وعلى رأسها البابوات والاباطرة والملوك . فصدرت البراءات والمراسيم والإعفاءات تتضمن العديد من الحقوق والامتيازات للجامعة ولأساتذتها وطلابها ، وأوقفت عليها الهبات والعطايا من محبي العلم ومريديه مما ضمن لها حياة مستقرة هادئة ، وهياً لرجالها أماكن مناسبة يزاولون فيها نشاطهم التعليمي .

وعلى هذا يمكن القول بأن الجامعة المعنوية وجدت في المجتمع الغربي في أواخر العصر الوسيط قبل أن توجد الجامعة المادية . بمعنى أن اسم الجامعة لم يكن مقروناً في بداية الأمر بالمباني الرحبة الفخمة ذات القباب والأبراج العالية ، كما أنه لم يكن مقروناً بما احتوته من فاخر الأثاث والرياش ، بل كان كيانه يتوقف أولاً

(١) Coulton, Medieval Panorama, pp. 397, 400, 407ff ;
 LaMonte, op. cit., pp. 568—574 ; Brinton & Others, op. cit.,
 vol. I, pp. 305—307 ; Boutié, op. cit., p. 131 ff.
 ماحور : الجامعات الأوروبية ، ص ١٣٧ وما بعدها و ١٥٢ وما بعدها و ١٥٧ وما بعدها
 و ١٦٦ وما بعدها ؛ وهيب سيمان : الثقافة والتربية ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

وأخيراً على سعة علم الأساتذة الذين يدرسون بها وقيمة محاضراتهم وأهميتها التي كثيراً ما كانت تلقى في الخلاء المكشوف أو في أفنية الكنائس أو في سراديبها^(١). ولقد أثارت هذه الجامعات اهتمامات واسعة في أوروبا من أقصاها إلى أقصاها . كما كان لدى الطلبة رغبة أكيدة جامحة للتزود بالثقافة والعلم ، وفي سبيل ذلك قاسوا الكثير من المخاطر والصعاب ليتسنى لهم مواصلة دراستهم وتعليمهم .

- لقد كان طالب العصور الوسطى يعرف كل شيء عن سياق ،
- دروسه داخل محيطه الجامعي المحدود ... أما طالب العصر ،
- الحديث ، فهو يتنصل من أداء الواجب الأكاديمي متعللاً بأية ،
- حجة خارج نطاق دروسه ومناهجه .. وكان طالب النظام ،
- التقديم يملك الطاحونة دون الحبوب ؛ أما طالب العصر الحديث ،
- فقد ورث حصاداً من المعارف والعلوم ، ولكنه ليس بمجهزاً ،
- تجهيزاً حسناً طيباً بمطحنة يسهل بها هذا الحصاد (٢) .

(١) LaMonte, op. cit., p. 572. أنظر أيضاً كرامب وجاكوب : تراث

العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(٢) Mott & Dee, op. cit., p. 171 ; cf. also Shaw, Trends of Civilization and Culture (1932), pp. 243—244.

الملاحق

الملاحق الستة التالية لها صلة وثيقة ومباشرة بموضوع هذا الكتاب ، فضلا عن أهميتها من الناحية التاريخية ، وقد تم اختيارها بعناية فائقة . ففى ، أولا ، تتضمن مراسلات ووثائق ومراسيم أصلية وأصيلية ، صادرة عن أشخاص مسئولين فى الغرب من ملوك وأباطرة وبابوات وكتاب وشعراء لهم شهرتهم ومسكانتهم . ثم هى ، ثانيا ، تسلط الاضواء على موضوع التعليم والمدارس والجامعات فى العصور الوسطى ، وتكشف عن مختلف الامتيازات والإعفاءات والحريات والبراءات التى حصل عليها الاساتذة والطلاب فى جامعة العصور الوسطى وفى غيرها من مختلف المعاهد والمدارس والكليات .

يتناول الملحقان الأول والثانى موضوع إحياء العلم والتعليم فى عهد الإمبراطور شارلمان فى أخريات القرن الثامن وبدايات القرن التاسع الميلادى ، فى عصر كانت فيه أوروبا لا تزال تعيش فى جهالة وظلام ولم تكن قد أفادت بعد من غزوات البرابرة المدمرة وما أحدثته فى الغرب من فوضى واضطراب . والمعروف أن شارل العظيم قد وجه عناية خاصة إلى أمور العلم والتعليم ليس فى عاصمته فحسب وإنما فى كافة أرجاء إمبراطوريته الواسعة . فأحضر إلى بلاطه الكثير من العلماء المبرزين فى شتى فروع المعرفة من مختلف أنحاء القارة الأوروبية بعامة ومن انجلترا بصفة خاصة ، وذلك لتثقيف غالة والعمل على إحياء نهضة علمية شاملة بها تعتبر - فى الحقيقة - من أبرز مظاهر عصره ، وترتبط إلى حد بعيد بإسمه وشخصه ، وإن كانت قد هيات الجو بدورها للنهضات الفكرية التالية لها . وهكذا استدعى من نورثمبريا فى انجلترا السكون وجعله رئيسا لمدرسة البلاط التى أنشأها فى عاصمة ملكه آخن (إكس لاشابل) ويتضمن الملحقان نبذا ومقتطفات من خطابين موجهين من شارلمان إلى رجال الدين ومقدمى الأديرة فى دولته المترامية

الأطراف . وهما يكشفان عن مدى اهتمامه بأمور العلم والتعليم على الرغم من أنه لم يكن عالماً أو متعلماً بالمعنى المفهوم ، ويؤكدان أن هذا الاهتمام لم يقتصر على العاصمة فحسب وإنما امتد إلى كافة أرجاء إمبراطوريته . كما يوضحان ، في ذات الوقت ، أن اهتمام شارلمان بالشئون الثقافية لم يكن يقل بحال عن اهتمامه بالأمور الروحية البحتة (١) .

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص نقول إن الملحق الأول يحتوى على رسالة موجهة من شارلمان إلى أحد رؤساء الأديرة بألمانيا ، يدعى بارجولاف ، يبحث فيها الرهبان على البحث والدراسة والاختصاص بأسباب العلم والاستزادة من المعرفة ، بعد أن لاحظ كثرة الأخطاء اللغوية والتعبيرات الشاذة غير السليمة التي كانت تمتلئ بها خطاباتهم الموجهة إليه . ثم يبين أهمية العلم مؤكداً أنه لا يقل بأية حال عن الخلق القويم والمسلك المستقيم ، إن لم يفضلهما . وفي ختام رسالته يطالب الرهبان بالمثابرة والاجتهاد في تحصيل العلم ، بما يعينهم على تفهم ما جاء في الكتب المقدسة (٢) . أما الملحق الثاني فيتضمن رسالة من الإمبراطور الألماني إلى الوعاظ الدينيين يدعوهم فيها إلى تدريس الفنون الحرة في جميع الكنائس ، مع العمل على تصحيح الكتب الدينية والكتاب المقدس من العبارات الخاطئة

Downs, Basic Documents in Medieval History, p. 32; (١)

LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 160.

والمراد من المعلومات من النهضة العلمية السكارولنجية المرتبطة بشارلمان وعصره ،
أنظر ما سبق ص ٥٩ وما يليها من القسم الأول من هذا المجلد .

(٢) المراد من المعلومات ، أنظر ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص

والألفاظ الشاذة الواردة بها (١).

والملاحق الثالث عبارة عن مرسوم أصدره الملك الفرنسي فيليب اوجسطس جد لويس التاسع لصالح جامعة باريس ، وتاريخه سنة ١٢٠٠ م . وهو أول مرسوم حفظه لنا الزمن يهبه لتلك الجامعة أحد ملوك الغرب . (٢) وفيه يمنح طلبة جامعة باريس العديد من الامتيازات لئلا المصادمات العنيفة التي وقعت بينهم وبين سكان المدينة ، والتي ناصروا فيها محافظ المدينة الأهالي ضد الطلبة مما أثار سخطهم وحفيظتهم . وتتلخص هذه الامتيازات في العمل على حماية الطلبة من أى اعتداء قد يقع عليهم مستقبلا ، مع توفير أسباب الأمن وسبل السلامة لهم باتخاذ كافة الإجراءات التي تكفل سلامتهم وعدم الإساءة إليهم أو إلحاق الأذى بهم ، مما يشغلهم عن مواصلة واجبهم العلمى . كذلك ينص المرسوم على توفير الضمانات الكافية لأى طالب يقترف جريمة ما ويضبط متلبسا بها (٣) .

والواقع أنه عندما كانت جامعة من جامعات العصور الوسطى تحصل على براءة من أحد الملوك أو اللوردات ، متضمنة امتيازات لصالح الطلبة أو الاساتذة

(١) هناك خطاب آخر للإمبراطور شارلمان يرجع تاريخه إلى سنة ٧٨٩ م ، يدعو فيه إلى إنشاء العديد من المدارس لتعليم الصغار القراءة والكتابة ، ويطلب السماح للأطفال الأحرار بحسب المولد إلى جانب أبناء الأحرار الالتحاق بتلك المدارس للارتشاف من العلم . ولجلبيد هنا أن شارلمان سمح لجميع رعاياه على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم الالتحاق بتلك المدارس للأخذ بأسباب العلم . وتوجد مقتطفات من الخطاب المذكور مترجمة إلى الانجليزية في كتاب نورثون داونز . Downs, op. cit., p. 33.

(٢) Downs, op. cit., p. 132.

(٣) Cf. Wallon, op. cit., 348 ; Boutié, op. cit., 71 ;

Bailly, op. cit., 223.

أوكليها ، كانت تحفظها وتحرس عليها أشد الحرص وإن الكتاب الذى تبدو صورته على كثير من أختام الجامعة ، يعنى فى الحقيقة ذلك السجل الذى كانت تحفظ فيه مختلف الامتيازات والإعفاءات الجامعية (١) .

أما الملحق الرابع فيتضمن وثيقة تتحدث عن حياة الطلبة فى جامعة باريس فى العقود الأولى من القرن الثالث عشر . وكانت هذه الوثيقة هو جاك دى فيترى الذى ولد حوالى سنة ١١٨٠ م وتوفى حوالى سنة ١٢٤٠ م وله من العمر قرابة ٦٠ عاما . وكان فيترى من الكتاب المبرزين وأسقفا له حياة حافلة . ومن أهم الأعمال التى قام بها التبشير بالحلة الصليبية المعروفة ضد الهراطقة الألييجنسيين فى شتاء عام ١٢١١/١٢١٢ م . وفى هذه القطعة التى قننا بنقلها إلى العربية يتحدث فيترى بصراحة عن سلوك الجانب الأكبر من طلبة جامعة باريس وتصرفاتهم المشينة وأعمالهم الطائشة الخماء . فيقول إن المشاحنات كانت لاتنتهطع بين الطلبة وسكان المدينة ، مثل الصدام الذى وقع سنة ١٢٠٠ م والذى ترتب عليه أن أصدر فيليب أوغسطس فى نفس السنة مرسومه المعروف لصالح طلبة باريس ترضية لهم لما لحقهم من أضرار . ولكن ما هو أهم من ذلك وأخطر ، تلك المعارك التى كانت تنشب بين الطلبة وبعضهم البعض ، وبصفة خاصة المعارك بين مختلف « الأصم » ، التى كان من نتائجها أن حقق الطلبة وضعا قانونيا خاصا بهم داخل المحيط الجامعى . وقد تسلحوا ، فى كثير من الأحيان ، بالمصى والحرارات والسكاكين التى كانوا يستخدمونها فى مصادماتهم الدامية . ويستبين مما ذكره فيترى أن الكثيرين من أولئك الذين التحقوا بالجامعة لم يكونوا طلاب علم على الإطلاق ، ولكنهم فى واقع الأمر كانوا يضيعون وقتهم فى إثارة الفوضى

والشغب وفي الهر والمرح والحياة الصاخبة التي يسلط الشعر الجولياردى بعض الاضواء عليها (١) ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأنه وجد فريق محدود من الطلبة كان هدفه الأول والاخير هو تحصيل العلم واقتناء المعرفة والعمل الدائب المستمر المثمر ، وإن كانت الإشارة إليه تسكاد تكون معدومة في وثائق العصر ومستنداته . فقد كان كل عمل جيد - عادة - لا يسترعى من الكتاب نفس القدر من الاهتمام الذي كان يلقاه كل ماهو غير طبيعى وغير مألوف ، وكل ماهو مثير للدهشة والغرابة والفضول .

وعلى أية حال ، فإن ما ذكره جاك دى فيترى عن تراشق مختلف الطوائف والامم داخل الجامعة بمختلف ألفاظ الشتائم والسباب الذى ينتهى - عادة - بالاعتصاف بالأيدي ، يرجع - فى الغالب - إلى أنهم كانوا يدخلون الحانات لنعاطى الخمر ، فإذا ما لعبت الخمر برءوسهم وفقدوا وعيهم بدأوا فى كيل التهم واللكمات إلى بعضهم البعض . ويحتمل أيضا أن هذا العداء بين الطلبة من مختلف « الامم » إنما يرجع إلى فورة الشباب التى تهرى فى عروقهم والتى تؤدى إلى اندفاعهم وتهورهم . ولعل ظهور القوميات فى ذلك الحين فى الغرب ، وتعصب كل أمة من « الامم » داخل الجامعة لبلدها وقوميتها ، فضلا عن الخلافات العميقة الجذور والعداء التقليدى المستحكم بين مختلف دول الغرب وقتذاك ، مثل العداء بين انجلترا وفرنسا والصراع بين البابوية والإمبراطورية أو بين حزبي الجلف والعجلين وأثر ذلك على كل من ايطاليا والمانيا - لعل كل هذا قد ترك أثره

(١) فيما يتعلق بالشعر الجولياردى وأهميته فى الكشف عن حياة الهو والنسك التى كان يحياها فريق من الطلاب ، أنظر ما ذكره هاسكنز فى الفصل الثالث من كتابه « نشأة الجامعات » المترجم فى القسم الثانى من هذا المجلد ، وعنوان الفصل المذكور « طالب المصور الوسطى » راجع أيضا . Downs, op. cit., p. 134.

في تكييف العلاقات بين الطلاب من مختلف « الأمم » داخل نطاق الجامعة . إذ طبع هذه العلاقات بطابع خاص يبدو أمره جليا واضحا فيما كان يشور بينهم من خلافات ومشاحنات لأنفه الأسباب ، وأحيانا لأسباب كان الطلاب أنفسهم يفتعلونها ، وكانت تأخذ في كثير من الأوقات مظهرا عنيفا دائما .

ويعزز ما ذكره فيترى عن حياة الطلبة في جامعات العصور الوسطى ما ذكره في هذا الصدد أحد المؤرخين الغربيين المحدثين وهو سيدنى بينتر . فهو يتفق مع هاسكز في أن طلبة العصور الوسطى لم يختلفوا عن طلبة اليوم . فبينما كان هدف البعض هو الدراسة وتحصيل العلم ، كان البعض الآخر على خلاف ذلك تماما . وبينما أفرط الكثيرون في الشراب حتى الثمالة ، كانت الغالبية في حاجة دائمة إلى المال . ويوجد تحت أيدينا عدد من كتب الطلبة التي تتضمن نماذج من المراسلات والخطابات التي كان الطلبة يستخدمونها عند مراسلة آبائهم وذوهم . وكثير من هذه الخطابات عبارة عن أمثلة لمختلف الحجج والتعاليات التي يتذرع بها الطلبة للحصول على المال من الوالدين والأقارب أو من أولياء الأمور . ومع ذلك فهناك عدد من هذه الخطابات يوضح — مثلا — كيف يدعو الطالب لإحدى الفتيات للعشاء . ولما كانت العصور الوسطى عصور تتميز بطبيعتها بالعنف ، فقد جنح الاساتذة والطلاب على السواء إلى إثارة الشغب والفوضى . فثمة أحد الاساتذة الألمان ذبح عددا من زملائه ، بينما طرد أستاذ آخر لأنه أخذ يطمئن زميلا له يسكن حتى أurdاه قتيلا ، وقد وقع هذا الحادث في أحد اجتماعات مجلس الكلية وعلى مشهد من الجميع . وهناك أستاذ آخر من جامعة اكسفورد أدين لتحريرض تلامذته على قتل أحد الفس كان قد أساء إليه . وكانت قوانين جامعة اكسفورد تحرم على الطلبة الذين يلتحقون بالجامعة أن يدخلوا حجرات الدراسة وهم حاملين القسي

والسهام . وكانت الثورات الدموية أمرا عاديا ومألوفاً بين الطلبة وسكان المدن التي كانوا يقيمون فيها . كذلك كانت السرقات وأعمال السطو التي يقرتها الطلبة ، هي الأخرى ، أمرا شائعا . وعلى أية حال ، فن الأهمية بمكان أن ندرك أنه لم يكن من المتعذر أن ينتحل أى فرد صفة طالب العلم . فليس هناك أكثر من رداء ملفت للأنظار مثير للإغراء يرتديه أمثال أولئك الأشخاص الذين هم ليسوا طلاب علم بالمرة ، وإنما مجرمين خارجين على القانون . ويكفى القول بأن أسوأ ضاحية إجرامية في مدينة باريس في القرن الخامس عشر كانت تقع خلف جامعة باريس نفسها ، وكان كثير من سكانها ينتكرون في هيئة طلاب العلم ومهام بطلاب علم على الإطلاق (١) .

هذا عن الملاحق الأربعة الأولى ، أما الملحق الخامس فهو يشتمل على مرسوم البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١ م) إلى جامعة باريس ، وتاريخه سنة ١٢٣١ م . ويعتبر هذا المرسوم من أقدم المراسيم التي صدرت لصالح هذه الجامعة وأكثرها أهمية . وقد أصدره البابا بعد أن ترك الطلبة الجامعة وتوقفت الدراسة بها ، وبعد أن أقسموا على عدم العودة إليها . وفيه يدعو الطلبة إلى العودة ثانية إلى الجامعة لاستئناف دراستهم بعد أن أمنهم على أنفسهم وحياتهم . كما يؤكد لهم الاعفاءات والامتيازات القائمة الخاصة بهم ، ويعترف بحق الأساتذة والطلاب في إصدار القوانين والشريعات التي تنظم أمورهم . كذلك يمنح الجامعة حق التوقف عن إلقاء المحاضرات وتعطيل الدراسة إذا كان ثمة ضرورة تستدعي

(١) انظر من ذلك : Painter, A History of the Middle Ages, p.475.

وقد تعرض لهذه الجوانب في شيء من التفصيل والتفصيل المؤرخ هاسكندر في الفصل الثالث من كتابه « نشأة الجامعات » المترجم في القسم الثاني من هذا المجلد .

ذلك ، وهو حق ظلت جامعة باريس تتمتع به إلى أن تم إلغاؤه في أواخر القرن الخامس عشر ، وعلى وجه التحديد في سنة ١٤٩٩ م .^(١) ويشتمل الملحق السادس والأخير على ترخيص بابوى بتأسيس جامعة أفينيون في فرنسا ، وتاريخ الترخيص سنة ١٣٠٣ م . والمعروف أن التصريح بإنشاء أية جامعة كان يعتبر في ذلك الزمن حقا مطلقا للبابوات . وتحتوى الوثيقة المذكورة على معلومات تتمين بقيمتها ووضوحها فيما يتعلق بموضوع الامتحانات ومنح الدرجات العلمية مثل درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه^(٢) .

(١) أنظر عن ذلك Downes, op. cit., p. 136 ; Bailly, op. cit., p. 225.

(٢) Cf. Ashour & Rabie, op. cit., p. 116.

الملحق الأول

خطاب الامبراطور شارلمان الى

باوجولف رئيس دير فولدا

بألمانيا (٧٨٠ - ٨٠٠ م) . (١)

تحية وبعد — ليسكن معلوما لقد استكم أنه مما يرضى الله أن وجدنا نحن
والمخلصون من رجالنا أنه من المفيد بالنسبة للأسقفيات والأديرة التي فوض
المسيح أمر الإشراف عليها إلينا ، بالإضافة إلى جماعات الإخوان الرهبان ، مع
الرغبة في مواصلة التعليم الديني — وجدنا أنه من المفيد الاهتمام بأمر الأسقفيات
والأديرة ، وذلك فيما يختص بالثقافة الأدبية وتعليم أولئك الذين وهبهم الله
القدرة على التعلم ، كل حسب مقدرته وطاقته . ولما كان احترام القوانين الرهبانية
ومراعاتها يؤدي إلى النظام وإلى نعمة السلوك الحسن ، كذلك فإن الغيرة في
العلم والتعليم يمكن أن تؤدي إلى نفس النتيجة . وهكذا فإن الذين يرغبون لإرضاء الله
بأن يحيوا حياة قويمه صالحة ، عليهم أيضا الحصول على رضائه بالنطق السليم ...
وعلى الرغم من أن المسلك القويم قد يكون أفضل من المعرفة ، إلا أن المعرفة
تسبق آداب السلوك ... إذ كانت تصلنا خلال السنوات القليلة الماضية خطابات
من كثير من الأديرة ، جاء بها أن الإخوان الرهبان الذين يعيشون هناك يقيمون

Letter of Charlemagne to Abbot Baugulf, 780—800, (١)
cf. Downs, Basic Documents in Medieval History, pp. 32—33.
Cf. also S. Ashour & H. Rabie, Fifty Documents in Medieval
History (Cairo, 1971), pp. 34—35.

الصلوات والابتهالات المقدسة من أجلنا . ولقد وجدنا في معظم تلك المكاتبات
الافكار الصائبة إلى جانب التعبيرات الفجة غير المسالفة . ذلك أن ماتمليه
المبادأة الحققة بإخلاص على العقل ، لم يكن بوسع اللسان الذى لم يشقف بسبب
إهمال الدراسة التعبير عنه دون الوقوع فى أخطاء . . . لكل هذا ندعوكم ليس
فقط إلى الاهتمام بدراسة الآداب ، ولكن أيضا بعقل شديد التواضع لتحقيق
العلم واقتناء المعرفة بما يرضى الله ، حتى يتسنى لكم ، فى سهولة ويسر أكثر من ذى
قبل وبطريقة صحيحة أيضا ، التعمق فى فهم خبايا الاناجيل المقدسة وأسرارها . . .

الملحق الثاني

خطاب الامبراطور شارلمان

الى الوعاظ الدينيين في دولته

(١)، (٧٨٦—٨٠٠ م)

... وبناء على ذلك ، وحيث أننا نهم دائما بالعمل على تحسين أحوال كنائسنا ، فقد جاهدنا بحماس ويقظة في سبيل النهوض بأسباب العلم والتعليم اللذين أسدل عليهما ستار النسيان بسبب إهمال أسلافنا . واقتداء بنا ، فإننا ندعو كل من يمكن دعوتهم للإشراف على تدريس الفنون الحرة . ووفقا لذلك ، فقد قننا بفعل الله الذي يعيننا على كل أمر من أمورنا ، بتصحيح جميع أسفار العهدين القديم والجديد بعناية ، لأنه كان قد دب فيها الفساد بسبب جهل النساخ .

وفضلا عما تقدم ، واقتداء بأبينا بين^(٢) صاحب الذكرى الفاضلة ، الذي كان متحمسا لتجميل جميع كنائس غالة بترانيم الكنيسة الرومانية ، يهمننا أن تهصل تلك الكنائس بمهارتنا إلى مرتبة رفيعة عن طريق إعداد سلسلة من الكتب الممتازة

(١) Letter of Charlemagne to the religious lectors, 783-800, cf. Downs, op. cit., p. 88. Cf. also Ashour & Rabie, op. cit., p. 35.

(٢) هو بين القصير آخر وزراء الميروفنجيين ، وقد كانت له الكلمة العليا في البلاد بينا لهذا ملوك الميروفنجيين مجرد ألوية . ولقد اقام في أواسط القرن الثامن بقل التاج من آخر ملوك الميروفنجيين العاطلين وهو شيلديريك الثالث ، وأسس موافقة البايوية أسرة جديدة هي الأسرة السكارولنجية . أنظر هارتمان وباراكلاف : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١١٤ ح ١ و ١١٧ ح ١ و ١٤١ ح ٢ .

المتضمنة فصولا من الأناجيل لتلاوتها أثناء القداس . وأخيرا ، حيث أننا وجدنا
أن الكتب الخاصة بالخدمة الدينية الليلية التي تم تجميعها بفضل جهود غير مشرة
لبعض الأشخاص المغمورين رغمًا عن نواياهم الطيبة ، قد أصبحت غير ملائمة أو
مناسبة لأنها كتبت دون أن تتضمن عبارات مؤلفيها ، فضلا عن أنها مليئة بالأخطاء
التي لا تقع تحت حصر أوعد .

لذلك لا يمكن أن نتحمل في أيامنا هذه مسؤولية انسياب الألفاظ الشاذة
المتنافرة المليئة بالأخطاء في العظات الدينية التي تقرأ فيما بين الخدمات المقدسة .
وهدفنا هو العمل على تحسين تلك العظات

الملحق الثالث

مرسوم الملك فيليب اوجسطس
لصالح جامعة باريس (سنة
١٢٠٠ م)^(١)

..... ثم أنه فيما يتعلق بضمان سلامة الطلبة في باريس مستقبلا ، ووفقا لمشورة
رعايانا ، أمرنا بما هو آت : على كل مواطن من مواطني مدينة باريس أن يقسم
بقول الحق إذا شاهد أحد العلبيين وهو يعتدى على أحد الطلبة . كذلك يجب ألا
ينسحب أى فرد حتى لا يدعى أنه لم يشاهد واقعة الاعتداء [على الطالب] . وإذا
حدث أن ضرب شخص ما أحد الطلبة ، لا سيما إذا استخدم فى ذلك سلاحا أو
هراوة أو حجرا — اللهم إلا إذا كان ذلك دفاعا عن النفس — فعلى جميع المدنيين
الذين شاهدوا واقعة الاعتداء ، القبض بأمانة على المعتدى أو المعتدين ، وتسليمهم
إلى القاضى التابع لنا . ويجب أيضا [على جميع المدنيين] ألا ينسحبوا حتى لا يدعوا
أنهم لم يروا ما حدث ، وبذلك يتصلون من القبض على المعتدى ، ويتحلقون من
قول الحق . وسواء ضبط الفاهل متلبسا بجريمته أم لا ، فسوف تتخذ كافة
الإجراءات القانونية بواسطة رجال الدين أو العلبيين أو بعض القناويليين .
وسوف يفعل قضاتنا والكومت التابع لنا نفس الشيء
ولا يجوز لمحافظة مدينة باريس أو لقضاتنا القبض على أى طالب بسبب أية
إساءة منها كانت ، أو حتى لإيداعه سجوننا ، اللهم إلا إذا كانت الجريمة قد اقترفها

The Charter of King Philip Augustus to the University (١)
of Paris, 1200, cf. Downs, op. cit., pp. 182-183.

الطالب بالفعل بما يستدعي لإلقاء القبض عليه . وفي هذه الحالة على القاضى الذى يتبعنا القبض عليه حالا دون إيداعه على الإطلاق ، اللهم إلا إذا أبدى مقاومة ، ثم يقوم بتسليمه إلى القاضى الكنسى الذى يجب عليه حمايته ترضية لنا ولمن لحقه الأذى . وإذا ارتكبت جريمة خطيرة ، فسوف يذهب القاضى الذى يتبعنا بشخصه ، أو يقوم بإرسال من ينوب عنه ، لمعرفة الإجراءات التى اتخذت حيال الطالب . فإذا لم يبد الطالب مقاومة عند إلقاء القبض عليه ، ومع ذلك ظل يعانى من أى ضرر يلحق به ، فسوف يطالب بترضيته وفقا للإجراءات المشار إليها أهلاه والقسم المنزه عنه . ولن يضع قضائنا أيديهم على منقولات أو متاع طلبة باريس بسبب أية جريمة يقرّفونها بها بلغت جسامتها . ولكن إذا استلزم الأمر توقيع الحجر على هذه المنقولات ، فسوف يتم ذلك مع مراعاة حراستها والحفاظة عليها ، بعد صدور الأمر اللازم من القاضى الكنسى بتوقيع الحجر عليها

وفيما يخص أولئك الذين يقومون على خدمة الطلبة من العلمانيين ، وهم الذين لا يدينون لنا بالحقوق المدنية أو حق الإقامة ، ولا يعيشون على التجارة ، ولا يستخدمهم المتعلمون كوسيلة لإلحاق الأذى بالغير — فإعاعى اتخاذ ما يلى حيالهم : د غير مسموح لنا أو للقاضى الذى يتبعنا القبض عليهم ما لم يتم ضبطهم وهم متلبسون بجريمة ما . حينئذ يجب علينا أو على قاضينا إلقاء القبض عليهم . ووفقا لما سلف ، ليست لدينا الرغبة ، حقا ، فى أن يتمتع قساوسة باريس وخدمهم بهذه الامتيازات التى منحناها لطلبة باريس . ،

وفضلا عما تقدم ، وحتى يتسنى تطبيق هذه الأوامر بعناية أكثر من ذى قبل ، مع العمل على تعزيزها بقانون ثابت — فقد قررنا أن يقسم شعب باريس والمحافظة

الجديد في حضور الطلاب بتنفيذ ما سلف ذكره بإخلاص واستقامة . هذا ، وعلى كل من يتسلم منا في المستقبل منصب محافظ باريس مع غيره من المهام المكلف بها ، أن يتوجه في يوم الاحد من الاسبوع الاول أو الثانى من تعيينه ، إلى إحدى كنائس مدينة باريس — وذلك بعد استدعائه لهذا الغرض — ليؤكد بقسم يؤديه علنا وفي حضور الطلاب أنه سوف يحترم بإخلاص كل ما سبق التنويه عنه

الملحق الرابع

حياة الطلبة في جامعة باريس

جياك دي فيتري (حوالي ١١٨٠ —

حوالي ١٢٤٠ م)^(١)

لقد اقتصر عمل جميع طلبة باريس تقريبا ، المواطنون منهم والمغتربون ، في تعلم أو الاستماع إلى شيء جديد . إذ درس البعض بقصد تحصيل المعرفة فحسب ، ومعنى بذلك الفضول وحسب الاستطلاع . بينما كان هدف البعض الآخر اكتساب الشهرة ، حبا في الزهو والغرور . ومع ذلك فهناك فريق كان يتعلم رغبة في الربح والكسب ، مما يكشف عن الجشع ورذيلة الرشوة أي السيمونية . وقليلون جدا هم أولئك الذين كانوا يتعلمون لتثقيف أنفسهم وتثقيف غيرهم . وكان الطلبة يتشاجرون ويتنازعون فيما بينهم ، ليس فقط بسبب اختلاف طوائفهم ، أو بسبب الجدل والمناقشات التي كانت تحدث فيما بينهم ، بل أيضا بسبب الخلافات بين « الأمم » التي أدت إلى قيام النزاع وإثارة الخصومات والاحقاد والعداء الشديد . فكانت تصدر عنهم ، في قحة وقلة حياء ، شتى أنواع البذاءات والسباب .

لقد قالوا إن الإنجليز سكارى ولهم ذبول ، وإن أبناء فرنسا متكبرون غنثون يزينون بعناية مثل النساء . وقالوا إن الألمان يتميزون بالعنف ويأتون المنكر في أعيادهم ولا تثمهم . أما النورمان فهم مغرورون يتهبون فخرا ؛ وسكان بواتييه خونة من طباعهم الغدر وهم دائما غايطرون . واعتبروا البرجنديين سفلة أغبياء . أما سكان

(١) Student Life at the University of Paris by Jacques de Vitry (ca. 1180—ca. 1240), cf. Downs, op. cit., pp. 134—135.

مقاطعة بريطاني فقد اشتهروا بأنهم هوائيون متقلبون ، وكثيرا ما كانوا يعيرونهم لمقتل آرثر . (١) واتصف اللبارديون بأنهم محبون للبال أشرار جبناء . أما الرومان فهم منعدون مشاغبون مفترون ، والصقليون بغاة عتاه قساة ظالمون جائرون . ويهشق سكان برابانت سفك الدماء ولإثارة الفتن، فضلا عن أنهم لصوص وقطاع طرق ومغتصبون . وأما الفلنكيون (٢) فهم متقلبون مسرفون نهمون ناعمون كالزبد كسالى . وبعدهذه الكلمات من الشتائم والسباب، كانوا فى الغالب يتضاربون بالأيدي ويتبادلون اللكمات .

ولن أتحديث عن علماء المنطق أصحاب المناقشات السفسطائية ، الذين ليس بوسع أى إنسان فهم خطبهم البليغة الخالية من الحكمة على حد قول أشعيا [النبى] (٣) . وأما عن أساتذة اللاهوت و المحتلين مركز موسى ، فقد تشبعوا بالعلم ، ولكن هدفهم لم يكن التثقيف وتقويم الاخلاق . لقد اقتصر عملهم على التعليم دون ممارسة العلم ، حتى أصبحوا « مثل النحاس الأصفر الرنان » أو « الصنج ذات اللطين » أو مثل قناة من الحجر جافة دائما . ومثلهم مثل من يجب عليهم أن يحملوا الماء إلى « مجرى نهر من التوابل » . ولم يحفلوا على بعضهم البعض فحسب ، وإنما كانوا يغرون طلبة الاساتذة الآخرين بمسول كلامهم وطيب حديثهم . فقد كان كل فرد منهم يسعى لتحقيق مجده الشخصى دون الاهتمام البتة بخلاص النفوس وسلامتها (٤) .

-
- (١) سنعرض له بالتفصيل فى القسم الثانى من هذا الكتاب .
 - (٢) نسبة الى بلاد الفلنك ، وتعرف أيضا باسم الفلاندرز أو الأراضى الواطئة .
 - (٣) أنظر الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر أشعيا - إسحاح ٥ آية ٣١ ، ونصها : « ويل للحكام فى أعين أنفسهم والفهاء عند ذواتهم » .
 - (٤) يبدو فى حديث بترى هنا نغمة التهكم والسخرية وهو يتحدث عن أساتذة المنطق واللاهوت .

الملحق الخامس

مرسوم البابا جريجورى
التاسع الى جامعة باريس
(سنة ١٢٣١ م) .^(١)

تحية وبركة رسولية ، من الأسقف جريجورى ، خادم خدام الرب ، إلى
أبنائه الاحباء جميع أساتذة باريس وطلابها ...

لقد قررنا فيما يتعلق بأحوال الطلبة والمدارس الجامعة مراعاة الآتى : يجب
على كل أمين كاتدرائية يتم تعيينه فى باريس ، من الآن فصاعدا ، أن يقسم
بإخلاص وبوحى من ضميره ، عند تقلده مهام منصبه ، وفى حضور أسقف
باريس ، أو بناء على طلب الأخير بعقد اجتماع فى كاتدرائية باريس^(٢) ، وبعد
دعوة اثنين من زعماء الطلبة لهذا الغرض — يجب عليه أن يقسم بعدم قبول أساتذة
فى العلوم اللاهوتية والقانون الكنسى سوى الاساتذة الأكفاء ، مع مراعاة المكان
والزمان المناسبين ، ووفقا لظروف المدينة واحتياجاتها ، وحسب ما يقتضيه
شرف هذه الفروع من العلم وهيبتها . وعليه أن يقسم أيضا بصرف النظر عن
غير الأكفاء دون مراعاة أو اعتبار للأشخاص أو الأمام .

هذا ، وقبل منح أى فرد لإجازة التدريس يجب على أمين الكاتدرائية ، خلال

Charter of the Pope [Gregory IX] to the University of (١)
Paris, 1281, cf Downs, op. cit., pp. 136—138.

(٢) المقصود كاتدرائية نوردام .

ثلاثة أشهر تبدأ من طلب التصريح بالإجازة ، أن يقوم بجمع المعلومات الدقيقة الوافية عنه من جميع أساتذة اللاهوت الموجودين بالمدينة ، ومن غيرهم من الرجال المخلصين المثقفين الذين يمكن الاعتماد عليهم لمعرفة الحقيقة الخاصة بسيرة المرشح [للحصول على إجازة التدريس] ومقدار علمه ومدى قدراته ومقاصده ومشاريعه ، وغير هذا وذلك من الصفات الواجب توافرها فيه ، وبعد إجراء هذه التحريات ، يقوم [أمين الكاتدرائية] بإخلاص وروحى من ضميره بمنح إجازة التدريس للمرشح أو حرمانه منها حسبما يبدو ذلك ملائماً وعلى أساتذة اللاهوت والقانون الكنسى عندما يبدؤون فى إلقاء محاضراتهم ، أداء قسم على مفاده أنهم سوف يحافظون بإخلاص على ماسبق التنويه عنه . وعلى أمين الكاتدرائية أن يحلف أيضاً بعدم إفشاء أسرار الأساتذة بأية طريقة ، بما قد يترتب عليه إلحاق الضرر أو الإذى بهم . فضلاً عن الإبقاء على الحريات والامتيازات التى نصت عليها قوانين جامعة باريس دون المساس بها ، وأن تظل كما كانت منذ البداية . وبالإضافة إلى ما تقدم ، سوف يتعهد أمين الكاتدرائية بأن يتحرى بإخلاص عن أساتذة الطب والآداب وفروع المعرفة الأخرى ، حتى يتسنى السماح للأكفاء فقط [بالتدريس فى الجامعة] واستبعاد غير الأكفاء .

وفىما يتعلق بغير ذلك من الأمور ، ونظراً لأن الفوضى تزحف فى سهولة ويسر حيث لا يوجد نظام ، فقد منحناكم (١) حق إصدار القوانين والشريعات التى تنظم مواعيد المناقشات والمحاضرات وكيفية إلقائها ، وكذلك الزى المميز للطلبة ، وما يختص بدفن الموتى ، وكل ما يتصل بالمؤهلين الذين يحاضرون [فى الجامعة] ومواعيد محاضراتهم ، والمواضيع التى يحاضرون فيها . وأيضاً ما يتعلق

(١) يقصد بذلك الجامعة .

بإيجارات السكن أو الحجز عليها ، وما يختص بالجزاء المناسب الذى يوقع على اولئك الذين ينتهكون قوانينكم وتشريعاتكم ، بالعمل على نبذهم من مجتمعكم . وإذا تم تحصيل ضريبة السكن منكم ، وإذا كان يعوزكم أى شئ ، أو أصابكم ضرر أو لحق بكم مكروه أو داهمتكم خسارة فادحة أفضت إلى الموت أو بتر أحد الأطراف ، ومالم تم الترضية اللازمة ، خلال خمسة عشر يوما من وقوع الإصابة بعد توجيه إنذار مناسب ، فيمكنكم التوقف عن إلقاء محاضراتكم إلى أن تحصلوا على الترضية الكافية . (١) هذا ، ومن حق أى فرد منكم الامتناع كذلك عن إلقاء محاضراته فورا ، إذا وجد أن هذه هى الوسيلة الملائمة فى حالة إيداعه السجن بدون وجه حق ، طالما لم يتم رفع الضرر الذى لحق به بنساء على احتجاج يقدم منكم .

وفضلا عما تقدم ، فقد أصدرنا أوامرنا إلى أسقف باريس بتوقيع القصاص على المذنب إذا تهادى فى جريمته ، وبضرورة المحافظة على حقوق كل طالب وامتيازاته الجامعية ، وعدم ترك الأعمال الشريرة غير الطيبة تفلت بدون عقاب . كذلك لا يجوز لإطلاقا القبض على شخص برئ بسبب المعتقدى . وحق إذا حامت شبهات غير مؤكدة حول أى فرد ، فيتم اعتقاله دون المساس بكرامته ، ويخلى سبيله إذا دفع كفالة مناسبة ، ودون أى تعسف من قبل السجائين . ولكن إذا ارتكبت جريمة ما ، وكان من الضرورى حبس مرتكبها ، فعلى الأسقف حبس المذنب فى سجنه ، ولا يسمح لأمين الكاتدرائية باحتجازه فى سجنه الخاص . كما أنه غير مسموح إلقاء القبض على أى طالب لدين له على آخر ، إذ أن هذا الأمر محرم طبقا للتعليمات والقوانين الكنسية وما تنص على به الشريعة . وليس من

(١) الحديث هنا موجه الى أساتذة الجامعة .

حق الأسقف أو موظفيه أو أمين الكاتدرائية أن يحصلوا عترة على غرامة مالية من شخص ما لإحلاله من قرار حرمان كنسى تم توقيعه عليه ، أو من أى عقاب آخر أيا كان نوعه . ولا يحق لأمين الكاتدرائية أن يطالب الأساتذة المصرح لهم بمزاولة المهنة بأداء قسم أو حلف يمين الطاعة أو بذل أى وعد آخر أيا كان ، كما لا يحق له أن يحصل على أجر أو وعد نظير الترخيص لشخص ما بمزاولة المهنة ، بل يجب عليه أن يلتزم بالقسم المشار إليه أعلاه .

ويجب ألا تزيد مدة العطلة الصيفية عن شهر واحد . وبوسع الحاصلين على إجازة الليساس ، إذا رغبوا ، الاستمرار فى إلقاء محاضراتهم خلال العطلة . وبالإضافة إلى ماتقدم ، فإننا نحرم بشدة على الطلبة حمل السلاح داخل المدينة ، وتمنع الجامعة من حماية أولئك الذين يخلون بالأمن أو يعملون على تعطيل الدراسة . وأما أولئك الذين يدعون أنهم طلاب علم ، ولكنهم لا يترددون على مدارسهم ولا يعرفون أساتذتهم ، فليس من حقهم التمتع بالحرريات المصرح بها للطلبة ...

وحيث أن الأساتذة والطلبة الذين أثارهم الخسائر والأضرار التى لحقت بهم ، كانوا فى الواقع قد أدوا قسما مشتركا بمغادرة باريس وإغلاق الجامعة ، وحيث أنهم قد أثاروا بذلك نزاعا ليس فى صالحهم بقدر ما هو ضد الصالح العام — لذلك ، اعتبارا لمطالب الكنيسة وامتيازاتها ، نود بل نأمر بأن يواصل الأساتذة والطلبة عملهم فى باريس ، وسوف لا يدانون بسبب رحيلهم عنها أو عودتهم إليها ، وذلك بعد أن منحهم ولدنا الحبيب ملك الفرنسيين العظيم (١) — بركة المسيح — تلك الامتيازات السالفة ، وبعد أن قدم المعتدون التعويضات اللازمة .

(١) المقصود فيليب أوغسطس الذى كان قد أصدر مرسوما لصالح جامعة باريس عام ١٢٠٠ م . أنظر الترجمة العربية للمرسوم المذكور فى الملاحق الثالث من ١٦٦ - ١٦٩ .

الملحق السادس

تخليص بابوي بتأسيس

جامعة أفينيون بفرنسا

(سنة ١٣٠٣ م) . (١)

تعتبر مدينة أفينيون لأسباب عديدة مقراً صالحاً ومناسباً تماماً لإقامة جامعة بها . هذا ، ولما كنا نؤمن بأن الصالح العام يقتضى استدعاء أولئك الذين يبدرون الحكمة إلى المدينة ، وأنهم سوف يعطون في الوقت المناسب ثماراً يانعة — فإننا نمنح بهذه الوثيقة حق تأسيس جامعة هناك ، حيث يمكن للأساتذة *magistri* مواصلة مهنة التدريس بينما يقوم طلاب العلم بالدراسة والاستماع إلى المحاضرات في جميع الكليات طوعاً واختياراً . وعندما يصل أولئك الذين يدرسون بالجامعة إلى درجة رفيعة من العلم والمعرفة ، ويسألون التصريح لهم بتدريس الآخرين ، فإننا نجيهم إلى طلبهم على أن يؤديا امتحاناً في كلا القانونين الكنسي والمدني وفي الطب والفنون الحرة ، ثم يتوج عملهم بمنحهم لقب ماجستير في [تخصصات] (٢) تلك الكليات . وسوف يمثل جميع المجازين لهذا الشرف في حضرة أسقف أفينيون الذي يتولى استدعاء جميع أساتذة الكلية المعنية ، ثم يقوم بامتحان المرشحين [لنيل الدرجة] دون المطالبة بأية مصاريف أو نفقات ، وذلك للوقوف على مقدار حصيلتهم العلمية ومدى بلاغتهم وأسلوبهم في المحاضرة ، وغير ذلك

(١) Papal Charter for the Establishment of the University of Avignon, 1303, cf. Ashour & Rabie, op. cit., pp 116—117.

(٢) الكلمات التي تقع بين حاصرتين أضافها المترجم زيادة في الإيضاح .

من الأمور الواجب توافرها في مثل أولئك الذين سيحصلون على درجة الدكتوراه أو الماجستير. وبعد ذلك يتداول [الأسقف] مع الأساتذة حول [نتيجة] الامتحان، ويقومون هم بدورهم بإبداء الرأي فيما يتعلق بموضوع منح الدرجة العلمية، بمعنى أن يقرروا إن كان المرشح قد أدى الامتحان بنجاح أم لا. هذا، مع مراعاة أن يبقى اقتراحهم سرّاً مكتوماً، وألا يفصح الأسقف إطلاقاً كيف أدلوا برأيهم في الموضوع. وسوف يصادق على الصالحين منهم ويأذن لهم بتدريس الآخرين. أما أولئك الذين يرى أنهم غير صالحين، فسوف يرفض طلبهم دون رهبة أو تملق. وإذا حدث أن كانت أسقفية أفنيون شاغرة، فيسقدم المرشحون [لنيل الدرجة العلمية] أنفسهم إلى القاضى Praepositus الكنسى الذى يتولى امتحانهم والموافقة على من يقع عليهم الاختيار وفقاً لما أشرنا به بالنسبة للأسقف.

وفيما يتعلق بأولئك الذين أدوا الامتحان وتم الموافقة عليهم في أفنيون وحصلوا على إجازة التدريس، فيسكون لهم بعدئذ الحق المطلق في المحاضرة والتدريس في كل مكان بالكلية التى أجازوا للعمل بها، وذلك بدون أداء أية امتحانات أخرى أو الحصول على موافقة أى شخص آخر.

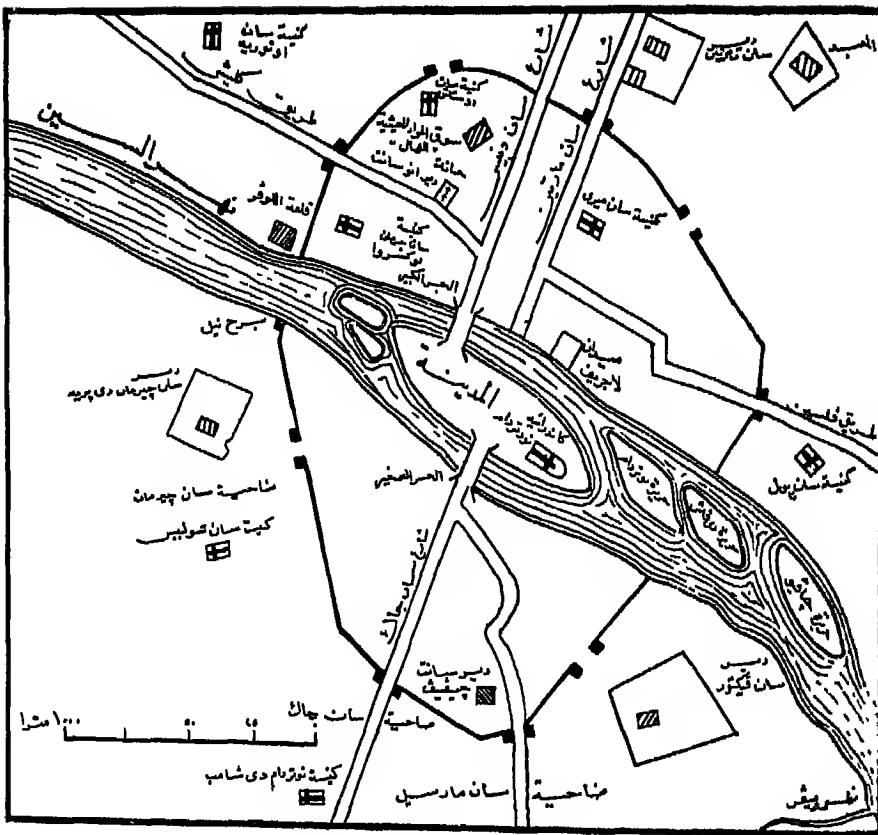
وحق يتم عقد مثل تلك الامتحانات بطريقة سليمة، نأمر بأن يؤدي جميع الأساتذة الذين يرغبون في المحاضرة بجامعة أفنيون، قبل أن يبدأوا عملهم بها كمدربين، قسماً علنياً مؤداه أنهم سيتواجدون شخصياً في جميع الامتحانات وفي أى وقت يتم استدعاؤهم فيه، وأنهم سوف يزودون الأسقف لا عن رهبة وخشية أو رغبة في الولقى والتملق، وإنما بأمانة وإخلاص وبدون مقابل gratis، برأيهم في الامتحان، وذلك حتى يتسنى المصادقة على الأكفاء واستبعاد

—١٧٨—

غير الأكفاء . ولن يسمح لأولئك الذين يرفضون أداء هذا القسم بالمحاضرة في الجامعة أو حضور الامتحانات أو التمتع بأية مزايا جامعية .

وحتى يكرس أساتذة الجامعة وطلبتها أنفسهم لدراساتهم بحرية وبلا قيود ، وحتى يحرزوا تقدما طيبا فيها — فإننا نمنح كل الذين يعملون بالجامعة ، من أساتذة وطلاب ، جميع الامتيازات والحريات والإعفاءات التي يتمتع بها — عادة — المدرسون والدارسون بالجامعات الأخرى .

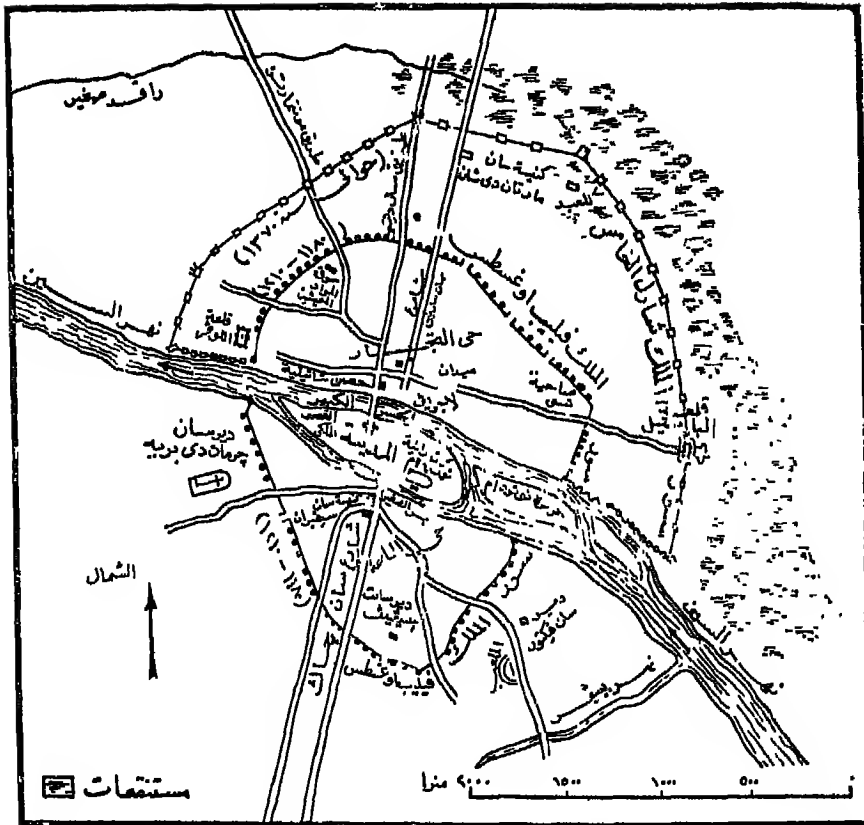
خريطة رقم (۲)



پاریس فی عصر فیلیپ اوسطس

- ١٨٢ -

خريطة رقم (٣)



مأرس في المصور الوسطى

المراجع^(١)

(١) يتضمن هذا التثبيت المراجع الوارد ذكرها في حواشي المجلد الأول والثاني
من هذا المجلد .

أولا

المراجع العربية

ابراهيم احمد العدوى (دكتور) : المجتمع الاوروبى فى المصور الوضعى —
القاهرة ١٩٦١ .

احمد فؤاد الاهوانى (دكتور) : ابن سينا — القاهرة ١٩٥٨ .

حوزيف لسيم يوسف (دكتور) :

١ — دالدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية ، — مقال بمجلة كلية الآداب
بجامعة الاسكندرية — العدد ١٦ (السنة ١٩٦٣/٦٢) — الاسكندرية
١٩٦٣ (ص ١٨٣ — ٢٠٧) .

٢ — العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى — ط . ثمانية —
الاسكندرية ١٩٦٧ .

٣ — العدوان الصليبي والرأى العام الغربى ، — محاضرة من سلسلة المحاضرات
العامة بجامعة الاسكندرية للعام الجامعى ٦٧ / ١٩٦٨ - الاسكندرية
١٩٦٨ (ص ٢٩ — ٥٢) .

٤ — العدوان الصليبي على مصر : هزيمة لويس التاسع فى المنصورة
وفارسكور — الاسكندرية ١٩٦٩ .

٥ — العدوان الصليبي على بلاد الشام : هزيمة لويس التاسع فى الأراضى
المقدسة — الاسكندرية ١٩٧١ .

حسن حبشى (دكتور) : الحرب الصليبية الاولى — ط . ثمانية — القاهرة
١٩٥٨ .

حسن حنفى حسنين (دكتور) : نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط -
الاسكندرية ١٩٦٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

١ — اوربا المصور الوسطى - جز. ان - القاهرة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .

٢ — الجامعات الاوربية في المصور الوسطى — القاهرة ١٩٥٩ .

٣ — المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الاوربية — القاهرة ١٩٦٣ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ومحمد انيس (دكتور) : النهضة الاوربية
في المصور الوسطى وبداية الحديثة — القاهرة ١٩٦٠ .

عباس محمود المقاد : أثر العرب في الحضارة الاوربية — القاهرة ١٩٦٥ .

عبد الرحمن بدوى (دكتور) : فلسفة المصور الوسطى — القاهرة ١٩٦٢ .

على مظهر (دكتور) : محكم التفتيش — القاهرة ١٩٤٧ .

نظير حسان سعداوى (دكتور) : تاريخ إنجلترا وحضارتها في المصور القديمة
والوسطى — القاهرة ١٩٥٨ .

وهيب ابراهيم سمان (دكتور) : الثقافة والتربية في المصور الوسطى —
القاهرة ١٩٦٢ .

يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط — القاهرة ١٩٥٧ .

ثانياً

المراجع العربية

اليجيرى (دائق) : الكوميديا الالهية — القسم الثالث (الفردوس) — ترجمة
وتقديم وتعليق الدكتور حسن هبمان — القاهرة ١٩٦٩ .

- بينز (ن) : الإمبراطورية البيزنطية - تعريب الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد - القاهرة ١٩٥٠ .
- دوسن (ك) : تكوين اوربا - ترجمة ومراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة ١٩٦٧ .
- ديفنز (و.ك) : شارلمان - نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العريفي - القاهرة ١٩٥٩ .
- راوس (أ.ل) : التاريخ الانجليزي - نقله إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٤٦ .
- سباين (ج) : تطور الفكر السيامي - جزآن - ترجمة حسن جلال العروسي - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ .
- فشر (أ.ل) : تاريخ اوربا في العصور الوسطى - جزآن - ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريفي والدكتور ابراهيم احمد العدوي - القاهرة ١٩٥٠ و ١٩٥٧ .
- كرامب (ج) وجاكوب (ل) : تراث العصور الوسطى - راجع الترجمة العربية محمد بدران والدكتور محمد مصطفى زيادة - جزآن - القاهرة ١٩٦٥ و ١٩٦٧ .
- كولتون (ج.ج) : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق الدكتور جوزيف نعيم يوسف - ط. ثانية - الاسكندرية ١٩٦٧ .
- هارتمان (ل.م) وبارا كلاف (ج) : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى - ترجمة وتقديم الدكتور جوزيف نعيم يوسف - ط. ثانية - الاسكندرية ١٩٧٠ .
- يعقوب (ج) : أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى - ترجمه بتصرف الدكتور فؤاد حسنين على - القاهرة ١٩٤٦ .

- ١٩٠ -

ثالثا

المراجع الاجنبية

- Arnold, T. & Guillaume, A. (eds.), *The Legacy of Islam*. London, 1952.
- Ashour, S. & Rabie, H., *Fifty Documents in Medieval History*. Cairo, 1971.
- Atiya, A.S., *Crusade, Commerce and Culture*. Bloomington, 1962.
- Bailly, A., *Byzance*. Paris, 1939.
- Bailly, A., *Saint Louis*. Paris, 1949.
- Baker, D.N. & Fasel, G.W. (eds.), *Landmarks in Western Culture*. 2 vols. New Jersey, 1968.
- Baldwin, M.W., *The Mediaeval Church*. New York, 1953.
- Barker, E. (ed.), *Social and Political Thought in Byzantium from Justinian I to the last Palaeologus*. Oxford, 1957.
- Barrow, R.H., *The Romans*. Aylesbury & London, 1955.
- Baynes, N.H., "The Political Ideas of St. Augustine's *De Civitate Dei*," *The Historical Association*. London, 1962. (Pamphlet No. 104, pp. 3—17).
- Baynes, N.H. & Moss, H. St. L.B. (eds.), *Byzantium*. Oxford, 1953.
- Bédier, J., *La Chanson de Roland*. Paris, 1937.
- Bell, M.I.M., *A Short History of the Papacy*. London, 1921.
- Blakeney, E.H. (ed.), *A Smaller Classical Dictionary*. London, 1923.
- Bloch, M., *Feudal Society*. Translated from the French by L.A. Manyon. 2 vols. London, 1967.
- Boutié, L., *Paris au temps de Saint Louis*. Paris, 1911.
- Brinton, C., Christopher, J.B. & Wolff, R.L., *A History of Civilization*. 2 vols. New Jersey, 1967.
- Browne, R.A., *British Latin Selections (A.D. 500—1400)*. Oxford, 1954.
- Burckhardt, J., *The Civilization of the Renaissance*. Translated by S.G.C. Middlemore. London, 1944.

- Burgh, W.G. de, *The Legacy of the Ancient World*. 2 vols. London, 1955.
- Bury, J.B., *History of the Later Roman Empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian*. 2 vols. New York, 1958.
- Calmette, J., *Le Monde Féodal*. Paris, 1937.
- Calmette, J., *Le Moyen Age*. Paris, 1948.
- Cantor, N.F., (ed.), *The Medieval World : 300—1300*. New York, 1963.
- Carcopino, J., *Daily Life in Ancient Rome*. Translated from the French by E.O. Lorimer. Aylesbury, 1956.
- Chadwick, H., *The Early Church*. London, 1969.
- Chateaubriand, *Génie du Christianisme*. 2 vols. Paris, 1922.
- Cochrane, C.N., *Christianity and Classical Culture : A Study of Thought and Action from Augustus to Augustine*. New York, 1957.
- Cordier, A., *La Chanson de Roland*. Paris, 1935.
- Coulton, G.G.,
1. *The Inquisition*. London, 1929.
 2. *Medieval Panorama : The English Scene from Conquest to Reformation*. New York, 1955.
 3. *Medieval Village, Manor and Monastery*. New York, 1960
 4. *Medieval Scene*. Cambridge, 1961.
- Cragg, G.R., *The Church and the Age of Reason (1648—1789)*. Bristol, 1960.
- Crombie, A.C., *Augustine to Galileo, Vol. I : Science in the Middle Ages (V—XIII Centuries)*. London, 1961.
- Crump, C.G. & Jacob, E.F. (eds.), *The Legacy of the Middle Ages*. Oxford, 1951.
- Daniel-Rops, *L'Eglise de la Cathédrale et de la Croisade*. Paris, 1952.
- Davies, R.T., *The Golden Century of Spain (1501—1621)*. London, 1964.
- Diehl, Ch., *Histoire de l'Empire Byzantin*. Paris, 1920.
- Diehl, Ch. & Marçais, G., *Histoire du Moyen Age, Tome III*. Paris, 1944.

- Dodge, B., *Al-Azhar - A Millenium of Muslim Learning*. Princeton, 1961.
- Downs, N. (ed.), *Basic Documents in Medieval History*. New York, 1959.
- Duroselle, J. - B., *Histoire du Catholicisme*. Paris, 1949.
- Encyclopaedia Britannica*, 23 vols. Chicago, 1964.
- Figgis, J.N., *Political Thought from Gerson to Grotius*. New York, 1960.
- Funck-Brentano, F., *Le Moyen Age*. Paris, 1922.
- Gandillac, M. de, *Oeuvres Choieses d'Abélard*. Paris, 1945.
- Garin, E. & Others, *Les Utopies à la Renaissance*. Bruxelles & Paris, 1963.
- Glanville, S.R.K. (ed.), *The Legacy of Egypt*. Oxford, 1957.
- Goff, J. le, *La Civilisation de l'Occident Médiéval*. Paris, 1965.
- Goyau, G., *Orientations Catholiques*. Paris, 1925.
- Halphen, L., *L'Essor de l'Europe (XIe-XIIIe Siècles)*. Paris, 1941.
- Haskins, C.H.,
1. *The Renaissance of the Twelfth Century*. Cambridge, 1928.
 2. *Studies in Mediaeval Culture*. New York, 1929.
 3. *The Rise of Universities*. New York, 1960.
- Hay, D., *The Italian Renaissance in its Historical Background*. Cambridge, 1961.
- Herr, F., *The Medieval World : Europe 1100-1350*. Translated from the German by J. Sondheimer. London, 1962.
- Hillgarth, J.N. (ed.), *The Conversion of Western Europe, 350-750*. London, 1969.
- Hitti, P.K., *History of the Arabs from the Earliest Times to the Present*. London, 1964.
- Homo, L., *Nouvelle Histoire Romaine*. Paris, 1941.
- Huizinga, J., *The Waning of the Middle Ages*. London, 1955.
- Jacob, E.F., *The Fifteenth Century (1399-1485)*. Oxford, 1961.
- Katz, S., *The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe*. New York, 1960.
- Ker, W.P., *The Dark Ages*. London, 1955.

- Kitchin, G.W., *A History of France, Vol. I : B.C. 58–A.D. 1453.* Oxford, 1899.
- Kitto, H.D.F., *The Greeks.* Melbourne, 1954.
- Laistner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe, A.D. 500 to 900.* London, 1937.
- LaMonte, J., *The World of the Middle Ages.* New York, 1949.
- Lesourd, P., *Histoire de l'Eglise.* Paris, 1939.
- Lewis, B., *The Arabs in History.* London, 1958.
- Lewis, E., *Medieval Political Ideas.* 2 vols. London, 1954.
- Machiavelli, N., *Florence and the Affairs of Italy to the Death of Lorenzo the Magnificent.* New York, 1960.
- Mackie, J.D., *The Earlier Tudors (1485–1558).* Oxford, 1966.
- Mahmoud, S.F., *The Story of Islam.* Karachi, 1959.
- Malet, A. & Issac, J., *Le Moyen Age jusqu'à la guerre de cent ans.* Paris, 1926.
- Masson, G., *Mediaeval France from the Reign of Hugues Capet to the Beginning of the Sixteenth Century.* London, 1888.
- Maurois, A., *Histoire d'Angleterre.* Paris, 1937.
- McKisack, M., *The Fourteenth Century (1307–1399).* Oxford, 1959.
- Michaud, M., *Histoire des Croisades.* 7 t. Paris, 1819–1822.
- Molinier, A., *Les Sources de l'Histoire de France depuis les origines jusqu'en 1815, Vol. III : Les Capétiens, 1180–1328.* Paris, 1903.
- Mommsen, T.E., *Medieval and Renaissance Studies.* Ed. by E.F. Rice. Ithaca, 1959.
- Monnier, L. le, *Histoire de Saint François d'Assise,* 2 vols. Paris & Lyon, 1906.
- Monroe, P., *A Text-Book in the History of Education.* New York, 1914.
- Moreau, E. de, *Histoire de l'Eglise.* Paris, 1931.
- Mott, G.F. & Dee, H.M., *An Outline-History of the Middle Ages.* New York, 1950.
- Murray, J.A.H. (ed.), *A New English Dictionary on Historical Principles.* Vol. I. Oxford, 1888.
- Myers, A.R., *England in the Late Middle Ages (1307–1536).* London, 1953.

- Ostrogrosky, G., *History of the Byzantine State*. Translated by J. Hussey. Oxford, 1956.
- Painter, S., *A History of the Middle Ages : 284—1500*. London, 1966.
- Paris, G., *Mediaeval French Literature*. Translated from the French by H. Lynch. London, 1903.
- Perier, A., *La Chanson de Roland*. Paris (N.D.)
- Pernot, M., *La Chanson de Roland*. Paris, 1950.
- Piganiol, A., *L'Empire Chrétien, deuxième partie (325—395)*. Paris, 1947.
- Pirenne, H.,
1. *Medieval Cities*. Translated from the French by F.D. Halsey. Princeton, 1948.
 2. *Economic and Social History of Medieval Europe*.
Translated from the French by I.E. Clegg. London, 1961.
- Poole, A.L., *From Domesday Book to Magna Carta (1087—1216)*. Oxford, 1964.
- Powicke, M., *The Thirteenth Century (1216—1307)*. Oxford, 1962.
- Previté-Orton, C.W. (ed.), *The Shorter Cambridge Medieval History*. 2 vols. Cambridge, 1952.
- Rashdall, H., *Universities of Europe in the Middle Ages*. 3 vols. Oxford, 1936.
- Rosenthal, E.I.J., *Political Thought in Medieval Islam*. Cambridge, 1958.
- Runciman, S.,
1. *Byzantine Civilisation*. London, 1948.
 2. *A History of the Crusades*. 3 vols. Cambridge, 1954—55.
- Sabine, G.H., *A History of Political Theory*. London, 1948.
- Seignobos, Ch., *Histoire Sincere de la Nation Française*. Paris, 1933.
- Setton, K.M. (ed.), *A History of the Crusades, Vol. I : The First Hundred Years*. Ed. by M.W. Baldwin. Philadelphia, 1958.
- Shaw, *Trends of Civilization and Culture*, 1932.
- Stanley, D., *Lectures on the History of the Eastern Church*. London, 1924.

- Steinberg, S.H., *Historical Tables*, with a foreword by G.P. Gooch. New York, 1966.
- Stenton, F.M., *Anglo-Saxon England*. Oxford, 1965.
- Stone, D., *France in the Sixteenth Century — A Medieval Society Transformed*. New Jersey, 1969.
- Sullivan, R.E., *Heirs of the Roman Empire*. New York, 1960.
- Taylor, H.O., *The Classical Heritage of the Middle Ages*. New York, 1957.
- Trevelyan, G., *A Shortened History of England*. Aylesbury, 1960.
- Turberville, A.S., *Mediaeval Heresy and the Inquisition*. London, 1920.
- Vidler, A.R., *The Church in an Age of Revolution*. London & Beccles, 1968.
- Vitry, J. de, *The History of Jerusalem A.D. 1180*. Translated from the Original Latin by A. Stewart. London, 1896.
- Vodoz, J., *Roland*. Paris, 1920.
- Wallon, H., *Saint Louis*. Tours, 1897.
- Warrington, J., *Everyman's Classical Dictionary (800 B.C. — A.D. 337)*. London, 1969. .
- Waugh, W.T., *A History of Europe from 1378 to 1494*. London, 1932.
- Wheeler, M., *Rome Beyond the Imperial Frontiers*. London, 1955.
- Whitelock, D., *The Beginnings of English Society : The Anglo-Saxon Period*. London, 1954.
- Woodward, E.L., *History of England*. London, 1957.

بيان الخرائط واللوحات الخرائط

صفحة	
١٧٩	خريطة رقم (١) المراكز الفكرية في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر .
١٨١	خريطة رقم (٢) باريس في عصر فيليب أوغسطس .
١٨٣	خريطة رقم (٣) باريس في العصور الوسطى .

اللوحات

١٣٤	لوحة رقم (١١) خاتم جامعة باريس [محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس] .
١٣٤	لوحة رقم (١٢) خاتم يمثل الامم الاربع في جامعة باريس [محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس] .
١٣٧	لوحة رقم (٢) خاتم كلية اللاهوت بجامعة باريس .
١٤٧	لوحة رقم (٣) أستاذ بجامعة باريس يبدأ الدرس ، ويبدو في الصورة وهو يملأ على طلبته أنه سوف يتحدث عن النباتات الطبية [من مخطوطة بالمكتبة الاهلية بباريس] .
١٤٩	لوحة رقم (٤) طلبة القانون يستمعون إلى درس يلقيه عليهم الاستاذ [تحت بارز من كاتدرائية يستويا بإيطاليا]

محتويات الكتاب

صفحة

•	الإهداء
٧	تصدير الطبعة الأولى

القسم الأول

١٩-١٥	مقدمة
-------	-------------

الفصل الأول

٥٥-٢١	حركة التعليم في العصور المظلمة
	حتى بداية حكم شارلمان

الغزوات الجرمانية وأثرها في القضاء على العالم الروماني وحضارته -
تدهور اللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم - بداية عصر جمود
وظلام - العلم والإنتاج الأدبي والشعري في العصر الوسيط المبكر -
الإنتاج الفكري ينحصر في أعمال الآباء المسيحيين الأول - دور
الكنيسة اللاتينية في الحفاظ على العلم في فترة العصور المظلمة - أشهر
الكتاب والفلاسفة والمفكرين ، وأثرهم على العلم والثقافة :
بيوثيوس ، كاسيودورس ، مارتيانوس ، جوردانيس ، البابا
جريجوري الكبير - النهضة العلمية الإيرلندية في القرن الثامن
وآثارها : بيده ، الكوين .

صفحة

الفصل الثاني

٨٣—٥٧ النهضة العلمية في عصر شارلمان وخلفائه

أمر النهضة الكارولنجية في إحياء العلم والتعليم في القرن التاسع -
اهتمام شارل العظيم بأمور العلم والتعليم : الكوين ومدرسة البلاط،
المدارس الأخرى التي أسسها الإمبراطور الألماني ونوع الدراسات
بها ، استمرار المدارس الدينية في أداء رسالتها في عهده - استمرار
النهضة العلمية في عهد خلفاء شارلمان ، مع ازدياد الاهتمام بالتراث
الروماني القديم - الفريد السكسوني والنهضة العلمية في عصره وأهم
آثارها - النهضة الألمانية السكسونية في القرن العاشر ، ومواصلة
الاهتمام بشئون العلم والتعليم - أشهر علماء العصر : برونو رئيس
أساقفة كولونيا ، الراهب ويدوكند ، الراهبة هرتسويث - إيطاليا
وليوبتراند الكريموي - فرنسا في القرن العاشر : فلودورد
الريمي ، ريتشارد الريمي .

الفصل الثالث

١١٧—٨٥ ظهور الفكر الحر ونهضة القرن الثاني عشر

تعطل الحياة الفكرية والثقافية في الغرب منذ وفاة شارلمان
وتصدع إمبراطوريته - التعليم في العصر البندكتي ، واهتمام الأديرة
البندكتية بالدراسات الكلاسيكية - أسطورة سنة ١٠٠٠ ودلالاتها -

صفحة

ارتباط نهضة القرن الحادى عشر بالمؤسسات الدينية - نهضة القرن
الثانى عشر مودة حقيقية فى شتى مرافق الحياة فى الغرب - أثر العرب
فى الحضارة الأوروبية - إزدهار الحركة المدرسية - المديرية الكلوئية
وحركة التعليم - نشاط الجماعات الرهبانية الأخرى فى القرن الثانى
عشر - أشهر المفكرين والدعاة إلى تحرير الفكر فى القرن الثانى عشر :
برنارد، ايبيلارد، بطرس اللباردى، برنجار، انسيلم، روسلين -
نشاط الدراسات القانونية فى إيطاليا : ارنريوس ومدرسة بولونيا
القانونية - النشاط الأدبى فى القرن الثانى عشر كظهر من مظاهر
التقدم العلمى : جربرت الريمى، فلبرت، هيلدبرت .

الفصل الرابع

١١٩-١٥١

جامعة العصور الوسطى

المراحل التى مرت بها، ولشأتها، وتطورها

الجامعة بمفهومها الحديث من نتائج العصور الوسطى - المراحل الرئيسية
التي مرت بها الجامعة إلى أن اكتملت شخصيتها : تأسيس المدارس
العامة الملحقه بالمؤسسات الدينية، قيام المعاهد العلمية، إنشاء اتحادات
الطلاب، الاعتراف الرسمى بالكيان الجامعى من قبل السلطات الدينية
والدنيوية على السواء - أهم المراكز العلمية الجامعية فى القرن الثانى
عشر : جامعة باريس، جامعة بولونيا - جامعات القرن الثالث
عشر والقرون التالية له - الجامعة المعنوية قامت فى العصور الوسطى
قبل الجامعة المادية .

صفحة

١٧٨—١٥٣

الملاحق

الملحق الأول : خطاب الإمبراطور شارلمان إلى باوجولف رئيس
دير فولدا بألمانيا (٧٨٠ — ٨٠٠ م) .

الملحق الثاني : خطاب الإمبراطور شارلمان إلى الوعاظ الدينيين
في دولته (٧٨٦ — ٨٠٠ م) .

الملحق الثالث : مرسوم الملك فيليب أوغسطس لصالح جامعة
باريس (سنة ١٢٠٠ م) .

الملحق الرابع : حياة الطلبة في جامعة باريس لجاك دى فيتري
(حوالى ١١٨٠ — حوالى ١٢٤٠ م) .

الملحق الخامس : مرسوم البابا جريجورى التاسع إلى جامعة باريس
(سنة ١٢٣١ م) .

الملحق السادس : ترخيص بابوى بتأسيس جامعة أفنيون (سنة
١٣٠٣ م) .

المراجع ١٨٥—١٩٥

بيان الخرائط واللوحات ١٩٧

محتويات الكتاب (القسم الأول) ١٩٩—٢٠٢

فهارس الكتاب (بآخر القسم الثاني)

نشأة الجامعات

في

العصور الوسطى

كلية المترجم

تحدثنا في القسم الأول من هذا المجلد عن اليقظات والنهضات التي شهدتها أوروبا في العصور الوسطى المبكرة ، والتي أثمرت بظهور الجامعات في القرن الثاني عشر . ولا ندعى لأنفسنا فيما قدمناه خلقا أو ابتكارا ، وإنما مجبودا متواضعا يتمثل في تسليط الانتباه على تلك اليقظات والنهضات الأولى التي ارتبطت بعضها بعدد من الشخصيات الحاكمة مثل الإمبراطور الألماني شارلمان والملك السكسوني الفريد ؛ بينما التمسك البعض الآخر بحركات الإصلاح الديني المعروفة مثل كل من الإصلاح البندكتي والإصلاح الكاوثي ؛ وانتمى عدد منها إلى تلك المدارس التي ألحقت بالمؤسسات الدينية . وغنى عن القول إن الصلة بين العلم والدين والأدب في تلك الفترة المبكرة كانت صلة قوية وثيقة ، إذ يعتبر كل منها متما للآخر ومرتبطا به وانعكاسا له . ذلك أن رجال الدين كانوا هم أنفسهم الفئة المثقفة المتعلمة التي أنشأت المدارس التابعة للمؤسسات الدينية التي كانت النواة الأولى لجامعات العصور الوسطى . فكانوا هم مؤسسوها وهم نظارها ومديروها ، وهم أيضا الذين خلفوا لنا العديد من الكتب والمؤلفات والبحوث والدراسات والمقالات في الفكر والأدب والفلسفة واللاهوت ، والتي ساعدت فيما بعد على ظهور النهضة العلمية الأولى المعروفة بنهضة القرن الثاني عشر ، تلك النهضة التي أدت إلى احتكاك الفكر الإنساني بين عدد من كبار المفكرين أمثال القديس برنارد أوف كليرفو الذي كان يمثل الفكرة الدينية القديمة المتزمتة والفيلسوف بطرس ابيلارد صاحب الفكر الحر . وقد أدى هذا الاحتكاك على مسائل حيوية وجوهرية في التفكير والفلسفة إلى نشأة الجامعات التي أصبحت في العصر الحديث أساسا للتعليم العالي ، والتي تخرج منها الشباب المثقف المستنير .

كانت ، إذن ، نشأة الجامعات في الغرب ، وليدة تلك الجهود العلمية المستمرة المصنفة عبر القرون الطويلة التي عاشتها أوروبا منذ انهيار الدولة الرومانية القديمة وبداية القرون الوسطى حتى القرن الثاني عشر . وكانت نشأة الجامعات ، أيضا ، ثمرة طيبة من ثمار تلك الحقبة الوسيطة من التاريخ ، انتقلت بأوروبا من عصر الجاهلية والظلمات إلى عصر العلم والمعرفة .

ويعتبر كتاب « نشأة الجامعات » لمؤلفه شارل هومر هاسكنز من المراجع الرئيسية التي ظهرت في هذا المجال حتى الآن (١) ، كما يعتبر هاسكنز نفسه من الرواد الأول الذين تصدوا للكتابة فيه . ولا بد للباحث إذا تعرض لهذا الموضوع من أن يشير إلى مؤرخين كبيرين كتبوا فيه هما : هاستنجر راشدال صاحب كتاب « جامعات أوروبا في العصور الوسطى » ، في ثلاثة أجزاء ، وشارل هومر هاسكنز مؤلف كتاب « نشأة الجامعات » . وإن امتاز الأول بالإفاضة والإسهاب والدخول في الدقائق والتفصيلات ، فقد تميز الثاني بالتركيز مع تناول الخطوط الرئيسية المتعلقة بالموضوع تناولاً عليها موضوعياً شاملاً . وعلى هذا ، فكل منهما ميزات ، ولا يغني أحدهما عن الآخر .

وإلى جانب كتاب راشدال وهاسكنز توجد مؤلفات وبحوث عديدة باللغات الأجنبية تناولت جانباً من تاريخ الجامعات أو زاوية من زواياها ، نذكر من بينها - على سبيل المثال - كتاب أ. س. ريت A. S. Rait عن الحياة في جامعات

(١) أنظر تقرير المؤرخين لويس جون بيتاو وبودوراه. عمن لكتاب هاسكنز في : Paetow, L. J., A Guide to the Study of Medieval History (London, 1931), pp. 298, 475 ; Haskins, G. H, The Rise of Universities (New York, 1960), p. viii.

العصور الوسطى، وكتاب ج. مكابي J. McCabe عن طالع العصور الوسطى، وكتاب أ. نورتون A. Norton عن تاريخ العلم والتعليم في العصر الوسيط، وكتاب ه. ديفيل H. Denifle عن بدايات جامعات العصور الوسطى، وهكذا. فنيها هي وغيرها معلومات طيبة تتعلق بالموضوع وتخدم جانباً من جوانبه للمعدة المتعددة (١).

ولد شارل هومر هاسكنز مؤلف كتاب «نشأة الجامعات» الذي قنا بنقله إلى العربية في هذا المجلد، في بنسلفانيا عام ١٨٧٠ م وتوفي في كامبريدج عام ١٩٢٧ م عن ٦٦ عاماً أمضاها في حياة حافلة بالعمل الجاد المتواصل والانتاج العلمي الرفيع. درس اللغتين اللاتينية واليونانية وأجادهما بما يسر له أمر الاطلاع على الوثائق والمستندات المكتوبة بها والإفادة منها إلى أبعد حد. ويبدو هذا واضحا في إنتاجه العلمي من كتب وبحوث ودراسات في نظم وحضارة القرون الوسطى. وتلقى هاسكنز تعليمه بجامعات جونز هوبكنز بأمريكا وباريس بفرنسا وبرلين بألمانيا. وقام بالمحاضرة والتدريس في العديد من الجامعات الأمريكية، مبتدئا بجامعة جونز هوبكنز التي تلقى بها تعليمه، ثم جامعة ويسكونسن إلى أن استقر به المطاف آخر الأمر بجامعة هارفارد حيث عمل بها قرابة ٣٠ عاماً من ١٩٠٢ إلى ١٩٣١ م.

ولقد امتاز هاسكنز طوال حياته العلمية بقوة شخصيته وصفاء ذهنه وحدة ذكائه ونشاطه الدائب المنتقد ومشاربته الجادة للهوكة على العمل وعزيمته القوية

(١) أنظر قائمة المراجع المذيل بها كل فصل من الفصول الثلاثة من هذه الترجمة، فقد تضمنت أهم ما ظهر في تاريخ الجامعات الأوروبية في العصر الوسيط من كتب وبحوث ودراسات.

التي لم تكن تعرف الكلل أو الملل ، فضلا عن قدرته الفائقة على حل المشكلات والمعضلات التي كانت تواجهه . وهو إلى جانب ذلك خفيف الظل ، حلو الحديث ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، يعرف كيف يقنع مستمعيه بآرائه وأفكاره وكيف يخرج من المجادلات والمناقشات التي يشترك فيها منتصرا ظافرا . هذا ، وقد تخرجت على يديه أجيال عديدة من العلماء والباحثين في الحقل الأكاديمي الذين اقتفوا خطاه وساروا على منهاجه العلمي السليم ، ومن بينهم العالم تيودور أ. ميسن . وأصبحت له مدرسة كاملة من تلاميذه وأصدقائه ومريديه تنتشر فروعها في كافة أنحاء عالم البحث في هذا القرن العشرين .

والمدقق المتعمق في إنتاج هاسكز يجد أنه وجه عناية خاصة إلى موضوعين رئيسيين في نظم وحضارة أوروبا في العصور الوسطى ، هما النظم في الشمال الفرنسي وتطور الحركة العلمية والفكرية في المجتمع الغربي الوسيط ، وله فيها مؤلفات ودراسات عديدة تعتبر مصادر ثقة يرجع إليها الباحثون والدارسون المتخصصون . ففيما يتعلق بالموضوع الأول صدر له في سنة ١٩١٨م كتاب باسم « النظم النورمانية » ، وقد ظهرت له طبعة جديدة سنة ١٩٦٠ . ونشر له سنة ١٩٢٥ كتاب يحمل لاسم « النورمان في التاريخ الأوروبي » . كما ظهر له في الموضوع الثاني أكثر من مؤلف منها كتابه « نشأة الجامعات » ، الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٣ وتلتها طبعات أخرى كانت آخرها طبعة سنة ١٩٦٠م . وله أيضا كتاب يحمل عنوان « دراسات في تاريخ العلم » ، ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٤ والثانية سنة ١٩٢٧ ؛ ومؤلف باسم « نهضة القرن الثاني عشر » ، صدر سنة ١٩٢٧ ؛ ثم كتاب « دراسات في ثقافة العصور الوسطى » ، ظهر سنة ١٩٢٩ . ويضاف إلى ذلك العديد من البحوث والدراسات القيمة التي نشرت له في المجلات التاريخية الأمريكية

بذكر منها مقالاته ، حياة الطلبة في العصور الوسطى كما تكشف عنها خطاباتهم ومراسلاتهم ، و جامعة باريس من واقع عظات القرن الثالث عشر ، و أدوات الطلبة و كتبياتهم .

وإذا كان هاسكز وراشداي يعتبران من الرواد الأول الذين تصدوا للكتابة في هذا الموضوع الصعب في الخارج ، فإن الإلصاف يقتضينا القول بأن الزميل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور يعتبر أول من ألف بالعربية كتابا قائما بذاته عن الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، وهو يعتبر المؤلف الوحيد الذي ظهر بالعربية في هذا الخصوص . كذلك أثنى الدكتور سعيد عاشور المكتبة التاريخية العربية بما زوده بها من تأليف في نظم و حضارة العصور الوسطى تضمنت فيما تضمنته فصولا وأبواباً تخدم هذه الدراسة ، نذكر من بينها الجزء الثاني من كتاب « أوروبا العصور الوسطى » ، وقد تعرض المؤلف في الباب الخامس منه للتعليم والمدارس والجامعات وتناول في الباب التاسع موضوع الآداب ؛ وكذلك كتاب « للمدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية » الذي عالج فيه المؤلف الأساس العلمي المتين الذي قامت عليه الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى عندما أفاد الغرب من المدينة الإسلامية عن طريق مراكز الإشعاع الثقافي المعروفة وقتذاك وهي الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الشام . وهناك أيضا كتاب « النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة » الذي وضعه الدكتور عاشور بالاشتراك مع الدكتور محمد أنيس ، وبخاصة الباب الثاني الذي يعالج النهضة الكارولنجية والباب الثالث الذي يتناول تاريخ النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر . وغنى عن القول إننا أفدنا فائدة كبرى من مؤلفات الدكتور عاشور ، وبخاصة في القسم الأول من هذا المجلد وفي حواشي القسم الثاني منه .

وإلى جانب هذه المؤلفات العربية القيمة ، يجد القارئ نقفا وشذرات أو فصلا أو بعض فصل في عدد قليل من الكتب العربية والمعرّبة في تاريخ العصور الوسطى

ونظمها وحضارتها . نذكر من بين الكتب المؤلفة د المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ، للدكتور ابراهيم احمد العدوى ، و د نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، للدكتور حسن حنفي حسنين ، و د فلسفة العصور الوسطى ، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، و د الثقافة والتربية في العصور الوسطى ، للدكتور وهيب ابراهيم سمعان ، و د تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ليويسف كرم .

ومن الكتب المربة نذكر كتاب د شارلمان ، تأليف هنري ولیم ديفيز ترجمة الدكتور السيد الباز العريفي ، وكتاب د تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، تأليف هربرت فشر ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريفي والدكتور ابراهيم احمد العدوى ، وكتاب د تراث العصور الوسطى ، الذي أشرف على تحريره كرامب وجاكوب وقام بمراجعة الترجمة العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة ومحمد بدران ، وكتاب د عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ، تأليف جورج جوردون كولتون وقد قنا بنقله إلى اللغة العربية .

لعله يتضح بما سبق أنه لا يوجد كتاب مستقل قائم بذاته باللغة العربية في موضوع جامعات العصور الوسطى سوى مؤلف الدكتور سعيد عاشور الذي يسد ثغرة كبيرة في هذه الناحية . وعلى هذا فالكتاب الذي نقدمه لقراء العربية لأول مرة ، هو الآخر أول كتاب معرب في تاريخ نشأة الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى لواحد من كبار المؤرخين الأجانب المتخصصين في هذا الميدان .

وكتاب هاسكنز كان ، أصلاً ، عبارة عن سلسلة من المحاضرات ألقاها عام ١٩٢٣ في جامعة براون الأمريكية ، ثم جمعها في كتاب صدرت طبعته الأولى في نفس العام ، وتوالت بعد ذلك طبعاته خلال أعوام ١٩٥٧ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ . وقد اعتمدنا في ترجمتنا على الطبعة الأخيرة ، وهي طبعة مذيلة ومنقحة .

يشتمل الكتاب على ثلاثة فصول كبيرة : الأول عن الجامعات المبكرة ، والثاني عن أستاذ المصور الوسطى ، والثالث عن طالب المصور الوسطى .

قدم المؤلف للفصل الأول بالحديث عن الجامعات باعتبارها من نتائج العصر الوسيط ، مبيناً أن معاهد العلم التي تعرف اليوم باسم « جامعات » إنما ترجع أصولها إلى القرن الثاني عشر عندما كانت الجامعة تسمى *Studium generale* أى المدرسة العامة ، بمعنى أنها المكان الذى يتلقى فيه الطلبة العلم . ثم يتناول بالبحث أصل كلمة « جامعة » ، *University* ، التي اشتقت أساساً من بعض العبارات الواردة في المراسيم المبكرة الخاصة بالجامعات مثل عبارة *Universitas* ، *magistorum et scholarium parisiensium* ، وكذلك عبارة *Universis presentes litteras inspecturis* . ويمالج هاسكنز بعد ذلك مسألة التحديد الزمني لبدايات الجامعات المبكرة وما تارحوها من جدل ونقاش . وبعد هذه المقدمات ، ينتقل إلى الحديث عن أقدم جامعتين في الغرب وهما : جامعة بولونيا في الجنوب وجامعة باريس في الشمال . وكانت بولونيا تعتبر مركزاً هاماً لإحياء القانون الروماني والمحافظة عليه . وهنا يتعرض المؤلف في شيء من التفصيل لكل من القانون المدني والقانون الكنسي ، مشيراً إلى كبار المشرعين الذين ارتبطت أسمائهم بالنهضة التي صاحبت كلا القانونين ، وكذلك قيام اتحادات الطلبة المختبرين ونقابات الاساتذة في بولونيا والاسباب التي أدت إلى قيامها والنتائج المترتبة عليها .

ويمالج هاسكنز في هذا الفصل أيضاً موضوعين هامين ، أولهما الدرجات الجامعية وإجازة التدريس المعروفة باسم *licentia docendi* التي كانت تتبع لحاصلها الدخول في سلك أعضاء هيئة التدريس ، وثانيهما الامتحانات التي كانت تعقد للحصول على هذه

الدرجات العلية وهى الليسانس والماجستير والدكتوراه ، علماً بأن درجة دكتور فى الفلسفة Ph. D. degree لم تكن معروفة فى جامعات المصور الوسطى.

وإذا كانت جامعة بولونيا هى أم جامعات الجنوب الأوروبى ، فلم يغفل المؤلف الإشارة إلى جامعة كانت لها شهرتها وكانت أسبق فى الظهور من بولونيا ، وهى مدرسة الطب فى سالرنو التى اكتسبت شهرتها مبكراً فى القرن الحادى عشر ، والتى يرتبط اسمها باسم قسطنطين الإفريقى Constantinus Africanus فى النصف الثانى منه . وهى وإن كانت أقدم عهداً من بولونيا ، إلا أن جامعة بولونيا بزتها وتفوقت عليها حتى غدت جامعة نموذجية نهجت نهجها العديد من الجامعات الأخرى التى ظهرت فيما بعد .

وينتقل هاسكز من بولونيا والجنوب الأوروبى إلى جامعة باريس التى كانت أولى جامعات الشمال . فيتحدث عن تاريخها ولشأتها وتطورها التدريجى من المدرسة الكاتدرائية على أرض الجزيرة المطلة على السين ومدرسة القديسة جينيفيف ، إلى أن أخذت شكلها الجامعى المعروف ، وكذلك المراسيم والبراءات التأسيسية الخاصة بها التى تعرف باللاتينية باسم Jus ubique docendi ، والتى أصدرها البابوات والاباطرة لصالح الجامعة المذكورة . ويشير مؤلف كتاب د نشأة الجامعات ، إلى مشكلة من أهم المشاكل التى واجهت الطلبة الأجانب الذين وفدوا من كل مكان لتلقى العلم فى باريس ، ونعنى بها مشكلة تدبير المأوى للعدد الغفير من الطلبة الغرباء التى اقتضت لإنشاء نزل وبيوت لهم ، وبخاصة للفقراء والمعدمين منهم . وقد تطورت هذه النزل ، مع الزمن ، إلى معاهد عليية مثل معهد السوربون نسبة إلى مؤسسة روبرت السوربونى . وتزايد عدد هذه المعاهد العلية فى باريس خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر زيادة واضحة ، وكانت تعتبر بمثابة

كليات جامعية «colleges». وفي ختام الفصل الأول يشير هاسكنز إلى ندرة المخلفات والبقايا المادية الملموسة للجامعات المبكرة ، مبيناً أننا نحتفظ بمجرد ذكرى لها في الاحتفالات الأكاديمية والزي والتقاليد والنظم الجامعية وما إليها.

ويتناول المؤلف في الفصل الثاني ثلاث نقاط رئيسية تتعلق أولاها بالدراسات والكتب الدراسية في الفترة المبكرة من العصر الوسيط . فيشير إلى الفنون الحرة ، وحركة إحياء التراث الكلاسيكي القديم ، ثم مناهج كلية الآداب والمواد التي كانت تدرس في كليات الدراسات العليا وهي اللاهوت والطب والقانون ، موضحاً أن جامعات العصور الوسطى كانت تغلو من المعامل والمكتبات لعدم الحاجة إليها وقتذاك . ويتطرق في النقطة الثانية لموضوع الروتين اليومي في جامعة العصر الوسيط ، من حيث طرق التدريس ووسائله ، وقاعات الدراسة ، والمحاضرات ومواعيدها ، والمناقشات والمجادلات ، والامتحانات ، مع توجيه العناية إلى عدد من الأساتذة المبرزين من ذاع صيتهم من أمثال بطرس أبيلارد وبرنارد أوف كليرفوجون أوف ساليسبورى وغيرهم ويعالج في ختام هذا الفصل النقطة الثالثة ، وهي تتضمن عدة موضوعات حيوية مثل المركز الاجتماعي لأساتذة العصر الوسيط ، ومدى تدخل السلطات الكنسية في حرية العلم والتعليم ، وممارسة الأستاذ الجامعي لواجبه الأكاديمي ، وحرية الفكر والتعبير عن الرأي والقيود التي كانت تخضع لها ، ومدى تغلغل النفوذ الكنسي في جامعات العصر الوسيط .

وفي الفصل الثالث والآخر يتعرض المؤلف لطلبة العصور الوسطى ، فيشير إلى المصادر التي يمكن أن يستقى منها الدارس معلوماته عن حياتهم ، وهي سجلات المحاكم والوائح الجامعية وحظات المبشرين والحوليات وقصائد الشعراء ، تلك الوثائق والمستندات التي تلقى بعض الأضواء على حياة الصنعب والهر والمرح

التي انغمس فيها بعض الطلبة ، و حياة البؤس والتعاسة والشقاء التي كان يحياها البعض الآخر . ثم هي تكشف عن مشاكل العديد من الطلبة ومشاكلهم وثوراتهم وتمردهم وعصيانهم . وهناك أيضا أدلة الطالب ، والمقصود بها الكتيبات والمختصرات التي كان يحتفظ بها أو يرجع اليها لمواجهة شئون الحياة اليومية في محيطه الجديد ، من مأكّل ومشرب وملبس وماوى وخلافه ، وكذلك ما يتعلق بآداب المائدة وآداب الحديث والسلوك والإتيكيت والمجاملات ، مثل « قاموس الطالب » و « كتاب فن المحادثة » و « تقويم هايدلبرج » و « كتاب آداب المائدة » وكتاب « الإتيكيت وآداب السلوك » وما إليها . وكان الطالب المغترب في حاجة شديدة إلى مثل هذه المختصرات الأولية لتكون له رفيقا ودليلا ومرشدا ، وإن بدت اليوم بالنسبة لنا سطحية وبدائية .

وفي أسلوب رائع وعرض ممتع يمتاز يتناول هاسكز بعد ذلك موضوع خطابات الطلبة وأشعارهم مبيّنا كيف أنها تكشف عن حياتهم الجامعية في صدق ووضوح . وإذا كانت الوثائق والمختصرات السابق الإشارة إليها قد تضمنت إشارات مبشرة هنا وهناك تساعد على فهم بعض الجوانب في حياة الطلبة ، فإن مراسلات الطلبة وقصائدهم تزودنا بصورة نابضة بالحركة والحياة عن هذا العنصر الذي كان يمثل الكثرة الغالبة في جامعة العصر الوسيط ؛ ثم هي تعطينا ، في نفس الوقت ، فكرة طيبة عن مختلف المشاعر والأحاسيس والإنفعالات البشرية التي كانت تعتمل في نفوسهم .

وكانت خطابات الطلبة ، في معظمها ، مجرد نماذج تعبر عن صوت المجموع وتكاد تخلو من العنصر الشخصي أو الفردي ، وتدور تقريبا حول موضوع واحد هو طلب المال ليتمكن الطالب من مواجهة أعباء المعيشة والإقامة في مركزه العلمي

الجديد، فضلا عن الوازم والضروريات الأخرى، وتكشف أيضا عن مختلف الحجاج والأعداء التي كان الطالب يتعلل بها للحصول على النقود من الوالدين أو من الأهل والأقارب والأصدقاء . أما أشعار الطلبة فيعبر عنها الشعر الغنائى الجولياردى الذى يرجع إلى فترة زمنية محددة تقع بين عامى ١١٢٥ و ١٢٢٥ م . ويتحدث هذا الشعر عن الشراب والنساء والربيع والحب والحياة الصاخبة المتحررة من كل القيود ، كما يهاجم الجهاز الكنسى البابوى فى أسلوب لاذع تهكمى بسبب العيوب التى استشرت فيه وتغلغت فى كيانه . ويعرض هاسكزن نماذج متممة من هذا الشعر تكشف عن الجانب الأكثر مرحا والأشد طربا فى حياة الطالب . فهو يلهو ويستمتع بالطبيعة وجمالها ويشرب حتى التمثالة ، وهو يتسكع فى الشوارع والطرقات مسببا المضايقات للبارة والأهالى ، أو يقضى وقت الفراغ داخل الحانات . وباختصار نراه وهو يستمتع بالحياة ومباهجها ولذاتها وقد انغمس فيها حتى أذيه . ولكن هناك أيضا الطالب البائس المسكين وهو لا يكاد يجد ما يستر به جسده أو ما يقيه من البرد القارس أو حتى ما يعينه على مواصلة تعليمه ، فهو يلتمس الصدقة والإحسان لاستكمال دراسته ومواجهة مطالب الحياة الأخرى .

وإذا كانت الوثائق والمستندات والمراسلات والأشعار المشار إليها تتحدث - عادة - عن الطالب الذى يعيش فى ضياع والذى يحيا حياته الخاصة ويسعى إلى إشباع رغباته ونزواته بكل السبل والوسائل ، فهناك أيضا الطالب المثالى المجد الوقور الذى كان يلقى التقدير والإعجاب والاحترام من الجميع . يقول هاسكزن إن هذا الطالب كان موجوداً ويمثل قطاعا هاما من جمهور الطلبة . ولكن لما كان الإنتاج الأدبى للطلبة يعبر عن صوت المجموع وليس صوت الفرد ، لذلك خلا هذا الإنتاج تقريبا من الإشارة إلى مثل هذا الطالب المجد ، وإن كان هذا لا يمنع

من القول بأنه توجد فتف مبعثرة في ثنايا وثائق العصر ومستنداته تلقى بعض الضوء عليه ، فهو يستيقظ من نومه مبكراً ، ويحرص على حضور المحاضرات في موعيدها ، ويواظب على الاستماع إلى أسانذته والاشتراك في المناقشات ، وهو يعيش أحياناً عيشة الكفاف كي يواصل تعليمه بهمة ونشاط ويحصل على أعلا الدرجات العلمية ، وهو ، باختصار ، قد خلق للعلم والعمل لا يثنيه عن ذلك شيء ، بل هو في سبيلها على استعداد للتضحية بكل شيء .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الكتب والمراجع التاريخية التي ترجع إلى تلك الفترة من الزمن قد خلت تقريباً من الإشارة إلى طلبة العصور الوسطى ، ولم تكن تهتم إلا بالنواحي السياسية والحربية مع الإشادة بأعمال الأباطرة والملوك والحكام والشخصيات البارزة في المجتمع الأوروبي . ولم يكن يعينها في قليل أو كثير الإشارة إلى حياة الشعب وكيف كان يعيش أو يفكر وما هي مشاكله وآلامه وآماله . وعلى هذا فإن الشعر الجولياردى ومراسلات الطلبة تلقى ضوءاً واضحاً على حياتهم العلمية والاجتماعية وتكشف عن مشاكلهم بما لا يجده في الوثائق والمصادر التاريخية ولا خلاف أن مثل تلك الأشعار والخطابات التي تتناول حياة الطلبة في العصور الوسطى وتصف مجتمعهم تطاول في قيمتها الأصول التاريخية إن لم تتفوق عليها ، ذلك أنها حفظت لنا ما أهمل التاريخ تسجيله .

وبعد كل ما تقدم يعقد هاسكز مقارنة طريفة بين طالب الأمتس وطالب اليوم وأوجه الشبه والخلاف بينهما . فهما يختلفان باختلاف الظروف والأزمان ، ولكنها يتشابهان - إلى حد بعيد - فيما يتعلق بقصتهما مع العلم ونظرتها إلى الحياة ومشاكلها المشتركة من حيث المأوى والملبس والكتب والحاجة إلى المال ، وعلاقتها بالأسانذة وبعضهم البعض ، ثم حياة اللهو والمرح والزائلة الطيبة والرغبة في اقتناء

العلم وتحصيل المعرفة . فضلا عن إرث تمتد متواصل من العرف الجارى والعادات والتقاليد الجامعية عبر ثمانية قرون أو يزيد منذ نشأة أولى الجامعات في القرن الثاني عشر حتى جامعة القرن العشرين .

لقد تركت تلك الجامعات المبكرة أعمق الأثر في الحياة والفكر في العصر الوسيط . ولعل أبلغ دليل على ذلك أنها أسهمت في إطلاق الفكر الحر من عقاله ، وأخرجت العديد من أساطين الأساتذة الذين شاركوا في تفجير ينابيع الثورة ضد الآراء والأفكار القديمة البالية ، والذين نادوا بالإصلاح في مختلف النواحي وعلى رأسها الناحية الدينية ، بما كان له أكبر الأثر في الخروج بأوروبا من عصر الظلام إلى عصر العلم ، والانتقال بها من العصور الوسطى بمثلها ومفاهيمها وقيمتها وفلسفتها إلى عصر النهضة الذى تميز بأوضاع ومبادئ جديدة مغايرة .

هذا عرض وتحليل لكتاب « نشأة الجامعات » ومؤلفه شارل هومر هاسكنز . وبعد ، فقد اقتضى نقل الكتاب إلى اللغة العربية تزويده بكثير من المعلومات والحواشى والفهارس واللوحات التى لم يتضمنها الأصل الإنجليزى ، حتى يبدو فى شكل مناسب ومقبول بالنسبة للقارئ العربى . من ذلك المقدمة التى مهدنا بها لهذه الترجمة . كما زدنا الترجمة بعدد غير قليل من التعليقات والملاحظات فى الحواشى ، وتميزناها عن حواشى الأصل الإنجليزى وضعنا كلمة « المترجم » بين حاصرتين بعد كل حاشية منها . ومعظم هذه التعليقات والملاحظات خاصة بالأعلام والأماكن والآثار والوقائع والأحداث الهامة والمصطلحات التاريخية . كذلك ذيلنا كل فصل من فصول الكتاب الثلاثة بقائمة بأهم المراجع الأجنبية الخاصة به ، مع نقد وتقييم للمراجع التى وجدنا أنها بحاجة إلى نقد أو تقييم . هذا ، وقد زدنا المتن بعدد قليل من العبارات القصيرة المركزة بقصد الإيضاح أو التعريف ، وتميزناها عن

الأصل الإنجليزى المترجم فقد وضعنا كل عبارة منها بين حاصرتين ، علما بأن هذه الزيادات فى أضييق الحدود .

ونظراً لأنه لا يوجد فى الأصل الإنجليزى بيان تفصيلى بمحتويات الكتاب وعناصر كل فصل من فصوله الثلاثة ، ولا يوجد به أيضاً فهرس على مصنف بأسماء الأعلام والأماكن والآثار ، والمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها — فقد قننا بتضمين ترجمتنا هذه البيانات والفهارس المذكورة ، بالإضافة إلى عدد من الصور واللوحات التى تبين حياة طلبة العلم فى العصور الوسطى ، أما الخرائط الإيضاحية والملاحق التى تشتمل على أموص ووثائق أصلية تتصل بموضوع التعليم والجامعات اتصالاً مباشراً ، فهى توجد بآخر القسم الأول من هذا المجلد .

والله أسأله التوفيق والسداد ؟

جوزيف نسيم يوسف

الاسكندرية فى يوليو ١٩٧١

القسم الثاني

نشأة الجامعات

تأليف
ش. ه. هاسكندر

ترجمة
وتقديم وتعليق
جوزيف نسيم يوسف

— ٢٢٢ —

هذا القسم من المجلد هو ترجمة لكتاب :

C. H. Haskins, The Rise of Universities,
3rd printing, Ithaca, New York, 1960.
[Great Seal Books — A Division of Cornell
University Press].

— ٢٢٤ —

طبغات الكتاب

في لغته الأصلية الإنجليزية

— كان أصلا سلسلة من المحاضرات التي أُلقيت عام ١٩٢٣ م في جامعة براون ، وقد قامت الجامعة بطبعها في نفس العام .

— صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة ١٩٢٣ م (طبعة هنري هولت وشركاه) .

— أعيد طبع الكتاب في السنوات : ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ (مطبعة جامعة كورنيل الأمريكية) .

مقدمة

بقلم

تيودور أ. ممسن

ولد شارل هومر هاسكنز في بلدة ميدفيل Medville في بنسلفانيا في الحادي والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٧٠ م . ويرجع الفضل إلى أساسه العلمي المتين الذي جعله يتقن اللغات القديمة والحديثة على السواء إتقاناً تاماً ، فضلاً عن علمه الواسع الغزير ، وهو بعد في سن صغيرة . فأن بلغ الخامسة أو السادسة من العمر حتى أخذ والده يعلمه اللغة اللاتينية ، ثم درس اللغة اليونانية بعد ذلك بفترة وجيزة . وتخرج من جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins University وهو في السادسة عشرة من عمره . ودرس بعد ذلك في جامعتي باريس وبرلين حيث حصل على درجة الدكتوراه . ثم قام بالتدريس في جامعة جونز هوبكنز التي تعلم بها ، ولم يكن قد بلغ سن العشرين . وبعد أن أمضى هاسكنز اثني عشر عاماً في خدمة جامعة ويسكونسن University of Wisconsin ، دعته جامعة هارفارد عام ١٩٠٢ م حيث ظل يحاضر بها حتى عام ١٩٣١ م ، عندما اضطرت حالته الصحية السيئة إلى التوقف عن العمل . وفي كامبريدج ، في الرابع عشر من مايو سنة ١٩٣٧ م وافته منيته .

لقد أصبح هاسكنز طوال فترة خدمته في جامعة هارفارد واحداً من أعظم رجالاتها . ولا يرجع الفضل في ذلك إلى المنصب الذي كان يشغله باعتباره عميداً لكلية الآداب والعلوم في الفترة من سنة ١٩٠٨ م إلى سنة ١٩٢٤ م فحسب ،

ولنما يرجع أولا وقبل كل شيء إلى شخصيته القوية . وليس هناك شهادة موجزة
تتناول السمات الأساسية المميزة لشخصية هاسكنز ، أفضل من كلمة التأبين التي
كتبها في ذكرى وفاته ثلاثة من أقرب الزملاء إليه ، وهاك نصها :

« إمتاز هاسكنز بتضله وتفوقه في طريقة تدريسه للتاريخ باعتباره فنا من
الفنون الحرة أو علما من العلوم الإنسانية . كما ترك أثره على جميع الطلاب المبرزين
في التاريخ . وليس أدل على ذلك من أنهم جميعا قد اتلذذوا على يديه ، وثقلوا
منهجا أو أكثر من مناهجه . وهو أيضا يمتاز بمقدرته على الجدل والمحاكاة داخل
قاعات الكلية ، وعلى فك العلامم وحل المسائل المعقدة بنفس السرعة التي كان
غيره يتخلص من مواجهتها . بدأ عمله في الكلية باعتباره رئيسا لها . ومع ذلك ،
لم تغره الدعوات العديدة التي تلقاها لشغل مثل ذلك المنصب . كان سريع الخطر ،
صاحب نكتة ، حلو الحديث ، مغرما برياضة المشي لمسافات طويلة . وهو محبوب
من أصدقائه في النوادي التي كان يرتادها . ثم هو ، فضلا عن ذلك ، من أفضل
الأصدقاء ، شديد التدين والوقار . ومن أجل ذلك لم يلبث أن غدا واحدا من
أعضاء أسرة جامعة هارفارد الذين لم يكن بوسع الجامعة الاستغناء عنهم . وقد
خلف وراءه إسمائلا يخلد بين مشاهير رجال تلك الجامعة » . (١)

إن المواهب والقدرات التي كان هاسكنز يتمتع بها بوصفه إداريا قديرا
ورجل عمل ، جعلت نفوذه يمتد خارج نطاق جامعة هارفارد . وطوال حياته

(١) مستقاة من كلمة التأبين التي كتبت بمناسبة وفاة هاسكنز في مجلة Speculum ،
الجزء الرابع عشر ، سنة ١٩٣٩ م ، ص ٤١٤ . وهذه الكلمة بقلم ر . ب . بليك
R. P. Blake ، وج . ر . كوفمان G. R. Coffman ، وأ . ك . راند E. K. Rand

الحافلة بالعمل والنشاط ، قام هاسكنز بدور قيادى رائد فى العديد من الأجهزة والمؤسسات العلمية فى تلك البلاد ، ومن بينها الجمعية التاريخية الأمريكية ، وأكاديمية العصور الوسطى الأمريكية ، والمجلس الأمريكى للبيئات العلمية . كما أدى فى نهاية الحرب العالمية الأولى خدمات جليلة إلى وفد السلم الأمريكى الذى اجتمع فى باريس ، بوصفه رئيسا للقسم الغربى من أوروبا .

لقد ركز هاسكنز اهتمامه فى دراساته العلمية الخاصة المتعمقة على فترة العصور الوسطى المتقدمة ، أى الفترة الممتدة من القرن الحادى عشر حتى القرن الثالث عشر .^(١) ويعتبر موضوع النظم فى شمال فرنسا من بين الموضوعات التى أبدى اهتماما مبكرا بها . وبعد بحوث ودراسات مضمّنية باللغة الدقة ، استقى مادتها من واقع الارشيفات والسجلات التاريخية ، أصدر أخيرا فى سنة ١٩١٨ م مؤلفه المعروف باسم «النظم النورمانية» ، Norman Institutions ، الذى احتل مكانة كبيرة بوصفه عملا نموذجيا أصيلا فى تاريخ النظم الفرنسية والإنجليزية خلال تلك الحقبة من الزمن .

وأما الميدان الآخر الفسيح الذى اهتم به هاسكنز فهو تطور الحركة الفكرية والعلمية . وفى نطاق هذا الميدان وجه اهتماما خاصا إلى تاريخ العلم خلال القرون الوسطى المبكرة . وإن معرفة هاسكنز التامة بالمجموعات الكبرى للمخطوطات

(١) المقصود بذلك الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط ، وهو تمثل القرون الحادى عشر والثاني عشر والثالث عشر التى تميزت بالكفاح المريع بين البابوية والإمبراطورية حول المسائل الملأمة ، كما تميزت باستقرار أوروبا بعد قرون طويلة من الفوضى والاضطراب ، وقيام النهضة العلمية والفكرية والأدبية المبكرة التى هبأت الجواهر من النهضة كما عرفه التاريخ . [المترجم]

الأوروبية، قد مكنته من أن يستخلص - حتى زمنه - المادة الخام التي لم يستخدمها أحد من قبل . وهكذا استطاع أن يسلط أضواء جديدة تمام الجدة على المشاكل الكبرى الجديدة المتنوعة التي تناوّلها بالدراسة والبحث في عدد كبير من المقالات التي صدرت له . وقد جمع هاسكنز أهم النتائج التي توصل إليها من دراساته ، والتي كرس حياته لها ، في مجموعتين من المقالات : المجموعة الأولى تحمل عنوان « دراسات في تاريخ العلم » Studies in the History of Science ، وقد صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٢٤ م ، والطبعة الثانية سنة ١٩٢٧ م . أما المجموعة الثانية فهي تحمل اسم « دراسات في ثقافة العصور الوسطى » Studies in Mediaeval Culture ، وقد ظهرت سنة ١٩٢٩ م . وإلى جانب هذه الدراسات التي تعالج موضوعا واحدا ، وضع أيضا نظرية هامة شديدة الإثارة في كتابه المعنون « نهضة القرن الثاني عشر » The Renaissance of the Twelfth Century الذي ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٧ م . وقد تماهقت القراء على هذا الكتاب منذ صدوره حيث لقي رواجاً هائلاً .

ويتضح مما لاحظته أحد أصدقاء هاسكنز وهوف . م . بويك F.M.Powicke أن « هاسكنز آثر أن يكون مقرباً عند أفهام عامة الناس ، (١) . ومن ثم تناول مغزى وجود النورمان في التاريخ الأوروبي ، في سلسلة من المحاضرات التي ألقاها في جامعتي هارفارد وكاليفورنيا . وقد نشرت المحاضرات المذكورة سنة ١٩٢٥ م تحت نفس العنوان . كذلك قام بتلخيص آرائه ووجهات نظره فيما يتعلق بنشأة

(١) أنظر مقالة ف . م . بويك عن هاسكنز في مجلة : English Historical Review, LII (1937), p. 653.

الجامعات في ثلاث محاضرات ألقاها في جامعة براون سنة ١٩٢٣ م ، فقدم بذلك عملا احتفظ بتفوقه على أى إنتاج آخر فيما يتعلق بالمعلومات الحية النابضة التي أمدنا بها .

وفي سنة ١٩٢٩ م صدر بمناسبة الاحتفال بالعيد الأربعيني لبداية حياة هاسكنز العلمية ، مجلد ضخيم يضم عدة مقالات في تاريخ العصور الوسطى ، وهي بقلم طلابه وتلامذته . ومن بين أوائل الكتاب نجد عددا غير قليل من طلاب العلم الذين أصبحت لهم شهرتهم في ميدان تاريخ العصور الوسطى . وإن الجوانب التي أولوها اهتمامهم الكبير ، فضلا عن عملهم المبدع الخلاق ، إنما يعكسان الإلهام والتدريب اللذين تلقياهما على يد أستاذهم .

ولما كان هاسكنز يعتبر مثالا نادرا لرجل تجتمعت فيه صفات المنظم البارع ، وطالب العلم الأصيل ، والمدرس العظيم ، فإنه يمكن القول — دون مبالغة — كما جاء على لسان عالم فرنسي معروف في تاريخ العصور الوسطى ، وهو ف . جيون دى لونجره F. Jonon de Longrais ، بأن د شارل هومر هاسكنز يمثل — بحق — روح النهضة فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالعصور الوسطى في الولايات المتحدة الأمريكية ، .

نيودور أ. محسن

جامعة كورنل الأمريكية

كلمة الناشر

يعتبر نص هذه المحاضرات التي ألقاها هاسكيز مطابقا لطبعة سنة ١٩٢٣ م ،
فيما عدا تميديلات بسيطة وطفيفة تشمل بعض المراجع الجديدة . وعلى أية حال ،
فقد ذيلت هذه الطبعة بعدد من الحواشي ، كما أعيد النظر في بقية الحواشي الأخرى .
كذلك ذيل الكتاب بنبذة بأسماء الكتب والمراجع الخاصة بالموضوع (١) .

Great Seal Books

أحد أقسام مطبعة جامعة كورنل الأمريكية

(١) آفونا أن يذيل كل فصل من فصول الكتاب الثلاثة بالمراجع الهامة الخاصة به ،
بدلا من تجميع المراجع كلها في آخر الكتاب . سببا هو واردة الأصل الإنجليزي . وقد قنا ،
من ناحية ، بإضافة العديد من المراجع التي لم ترد أصلا في الطبعة الإنجليزية [المترجم] .

الفصل الأول

الجامعات المبكرة

مقدمات :

الجامعة بمعناها المعروف من إنتاج العصر الوسيط - أوجه الخلاف بين جامعة الآمس وجامعة اليوم - جامعة القرن العشرين سلبية وورثة جامعتي باريس وبولونيا في العصر الوسيط - غير معروف على وجه التحديد متى بدأت معظم الجامعات المبكرة - نهضة القرن الثاني عشر وآثارها - العلم والمعرفة في العصر الوسيط المبكر - الفنون السبعة الحرة - أثر العرب في الحضارة الأوروبية .

بولونيا والجنوب :

تاريخ مدرسة الطب في سالرنو - جامعة بولونيا مركز لإحياء القانون الروماني - ارنريوس والقانون المدني - الراهب جراسيان والقانون الكنسي - اتحادات الطلبة المغتربين في بولونيا - أصل كلية د جامعة ، وتطورها - القيود التي عاش الاستاذ الجامعي أسيرها - د الأمم ، داخل المحيط الجامعي - نقابات الأساتذة - إجازة للتدريس والدرجات الجامعية - بولونيا مدرسة القانون المدني - جامعات الجنوب الأخرى .

باريس والشمال :

المدارس الكاتدرائية في باريس - بطرس أبيلارد ونشأة الجامعة - البدايات الأولى لجامعة باريس - المراسيم والبراءات الصادرة من السلطات الدينية والعلمانية لصالح جامعة باريس - حياة الطلبة في باريس - بيوت الطلبة والمعاهد العلمية - الطوائف والأمم والصراعات بينها - جامعة باريس نموذج لجامعات الشمال - جامعتا أكسفورد وكامبريدج - الجامعات الألمانية - الجامعات الأوروبية الأخرى .

— ٢٣٦ —

تراث المصور الوسطى :

مخلفات جامعات المصور الوسطى - ليس لها مبان خاصة بها ، ولم
تترك بقايا وآثارا مادية كافية ترجع إلى تاريخ مبكر - الاستنفالات
الأكاديمية - الزى الجامعى - التقاليد والنظم الجامعية - جامعة
المصور الوسطى جامعة نذرت نفسها للمعلم .

تعتبر الجامعات، شأنها شأن الكاتدرائيات والبرلمان، من نتاج القرون الوسطى. وما يدعو إلى الغرابة أنه لم يكن لدى الإغريق أو الرومان القدماء جامعات بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة حسب استخدامها خلال القرون السبعة أو الثمانية الماضية. (١) لقد كانت عندهم دراسات عليا، ولكن الألفاظ والعبارات لم تكن مترادفة. وكان من العسير التفوق على الكثير من عليهم في القانون والبلاغة والفلسفة. ولكن هذا العلم لم يكن، مع ذلك، منظمًا أو منسقًا في شكل معاهد عليية مثال ذلك أن معلما عظيما مثل سقراط (٢) لم يكن يمنح دبلومات أو إجازات عليية. فإذا جاء طالب عصرى وجلس عند قدميه يتلقى العلم لمدة ثلاثة أشهر، له أن يطلب شهادة تتمثل في عمل ملبوس يتقدم به، وهو عبارة عن مبحث

-
- (١) أوضح هذه الحقيقة المؤرخ جون لامونت في مؤلفه La Monte, J. L., The World of the Middle Ages (New York, 1949), p. 567. وعلى هذا، فغير صحيح ما ذكره كل من السكاين سولومون كاتز وشارلز نوريس كوكرين عن وجود جامعات في أوروبا في أواخر عهد الدولة الرومانية القديمة بالمعنى الدقيق المفهوم من هذا الاصطلاح. أنظر Katz, S., The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe (New York, 1960), p. 40 ; Cochrane, C. N., Christianity and Classical Culture (New York, 1957), p. 310. [المترجم]
- (٢) سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق. م) هو أشهر مفكرى الإغريق وأعظم معلمى البشرية على الإطلاق. وهو يعتبر من نتاج المجتمع الأثينى القديم. وهو أيضا الرجل الذى حول مجرى الفكر البشرى دون أن يكتب كلمة واحدة ودون أن ينادى بمذهب أو برأى ما، وإنما عن طريق الحديث في شوارع أثينا وطرقاتها، تلك المدينة التى لم يتأدرها سوى مرتين طيلة حياته توجه فيها لقتال. أنظر عن سيره ومعاليمه Kitto, H. D. F., The Greeks (Melbourne, 1954), pp. 32, 36, 126 ff., 153 f. ; Burgh, W. G. de, The Legacy of the Ancient World, I (London, 1955), pp. 164—170. [المترجم]

يمتاز لمحاورة سقراطية . ولم تبرز في العالم تلك الملامح الخاصة بالتعليم المنظم المؤلف لنا تماما ، إلا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر فحسب . وهذا ما يمكن أن يقال أيضا عن كل تلك الأجهزة التعليمية المتمثلة في الكليات والمعاهد العلمية ، وفي مناهج الدراسة والامتحانات ، وكذلك ما يتعلق بموضوع التحاق الطلاب والاستعداد للامتحان ، والدرجات الأكاديمية . ونحن نعتبر ، فيما يتعلق بكل هذه الأمور ، وريثة جامعتي باريس وبولونيا [في العصر الوسيط] ، وليس وريثة أمينا أو الإسكندرية [في التاريخ القديم] .

ولا شك أن التباين بين هذه الجامعات المبكرة وبين جامعات اليوم كبير ومائل للبيان . لقد كانت جامعات العصور الوسطى طوال فترة تسكوينها خلوا من المكتبات والمعامل والمتاحف ، كذلك لم يكن لها أوقاف توفّر عليها أو مبان خاصة بها . ويحتمل أنه لم يكن باستطاعتها مواجهة المطالب والاحتياجات الضرورية اللازمة . وقد وردت في أحد المراجع التاريخية لجامعة من أحدث الجامعات الأمريكية إشارة عفوية ذات طابع على ، مفادها أن جامعة العصور الوسطى ليس فيها ما يدل على الوجود المادى الملئوس للجامعة ، هذا الكيان الذى نراه [في جامعاتنا] اليوم واضحا تمام الوضوح .

لقد قامت جامعة العصور الوسطى ، وفقا لكلمات باسكييه (١) Pasquier

(١) هو اتيان باسكييه Etienne Pasquier (١٥٢٩ - ١٦١٥م) من رجال الأدب وأحد المحامين الفرنسيين المشهورين . نشر في سنة ١٥٦٠ م الكتاب الأول من سلسلة « بحوثه عن فرنسا » Recherches de la France . وفي عام ١٥٦٥ م ترائع لصالح جامعة باريس في قصيتها ضد جماعة الجزويت وكسب القضية . وكان في تلك الأثناء يواصل كتابة « بحوثه » . ولباسكييه إنتاج غزير لم يتم حصره أو تجميعه أو نشره كله حتى الآن . وهو شاعر وأديب مجيد ، وتعتبر « بحوثه عن فرنسا » ، ومراسلاته ،

الرائعة التي ترجع إلى زمن مضى « على أكتاف الرجال ، bâtie en hommes » ؛ وإن مثل تلك الجامعة لم يكن لها مجلس يشرف على إدارة شئونها ، ولم تصدر نشرات ببرامجها ، ولم يكن بها اتحادات خاصة بالطلبة ، ما لم تكن الجامعة نفسها — أساسا وبداءة — مجتمعا طلابيا أو جماعة من الطلبة (١) . وكانت الجامعة خلوا من الصحافة الخاصة بالمعاهد والكليات ، ومن التمثيليات والألعاب الرياضية ، كما كانت خالية من كافة « أوجه النشاط الخارجى » ، وكان هذا هو العذر الرئيسى لخلو المعهد الأمريكى (٢) من مجالات النشاط الداخلى .

ومع أن أوجه الخلاف بين جامعات العصور الوسطى وجامعات اليوم واسعة عميقة ، إلا أن الحقيقة التي لا تزال ماثلة أمام أعيننا هي أن جامعة القرن العشرين إنما هي سليله ووريثة جامعتى باريس وبولونيا في العصر الوسيط . فقد كانت هاتان الجامعتان هما الصخرة التي اقتطعنا منها ، والحفرة التي نقبنا فيها ، والمنهل الذي نهلنا منه . لقد ظل التنظيم الأساسى [للجامعة] كما هو دون أن يطرأ عليه أى تغيير ، كما ظل الامتداد التاريخى قائما متصلا . فهم الذين خلقوا التقاليد الجامعية

خطبه ومرافعاته هي أحسن إنتاجه النثرى على الإطلاق . انظر مقالة « باسكييه » في دائرة المعارف البريطانية . (طبعة شيكاغو ، سنة ١٩٦٤) ، ج ١٧ ، ص ٣٥٦ [المترجم] .

(١) مثل جامعة بولونيا التي كانت تعتبر بحكم الظروف التي أحاطت بإنشائها جامعة طلبة ، بعكس جامعة باريس التي كانت جامعة أساتذة . وقد تعرض هاسكوتز لذلك بقىء من التفصيل فيما بعد . انظر من هذا الموضوع أيضا كتاب المؤرخ جاك لى جوف المنون « حضارة الغرب في العصور الوسطى » Goff, J.le, La Civilisation de l'Occident Médiéval (Paris, 1965), p. 113. [المترجم]

(٢) يقصد المؤلف في العصر الحديث [المترجم] .

المعروفة في العالم الحديث ، تلك التقاليد التي نراها في كافة معاهدنا العليا الجديد منها والقديم ، والتي كان جميع رجال الجامعات والكليات على علم ودراية بها .

وتتناول هذه البحوث الثلاثة أصل تلك الجامعات المبكرة وطبيعتها وماهيتها بالدراسة . ويعالج البحث الأول موضوع النظم الجامعية ، أما الثاني فيتناول التعليم الجامعي ، بينما يتناول الثالث موضوع حياة طلبة الجامعة .

أخذ تاريخ الجامعات المبكرة ، خلال السنوات الأخيرة ، يشد إليه اهتمام طلاب التاريخ بصفة جدية . وكانت النتيجة أن خرجت معاهد العلم في المصور الوسطى ، آخر الأمر ، من دائرة الأسطورة والخرافة حيث ظلت زمنا طويلا قابعة في الظلام [لا يكاد يحس بها أحد] . ونحن نعرف الآن ، بمناسبة الاحتفال بالعيد الالفى لتأسيس جامعة أكسفورد [الإنجليزية] ، أن إنشاء تلك الجامعة لم يكن من بين المآثر العديدة التي تنسب إلى الملك ألفريد ^(١) [السكسوني] . كذلك نعرف أن جامعة بولونيا لا ترجع إلى أيام الإمبراطور [الروماني]

(١) ألفريد الكبير هو من أشهر ملوك السكسون . كان حاكما على مملكة وسكس الإنجليزية Wessex (٨٧١ — ٩٠١ م) . وقد تعرضت البلاد في عهده لإغارات الدانين على الجزيرة البريطانية والتي كان عليه هو وخلفائه مواجهتها والحد منها . وحول سيرته وقوانينه وأعماله ، أنظر المرجع التالية :

Whitelock, D., The Beginnings of English Society : The Anglo-Saxon Period (London, 1954), pp. 7, 12, 38, 40, 43, 81, 109, 137, 215—217 ; Stenton, F.M., Anglo-Saxon England (Oxford, 1965), p. 246 ff. [المترجم] .

ثيودوسيوس^(١) ، وأن جامعة باريس لم تكن قائمة في عصر شارلمان^(٢) ، وإنما قامت بعد ذلك التاريخ بأربعة قرون على وجه التقريب . وفي الحقيقة ، إنه من الصعوبة بمكان . حتى بالنسبة لعالم العصر الحديث ، التحقق من أن هناك أشياء كثيرة لا يوجد مؤسس لها ، كما أنه ليس هناك تاريخ عديد لبدايتها . غير أنها ، رغما عن ذلك ، قد تمت فحسب ، بعد أن تأسست في بطيء . وهدوء دون تاريخ قاطع محدد . وهذا يفسر السبب في أنه على الرغم من كل الدراسات التي أجراها كل من الأب ه . دنيفل^(٣) H. Denifle وهاستنجر راشدال^(٤) Hastings

(١) هو الإمبراطور ثيودوسيوس الأول المعروف بثيودوسيوس الكبير ومؤسس أسرة ثيودوسيوس في التاريخ البيزنطي . ويمتد حكمه من سنة ٣٧٩ م إلى سنة ٣٩٥ م وفي السنة التي قسم فيها دولته إلى قسمين مستقلين عن بعضها أحدهما شرقي والآخر غربي ، ولم يحكم ثيودوسيوس بمفرده إلا بعد عام ٣٩٢ م . أنظر Runciman, S., Byzantine Civilisation (London, 1948), pp. 32 f., 301 ; Diehl, Ch., Histoire de l'Empire Byzantin (Paris 1920), p. 6. [المترجم] .

(٢) شارلمان أو شارل العظيم هو ابن بين القصير وأول أباطرة الأسرة الكارولنجية ، وقد امتد حكمه من سنة ٧٦٨ م إلى سنة ٨١٤ م . أنظر عن ذلك هارتمان (ل. م.) وباراكلاف (ج) : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى مترجمة وتقديم الدكتور جوزيف لسيم يوسف ط . ثانية (الاسكندرية ١٩٧٠) ، ص ٣٦ وما يليها والحواشي وس ١٨٣ وما يليها [المترجم] .

(٣) Denifle, H., Die Entstehung der Universitäten des Mittelalters bis 1400, vol. I (Berlin, 1880). [المؤلف] . والكتاب يتناول جامعات العصور الوسطى منذ بدايتها حتى سنة ١٤٤٠ م . [المترجم]

(٤) Rashdall, H., The Universities of Europe in the Middle Ages, 2 vols. in 3 (Oxford, 1895). وقد ظهرت الكتاب طبعة منلعة تقع في ثلاثة أجزاء (طبع أكسفورد، سنة ١٩٣٦ م) ، هذا ، والإحالات الخالية في حواشي كتاب هاسكتر المأخوذة عن راشدال ، مستفاد من طبعة سنة ١٩٣٦ م .

Rashdall ، وعلماء الآثار المحليين - فإن بدايات أقدم الجامعات لاتزال غامضة غير مؤكدة في أغلب الأحيان ، بحيث يجب علينا أن نقنع أحيانا بمعلومات عامة جدا (١) .

وتعتبر نشأة الجامعات بمثابة نهضة علمية عظيمة الشأن . وليس المقصود بذلك نهضة القرنين الرابع عشر والخامس عشر التي يطلق عليها — عادة — الاصطلاح المذكور ، أى «renaissance» . ولكن المقصود نهضة مبكرة عن ذلك ، وإن كانت معرفتنا بها أقل من الثانية ، مع أنها هى الأخرى لها أهميتها ودلالاتها ، وهى التي يطلق عليها المؤرخون الآن لاسم «نهضة القرن الثالث عشر» (٢) . وبقدر ما كانت المعرفة في القرون الوسطى المبكرة ضيقة محدودة في إطار الفنون السبعة الحرة (٣) ، لم توجد ثمة جامعات لأنه لم يكن هناك ما يدرس خارج إطار

(١) يقول المؤرخ سيدنى بينتر أنه لا يمكن تحديد تواريخ قاطعة لأقدم ثلاث جامعات في الغرب ، وهى جامعات بولونيا وباريس وأكسفورد ، بينما تاريخ تأسيس جامعة كامبريدج مفكوك فيه وغير معروف على وجه اليقين . ويستطرد موضحا بأنه — كقاعدة عامة — يتم مثل هذا التحديد عندما كانت إحدى الجامعات تتلقى شكلا من أشكال الاعتراف الرسمي بها . أما عن الجامعات المتأخرة فقد قام الأصراء بتأسيسها ؛ وعلى هذا يمكن تحديد تواريخ إنشائها بسهولة بعكس الجامعات الأولى المبكرة . أنظر Painter, S., A History of the Middle Ages (London, 1966), p. 469. [المترجم] .

(٢) يقول المؤرخ مارك بلوك إن كلمة « نهضة » هنا تعنى حرفيا مجرد إحياء وليس المثلث أو الإبداع . أنظر Bloch, M., Feudal Society, vol. I (London, 1967), p. 108. [المترجم] .

(٣) كانت هذه العلوم أو الفنون تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الثلاثية وتشمل النحو والبلاغة والفلسفة ، والمجموعة الرباعية وتشمل العلوم الأربعة وهى الحساب والهندسة =

هذه العناصر الجرداء التي تتناول الأجرومية أى قواعد اللغة [اللاتينية] والبلاغة والمنطق . فضلا عن المعلومات السطحية البسيطة التي كانت لا تزال قائمة عن الحساب والفلك والهندسة والموسيقى — تلك الفنون التي أدت دورها خلال مرحلة عليية [مر بها العالم الأوروبي الوسيط] .

وعلى أية حال ، فقد حدث أن تسرب إلى الغرب فيما بين عامي ١١٠٠ و ١٢٠٠ م سيل عرم من العلم والمعرفة الجديدين . وقد تسرب بعض هذا العلم عن طريق إيطاليا وصقلية ، ولكن الجناح الأكبر منه وصل إلى الغرب عن طريق العلماء العرب في أسبانيا بصفة خاصة . فظهرت أعمال أرسطو وإقليدس وبطليموس والبطالسة وأطباء الإغريق القدماء ، وكذلك علم الحساب الجديد ، وتلك النصوص من القانون الروماني التي كانت مطوية في غياهب النسيان والتي بقيت مجهولة في دياجير القرون المظلمة . وبالإضافة إلى المسائل الأولية الخاصة بالمثلث والدائرة ، أصبحت أوروبا تمتلك تلك المراجع التي تحتوي على هندسة السطوح والمجسمات التي كان لها أكبر الأثر في المدارس والكتليات ، منذ ذلك الحين فصاعدا . وبدلا من العمليات الرياضية الصعبة المصنوية التي كانت تستخدم فيها الأرقام الرومانية ، أصبح من الميسور اختصار الوقت عن طريق استخدام الأرقام العربية . فكم كان مصنينا أن يفكر المرء كيف يستطيع أن يحل على الفور مسألة بسيطة في الضرب

== والفلك والموسيقى . أنظر كرامب (ج) و جاكوب (١) : تراث المصور الوسطى -
 راجع الترجمة محمد بدران والاكستور محمد مصطفى زيادة - ج ١ (القاهرة : ١٩٦٥ م) ،
 ص ٣٨٦ - ٣٨٧ [المترجم]

أو القسمة بمثل تلك الأرقام الرومانية . (١) وقد حل محل بيوثيوس (٢) Boethius ذلك العالم البارز من بين أساطين العلماء ، مدرس أوروبا في علم المنطق والعلوم العقلية والأخلاق . أما فيما يختص بالقانون والطب فقد استوعب الناس الآن العلم القديم برمته . وانطلق هذا العلم الجديد متفجرا خارج أسوار المدارس الكاتدرائية والديرة ، وخلق هذه الفئة من المثقفين المتعلمين . كما اجتذب إليه من فوق قم الجبال وعبر البحار الضيقة ، الشباب المتلهف شوقا ، لكي يتعلم ويعلم ، على غرار « متفقه من أوكسفورد » Oxford Clerik للشاعر تشوسر (٣) Chaucer في تاريخ متأخر . لقد اجتذب

(١) للزيد من المعلومات عن هذا الموضوع الملم ، أنظر سعيد عبد الفتاح عاشورة: المدينة الإسلامية وأمرها في الحضارة الأوروبية (القاهرة ١٩٦٣) ، وبخاصة الباب الثالث الذي يتحدث عن معابر المدينة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي ، ص ٤٩ وما بعدها [المترجم] .
(٢) يعرف باسم أنيكوس مانليوس بيوثيوس Anicius Manlius Boethius ، ولد حوالي سنة ٤٨٠ م وتوفي في ٥٢٤ م عن ٤٤ سنة تقريبا . أنظر LaMonte, op. cit., pp. 80, 82, 197, 560, 572: أنظر أيضا ، ما سبق ، ص ٤٠-٤٣ من القسم الأول من هذا الكتاب [المترجم] .

(٣) هو الشاعر الإنجليزي جوفري تشوسر ، ولد حوالي سنة ١٣٤٠ م وتوفي سنة ١٤٠٠ م وله من العمر ٦٠ عاما . وبما ينسب إليه أنه أمد انجلترا بما كانت تفتقر إليه منذ أيام الأنجلوساكسون ، ونعى بذلك الخلق والإبداع الأدبي الذي يبرز مراحل ما بلنه معاصروه في القارة الأوروبية . ومن أهم أعماله وأصغرها « قصص كانتربري » التي مات قبل إتمامها . وعلى الرغم من أن تشوسر لم يلتحق بالجامعة ، إلا أن دائرة معارفه ومعلوماته كانت هائلة . كان متبحرا في فهم فرجيل واوفيد وستاتيوس وكلوديان وغيرهم من كبار الكتاب القدماء ، كما اطلع على مؤلفات القديس جيروم والقباسوف بيوثيوس . أنظر من ذلك Myers, A. —R., England in the Late Middle Ages (London, 1958), pp. 85 f.,

العلم الجديد الشباب إلى باريس وبولونيا حيث وجدت تلك الاتحادات الجامعية التي زودتنا بأول وأفضل تعريف للجامعة باعتبارها مجتمع الاساتذة ومعلمي طلاب العلم .

وفيما يتعلق بهذا العرض العام الخاص بالقرن الثاني عشر ، فليس هناك سوى حالة استثنائية واحدة ، ألا وهي جامعة الطب في سالرنو . ففي هذه المنطقة ، وعلى مسيرة يوم واحد إلى الجنوب من نابولي ، وفوق أرض كانت لمباردية في بادىء الامر ثم أصبحت نورمانية فيما بعد ، وإن كانت لاتزال على اتصال وثيق بالشرق اليوناني — في هذه المنطقة كانت توجد مدرسة للطب ترجع نشأتها إلى تاريخ مبكر يعود بنا إلى أواسط القرن الحادى عشر . ويحتمل أن تلك المدرسة ظلت قائمة لمدة مائتى سنة بعد ذلك التاريخ ، وقد غدت أكثر مدارس الطب شهرة في أوروبا . ففي مدينة هيبوقراط ، (١) هذه تم شرح وتفسير السكتابات الطبية لقدماء الإغريق ، وتطورت [الدراسة فيها] إلى مجال التشريح والجراحة ، بينما تركزت تعاليمها في قواعد عامة شديدة الاقتضاب خاصة يطب الصحة الوقائى ، والتي لم تفقد بعد تعبيراتها ومدلولاتها مثل « إمش ميلا بعد الغشاء » ، (٢) ، إلى آخر مثل هذه المصطلحات وفيما يتعلق بالنظام الأكاديمي في

165 ; McKisack, M., The Fourteenth Century (Oxford, 1959), p. 529 ff. ; Huizinga, J., The Waning of the Middle Ages (London, 1955), p. 326. [المترجم] .

(١) نسبة إلى هيبوقراط الطبيب اليوناني المعروف الذي يعتبر أعظم رجال القرن الخامس في الطب . ولزيد من المعلومات عنه وعن كتاباته في مجال الطب ، أنظر Kitto, op.cit., pp. 32, 188 ; Cochrane, op. cit., pp. 275, 428, 469. [المترجم] .

(٢) يقابلها عندنا المثل العامى الشائع « انتهى وانتهى » [المترجم] .

سالرو ، فلسنا نعرف شيئا عما كان سائدا هناك قبل عام ١٢٣١ م . وعندما قام [الإمبراطور] فريديريك الثاني (١) في ذلك العام بتنظيم وتنسيق درجاتها العلمية ، كانت هناك جامعات أحدث عهدا من سالرو تقع في أقصى الشمال قد بزتها وتفوقت عليها فعلا بمراحل عديدة . وعلى الرغم من أهمية سالرو في تاريخ الطب ، إلا أنها لم تترك أى أثر يكشف عن نمو وتطور النظم الجامعية .

وإذا كانت جامعة سالرو تعتبر أقدم من حيث الزمن ، فإن جامعة بولونيا تمتاز بما لها من مكانة تبرز ميلتها فيما يختص بتطور الدراسات العليا . وعندما كانت سالرو معروفة بأنها مجرد مدرسة للطب ، كانت [جامعة] بولونيا مهيأة ومتشعب الجوانب ، ولو أنها تستحق الذكر باعتبارها مركزا لإحياء القانون الروماني . وخلافا للأفكرة العامة الشائعة ، لم يختلف القانون الروماني من الغرب في القرون الوسطى المبكرة ؛ ولكن تأثيره كان قد تضائل إلى حد بعيد بسبب الغزوات الجرمانية [وما أحدثته من فوضى ودمار] . وقد ظل القانون الروماني باقيا جنبا إلى جنب مع القوانين الجرمانية بوصفه القانون الذي اعتاد عليه الشعب الروماني . ولكنه لم يعد معروفا عن طريق مؤلفات جستنيان القانونية العظيمة ، (٢)

(١) الإمبراطور فريديريك الثاني هو ابن هنري السادس وحفيد فريديريك بارباروسا . امتد حكمه من سنة ١٢١٥ إلى سنة ١٢٥٠ م . وفيما يتعلق بسيرته وحكمه وأعماله ، أنظر Haskins, C. H., *Studies in Mediaeval Culture* (New York, 1929), pp. 124—147 ; LaMonte, op. cit., pp. 417—419, 476—477, 503—505 [المترجم] .

(٢) من الأعمال الخالدة للإمبراطور جستنيان (٥٢٧—٥٦٥ م) موسومته المعروفة باسم « مجموعة القوانين المدنية » التي أصدرها عام ٥٢٩ م ، وتعتبر في الواقع من

ولأنما في شكل كتيبات بدائية أولية وكراسات نافذة أخذ حجمها يتكثف ويتضائل مع الزمن حتى غدت لا حياة فيها . وقد اختفت مجموعة «شرح القوانين» المعروفة باسم «الديجست» ، «Digest» ، وهي أهم قسم من «مجموعة القوانين المدنية» لجستنيان «Corpus Juris Civilis» ، وذلك في الفترة الواقعة بين عامي ٦٠٣ م و١٠٧٦ م ، ولم يبق منها سوى خطوطان إثنان فقط . وعلى حد قول

«أهم آثاره وأبقاها»^١ وقد وضعت هذه المجموعة على أساس تشريعات جريجوريانوس وهيرموجنينيانوس وثيودوسيوس ، بالإضافة إلى قوانين الأباطرة المتأخرين ووثائق كبار المعمرين القدامى . وتنقسم هذه المجموعة إلى ثلاثة أقسام : الأول ويتضمن الأحكام الإمبراطورية والمراسيم والقرارات والاستفتاءات القانونية الصادرة عن مجلس السناتو «Senatus Consulta» ، والثاني كتاب مختصر في أصول التشريع الروماني يعرف باسم «Institutes» ، والثالث هو المعروف باسم «شرح القوانين» أو «الديجست» «Digest» ويتضمن القوانين المدنية بأكملها وعليها شروح الشراح والمفسرين لا وقد ظهرت في «شرح القوانين» أصالة جستنيان الحقيقية ، إذ تعتبر أكبر الوثائق التشريعية التي تمخض عنها حكمه . وقبل موته بعامين نشر جستنيان ترجمة مختصرة لقوانينه باللغة اليونانية هرفت باسم «القوانين الجديدة» «Novellae leges» تظهر فيها الروح المسيحية مندجبة في التشريعات الرومانية الوثنية القديمة . أنظر عن ذلك بينز (ن) : الإمبراطورية البيزنطية - تعريب الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ٢٥٠-٢٥٦ ، راجع أيضا : Runciman, op. cit., p. 74 f. ; Barker, E. (ed.), Social and Political Thought in Byzantium (Oxford, 1957), p. 75 f. ; Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State (Oxford, 1956), pp. 51 f., 69 f. ; Bailly, A., Byzance (Paris, 1939), p. 94 ff. ; Diehl, Ch. & Marçais, G., Le Monde Oriental de 395 à 1081 (Paris, 1944), pp. 67, 84 ff. [المترجم]

ف. و. ميتلاند (١) F. W. Maitland « لقد بقي القانون الروماني بصعوبة بالغة » . هذا ، بينما استمرت دراسة القانون ، بنوع ما ، إن كانت هناك بالفعل دراسات قانونية ، باعتبارها مجرد صناعة يتلقنها الفرد كي ترشحه لمهنة المحاماة . وكان بقاؤها ماثلا في مسودات الوثائق كما لو كانت أحد أشكال فن البلاغة التطبيقية .

ومتأخرا في القرن الحادي عشر ، ومع الارتباط الوثيق بحركة إحياء التجارة وحياة المدينة ، قامت نهضة قانونية ترمز بدورها إلى نهضة القرن التالي [المعروفة بنهضة القرن الثاني عشر] . ويمكن تتبع هذه النهضة في أكثر من مجال في إيطاليا . وربما لم تحدث هذه النهضة في بادئ الأمر في بولونيا نفسها . غير أنها سرعان ما وجدت في بولونيا مركزا لها للأسباب الجغرافية التي جعلت من هذه المدينة ، في الماضي كما هو الحال في الحاضر ، نقطة التقاء لطرق المواصلات الرئيسية في شمال إيطاليا . فقد سمعنا قبل عام ١١٠٠ م بقليل عن أستاذ اسمه ييبو (٢)

(١) من الكتاب المحدثين ، له عدة مؤلفات وبحوث قانونية تنصل بالفترة الوسيطة من التاريخ ، من بينها بحثه « لغة القانون الانجلو فرنسية » ، و « تاريخ القانون الانجليزي قبل عهد ادوارد الأول » الذي وضعه بالاشتراك مع ف. بولوك F. Pollock هذا ، بالإضافة إلى ترجمته المشهورة لقسم الخامس بالمصور الوسطى من الجزء الأول من مؤلف أوتو جيركة الذي يحمل اسم : Gierke, O., Das deutsche Genossenschaftsrecht, 4 vols., : Berlin, 1868 - 1911. وقد ظهرت ترجمة ميتلاند الانجليزية تحت اسم : Gierke, O., Political Theories of the Middle Ages, trans. by F. W. Maitland, Cambridge, 1900. [المترجم]

(٢) اشتهر ييبو كمدرس للقانون في بولونيا ؛ وهناك إشارات عديدة إليه وردت في أواخر القرن الحادي عشر . وقد امتاز بصيته القائع في عام ١٠٧٦ م . أنظر وهيب إبراهيم : «

Pepo باعتباره « ضوء بولونيا اللامع المشع » . وحوالى عام ١١١٩ م تقابلنا عبارة لاتينية هي Bononia docta أى « رجال بولونيا المثقفون » . وفى بولونيا ، كما هو الحال فى باريس ، يقف مدرس عظيم عند بداية تطورها الجامعى . وكان هذا المدرس الذى وهب جامعة بولونيا شهرتها رجالا يدهى ارنيروس (١) Innerius . وربما كان ارنيروس يتمتع بشهرة تفوق تلك التى كان يتمتع بها كبار أساتذة القانون فى القرون الوسطى ، على كثرة عددهم . ولا يزال ماكتبه وماقام بتدريسه مثارا للجدل والمناقشة بين رجال العلم . ويبدو أنه قد حدد طريقة « شرح وتفسير ، النصوص القانونية على أساس الاستعانة الواعية الشاملة بمجموعة القوانين المدنية [لجستيان] بأكملها ، الأمر الذى يميزها عن تلك المختصرات الهزيلة التى صدرت فى القرون السابقة . وبذلك فصل بصفة نهائية وقاطعة القانون الرومانى عن فن البلاغة ، وقام بتثبيته وتعزيز أركانه بوصفه موضوعا لدراسة متخصصة . وحوالى عام ١١٤٠ م ألف راهب من دير القديس فليس San Felice يدعى جراسيان (٢) Gratian كتابا باسم « القانون ، Decretum » ، أصبح المصدر الأصيل فى القانون الكنسى . وهكذا تميز عن علم اللاهوت بوصفه موضوعا مستقلا قائما بذاته خاصة بالدراسات العليا ، وتؤكد

الثقافة والترقية فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٢) ، ص ١٨٠ ؛ راجع أيضا :
Painter, op. cit. p. 469 ; Rashdall, H., Universities of Europe in
the Middle Ages, vol. I (Oxford, 1936), p. 113. [المترجم]

(١) للمزيد من المعلومات عن ارنيروس ، انظر ماسبق ، ص ١٠٩ - ١١٢ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

(٢) حول جراسيان ، انظر ماسبق ، ص ١١١ - ١١٢ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم]

ثامنا تفوق جامعة بولونيا كدرسة للقانون .

وقد ظهر في ذلك الحين فريق من الطلاب معبرا عن ذاته في المراسلات والشعر . وحوالى عام ١١٥٨ م كان من الأهمية بمكان أن تتلقى إيطاليا من الإمبراطور [الألماني] فريديريك بارباروسا (١) براءة رسمية في شكل حقوق وامتيازات ، ولو أنه لم يرد في مثل هذه البراءة لاسم مدينة بالذات أو جامعة بعينها ، وحوالى هذا الوقت أصبحت بولونيا ملاذا لبضع مئات من الطلبة الذين وفدوا إليها ليس من إيطاليا فحسب وإنما من وراء جبال الألب . ونظرا لأنهم كانوا مغتربين عن أوطانهم ، وبجربين من وسائل الدفاع عن النفس ، فقد اتحدوا بقصد حماية أنفسهم والتعاون المشترك فيما بينهم . وكان هذا التنظيم بين الطلبة المغتربين ، أو الطلبة القادمين من وراء الجبال ، هو الخطوة الأولى في سبيل إنشاء الجامعة .

ويبدو من هذا الاتحاد أن الطلبة المغتربين قد نهجوا نهج النقابات التي كانت معروفة بالفعل في المدن الإيطالية . وفي الواقع كانت كلية د جامعة ، (٢)

(١) فريديريك بارباروسا هو إمبراطور الدولة الرومانية الغربية المقدسة ، حكم من سنة ١١٥٢ م إلى سنة ١١٩٠ م . وكان أحد زعماء الحملة الصليبية الثالثة التي قام بها الغرب الأوروبي بقصد الاستيلاء على بيت المقدس التي كان صلاح الدين الأيوبي قد استعادها سنة ١١٨٧ م . وللمزيد من المعلومات عن عهده وأعماله وتاريخ حياته ، انظر : Machiavelli, N., Florence and the Affairs of Italy (New York, 1960), pp. 22 - 24; Cantor, N. F. (ed.), The Medieval World (New York, 1963), pp. 242 - 248. [المترجم]

(٢) من الأصل اللاتيني universitas أى اتحاد ، ومنها اشتقت الجامعة تسميتها ، فهي ليست سوى اتحادا من الأساتذة والطلاب ، انظر عن ذلك المراجع الأجنبية التالية : =

« university » ، تعنى ، أصلاً ، مثل هذا التجمع بوجه عام . وبمرور الوقت أصبحت هذه الكلمة تقتصر على نقابات الأساتذة والطلاب فحسب ، ونصبها باللاتينية « universitas societas magistrorum discipulorumque » ؛ بمعنى أن الجامعة هي مجتمع الأساتذة والطلاب . أما من الناحية التاريخية ، فإن كلمة « جامعة » لا علاقة لها بكلمة « السكون » ، « universe » ، أو بـ « كونية العلم والتعليم » ، « universality of learning » ، وإنما تدل على جماعة أو طائفة ، سواء أكانت من الحلاقين أو التجارين أو الطلبة . ولقد نظم طلبة بولونيا مثل هذا الاتحاد الذى كان يهدف أساساً حمايتهم من تعسف سكان المدينة ، ولمواجهة أجر السكن . وسرعان ما تآثرت فى الآفاق ضروريات الحياة ومطالبها تبعاً لإقبال وتهاافت المستأجرين الجدد ، أى المستهلكين . وكان الطالب بمفرده قليل الحيلة أمام مثل هذا الاستغلال وتلك الانتهازية . أما إذا اتحد الطلبة فيما بينهم ، فإنه كان بوسعهم كبح جماح سكان المدينة عن طريق التهديد بمغادرة المدينة جماعة كما لو كانوا رجلاً واحداً ، أو التهديد بالتوقف عن الدراسة . ونظراً لأنه لم يكن للجامعة مبدأ خاصة بها [تشد الطلبة إليها وتربطهم بها] ، فقد أصبحت لهم حرية الحركة والتنقل [من مكان إلى آخر] . ولدينا أمثلة عديدة مستمدة من واقع التاريخ لمثل تلك الهجرات الجماعية [للطلبة] . ولذلك آثر سكان المدن تأجير غرفهم للطلبة الغريباء بأسعار أقل بدلاً من عدم تأجيرها على الإطلاق . ومن ثم ضمنت

Goff, op. cit., p. 113 ; Coulton, G. G., *Medieval Panorama* (New York, 1955), p. 394 ; Painter, op. cit., p. 468 f., LaMonte, op. cit., p. 568 ; Funck — Brentano, F., *Le Moyen Age* (Paris, 1922) [المترجم] p. 192.

المنظيمات الطلابية عن طريق ممثليها القدرة على تحديد إيجارات السكن وأسعار السكتب .

وبعد أن تغلب الطلبة على سكان المدينة ، استداروا إلى « أعدائهم الآخرين وهم الاساتذة » . وهنا كان التهديد عبارة عن مقاطعة جماعية . ولما كان الاساتذة يعيشون ، في بادئ الامر ، كلية على الرسوم التي يدفعها التلاميذ ، فقد كان لهذا التهديد أيضاً فاعليته . وكان الاساذ مقيداً يعيش أسير بمجموعة من الأنظمة والقوانين الدقيقة الصارمة التي تكفل للتلاميذ الذين يدرسون عليه مايقابل المبلغ الذي يدفعه كل فرد منهم . وتذكر القوانين المبكرة (سنة ١٣١٧ م) أنه لا يجوز أن يتغيب أى أستاذ ولو ليوم واحد دون الحصول على إذن بذلك . أما إذا أراد مغادرة المدينة فيتعين عليه حينئذ أن يودع تأميناً ضماناً لعودته إليها . وإذا أخفق في ضمان حضور خمسة مستمعين لمحاضرة نظامية [يقوم بالقائها] ألزم بدفع غرامة كما لو كان غائباً . وإنما في الواقع ، محاضرة فقيرة جداً تلك التي لا تضمن خمسة مستمعين لها . كذلك يتعين على الأستاذ أن يبدأ [المحاضرة] بمجرد أن يدق الناقوس ، وأن يذاور الفصل خلال دقيقة واحدة من الناقوس التالى . ثم أنه غير مسموح له لإغفال جزء من المنهج الدراسى أثناء قيامه بالشرح والتفسير ، أو تأجيل موضوع صعب حتى نهاية الساعة المحددة . وعليه ، أيضاً ، إعطاء الدرس حقه بطريقة منظمة . ويسرى هذا الوضع بالنسبة لكل فترة من فترات العام الدراسى . ولا يجوز لأى أستاذ أن يضيع السنة كلها في مقدمات ومراجع . وإن تحكما من هذا القليل يحتمل على الاعتقاد بأنه قد سبقه تنظيم فعال لهيئة الطلاب .

هذا ، وقد سمعنا عن وجود اتحادين بل وأربعة اتحادات للطلبة كل منها يتكون من « أمم » ، « nations » ، على كل أمة رئيس . ولقد كانت بولونيا ، بكل

تأكيد ، جامعة طلبة . ولا يزال الطلبة الإيطاليون يطالبون بصوت لهم في الشؤون الجامعية . وعندما قُت (١) زيارة جامعة بالرمو للمرة الأولى وجدتھا وقد عادت توالى حالتھا الطبيعية بعد إخلال بنظام الدراسة فيها ، حيث حطم الطلبة النوافذ الأمامية للجامعة مطالبين بأن تعقد لهم امتحانات دورية [على فترات زمنية قصيرة] ، ومن ثم تكون أقل إلماً بأشتات الموضوعات [التي يدرسونها] . وفي العيد المئوي السابع لجامعة بادوا في مايو من سنة ١٩٢٢ م ، طاف الطلبة فعلاً في المدينة وقد أعدوا برنامجاً يشتمل على مواكب واحتفالات ؛ فضلاً عما أثاروه من جلبة وضوضاء نالت من أكثر المناسبات هيبه ووقاراً . وقد ترتب على ذلك تحطيم نوافذ أعظم قاعة في المدينة .

وبإبعاد الأساتذة عن « اتحادات » universities ، الطلبة ، كانوا هم أيضاً لأنفسهم « نقابة » خاصة بهم أو « اتحاداً » يلم شملهم ويوحد صفوفهم ، . وكان يشترط الالتحاق به صلاحيات وكفايات معينة يتم التأكد منها عن طريق امتحانات تعقد لذلك ، بحيث لا يتسنى لأى طالب الانضمام إلى الاتحاد الخاص بالأساتذة إلا بموافقة ورضاه . ولما كانت القدرة على تدريس موضوع ما تعتبر في حد ذاتها اختباراً طيباً لمدى معرفة الطالب به ، فقد سعى الطالب للحصول على إجازة التدريس من أحد الأساتذة باعتبارھا شهادة تفيد تحصيله للعلم والمعرفة ، بصرف النظر عن العمل الذي سوف يشغله مستقبلاً . وقد أصبحت هذه الشهادة ، أى إجازة التدريس « licentia docendi » ، هى أقدم شكل للدرجة الجامعية . ولا تزال درجاتنا العليا تحتفظ بهذا التقليد في كليات مثل « ماجستير ،

(١) المقصود زيارة هاسكنز مؤلف الكتاب لجامعة بالرمو [المترجم] .

magister و«دكتور» doctor ، وهى كلمات مترادفة فى معناها منذ البداية . هذا ، بينما توجد عند الفرنسيين «إجازة الليسانس» licence . وكان من يحصل على درجة الماجستير فى الآداب يعتبر مؤهلاً لتدريس الفنون الحرة ، بينما يعتبر الحاصل على درجة دكتور فى القانون مدرسا مشهودا له فى تدريس القانون . ويسمى الطالب الطموح للحصول على درجة عليية ، وهو يلقي بهذه المناسبة محاضرة احتفالية ، ويحاضر صراحة بعزمه على الاستمرار فى مهنة التدريس . وقد عرفنا ، بما سبق ، الدرجات الجامعية الأساسية فى جامعة بولونيا ، وكذلك للنظم الجامعية وما يتعلق بالموظفين الرسميين المعروفين كالمدبر مثلا .

وبمرور الزمن ظهرت موضوعات دراسية أخرى مثل الفنون والطب واللاهوت . ولكن بولونيا كانت مدرسة رفيعة القدر للقانون المدنى . وهكذا أصبحت نموذجا للتنظيم الجامعى فى كل من إيطاليا وإسبانيا وجنوب فرنسا ، حيث كان لدراسة القانون دائما دلالتها ومغزاها فى المجالات السياسية والاجتماعية والأكاديمية . وأصبحت بعض تلك الجامعات ندا لجامعة بولونيا ، مثل كل من جامعة مونتبلييه وجامعة أورليانز ، وكذلك المدارس الإيطالية القريبة من ديار الطلاب . وفى سنة ١٣٢٤ م أسس فريدريك الثانى جامعة نابولى حتى يتسنى للطلاب فى ملكته فى صقلية الالتحاق بمدرسة فى وطنهم تلعب حرب الجبلين الإمبراطورى بدلا من الذهاب إلى أحد مراكز حرب الجلف البابوى (١) فى الشمال . وقد تأسست جامعة بادوا التى اشتهرت عن جامعة بولونيا قبل ذلك التاريخ بعامين . وفى عام ١٩٢٢ م فقط ، وكان ذلك بمناسبة الاحتفال بمرور سبعمائة عام على تأسيس جامعة

(١) حول حربى الجلف والجبلين ، أنظر كتاب LaMonte, op. cit., pp.

452- 450 — 444, 443 — 433, 431 [المترجم]

بادوا، شاهدت (١) العدا. القديم [بين الجامعتين] وقد خفت حدته بعد قبلة السلام التي منحتها بادوا لمدير جامعة بولونيا وسط هتافات وصيحات الاستحسان الصادرة من قلوب عشرة ألف متفرج. وتكاد جامعة بادوا، في وقتنا هذا، تقف بصعوبة على قدم المساواة مع جامعة بولونيا، وذلك على الرغم من أنه حدث في عصر متأخر أن قدم بورشيا Portia إلى بادوا لسيادتها في الدراسات القانونية، وعلى الرغم من أن تلك الجامعة لاتزال تشع بعظمة جاليليو (٢)

• Galileo

هذا عن بولونيا وجامعات الجنوب الأوروبي. أما إذا أردنا التعرف على أصل جامعات الشمال، فيتمين علينا البحث عنه في مدرسة نوتردام الكاتدرائية في باريس. فمع بداية القرن الثاني عشر لم يعد التعليم في فرنسا والأراضي الواقعة قاصراً على الأديرة. بل كانت أنشط مراكزه في المدارس الملحقة بالكاتدرائيات (٣)،

(١) أي هاسكنز مؤلف هذا الكتاب [المترجم].

(٢) جاليليو هو صاحب النظرية الفلكية المعروفة التي أثبت بها أن الأرض مائى إلا أحد الأجرام السماوية. وكانت النتيجة أن أدانت الكنيسة اللاتينية واتهمته بالهرطقة. وكان من بين التهم التي وجهتها إليه أن نظريته هذه تتعارض مع ما جاء في العهد القديم من أن السكون ثابت لا يتزعزع. أنظر عن ذلك كولتون (ج. ح.)؛ عالم المصور الوسطى في العظم والحضارة - ترجمة الدكتور جوزيف نعيم يوسف - ط. ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧)، ص ٦٣ و ج. أ. راجع أيضاً : Crombie, A. G., Augustine to Galileo, vol. I (London, 1961), pp. 4, 6, 18, 59 f., 116, 119 ; LaMonte, op. cit., p. 561. [المترجم]

(٣) أنظر الخريطة الخاصة بالمراكز الفكرية في النرب الأوروبي في القرن الثاني عشر، ص ١٧٩، بآخر القسم الأول من هذا المجلد، [المترجم].

وأشهرها هي [مدارس] كاتدرائيات لياج Liège وريمز Rheims ولون Laon وباريس وأورليانز وشارتر. وربما كانت أبرز تلك المدارس التي قامت بتدريس الفنون الحرة وأبعدها صيتا هي مدرسة شارتر التي اشتهرت بأحد رجال القانون الكنسي وهو القديس إيف St. Ives ، كما عرفت بالمدرسين الذين ذاع صيتهم في الآداب الكلاسيكية والفلسفة مثل كل من القديس برنارد أوف كليرفو وتييري^(١) Thierry . وفي تاريخ مبكر يرجع إلى عام ٩٩١ م قام راهب من مدينة ريمز يدعى ريتشارد الريمي^(٢) Richer بشرح ما كابدته من مشقة وغناء في رحلته إلى شارتر لدراسة حكم هيبوقراط وقواعده الذهبية

• Aphorisms

ومع بدايات القرن الثاني عشر ترك لنا جون أوف ساليسبوري John of Salisbury رائد الدراسات الإنسانية في ذلك العصر ، بيانا بالأساتذة الذين ستتاح لنا الفرصة — فيما بعد — للاستشهاد بهم والرجوع إليهم . وليس هناك اليوم مكان يمكن أن نتوقف عنده في سهولة ويسر أكثر من مدينة كاتدرائية ترجع إلى القرن الثاني عشر ، وهي مدينة هادنة مسالمة لا تزال كنيستها تسيطر عليها ولا تزال تشارك من حين إلى آخر ،

(١) يقول جون لامونت إن الشقيين تييري وبرنارد كانا يقومان بتدريس الآداب الكلاسيكية في مدرسة شارتر التي كانت تعتبر أعظم مراكز الدراسات الإنسانية في القرن الثاني عشر . وقد بلغت هذه الدراسات ذروتها في شخص جون أوف ساليسبوري . أنظر LaMonte, op. cit., p. 558. [الترجم] .

(٢) حول ريتشارد الريمي ، أنظر ماسبق ، ص ٨٣ من القسم الأول من هذا المجلد [الترجم] .

أكثر من ارتباطه بالمدرسة الكاتدرائية [في نوتردام] . وقد غدا للتردد على باريس عادة مألوفة في أيامه . وهكذا أصبح له أثره الفعال فيما يختص بنشأة الجامعة . ولقد كانت الجامعة بالمفهوم التشريعي ، هي الوليدة المباشرة للمدرسة كاتدرائية نوتردام التي كان لرئيسها دون سواء سلطة التصريح بالتعليم في نطاق أبروشية باريس . وهكذا حافظ على سلطته في منح الدرجات الجامعية التي كانت أصلاً في هذا المكان ، كما هو الحال في بولونيا ، شهادات يمنحها المدرسون . ولقد كانت المدارس المبكرة قائمة داخل نطاق الكاتدرائية في المدينة الأصلية القديمة المعروفة باسم جزيرة المدينة Ile de la Cité ، المؤدية إلى نوتردام التي وصفها فيكتور هوجو [في القرن التاسع عشر] ، والتي كانت قد تهدمت منذ زمن بعيد . وبعد ذلك بقليل نجد أساتذة وطلاب علم يعيشون في منطقة الجسر الصغير Petit-Pont الذي يربط المدينة بالضفة اليسرى لنهر السين . ولقد نسبت إلى هذا الجسر مدرسة كاملة للفلاسفة تسمت باسمه ، هي مدرسة بارفبونتاني Parvipontani . غير أن طلاب العلم مع بداية القرن الثالث عشر كانوا قد انتشروا على الضفة اليسرى للنهر ، وقد عرف منذ ذلك الحين باسم « الحى اللاتيني » Latin Quarter في باريس (١) .

ولسنا نعرف على وجه التحديد متى كفت باريس عن أن تصبح مدرسة كاتدرائية ومتى أصبحت جامعة ، ولو أن ذلك كان بالتأكيد قبل نهاية القرن الثاني عشر . ومع ذلك تؤثر كل جامعة أن يكون لها تاريخ محدد لبدايتها تحتمل به . وعلى هذا فقد اختارت جامعة باريس عام ١٢٠٠ م [كبداية لها] ، وهو العام

(١) أنظر المراكز والمواقع المذكورة مبينة على خريطة باريس في العصور الوسطى . وكذلك خريطة « باريس في عصر فيليب أوغسطس » ص ١٨١ ، ١٨٣ بآخر القسم الأول من هذا الكتاب . [المترجم] .

— ٢٥٩ —

لوحة رقم (٥)



حياة طلاب العلم في كاتدرائية نوتردام في باريس
في القرن الثالث عشر

الذى صدر فيه أول مرسوم ملكي خاص بنشأتها . ففي ذلك العام ، بعد أن قتل عدد من الطلبة بسبب صدام وقع بينهم وبين أهالي المدينة أصدر الملك فيليب أوغسطس^(١) مرسوما رسميا نص على عقاب محافظ باريس مع الموافقة على إعفاء الطلبة وخدمهم من تقديمهم للمحاكمة أمام القضاء العلباني . وهكذا نشأ هذا المركز الخاص الذى تمتع به الطلبة أمام المحاكم التى لم تكن قد توقفت بعد تماما عن ممارسة نشاطها العلباني ، ولو أنها اختفت بصفة عامة من وجه القانون . وكان الامتياز البابوى الأول المعروف باسم «مرسوم باريس» ، *Parens scientiarum* الصادر عام ١٢٣١م^(٢) أكثر تحديدا . وقد صدر بعد أن توقفت الدراسة [فى جامعة باريس] لمدة عامين بسبب حالة الشعب والفوضى التى تسبب فيها لفيف من الطلبة وجدوا أن « الخبز لذيذ الطعم حلو المذاق » ، وقد اعتدوا على حارس الحانة وأصدقائه [حيث كانوا يحتسون النبيذ] . وقاسوا هم بدورهم على يدى محافظ المدينة ورجاله . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على روح الخصومة والخلاف [بين الطلبة والأهالى] التى أدرك القرن الثالث عشر بوضوح أن للشيطان يد فيها . وتأكيدا للإعفاءات الصادرة من قبل [لصالح جامعة باريس] ، قام البابا [جريجورى التاسع] بتحديد سلطة أمين الكاتدرائية فى منح درجة الليسانس . واعترف فى نفس الوقت بحق الأساتذة والطلاب فى

(١) أنظر الترجمة العربية لمرسوم فيليب أوغسطس فى الملحق الثالث ص ١٦٧ - ١٦٩ بآخر القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

(٢) ترجم المرسوم إلى اللغة الإنجليزية ل. ثورندايك أنظر L. Thorndike, *University Records and Life in the Middle Ages* (New York, pp. 35—39, 1944) [المؤلف] انظر الترجمة العربية للمرسوم فى الملحق الخامس ص ١٧٢-١٧٥ بآخر القسم الأول من هذا المجلد، وهو المرسوم الذى أصدره البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١ م) . [المترجم] .

وضع الأنظمة والقوانين والتشريعات التي تستهدف تنظيم المحاضرات والمناقشات ومواعيدها ، فضلاً من تحديد الزى الواجب ارتداؤه ، بالإضافة إلى مسائل أخرى مثل حضور جنازات الاساتذة والمحاضرات التي يلقيها الحاصلون على درجة الليسانس . ولا بد أن مثل هذه المحاضرات كانت أكثر تحديداً من محاضرات أوائك الاساتذة الذين يحلفون بعلومهم في الهواء . وتضمنت هذه التنظيمات أيضاً تحديد أجور السكن ، مع العمل على كبح جماح الطلاب [إذا دعت الضرورة إلى ذلك] . فلم يسمح لهم بحمل السلاح ؛ كذلك لا يتمتع بالإعفاءات والبراءات المرخص بها للطلاب إلا أوائك الذين يترددون على المدارس بصفة منتظمة . فقد كان على الطالب أن يواظب على حضور محاضرتين في الاسبوع على أقل تقدير .

وجدير بالذكر أنه عندما لا ترد كلمة « جامعة » ، university ، صراحة في هذه الوثائق والمستندات ، فيمكن اعتبارها كما لو كانت قد وردت فعلاً . فقد كانت الجامعة باعتبارها هيئة ينظم فيها الاساتذة قائمة بالفعل في القرن الثاني عشر . ونظرت حوالى عام ١٢٣١م إلى اتحاد أو نقابة معترف بها ، لها خاتمتها الخاص . وقد كانت باريس ، على النقيض من بولونيا ، جامعة أساتذة ، فقد كان ثمة أربع كليات يشرف على كل منها عميد ، وهذه الكليات هي : كلية الآداب ، وكلية القانون الكنسى مع مراعاة أن النفاون المدني كان محرماً تدريسه في باريس بعد عام ١٢١٩م . والثالثة هي كلية الطب ، والآخرى هي كلية اللاهوت . وكان أساتذة الآداب أكثر عدداً من أساتذة الكليات الأخرى ، وكانوا ينقسمون الى أربع « أمم » ، nations ، هي : الأمة الفرنسية وتشمل الشعوب اللاتينية ، والأمة النورمانية ، والأمة البيكارديّة وتشمل أيضاً الاراضى الراضة ، وأخيراً الأمة الإنجليزىة متضمنة طلبة انجلترا وألمانيا وشمال أوروبا وشرقها . وتقوم هذه

الأمم الأربع باختيار رئيس الجامعة وهو الشخصية الأولى فيها ، والمقصود بذلك المدير . ولا يزال رئيس الجامعة يلقب — عادة — بهذا الإسم في القارة الأوروبية ، على الرغم من أن فترة إدارته [للجامعة] كانت قصيرة ، إذ بلغت في عصر متأخر ثلاثة أشهر فحسب .

وإذا أمكن الحكم من واقع هذه الدقائق والتفاصيل التي حفظها لنا الزمن ، لوجدنا أن « الأمم » قد كرست الكثير من وقتها في بحث أوجه إنفاق المصاريف التي يتم تحصيلها من الأعضاء والموظفين الجدد ، أو — حسبما كانت تسمى — في سبيل شرب الفانوس حتى الثمالة عند منطقة السيوفين على مقربة من الجسر الصغير ، أو عند إشارة السيدة مريم العذراء في شارع سان جاك ، أو عند سوان وفالكون وشعارات فرنسا ، والكثير من أمثال هذه الأماكن والبقاع (١) . وهناك دراسة تدل على العمق وسعة العلم في موضوع حانات باريس في العصور الوسطى ، مستقاة من واقع وثائق وسجلات الأمانة الإنجليزية دون غيرها . ويبدو أن تشريع « الأمم » المزيف قد شجع على إثارة الاحقاد والمنافسات بين مختلف الأقطار المتمثلة في [جامعة] باريس ، بدلا من العمل على تهدئتها وتخفيف حدتها . وقد ترك لنا جاك دي فيتري (٢) Jacques de Vitry وصفا قريبا رائعا

(١) أنظر هذه الأماكن والبقاع على الحرائط المذيل بها القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

(٢) ولد جاك دي فيتري حوالي سنة ١١٨٠م ، وتقلب في العديد من المناصب الكنسية ، وسرعان ما أصبح واحدا من الرجال المرموقين في زمانه . ويبدو أن تأثيره على الصليبيين الغربيين في القرن الثالث عشر كان لا يقل عن الأثر الذي تركه بطرس الناسك في القرن الثاني عشر مع بداية الحركة الصليبية ولا تزال خطبه وعظاته ومراسلاته باقية . وهي وإن كانت =

لهذه المشاهدات (١).

يقول فيترى : « لقد كانوا [أى الطلبة] يتشاحنون ويتخاصمون ليس فقط بسبب بعض المنافشات ، بل أدت الخلافات والفوارق بين الاقطار أيضا إلى إثارة النزاع والخصومات والاحقاد ، وإلى قيام العداء المستحكم فيما بينهم . وقد صدرت عنهم ، فى قحة وقلة حياء ، كافة أنواع الإهانات والسباب التى كانوا يتراشقون بها . فقد أكدوا أن الإنجليز سكارى ولهم ذبول ، أما أبناء فرنسا فهم متكبرون مغنثون يعنون بأناقتهم كالنساء . وقالوا إن الألمان سريعو الغضب

== لاثير اليوم الاهتمام السكان ، لآ أنها كانت فى ردها تلقى الرواج والاهتمام . وكان أول ما قام به فيترى هو التبشير بالحلة الصليبية ضد المرافقة الأليبيجنيين . وبعد ذلك كرس حياته لعمل من أجل غزو القبر المقدس ، وكانت تحذوه الآمال فى إعادة تأسيس مملكة اللاتين فى فلسطين . وقد كللت جهوده فى هذا المضمار بتعيينه أسقفا على عكا سنة ١٢١٧ م . وفى السنة التالية صاحب فيترى الجيش الصليبي القى توجه بقيادة جان دى برين صاحب عكا لحصار مدينة دمياط . ويقال أنه أخذ على عاتقه مهمة إدارة كافة العمليات العسكرية . وفى عام ١٢٢٧ م غادر فلسطين الى أوروبا . وشغل عدة وظائف دبلوماسية منها وظيفة السكرتير بناية ثم عين أسقفا على بيت المقدس ، فمثلا ليايا فى فرنسا والمانيا وأخيرا بطريركا على بيت المقدس . واسكنه توفى فى ٣٠ ابريل سنة ١٢٤٠ قبل أن يتقلد بالفعل مهام منصبه الجديد . أنظر :

Vitry, J. de, The History of Jerusalem A. D. 1180. Translated from the Original Latin by A. Stewart (London, 1896), pp. III.

IV. — [المترجم]

(١) ترجم هذا النص إلى الانجليزية د. س. مونرو ، أنظر Munro, D. C., The Mediaeval Student (University of Pennsylvania, Translations and Reprints, Philadelphia, 1899), p. 10 f. — أثار الترجمة العربية لهذه القطعة فى المصحح الرابع بآخر القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

ولأنهم يأنون المنكر والفحشاء في حفلاتهم . أما النورمان فلا وزن لهم إلا في المباهاة والمفاخرة الكاذبة . وأما أهل بواتيه فهم خونة ومغامرون دائماً . واعتبروا البرجنديين سفلة وأغبياء . كما عرف عن سكان مقاطعة بريتانى أنهم قوم هوائيون لا يثبتون على رأى ولا يقفون على حال ، وهم متقلبون وكانوا عملاً للتأنيب بسبب مقتل [الملك] آرثر .^(١) وكان يطلق على اللباردين البخله المحبون المال الاشرار الجبناء . أما الرومان فهم متمردون مشاغبون مفترون ؛ وأما أهل صقلية فهم قوم طغاة يشتهرون بالقسوة والعنف . ويعشق أهل برابانت سفك الدماء وإثارة الفتن ، وهم أيضاً لصوص وقطاع طرق ومغتصبون . والفلمنيكيون هوائيون مترددون مسرفون نهمون ناعمون كالزبد كسالى . وبعد مثل هذه الشتائم والالفاظ البذيئة كثيراً ما كانوا يتضاربون بالأيدي .

والمعهد « college » هو أحد مراكز العلم الجامعية الأخرى في باريس ،

(١) ظهرت شخصية الملك آرثر خلال الكماح الطويل بين البريطانيين والسكسون ؛ وقد اخذت آراء المؤرخين حولها ، وهل هى شخصية حقيقية أم أسطورية . وعلى أى حال ، يرى البعض أن آرثر هو بطل الجانب المغلوب فى ذلك الكماح وقد ملأت شخصيته النفوس بالإعجاب ، وتتميز قصته هى أعظم وأبقى ما خلفه السكسون للثقافة والآداب الأوروبية ، كما خدمت مادة خصيبة تناولها الكتاب والمؤرخون الإنجليز فى كتبهم وتآليفهم فيما بعد . وفى القرن الثانى عشر ألف الكاتب حوفرى أوف مونماوث Geoffrey of Monmouth كتاباً باسم « تاريخ ماوك بريتانى » تناول فيه قصة الملك آرثر التى أخذت منذ ذلك الحين طريقها فى المؤلفات التاريخية . أطلع عن ذلك راوس (ال) : التاريخ الإنجليزى - نقله إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٤٦) ، ص ١٩ و ٦٠ ؛ راجع أيضاً :

Trevelyan, G. M., A Shortened History of England (Aylesbury, 1960), pp. 41, 41 ; Maurois, A., Histoire d'Angleterre (Paris, 1937), pp. 24, 38. [المترجم] .

ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر . وكان في الأصل مأوى أو مكاناً للإقامة أوقفت عليه الهبات والعطايا . وسرعان ما أصبح المعهد وحدة راسخة من وحدات الحياة الأكاديمية في كثير من الجامعات . وكان هدف المؤسسين لتلك المعاهد المبكرة هو العمل على ضمان المأكل والمأوى لطلاب العلم الفقراء الذين لاقدرة لهم على دفع المصروفات والرسوم من حيبهم الخاص (١) . بيد أنه مع مرور الزمن أصبحت تلك المعاهد مراكز عادية للحياة والتعليم ، وقد استوعبت داخل جدرانها الكثير من حركة النشاط الجامعي . لقد كان المعاهد مبان وأوقاف ، في حين أن الجامعة لم يكن لها مبان أو أوقاف . وفي تاريخ مبكر كان يوجد في باريس معهد يرجع تاريخه إلى عام ١١٨٠ م ، وحوالي عام ١٥٠٠ م كان يوجد ثمانية وستون معهداً . وظل هذا النظام قائماً حتى الثورة الفرنسية [سنة ١٧٨٩ م] ليخلف وراءه في يومنا هذا مجرد أنقاض المباني أو بعض الأسماء المحلية مثل السوربون ، وهو الذكرى الوحيدة لمعهد السوربون الذي أسسه معرف (٢) الملك القديس

(١) Rashdall, op. cit., I, p. 500. [المضاف] أنظر أيضاً ماسبق

ص ١٢٦-١٢٨ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم]

(٢) معرف القديس لويس هو جوفرا دي بلييه Geoffroi de Beaulieu ، وهو راهب دومينيكانى وأقنى الملك الفرنسي في حملته على مصر ونق إلى جانبه في بلاد الشام بعد هزيمته على صفاء النيل . أنظر عن ذلك جوزيف نعيم يوسف : المدوان الصليبي على مصر (الاسكندرية ١٩٦٩) ، ص ٩ ، والمدوان الصليبي على بلاد الشام (الاسكندرية ١٩٧١) ، ص ١٦-١٧ ، راجع أيضاً Michaud, M., Histoire des Croisades, vol. VI, pp. 199, 208 f ; Molinier, A., Les Sources de l'Histoire de France, vol. III (Paris, 1903), p. 116. أما المعرف الآخر ملك الفرنسي فهو روبرت السوربونى الذى يمتد إليه معهد السوربون ، وهو المقصود هنا طبيعة الحال . أنظر LaMonte, op. cit., p. 571 ; Funck - Brentano, op. cit., p. 202. [المترجم] .

لويس (١) في القرن الثالث عشر الميلادي . وكان لكثير من الجامعات الاخرى في القارة الاوروبية معاهدها التابعة لها ، ومن بينها المعهد الاسباني القديم في بولونيا ؛ ولا يزال هذا المعهد قائما يعمل على إدخال البهجة والسرور إلى قلوب العدد الضئيل من الشباب الاسباني الذي يفد إلى ساحته الهادئة . وبما لاشك فيه أن الشكل الأخير للمعهد أو المدرسة الجامعة يتمثل في كل من اكسفورد وكامبريدج بالمجترات ، حيث تنضج فيها السمات المميزة تماما للحياة الجامعية . وقد انتقلت هذه المعاهد لنفسها — على سبيل المثال — حق القيام بواجب التعليم كله ، فضلا عن إشرافها على الحياة الاجتماعية للطلبة ، إلى أن غدت الجامعة مجرد هيئة أو جهاز لأداء الامتحانات ومنح الدرجات العلمية . ويرجع تاريخ أقدم البيوت العلمية مثل كل من بيت باليول Balliol وبيت هاوس (البيت البطرسى) Peterhouse إلى القرن الثالث عشر الميلادي .

لقد تمتعت باريس بمكانة رفيعة في القرون الوسطى باعتبارها مدرسة اللاهوت . ولما كان علم اللاهوت هو موضوع الدراسة الاسمى وقتذاك ، فقد أطلق على هذه المدرسة اسم « سيدة العلوم العليا » ، Madame la haute science ،

(١) هو الملك الفرنسي لويس التاسع حفيد فيليب أوغسطس ، حكم من سنة ١٢٢٦م حتى سنة ١٢٧٠ م . وقد اشتهر بمحملاته الثلاث التي قام بها خلال حكمه : الأولى ضد مصر (١٢٤٨ - ١٢٥٠ م) ، والثانية ضد بلاد الشام (١٢٥٠ - ١٢٥٤ م) ، والأخيرة ضد تونس وبعال إفريقيا (١٢٧٠ م) . وعن الملك وسيرته وحوادثه ، أنظر جوزيف نعيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، وبخاصة ص ٣ وما يليها ؛ والعدوان الصليبي على بلاد الشام ، وبخاصة ص ١ - ٤٣ ؛ راجع أيضا كواتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٣٩ و ٣٠٣ [المترجم] .

وهذا يعنى أنها كانت رفيعة القدر والمكانة باعتبارها جامعة . ولقد جرى القول
 بالمأمور القديم وهو أن « البابوية كانت عند الايطاليين ، والإمبراطورية عند
 الألمان ، والعلم عند الفرنسيين » . وكانت باريس هى المركز المختار للعلم والتعليم .
 وكان طبيعيا جدا أن تصبح باريس منبعها لجامعات الشمال ونموذجا لها . وقد
 اثبتت جامعة اكسفورد [الانجليزية] عن هذا المصدر الاصلى فى أواخر القرن
 الثانى عشر . ومثلها مثل جامعة باريس ، ليس هناك تاريخ عدد لتأسيسها . أما
 [جامعة] كامبريدج فقد بدأت بعد ذلك بفترة . هذا ، ولا ترجع أى جامعة
 من الجامعات الألمانية إلى ما قبل القرن الرابع عشر . ومن المسلم به أنها كانت
 تقليدا لجامعة باريس . ومن ثم عندما أسس الكونت روبرخت (١) Ruprecht
 جامعة هايدلبرج عام ١٣٨٦ م — إذ تأسست مثل هذه الجامعات المتأخرة فى
 تواريخ معلومة محددة — اشترط « أن تكون إداراتها ونظمها وتنظيماتها مطابقة
 للأسلوب والأوضاع التى جرت العادة بمراعاتها فى جامعة باريس ، وهى جامعة جديرة
 بأن يفتخروا بها . وبوصفها أيضا صنيعة باريس ، فقد عملت على اقتناء خطاها بكل
 السبل الممكنة ؛ وكانت تشتمل على أربع كليات ، ونعنى بذلك أربع أمم ومدير ،
 فضلا عن الإعفاءات والبراءات المقررة للطلبة وخدمهم ، وكذلك غطاء الرأس
 والسراويل لمختلف الكليات مثلها روعى فى باريس ، (٢) .

(١) للمزيد من المعلومات من روبرخت ، أنظر LaMonte, op. cit.; p. 621.

[المترجم]

(٢) أنظر الترجمة الإنجليزية فى كتاب Henderson, E. F., Select Historical Documents of the Middle Ages (London and New York, 1892), pp. 262 - 266.

وبنهاية العصور الوسطى كان قد تم إنشاء ما لا يقل عن ثمانين جامعة في مختلف أرجاء أوروبا . (١) ولم يعمر بعضها طويلا ، كما تمتع عدد كبير منها بأهمية عملية فحسب . وثمة جامعات أخرى ، مثل جامعة سالزبور ، ازدهرت لتصبح بعد قليل في عالم النسيان . ولكن بعض هذه الجامعات يتمتع بتاريخ حافل متصل يمتد عبر قرون طويلة من الشهرة الواسعة والصيت الذائع ، مثل جامعات باريس ، ومونتبلييه ، وبولونيا ، وبادوا ، واكسفورد ، وكامبريدج ، وفيينا ، وبراغ ، وليزيج ، وكويمبرا ، وسالامنكا ، وكراكو ، ولوفان . هذا ، وقد اقتفت جامعات أوروبا الكبرى التي تأسست في فترة متأخرة مثل جامعات برلين ، وشترااسبورج ، وأدنبره ، وماينستر ، ولندن ، خطى النماذج القديمة من حيث تنظيمها . أما في أمريكا فإن المعاهد المبكرة الخاصة بالتعليم العالي كانت نسخة مكررة من المعهد الانجليزى المعاصر لها ، في وقت كانت فيه الجامعة في انجلترا قد حجبها المعاهد التي كانت تتألف منها تلك الجامعة وقد ألقت بظلمها عليها . غير أنه عندما قامت أمريكا بإنشاء الجامعات في أواخر القرن التاسع عشر ، اتجهت ببصرها نحو الجامعات الأوروبية ، ومن ثم انغمست مرة أخرى في أعماق الإرث القديم . وكان ثمة إحساس لايزال باقيا يتعلق بالتقليد الجامعى العام في العصر الكلاسيكى ،

(١) توجد قائمة بهذه الجامعات في كتاب راشدال من الجامعات ، أنظر Rashdall, op. cit., I, XXIV. كذلك توجد خريطة خاصة بالراكز التعليمية في بداية الجزء الثانى من الكتاب سالف الذكر ، وخريطة أخرى في كتاب Shepherd, Historical Atlas (New York, 1911), p. 100. [المؤلف]

وكتابنا هذا مزود بخريطة تفصيلية بالراكز الفكرية في أوروبا في العصور الوسطى بآخر القسم الأول منه ، أنظر أيضا الترخيص البابوى بإنشاء جامعة انفيديون سنة ١٣٠٣ م في المحقق السادس ص ١٧٦-١٧٨ بآخر القسم الأول من كتابنا هذا [المترجم] .

لأن مرسوم المههد الرودى Rhode Island College الصادر عام ١٧٦٤ م يمنح « نفس الامتيازات والرتب والحريات والإعفاءات التى تتمتع بها المعاهد الأمريكية والجامعات الأوروبية . »

فما هو ، إذن ، تراثنا من بين اقدم الجامعات ؟ إن هذا التراث ، فى المرتبة الأولى ، ليس ممثلاً فى مبان أو فى أعمال هندسية . ذلك أن الجامعات المبكرة لم يكن لها مبان خاصة بها ، ولكنها كانت تستخدم فى المناسبات قاعات خاصة أو الكنائس المجاورة . وقد تم متأخراً فى عام ١٧٧٥ م بناء أول كنيسة معمودية فى بروفيديانس (١) Providence ، ليتسنى للجميع عبادة الله العلى العظيم ، فضلاً عن الشروع للتدريس فيها . وفى الحقيقة إن من ينبغى الحصول على فكرة متكاملة عن الحياة فى الجامعات القديمة ، لن يجد سوى عونا ضئيلاً فيما ظل منها باقياً [حتى اليوم] ، فلم تحتفظ سالرنو بأية آثار من جامعتها ، ولو أن كاتدرائيتها القديمة النادرة حيث يرقد هيلدبراند (٢) فى مشواه ، لا بد وقد شاهدت تخرج أجيال عديدة من الأطباء الأدهياء . وإننا نتطلع فى قاعات جامعة بادوا ذات القباب العديدة ، إلى عصر النهضة وليس إلى القرون الوسطى . وحتى جامعة

(١) بروفيديانس هى عاصمة الجزيرة الرودية Rhode Island بالولايات المتحدة الأمريكية . وتتماز بأنها ميناء بحرى هام ومراكز صناعى وتجارى مشهور . وهى مفيدة فوق كلل ثلاثة نغم فوق أحدها الجامعة المعروفة باسم جامعة براون Brown University . أنظر مقالة « بروفيديانس » فى دائرة المعارف البريطانية (طبعة شيكاغو ، سنة ١٩٦٤) ، ج ١٨ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ . [المترجم]

(٢) المقصود البابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) الذى استقلت البابوية فى عهده استقلالاً تاماً فى الناحيتين الدينية والسياسية . وكان راهباً من أصل توسكانى اسمه هيلد براند . وفى عهده بدأ الصراع العنيف بين الإمبراطورية والبابوية أيام الإمبراطور =

بولونيا ، التي أخرجت رجال بولونيا المثقفين ، (١) والمشهورة بأبراجها المائلة وقبواتها المشبعة بالرطوبة ، لم تترك هي الأخرى أية بقايا مادية تكشف عن هندسة بناء جامعتها قبل القرن الرابع عشر . وإن أقدم الآثار التذكارية لاسانذة القامون بها والتي تم جمعها وحفظها الآن في متحف البلدية ، إنما ترجع إلى ذلك التاريخ . (٢) كذلك لم تحتفظ كل من جامعتي مونتبلييه وأورليانز بأية آثار ترجع إلى هذه الفترة من الزمن . وأما باريس التي لم تكن تعنى دائما بماضى تاريخها الحافل ، بوسمها اليوم أن تقدم لنا كنيسة القديس جوليان المسكين Saint - Julien - le - Pauvre حيث كانت تعقد اجتماعات الجامعة في معظم الأحيان ، ما لم تدخل في الاعتبار ، كما يجب أن يكون ، الكاتدرائية الكبرى في المدينة القديمة التي انبثقت منها الجامعة أصلا . (٣) ولم يتبق من الدار البطرسية (بيتر هاوس) ، وهي أقدم معهد على في كامبريدج ، سوى جزء من أقدم مبانيها . وإن أعظم أثر في جامعة كامبريدج وهو الكنيسة الصغرى في كينجز كولييدج King's College ، إنما يرجع إلى أواخر القرن الخامس عشر . وتؤكد جامعة أكسفورد أكثر من غيرها من الجامعات الأخرى ، أعماق الأحاسيس بالاستمرار والترايط بين حاضرها وماضيها القديم . فها هي أكسفورد في عصر

== الألمان هنري الرابع حول المعائل العلمية . أنظر من ذلك Runciman, S., A History of the Crusades, vol. I (Cambridge, 1954), p. 198 f. ; Daniel - Rops, L'Eglise de la Cathédrale et de la Croisade (Paris, 1952), p. 541 f. [المترجم]

(١) هذه ترجمة المصطلح اللاتيني Bononia docta ، والمقصود فيها بولونيا . [المترجم]

(٢) أي القرن الرابع عشر [المترجم] .

(٣) المقصود كاتدرائية نوردام [المترجم] .

متى أرنولد (١) Matthew Arnold لها هيبتها واحترامها ، بديعة للغاية ... وقد انطبعت في أعماق الشعور والوجدان وهي في موقعها ، وانتشر ضوء القمر ليلا حداثتها ، بينما تهمس أبراجها بآخر مفاتن وسحر القرون الوسطى . ومع ذلك ، ففينا يتعلق بمباني المعهد الحقيقية ، فإنها تتضمن المعنى والمضمون أكثر مما تعنى القرون الوسطى نفسها . هذا ، ولا ترجع مباني جامعة ميرتون Merton الحالية ، وهي التي اتخذت شكل المعهد العلمى في أكسفورد ، إلى أبعد من سنة ١٣٠٠ م . ولا يوجد في أى مكان آخر الكثير من البقايا والآثار التي ترجع إلى القرن الرابع عشر . وإن أجماد جامعة أكسفورد وعظمتها مثل مكتبة بودليان Bodleian وبرج مجدالين Magdalin وقاعة كنيسة السيد المسيح — كل هذه المخلقات ترجع إلى عصر متأخر عن ذلك بكثير ، وهو عصر أسرة تيودور ، (٢) وذلك عن طريق التقدير الحسابى البسيط بالنسبة للآزمنة الحديثة . وعندما نقول ياله من أثر يرجع إلى العصور الوسطى ، فإنما نعنى — عادة — أنه يرجع إلى عهد أسرة تيودور فحسب .

ولا يمكن استمرار الجامعات في المظهر أو الاحتفالات الأكاديمية ، وذلك على الرغم من المناسبات التذكارية العارضة مثل تسليم الدرجات العلمية وعليها

(١) متى أرنولد (١٨٢٢ - ١٨٨٨) شاعر وأديب وناقد إنجليزي معروف عاش في القرن التاسع عشر . وهو ، أيضا ، من كبار رجال التعليم في زمانه . له إنتاج وفير ومشهور في مجال الأدب والشعر ، فضلا عن تقاريره الهامة في شؤون العلم والتعليم والتي تصفها فيها المهام التعليمية الرسمية التي ترسل فيها أهمية كبيرة . انظر مقالة « أرنولد » متى (٢) في دائرة المعارف البريطانية (طبعة شيكاغو ، سنة ١٩٦٤) ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ وما بعدها .

[المترجم] .

(٢) حكمت أسرة تيودور الإنجليزية من سنة ١٤٨٥ م إلى سنة ١٦٠٣ م . [المترجم]

خاتم الجامعة أو مشفوعة بقبلة السلام، أو مثل تحديد مواعيد الامتحانات بواسطة الساعة الزجاجية التي شاهدها قائمة في جامعة كويمبرا Coimbra البرتغالية . ويحمل الزى الجامعي بعض العناصر التقليدية حيث يعتبر الزى اليومي كما هو الحال في جامعات أكسفورد وكامبريدج وكويمبرا . وفي أمريكا خرج أجدادنا على هذا التقليد . ويعتبر الزى الرسمي الشائع في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم وهو غطاء الرأس والروب أثراً من آثار جامعة البانيا الحديثة أكثر بما هو من مخلفات جامعة باريس أو جامعة بولونيا في العصور الوسطى . ولقد تغيرت الأزياء حتى التي كانوا يتزوّجون بها في منازلهم القديمة . ويقول راشدال (١) أنه من المحتمل أن الرداء الجامعي في جامعة أكسفورد اليوم لا يماثل زى العصور الوسطى . ولم يعرف طالب جامعة بادوا في العصر الوسيط شيئاً يشبه موكب الاحتفالات المتنوعة الذي طاف شوارع المدينة في صيف العام الماضي . (٢) ولو قدر لروبرت السوربون (٣) Robert de Sorbon أن يعيش اليوم لاعتزته الدهشة عند رؤية مثل هذه الأنماط والنماذج لتلك الأردية الفخمة الزاهية التي لا تمت إلى العصور الوسطى بصلة ، والتي وجدت مكسدة في مسرح القاعة الكبرى بجامعة السوربون عندما تسلّم الرئيس ويلسون Wilson الدرجة الفخرية من الجامعة المذكورة في عام ١٩١٨ م .

(١) Op. cit., vol. III, p. 391 f.

(٢) لما كانت أولى طبعات هذا الكتاب بلفته الأصلية ترجم إلى سنة ١٩٢٣ م ، فلا بد أن هاسكنز يقصد صيف عام ١٩٢٢ م [المترجم] .

(٣) روبرت السوربون هو معروف لوبس التاسع ملك فرنسا ومؤسس أشهر المعاهد الباريسية وهو معهد السوربون الذي شيد سنة ١٢٥٨ م لكي يقيم فيه ١٦ طالباً تخصصوا في دواصة اللاهوت ، وكان كل أربعة منهم يمثلون أمة من الأمم . وأخذ هذا المعهد بعد =

ولكننا ، مع ذلك ، نحمد التقاليد الجامعية واضحة تماما في أنظمة [جامعات
المصور الوسطى] . فنجدها ، أولا ، في إسم الجامعة نفسها باعتبارها مجتمعا
من الأساتذة وطلاب العلم يقود المسيرة العامة للعلم والتعليم . ولن نجد عالم العصر
الحديث الذى يتميز بالفردية شيئا آخر يستميز به عن مثل هذا الاتحاد الذى
هو من سمات رخصائص المصور الوسطى . ثم أن الإحاطة بطائفة من الأمور
التي استقرت بصفة نهائية فيما يختص بمواعيد المحاضرات والموضوعات التي يتم
الامتحان فيها في امتحان يؤدي بدوره إلى الحصول على الدرجة العلمية — كل هذه
للسائل تجعلنا ندرك إلى أى حد هي مطابقة لكثير من الدرجات العلمية مثل درجة
الليسانس أو البكالوريوس باعتبارها مرحلة تؤدي إلى الأستاذية ، ثم درجتى
الماجستير والدكتوراه في الآداب أو القانون أو الطب أو اللاهوت . وتأتى بعد
ذلك الكليات وهي أربع كليات أو أكثر ، بعمدتها وكبار موظفيها مثل الرؤساء
والمديرين ، وذلك بصرف النظر عن البيوت الجامعية [التي اتخذت بالتدريج صفة
المعاهد العلمية] حيث لاتزال مثل هذه البيوت الخاصة بإيواء الطلبة باقية .

ولإن الجوانب الرئيسية في التنظيم الجامعي واضحة لا يخطئ العن فيها ، وقد
تم تناقلها من السلف إلى الخلف دون انقطاع وفي اتصال مستمر . وظلت باقية
أكثر من سبعمائة سنة . ولتساءل أن يقول : أى شكل من الحكومات قد عمر إلى
مثل هذا المدى ؟ ومن المحتمل جدا ألا يكون ذلك هو فصل الخطاب ، فليس

ذلك يتسع ويزداد عدد الطلاب المتبعين فيه . وقد أعطى روبرت إسمه لقسم الدراسات
الأدبية بجامعة باريس الذى يعرف الآن باسم السوربون . أظن ، LaMonte, op. cit.,
p. 571. ، والمزيد من المعلومات عنه ، أظن : نفس المرجع ، ص ٥٧٣ - ٥٧٤ ، وكذلك
ص ٢١٢ و ٢٦٥ و ٢٦٧ من هذا الكتاب . [المترجم] .

هناك شيء في هذا العالم [الذى نعيش فيه] يسردون توقف . غير أن هذه الأنظمة كانت شديدة الصلابة والثبات وصالحة لاستخدامها والإفادة منها . ثم أنه من الممكن أيضا إساءة استخدامها . مثال ذلك جامعة برايس Bryce's University التى تشتمل على كلية « تتألف من مسر جونسون ومنى ، ، أو د الجامعات الرائدة الإحدى عشر ، التى تتميز بوضع خاص في وسط الغرب الأوروبي . وفي أزمان متباعدة كان النقد يوجه إلى الجامعات إما لتعاليلها وترفعها ، وإما لتكريس كل وقتها وجهدها لعملها ، وإما لكونها شديدة السهولة شديدة القسوة ، ولقد بذلت جهود فعالة في سبيل إصلاحها عن طريق إلغاء شروط الالتحاق بها ، أو التنازى عن الأمور التى لا تؤدى مباشرة إلى الحصول على لقمة العيش . غير أنه لم يقسن الحصول على بديل للجامعة في صميم عملها الذى يشتمل على تدريب طلاب العلم ، والمحافظة على التقليد القائم على الدراسة والبحث . وتكن عظمة جامعة العصور الوسطى ، حسبما يقول راشدال (١) وفي أنها نذرت نفسها للعلم ، ولم تختف عظمة الإلهام بعد من هذا العالم . ولقد قيل إن جامعة العصور الوسطى هى المدرسة في روحها الحديثة ، . وسيكشف الفصل التالى كيف استطاعت الجامعات المبكرة للقيام بأعباء هذا العمل الكبير .

بعض المراجع للفصل الأول

(أولا)

مراجع عامة عن جامعات العصور الوسطى والمدخل إليها:
١ - المدارس التابعة للمؤسسات الدينية

- Aspinwall, W.B., Les écoles épiscopales et monastiques de l'ancienne province ecclésiastique de Sens du VI^e au XII^e siècle. Paris, 1904.
- Clark, J.M., The Abbey of St. Gall. Cambridge, 1926.
- Clerval, A., Les écoles de Chartres au moyen âge du Ve au XVI^e siècle. Chartres, 1895.
- Doren, R. Van, Etude sur l'influence musicale de l'abbaye de Saint-Gall (VIII^e au XI^e siècle). Louvain, 1925.
- Giesebrecht, W., De litterarum studiis apud Italos, 1845.
- ولكتاب جيز برشت ترجمة باللغة الإيطالية تحمل اسم :
- Giesebrecht W., L'istruzione pubblica in Italia nei primi secoli del medio evo. An Italian translation by C. Pascal. Florence, 1895.
- Graham, R., "The Intellectual Influences of English Monasteries between the Tenth and Twelfth Centuries," Trans. Royal Historical Society, New Series, XVII (1903), pp. 23—64.
- Joynt, M., The Life of St. Gall. A Translation of the Work of Walafid Strabo with an Introduction on the History of the Abbey of St. Gaul and its Library. London, 1927.
- Lhoumeau, C.S. de, L'abbaye de Saint-Léonard de Ferrières, ordre de Saint-Benoît, diocèse de Poitiers. Paris, 1926.
- Loew, E.A., The Beneventan Script : A History of the South Italian Minuscule. Oxford, 1914.
- Mattre, L., Les écoles épiscopales et monastiques de l'Occident depuis Charlemagne jusqu'à Philippe Auguste. Paris, 1866.

- Ozanam, A., "Des écoles et de l'instruction publique en Italie aux temps barbares," Documents inédits, 1850.
- Salvioli, G., L'istruzione pubblica in Italia nei secoli VIII, IX, X. Florence, 1898.
- Specht, F.A., Geschichte des Unterrichtswesens in Deutschland von den ältesten Zeiten bis zur Mitte des 13 Jahrhunderts. Stuttgart, 1885.

٢ — الخلفية الثقافية لجامعات العصور الوسطى

- Delhaye, P., "L'organisation scolaire au XIIe siècle," Traditio, V (1947), pp. 211—268.
- Ferguson, W.K., The Renaissance in Historical Thought. Boston, 1948.
- أنظر بصفة خاصة الفصل الحادي عشر من الكتاب المذكور .
- Haskins, C.H., The Renaissance of the Twelfth Century. Cambridge, Mass., 1928.
- Panofsky, E., "Renaissance and Renascences," Kenyon Review, VI (1944), pp. 201—234.
- Paré, G., Brunet, A. & Tremblay P., La renaissance du XIIe siècle: Les écoles et l'enseignement. Paris and Ottawa, 1933.
- Powicke, F.M. (Pub.), Ways of Medieval Life and Thought. London (n. d.)

ويتضمن هذا الكتاب عدة مقالات سبق نشرها سنة ١٩٤٩ ، ومن أهمها المقالات الأربع التالية :

- ١ - « بولونيا ، باريس ، أكسفورد : ثلاث مدارس جامعة » (ص ١٤٩ - ١٧٩) .
- ٢ - « بعض المشكلات في تاريخ جامعة العصور الوسطى » (ص ١٨٠ - ١٩٧) .
- ٣ - « جامعة العصور الوسطى في الكنيسة والمجتمع » (ص ١٩٨ - ٢١٢) .
- ٤ - « أكسفورد » (ص ٢١٣ - ٢٢٩) .

٣ - جامعات العصور الوسطى بصفة عامة

Denifle, H., Die Entstehung der Universitäten des Mittelalters bis 1400, vol. I. Berlin, 1885.

كان دليل يهتزم إتمام هذا العمل الكبير في خمسة أجزاء ، ولكنه توفي عام ١٩٠٥ دون أن يحقق أمنياته .

D'Irsay, S., Histoire des universités françaises et étrangères, vol. I : Moyen Age et Renaissance. Paris, 1933.

Rashedall, H., The Universities of Europe in the Middle Ages. A revised edition edited by F.M. Powicke and A.B. Emden. 3 vols. Oxford, 1936.

ويعتبر كتاب راشدال المؤلف الرئيسي في جامعات العصور الوسطى ، ولا غنى عنه المتصدي لهذا الموضوع ، وبخاصة ما يتعلق بجامعة أكسفورد وسية الطلبة .

Schachner, N., The Mediaeval Universities. New York, 1938.

Thorndike, L., University Records and Life in the Middle Ages. New York, 1944.

وهو يشتمل على أقيم مجموعة متضمنة المادة الأساسية الأصلية عن الجامعات مترجمة إلى اللغة الإنجليزية .

(ثانيا)

الجامعات الإيطالية

١ - جامعة بولونيا

Calcaterra, C., Alma mater studiorum : L'Università di Bologna nella storia della cultura e della civiltà. Bologna, 1948.

ويعتبر هذا الكتاب من أحدث ما كتب عن تاريخ جامعة بولونيا.

Cassani, G., Dell'antico studio di Bologna e sua origine. Bologna, 1888.

Cavazza, F., Le scuole dell'antico studio bolognese. Milan, 1896.

- Chartularium Studii Bononiensis; Documenti per la storia della
Università di Bologna dalle origini fino al secolo XV. (since 1907).
- Ghiappelli, L., Lo studio bolognese nelle sue origini e nei suoi rapporti
colla scienza pre-irneriana. Pistoia, 1888.
- Fitting, H., Die Anfänge der Rechtsschule zu Bologna. Leipzig,
1888.
- Ghirardacci, C., Della historia di Bologna. 2 parts. Bologna, 1596,
1657.
- Hessel, A., Geschichte der Stadt Bologna von 1116 bis 1280. Berlin,
1910.
- Malagola, C., I rettori delle Università dello studio bolognese.
Bologna, 1887.
- Malagola, C., Monografie storiche sullo studio bolognese. Bologna,
1888.
- Ricci, C., I primordi dello studio bolognese : nota storica. Bologna,
1888.
- Sarti, M. & Fattorini, M., De claris archigymansii bononiensis
professoribus a sacculo XI usque ad saeculum XIV. 2 vols.
Bologna, 1888—1896.
- وعلى الرغم من قدم هذا الكتاب ، إلا أنه لا يزال يحتفظ بقيمته .
- Sedgwick, H.D., Italy in the Thirteenth Century. 2 vols. Boston,
1912.
- أنظر ما كتبه المؤلف عن جامعة بولونيا في الجزء الأول من كتابه (الفصلان ١٦ - ١٧) .
- Sorbelli, A., Storia della Università di Bologna : Il medioevo.
Bologna, 1940.
- ويعتبر هذا الكتاب ، هو الآخر ، من أحدث ما كتب في تاريخ جامعة بولونيا .
- Studi e Memorie per la storia della Università di Bologna. (since 1907).
- Universitatis Bononiensis Monumenta. (since 1932).
- Zaccagnini, G., La vita dei maestri e degli scolari nello studio di
Bologna nei secoli XIII e XIV. Geneva, 1926.

٢ — جامعة سالرنو (١)

- Kristeller, P. O., "The School of Salerno : Its Development and Its Contribution to the History of Learning," *Bulletin of the History of Medicine*, XVII (1945), pp. 138—194.
- Harrington, J., *The School of Salernum*. Reprinted by F.H. Garrison, London, 1922.
- وقدم لكتاب هارينجتون الكاتب فرنسيس ر. باكارد Francis R. Packard بكلمة ليست بذات أهمية .
- Hartmann, F., *Die Literatur von Früh-und Hoch Salerno*. Leipzig, 1919.
- Renzi, S. de, *Storia documentata della scuola medica di Salerno*. 2nd ed. Naples, 1857.

٣ — جامعة نابولي

- Schipa, M., *La fondazione dell'università di Napoli e l'Italia del tempo*. Naples, 1924.
- Torraca, F. & Others, *Sotria dell'università di Napoli*. Naples, 1924.

٤ — مدرسة بافيسا

- Mengozi, G., *Ricerche sull'attività della scuola di Pavia nell'alto medio evo*. Paris, 1924.

٥ — الجامعة الإيطالية في العصور الوسطى

- Coppi, E., *Le università italiane nel medio evo*, 3rd ed. Florence, 1886.

(ثالثا)

الجامعات الفرنسية

١ — جامعة أفينيون

- Caillet, R., *L'université d'Avignon et sa faculté des droits au moyen âge (1303—1503)*. Paris, 1907.
- Marchand, J., *La faculté des arts de l'université d'Avignon*. Paris, 1897.

(١) تم تسليط الأعضاء أخيرا على مدرسة سالرنو بفضل الدراسات التي قام بها كل من جياكوزا Giacosa وسدوف Sudhoff وتلاميذه .

٢ — جامعة اورليانز

Bimbenet, J. E., Histoire de l'université de lois d'orléans. Paris, 1853.

٣ — جامعة باريس (١)

Allain, E., "L'université de Paris aux XIII^e et XIV^e siècles," Revue du clergé français, IV (1895), pp. 193—206, 308—322.

Aspinwall, W.B., Les écoles épiscopales et monastiques de l'ancienne province ecclésiastique de Sens du VI^e au XII^e siècle. Paris, 1904.

Bonnerot, J., "L'ancienne université de Paris, centre international d'études," Bulletin of the International Committee of Historical Sciences, I, Part V, no. 5 (1928), pp. 661—682.

Boulay, C.E. du (Buleans), Historia universitatis parisiensis a Carolo Magno ad nostra tempora. 6 vols. Paris, 1665—73.

قام بنقد كتاب بولاي الكاتب أ. فرانكلين في مؤلفه المعنون :

"Franklin, A., Les sources de l'histoire de France. Paris, 1877."

Boyce, G.C., The English-German Nation in the University of Paris during the Middle Ages. Bruges, 1927.

ويعتبر مؤلف بويس من أحسن ما كتب عن نظام « الأمم » في جامعة باريس في العصور الوسطى .

Budinsky, A., Die Universität Paris und die Fremden an der selben im Mittelalter. Berlin, 1876.

Crevier, J.B.L., Histoire de l'université de Paris depuis son origine jusqu'en l'année 1600. 7 vols. Paris, 1761.

Delégue, R., L'université de Paris (1224—1244). Paris, 1902.

Denifle, H. & Chatelain, E. (eds.), Chartularium Universitatis Parisiensis. (since 1889).

Denifle, H. & Chatelain, E. (eds.), Auctarium Chartularii Universitatis Parisiensis. (since 1893).

ويتضمن هذان الكتابان المادة الأصلية المتعلقة بنظام « الأمم » في جامعة باريس .

(١) الحاجة ماسة إلى وضع مؤلف جديد عن تاريخ جامعة باريس في العصور الوسطى .

- Desmazes, Cl., *L'université de Paris, 1200—1875 : La nation de Picardie; les collèges de Laon et de Presles; la loi sur l'enseignement supérieur*. Paris, 1876.
- Douarche, A., *L'université de Paris et les jésuites (XVI^e et XVII^e siècles)*. Paris, 1888.
- ويتضمن هذا الكتاب لتاريخ جامعة باريس في العصور الوسطى .
- Dubarle, E., *Histoire de l'université de Paris*. 2 vols. Paris, 1844.
- Féret, P., "Les origines de l'université de Paris et son organisation aux XII^e et XIII^e siècles," *Revue des questions historiques*, LII (1892), pp. 337—390.
- وقد جعل ب. فريه المقالة السابقة مقدمة لإنتاجه الضخم المعنون :
"Féret, P., *La faculté de théologie de Paris*. 4 vols. Paris, 1894—97.,
- Follenay, Abbé P. de, *Notice historique sur l'école épiscopale de Notre-Dame de Paris*. Paris, 1878.
- Gross, Cl., "The Political Influence of the University of Paris in the Middle Ages," *American Historical Review*, VI (1900—1901), pp. 440—445.
- Halphen, L., "Les débuts de l'université de Paris," *Studi medievali*, VII (1929), p. 152 ff.
- Halphen, L. & Others, *Aspects de l'Université de Paris*. Ed. by J. Calvet. Paris, 1949.
- ويتضمن الكتاب عدة مقالات هامة بأقلام ل. هالفن ، و ب. جلوريه P. Glorieux ، و ج. دوبون - فرييه G. Dupont-Ferrier ، و ج. لبراس G. Le Bras ، و س. ساماران Cl. Samaran .
- Lacombe, G., *Prepositini cancellarii parisiensis (1206—1210) opera omnia*, I, *La vie et les oeuvres de Prévostin*. Kain, 1927.
- Liard, L., "La vieille université de Paris," *Revue de Paris*, May, 1908, pp. 85—110.
- Luchoire, A., *L'Université de Paris sous Philippe-Auguste*. Paris, 1889.

Mackay, D.L., "Le système d'examen du XIII^e siècle d'après le De conscientia de Robert de Sorbon," Mélanges Ferdinand Lot (Paris, 1925), pp. 491—500.

Powicke, F.M., Stephen Langton. Oxford, 1928.

Richomme, Cl., Histoire de l'université de Paris. Paris, 1840.

E. Dubarle وكتاب ريشوم مجرد عرض مختصر لمؤلف ديبارل

Thurot, Cl., De l'organisation de l'enseignement dans l'université de Paris au moyen âge. Paris, 1850.

لا يزال كتاب ثورو — على الرغم من قسمة — من أحسن ما كتب عن جامعة باريس .

Valois, N., Guillaume d'Auvergne, évêque de Paris. Paris, 1880.

٤ — جامعة بروفانس

Bolin, F., Histoire de l'ancienne université de Provence (Aix) 1400—1793, d'après les manuscrits et les documents originaux. Aix, 1892.

٥ — جامعة تولوز

Barbot, E.J., Les chroniques de la faculté de médecine de Toulouse du XIII^e au XX^e siècles. 2 vols. Toulouse, 1905.

Gadave, R., Les documents sur l'histoire de l'université de Toulouse et spécialement de sa faculté de droit civil et canonique (1229—1789). Toulouse, 1910.

Saltet, L., "L'ancienne université de Toulouse," Bulletin littéraire ecclésiastique, 1912 ff.

٦ — جامعة السوربون

Barran-Dirigo, L. & Bonnerot, J., La Sorbonne : six siècles de son histoire par l'image. Paris, 1928.

Bonnerot, J., La Sorbonne : sa vie, son rôle, son oeuvre à travers les siècles. Paris, 1928.

Chambon, F. (ed.), Robert de Sorbon, De conscientia et de tribus dietis. Paris, 1903.

- Franklin, A., La Sorbonne : ses origines, sa bibliothèque. Paris, 1875.
Gréard, O., Nos adieux à la vieille Sorbonne. Paris, 1893.
Longuemare, P. de, Notes sur quelques collèges parisiens de fondation normande aux XIIIe, XIVe et XVe siècles. Rouen, 1911.
Meric, E., La Sorbonne et son fondateur. Paris, 1888.

(رابعا)

الجامعات الإنجليزية

١ — جامعة أكسفورد

- Boase, C.W., Oxford. London, 1887.
Brodrick, G.C., Memorials of Merton College. Oxford, 1885.
Brodrick, G.C., A History of the University of Oxford. London, 1894.
Emden, A.B., An Oxford Hall in Mediaeval Times, Being the Early History of St. Edmund Hall. Oxford, 1927.
Headlam, C., Oxford and Its Story. London, 1912.
Lang, A., Oxford : Brief Historical and Descriptive Notes. London, 1890.
Little, A.G., "The Franciscan School at Oxford in the Thirteenth Century," Archivum Franciscanum Historicum, XIX (1926), pp. 803—874.
Lyte, H.C.M., A History of the University of Oxford to 1530. London, 1886.
Mallet, C.E., A History of the University of Oxford, Vol. I : The Mediaeval University and the Colleges Founded in the Middle Ages. London & New York, 1924.
Percival, E.F. (tr.), Foundation Statutes of Merton College, 1270, with Subsequent Ordinances, from the Latin. London, 1887.

- Salter, H.E., "The Medieval University of Oxford," *History*, N.S. XIV (1929), pp. 57—61.
- Vallance, A., *The Old Colleges of Oxford : Their Architectural History*. London, 1912.
- Vaughan, E.V., *The Origin and Early Development of the English Universities to the Close of the Thirteenth Century*, University of Missouri, Studies, Social Science Series, II, No. 2, 1908.
- Willard, J.F., *The Royal Authority and the Early English Universities*. Philadelphia, 1902.
- Wood, A.A., *The History and Antiquities of the University of Oxford*. Ed. by J. Gutch. 2 vols. Oxford, 1792—96.

٢ — جامعة كامبريدج

- Ball, W.W.R., *The King's Scholars and King's Hall*. London, 1918.
- Cooper, C.H., *Memorials of Cambridge*. 3 vols. Cambridge, 1884.
- Cooper, C.H., *Annals of Cambridge*. 5 vols. Cambridge, 1842—1908.
- Gray, A., *Cambridge and Its Story*. London, 1912.
- Gray, A., *Cambridge University : An Episodical History*. London 1926.
- Mullinger, J.B., *University of Cambridge from the Earliest Times to the Royal Injunction of 1535*, Vol. I. Cambridge, 1873.
- ولا يزال هذا الكتاب حتى اليوم هو المرجع الأساسي من جامعة كامبريدج .
- Mullinger, J.B., *History of the University of Cambridge*. London, 1888.
- Willis, R. & Clark, J.W., *The Architectural History of the University of Cambridge and of the Colleges of Cambridge and Eton*. 4 vols. Cambridge, 1886.

(خامسا)

الجامعات الألمانية

١ — جامعة أرفورت

Benary, F., Zur Geschichte der Stadt und der Universität Erfurt am Ausgang des Mittelalters. Gotha, 1919.

٢ — جامعة فيينا

Aschbach, J., Geschichte der Wiener Universität im ersten Jahrhundert ihres Bestehens. 3 vols. Vienna, 1865—1888.

٣ — جامعة هايدلبرج

Stübler, E., Geschichte der medizinischen Facultät der Universität Heidelberg, 1368—1920. Heidelberg, 1926.

Thorbecke, A., Die älteste Zeit der Universität Heidelberg (1368—1449). Heidelberg, 1886.

٤ — الجامعات الألمانية بصفة عامة

Döllinger, J. v., Die Universitäten sonst und jetzt. Munich, 1867.

ولهذا الكتاب ترجمة بالغة الإنجليزية تحت اسم :

“Döllinger, J.v., The Universities New and Old. Oxford, 1867.”

Kaufmann, G., Die Geschichte der deutschen Universitäten. 2 vols. Stuttgart, 1888, 1896.

(سادسا)

الجامعات الأسبانية

Arteaga, E. Esperabé, Historia de la universidad de Salamanca, Vol. I. Salamanca, 1914.

Braga, T., Historia da universidade de Coimbra. 4 vols. Lisbon, 1892—1902.

ويتناول الجزء الأول منه الفترة المبكرة من تاريخ جامعة كويمبرا ، التي تمتد من سنة ١٢٨٩ إلى سنة ١٥٥٥ م.

Fuente, V. de la, Historia de las universidades, colegios y demás establecimientos de enseñanza en Espana. 4 vols. Madrid, 1884—89.

Reynier, G., La vie universitaire dans l'ancienne Espagne. Paris, 1902.

ويتناول هذا الكتاب — أساسا — تاريخ جامعة سالامنكا .

(سابعاً)

الجامعات الأوروبية الأخرى

Delannoy, P., L'université de Louvain. Paris, 1915.

Essen, L. van der, Une institution d'enseignement supérieur sous l'ancien régime : l'université de Louvain (1425—1797). Brussels & Paris, 1921.

Essen, L. van der, & Others, L'université de Louvain à travers cinq siècles : études historiques. Brussels, 1927.

Noël, L., Louvain : 1891—1914. Oxford, 1915.

الفصل الثاني

أستاذ العصور الوسطى

الدراسات والكتب الدراسية :

الفنون السبعة الحرة - الكتب الدراسية في الفترة المبكرة من التاريخ
للسيوطي - حركة إحياء التراث الكلاسيكي في القرن الثاني عشر : صحتها
ثم خبوها - الاهتمام بالمنطق والقانون والبلاغة وغيرها من الدراسات
المستجدة - أرسطو ومؤلفاته - فن تدوين المكاتبات والرسائل وأهميته -
لم تعرف جامعات العصر الوسيط المعامل ، ولم يدرس فيها التاريخ
والعلوم الاجتماعية - مناهج الآداب - صعوبة دراسة اللاهوت - دراسة
الطب - الدراسات القانونية ومجموعة قوانين جستنيان المدنية ، - أهمية
دراسة القانون الكنسي - مرسوم جراسيان ولواحقه - الكتب المدرسية
والمراجع العامة - عدم الحاجة إلى المكتبات الجامعية .

التعليم والامتحانات :

أساتذة العصور الوسطى وميكانيكية العلم والتعليم - بطرس ابيلارد -
جون أوف ساليسبورى - برنارد أوف كليرفو - أساتذة النحو والمنطق
والعلوم الكلامية - طريقة التدريس وأسلوبه - قاعات الدراسة والمحاضرات -
الامتحانات .

النظام الجامعي والحريات .

المركز الاجتماعي لأساتذة العصر الوسيط - مفهوم العصر الوسيط
عن الحقيقة وحرية الفكر والتعبير عن الرأي - الاجتهاد العقلي وموقف
الكنيسة اللاتينية منه - الفلسفة واللاهوت ، ومدى التدخل في حرية العلم
والتعليم .

تناولنا في الفصل السابق جامعة العصور الوسطى باعتبارها نظاماً من الأنظمة ؛
ونتناولها الآن بصفتها مركزاً ثقافياً. ويتضمن هذا الفصل عرضاً لمناهج الدراسة في
الجامعة ، وطرق التدريس فيها ، وأحوال أساتذتها وحرّياتهم. ويلاحظ أن هنصر
الاستمرار الذي يتضح تماماً في الأنظمة والقوانين ، نجد في الغالب أقل وضوحاً
بالنسبة لفحوى التعليم ومضمونه. ومع ذلك فإن الاتصال هنا غير متقطع ؛ ثم إن
أوجه الخلاف بين جامعات العصور الوسطى والأحوال السائدة في الجامعات الحديثة
أقل مما نظن أو نعتقد .

هذا ، وتضمن الأسس التي ارتكز عليها التعليم في العصور الوسطى المبكرة -
حسب رأينا - ما يطلق عليه اسم الفنون السبعة الحرة ، ثلاثة منها هي الأجرومية
والبلاغة والمنطق وتكون ما يعرف باسم المجموعة الثلاثية ، trivium . أما الفنون
الأربعة الباقية فهي الحساب والهندسة والفلك والموسيقى وتعرف باسم المجموعة
الرابعة ، quadrivium . وكانت المجموعة الأولى هي الأكثر أصالة ، وبها يبدأ
الطلاب دراستهم. بينما تعتبر المجموعة الثانية أساسية بما فيه الكفاية. وفي فترة انحلال
العلم والتعليم القديم كان عدد هذه الفنون محدوداً، وكذلك كان الحال بالنسبة لمضمونها
الذي كان يخضع لمقاييس ثابتة. وقد وصلت هذه الآراء والأفكار برمتها إلى العصور
الوسطى بصفة خاصة في مؤلف وضعه شخص يدعى مارتيانوس كايبل (١)
Martianus Capella ، وهو يرجع إلى أوائل القرن الخامس الميلادي . وقد تم
ضبط المعرفة في الفترة المتأخرة من العصر الكلاسيكي القديم حتى غدت جافة يابسة

(١) من رجال العلم للمدروفين في تلك الحقبة من الزمن ، وللمزيد من المعلومات عنه ،
انظر كتاب LaMonte, The World of the Middle Ages, pp. 81, 84.
أما أيضاً ما سبق ، ص ٤١ و ٤٥ و ٤٧ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

بما يتلائم والمدارك المحدودة وقتها . وكانت هذه العصور تعد كذلك دون وعى منها للأزمة التالية تلك الرزم الصغيرة المناسبة التي اعتبرت بمثابة القربان المقدس الذي يقدم للبشرفين على الموت *vitioum* ، وذلك خلال الأيام العاصفة من العصور المظلمة . وكانت تلك المعرفة كلها تقريبا موجودة في عدد قليل من النصوص المختارة التي انتقل عن طريقها علم العالم القديم إلى العصر الوسيط . وبلغت الثقة في هذه السكتيات درجة كبيرة حتى أن قائمة بأسماء تلك التي كانت تستخدم في أى عصر تمدا بفهرس دقيق يكشف عن اتساع دائرة المعرفة ، كما يكشف عن طبيعة التعليم في حد ذاته . وكان ذلك العصر هو عصر الكتاب بكل ما فيه من تقدير للكتب الأصلية الموثوق بها ، وقد نهج في تعليمه نهج الكلمة المكتوبة .

‘ كانت الكتب الدراسية في المدارس الديرية والكاتدرائية في الفترة المبكرة قليلة العدد وبسيطة في محتوياتها ، وبخاصة كتب أجرومية اللغة اللاتينية وقواعدها لكل من دوناتوس Donatus وبريسكيان Priscian (١) ، بالإضافة إلى عدد من كتب

(١) دوناتوس وبريسكيان . من المتخصصين في أجرومية اللغة اللاتينية ، عاش أولهما في القرن الرابع بينما عاش الثاني في القرن الخامس . وقد تركا لنا عددا من المؤلفات في أجرومية اللغة اللاتينية ، وهي تتضمن القواعد الأساسية لهذه اللغة مع شرح وتفسير لها بالعديد من المصطلحات من إنتاج الكتاب اللاتين القدامى أمثال فرجيل وهوراتيوس وأوفيد وشيشرون وجوفينال وسالوست وغيرهم . ويكفي القول إن الاقتباس من هؤلاء الكتاب في مؤلفات كل من دوناتوس وبريسكيان جعل أسمائهم ، إن لم تكن كتاباتهم أيضا ، مألوفة لأجيال عديدة من الطلبة في مدارس العصور الوسطى . أنظر عن ذلك LaMonte, op. cit., pp. 75, 82, 572 ; Painter, A History of the Middle Ages, p. 467. [المترجم] .

القراءة الأولية . وهذا ما يمكن أن يقال أيضا بالنسبة لكتيبات يوثيوس^(١) Boethius في المنطق والحساب والموسيقى ، فضلا عن كتاب صغير في البلاغة وآخر في المبادئ الأولية في علم الهندسة ، وبجمل علم الفلك الذي وضعه بيده الوفور^(٢) Bede . ولم يكن هناك قطعا مؤلفات يونانية . وقد أخذت هذه

(١) عن يوثيوس ولنتاجه ، أنظر ماسبق ، س ٤٠-٤٣ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

(٢) ولد بيده سنة ٦٧٣ م وتوفي سنة ٧٣٥ م عن ٦٢ عاما . وهو أحد تلامذة بيسكوب ، وقد تشققت على يديه وقرأ تأليفه الدينية والعلمية التي كان قد أحضرها معه من روما عند مقدمه إلى إنجلترا . وقد جعلته هذه الثقافة فوق مستوى معاصريه وفكبرهم ، وأصبح يمثل خلاصة النتاج الفكري لغرب أوروبا في الفترة الواقعة بين زوال الحضارة الرومانية القديمة عقب غزوات البرابرة ونيسام النهضة الكاروانجية بإحياء الامبراطورية الرومانية أيام شارلمان . والمعروف أن بيده قضى حياته في أحد الأديرة الإنجليزية وهو دير جاردو . تكبها على القراءة والدراسة والتحصيل وتربية النشء . وامتاز بحاسة تاريخية أصيلة لم تكن مروفة في هذا الزمن المبكر، حيث لم يكن من السهل التمييز بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الخيالية . وقد ألف كتابا هاما في التاريخ الكنسي للأمة الإنجليزية تناول فيه تاريخ الجزيرة وشعبها في العصر السكسوني والنفار المسيحية فيها . وبما يذكر أن كتابه هذا تضمن بعض الآراء الجديدة فيما يتعلق بتقديم الجنس البشري عن طريق العلم والدين . ويعتبر بيده - بحق - أول مفكر إنجليزي حر استطاع أن يخرج من ظلمات المصور الوسطى وأن يتحدث إلى العالم الجديد في موضوعات عقلية متنوعة وفي دقة ووضوح كبيرين . أنظر عن ذلك نظير حسان سعادوى : تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى (القاهرة ١٩٥٨) ، ص ٤٣ و ٤٨ و ٤٩ . راجع أيضا : Woodward, E. L., History of England (London, 1957), pp. 25, 26; Whitelock, The Beginnings of English Society, pp. 11 - 16 ; Stenton, Anglo-Saxon England, pp. 10 ff., 13 ff., 23 ff., 185 ff. . أنظر أيضا ماسبق ، س ٥١-٥٥ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

المجموعة الضخمة من الكتب في مختلف الفنون في النمو والازدياد ، ويرجع الفضل في ذلك إلى نهضة القرن الثاني عشر التي أضافت إلى الحصيلة والمعرفة العلية في الغرب كتاب الفلك لبطليموس Ptolemy وكل أعمال إقليدس Euclid وعلم المنطق لأرسطو (١) . هذا ، ونجد في نفس الوقت أنه تحت فرع الأجرومية — أى قواعد اللغة — كان ثمة دافع قوى نحو قراءة وتعلم اللغة اللاتينية القديمة .

وتستحق حركة إحياء التراث الكلاسيكي هذه الذكر ، خاصة وأنهما ليست معروفة بالقدر الكافي . وقد تركت في المدارس الكاتدرائية مثل مدرسة شارتر ومدرسة أورليانز حيث لاحت روح الدراسات الإنسانية في شكل دراسة متقدمة الحماس للكتاب القدامى ، وفي إنتاج الشعر اللاتيني الذي يمتاز حقا بجودته الفائقة ، وقد ذكر علماء الدراسات الإنسانية المتأخرين أن بعض كتابات أحسد أوثنك للشعراء وهو الأسقف هيلدبرت أوف ليمان (٢) Hildebert of Le Mans كانت خاطئة غير صحيحة بالنسبة للتراث الحقيقي القديم ، . غير أن هذه الحركة اللامعة الخاصة بإحياء التراث الكلاسيكي القديم لم تمر طويلا ، فقد تم القضاء عليها وهي لا تزال في بدايتها نتيجة انتصار المنطق والدراسات التي تتميز بأنها

(١) ثم ثلاثة من علماء العصر الكلاسيكي القديم ، أولهم بطليموس الإغريقي وله نصوص في علم الفلك ، وثانيهم إقليدس وهو من علماء الرياضة ، وثالثهم الفيلسوف أرسطو . أنظر عن ذلك LaMonte, op. cit., pp. 288 f., 480, 560, 572. [المترجم]

(٢) هيلدبرت أوف لافاردين أسقف ليمان والذي أصبح بعد ذلك رئيس أساقفة تورون وهو من كبار المنحصرين لآراء الكلاسيكي القديم ، ومن ألتجتهم مدرسة شارتر الفرنسية التي اشتهرت بحدودها فنون السبعة الحرة وبخاصة الأجرومية والبلاغة . أنظر عن ذلك Painter, op. cit., pp. 447 f., 467. [المترجم]

عملية أكثر من التراث القديم مثل القانون والبلاغة . وفي أواخر القرن الثاني عشر تناول جون أوف ساليسبورى^(١) رجال المنطق المعاصرين له بالذم والقدح ، كما هاجم معلوماتهم السطحية غير المتعمقة في الآداب . ولقد اختفت الدراسات الأدبية اختفاء تاما في سياق الدروس الجامعية في القرن الثالث عشر . وعندما وضع شاعر فرنسي يدعى هنري داندلي Henri d'Andeli حوالي عام ١٢٥٠م قصيدته المصنوعة : معركة الفنون السبعة ، « Battle of the Seven Arts » ، كانت الدراسات الكلاسيكية قد تقادم عليها العهد وهي تحارب في معركة خاسرة ضد الدراسات المستجدة المستحدثة ، وتعب عن ذلك إحدى القصائد التي جاء فيها :

المنطق اتجه لمآب الطلبة ،
أما الاجرومية فقد تناقض طلابها .
*
لقد تعالى القانون المدني في أبيه ،
وسار القانون الكنسي متفاعلا ،
والإنان يتصدران كافة الفنون الأخرى .

وإذا كان إهمال كل من الآداب الكلاسيكية القديمة والآداب الشعبي يعتبر من الملاح المثيرة للدهشة في سياق الدروس الجامعية في دراسة الفنون ، فثمة حقيقة ماثلة ومثيرة للغرابة هي الأخرى ، ونعني بها التركيز على المنطق أو علم اللسان . وكانت أقدم الأنظمة والقوانين الجامعية ، ألا وهي قوانين جامعة باريس الصادرة

(١) حول جون أوف ساليسبورى ، أنظر ، ماسبق ، ص ١٠٦ وح ١ من القسم الأول من هذا المجلد . [الترجمة] .

عام ١٢١٥م، تنص على الرجوع إلى كل مؤلفات أرسطو في المنطق . وقد ظلت تلك المؤلفات خلال القرون الوسطى بمثابة العمود الفقري في مجموعة مواد الفنون المختلفة ، بحيث كان بوسع [الشاعر الإنجليزي] تشوسر Chaucer أن يتحدث عن دراسة المنطق باعتبارها أمراً ملازماً للمواظبة على الحضور والاستماع داخل الجامعة (١). وهذا صحيح إلى حد ما ، لأن المنطق لم يكن مجرد موضوع كبير جدير بالدراسة وقائم بذاته فحسب ، ولكنه نفذ إلى الموضوعات الأخرى باعتباره طريقة وأسلوباً ومنهجاً . فاضفى على الفكر في العصر الوسيط ريننا معيناً وطابعاً مميزاً . وقد أصبح علم القياس المنطقي والمناظرات والمحاورات ، ووسائل إدارة دفة النقاش ، سواء أكان ذلك في صالح رسالة بعينها أم ضدها — أصبح كل هذا هو المظهر العقلي لذلك العصر فيما يتعلق بالقانون والطب كما هو الحال بالنسبة للفلسفة واللاهوت . وكان المنطق المعنى ، بلا شك ، هو منطق أرسطو . وصرعان ما تلا ذلك دراسة الأعمال الأخرى لهذا الفيلسوف التي تتابع الواحد منها تلو الآخر ، بحيث وجدنا أيضاً مواداً مثل علم الأخلاق Ethics وعلم الميتافيزيقيا أى ما وراء المادة Metaphysics ، تدخل ضمن مناهج الدراسة في جامعة باريس في عام ١٢٥٤ م . فضلاً عن مختلف المقالات والرسائل التي تناول العلوم الطبيعية التي كان يحرمها على الطلبة دراستها في بداية الأمر : وقد غدا أرسطو في نظر

(١) استشهد المؤرخ هاسكينز في كتابه ببيت من الشعر قاله جوفري تشوسر باللغة الانجليزية القديمة، وهو "That un-to logik hadde longe y - go." وترجمته « ظل (أى الطالب) مدة طويلة يدرس المنطق ؟ . وهذا البيت هو البيت رقم ٢٨٦ من مقدمة تشوسر لقصة كاتربري المعروفة [المترجم] .

[الشاعر الإيطالي] دانتي البيجييري^(١) « أستاذًا لأهل العلم والمعرفة ، ويرجع الفضل في ذلك إلى منهجه الشامل وعلمه الغزير ومعرفته الواسعة . ولما كان أرسطو هو « أبا المعرفة المستمدة من المطالعة في الكتب ، وعميد الشراح والمفسرين » ، فليس هناك كاتب آخر غيره يمكن أن تلجأ إليه المصور الوسطى التي كانت تقدر الكتاب المدرسى وتحترم العرف الجارى فيما يتعلق بالفكر السائد . وقد تم شرح وتفسير المذاهب والأفكار التي بدت خطراً على العقيدة ، مثل عدم فناء المادة ، أى أزليتها وخلودها . كما تم عن طريق هذا الفيلسوف الوثنى إبتداع أساليب ومذاهب لها قدرها ووزنها في علم اللاهوت . وقد توارت عن الأنظار كل الأفكار ذات الطابع الأدبى عندما أصبح كل شئ يعتمد على الجدل والمحاكاة دون سواهما^(٢) .

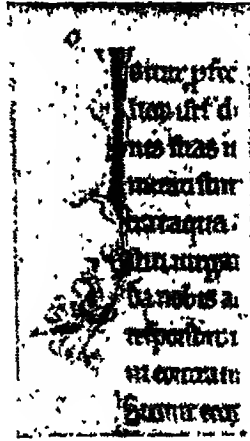
(١) ولد دانتي سنة ١٢٦٥ م وتوفى سنة ١٣٢١ م ، وهو من أعظم العبارة الذين أنجبهم المصور الوسطى . ولنا نعرف الكثير عن سنى حياته الأولى ، وكل ما نعرفه أن وطأة الحرمان التى قاساها فى الصغر قد تركت آثارها فى مؤلفاته ومنها كتابه «الحياة الجديدة» وملحمته الشعرية الرائعة «الكوميديا الإلهية» . وقد انكب دانتي على الدراسة والإطلاع ، كما تشبع بفلسفة توما الأكويني وتاريخ أوروسبيوس وملاحم فرجيل وستاتوبوس . وهو يعتبر بداية لحركة النهضة العلمية التى كانت أيضاً بنهاية المصور الوسطى بمنحها وفلسفتها وأفكارها وبداية عصر جديد بأفكار ومبادئ جديدة مغايرة ، ولبنى بذلك عصر النهضة . أنظر عن ذلك Burekhardt, J., The Civilization of the Renaissance (London, 1944), p. 49 f. ; Coulton, Medieval Panorama, p. 207 ff. ; Hay, D., The Italian Renaissance in Its Historical Background (Cambridge, 1961), pp. 55 ff., 74 ff. [المترجم]

(٢) فيما يتعلق بأثر أرسطو والنهضة الأرسطالية الجديدة ، وفيما يخص بمه الترجمة وانتقال التراث اليونانى إلى أوروبا المسيحية ، أنظر عبد الرحمن بدوى: فلسفة المصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٢) ، ص ٨٧ - ٩٢ . [المترجم]

وإذا كانت دراسة آداب اليونان والرومان القدماء قد اقتضت على نماذج
ومنتخبات من الكتب المخصصة لإيضاح قواعد اللغة ، فقد كان مصير البلاغة مختلفاً
بعض الشيء ، ويرجع السبب في ذلك إلى تطبيقاتها العملية . ولم تتميز الحياة
الثقافية في القرون الوسطى بالمقدرة التلقائية الذاتية أو الطاقة الواسعة غير المحدودة
في مجال التعبير الأدبي . وفليل هم الذين تمتعوا بمقدرتهم على الكتابة ، وعدد أقل هم
اولئك الذين كان بوسعهم تحرير خطاب ما . وأما الكتاب المحترفون ومسجلو
العقود الذين قام على عاتقهم العبء الأكبر فيما يتعلق بتدوين المراسلات في العصر
الوسيط ، فقد ربطوا بين فن تدوين الرسائل في ذلك العصر وبين فن البلاغة
التقليدى الشائع المستقر . وكانت المدارس والدواوين هي المكان الذى يتعلم فيه
المرد كل ما يتعلق بتحرير المراسلات وغير ذلك من الأعمال الرسمية . هذا ، وقد
تنقل العديد من الاساتذة الذين كان يطلق عليهم باللاتينية لفظ *dictatores* من
مكان إلى آخر وهم يقومون بتدريس هذا الفن القيم ، الذى كان رجال الدين في
أمس الحاجة إليه ، والذى كان مناسباً للربان ومشرفاً للعلماء ، ، حسبما جاء
على لسان أحد رجال البلاغة .

وحوالى القرن الثالث عشر وجد مثل هؤلاء الاساتذة أماكن لهم في بعض
الجامعات ، وبخاصة في إيطاليا وجنوب فرنسا ، وقد أعلنوا عن بضاعتهم بأملوب
يمكن مقارنته بالمطالب التى يقتضيتها سير العمل في العصر الحديث من حيث كونه
مختصراً وعملياً ، وبدون إضاعة الوقت عبثاً في الحديث عن كتاب العصر الكلاسيكي
الذين يفوقونهم . بل يجب أن يكون كل شيء جديداً سريعاً جاهزاً في أى لحظة ،
ومعداً للتطبيق والاستخدام في نفس اليوم إذا اقتضت الضرورة . ومن قبيل ذلك

أن أستاذاً في [جامعة] بولونيا أخذ يستخف بدراسة شيشرون^(١) ، قائلاً بأنه لم يكن بوسعهم أن يتذكروا أنه قرأ له ، وأخذ يعد بتدريب تلاميذه على كتابة لوحة رقم (٦)



خطاب مزخرف

وبلاحظ أن النساخ كانوا يزخرفون بعض الخطابات وبخاصة بداية الصفحات ومقدماتها مما يشجع على قراءتها . وكان يستخدم اللون الأحمر عادة في زخرفتها . [خطوط لائينية برقم ١٦ - ٧٤٣ - ٤٦ بالمسكبة الأهلية بباريس] .

(١) حول شيشرون وسيرته وأعماله ومدى تأثير العصر الوسيط به ، أنظر المراجع التالية : Cochrane, Christianity and Classical Culture, p. 38 ff.; Barrow, R.H., The Romans (Aylesbury & London, 1955), pp. 24, 69 ff., 155 ff. et sqq.; Wheeler, M., Rome Beyond the Imperial Frontiers (London, 1955), p. 15; Carcopino, J., Daily Life in Ancient Rome (Aylesbury, 1956), pp. 38, 80, 120 f. et sqq. [المترجم] .

الرسائل بكافة أنواعها ، وتحريير المستندات الرسمية التي كان يطلب من مسجلى العقود والسكرتاريين وقتذاك تحريرها . وقد تخصص أمثال هؤلاء المعلمين ، كما سنرى فى الفصل التالى ، فى تدوين خطابات الطلبة ، وبخاصة الالتماسات التي تكشف عن الحذق والبراعة واللباقة من أجل الحصول على المال من الوالدين . وسرعان ماوضح للعيان فائدة اولئك المدرسين والحاجة العملية إليهم . ويقول أحد الكتاب : « لنتخذ لنا مبحثاً اليوم مفاده أن تلميذاً فقيراً ناهياً يدرس فى جامعة باريس فى حاجة إلى أن يكتب إلى والدته فى طلب المصاريف الضرورية ، ، أفلا يكون كل مستمع إليه واثقاً من أنه قد عثر فى هذا المكان على أقل تقدير على « بعينه وصالته المنشودة التي يسعى إليها ؟ » .

هذا ، وقد يستدعى أيضاً أستاذ البلاغة لكتابة مشروع لائحة للجامعة على غرار المنشور الدورى الصادر عام ١٢٢٩م بمعرفة أساتذة جامعة تولوز الجديدة، الذى أوضح تفوقها على جامعة باريس ، حيث يقوم اللاهوتيون بالتدريس من فوق المنابر وإلقاء العظات عند أركان الشوارع . أما المحامون فإنهم يمجدون جستنيان ، والأطباء يرفعون من قدر جالينوس^(١) . وهذا مايمكن أيضاً أن يقال بالنسبة لأساتذة الأجرومية والمنطق والموسيقين بآلاتهم الوترية . أما

(١) ارتكز الطب أساساً وقتذاك على أعمال جالينوس التي وصلت إلى العالم اللاتينى عن طريق جيرارد الكريمونى Gerard of Cremona الذى ذاع صيته فى النثل الأخير من القرن الثانى عشر ، والذى توفى سنة ١١٨٧ . وقد قام جيرارد بترجمة حوالى ٧١ كتاباً معروفاً فى الطب والملك والرياضيات وغيرها ؛ أنظر من ذلك LaMonte, op. cit., pp. 559, 561, 572. [المترجم] .

في باريس فقد حرم إلقاء محاضرات عن كتب الفلسفة الطبيعية ، وانخفضت الأسعار ، بينما انجهور ودود متضامن . وأصبح الطريق الآن مهداً باقتلاع جذور الهرطقة^(١) التي حلت محلها أرض تفيض لبناً وعسلاً . وترجع باخوس [إله الخمر] على عرش حقول الكرم ، بينما جلست سيرس Ceres [إلهة الحنطة والحراثة] في الحقول مستمتعة بالجو الهادي الذي يتوق إليه كبار الفلاسفة في ظل حرية تامة يتمتع بها كافة الأساتذة والطلاب . فمن بوسعه مقاومة مثل هذه الدعوة الصادرة من الجنوب ؟

وعلى الرغم من تنزيل الأجرومية والبلاغة إلى مرتبة ثانوية ، وعلى الرغم من أن الدراسات الخاصة بالمجموعة الرباعية لم تلق سوى النزر اليسير من العناية والاهتمام—إلا أن مواد الفنون كانت أساساً دروساً في المنطق والفلسفة مضافاً إليهما العلوم الطبيعية بالقدر الذي يكفي لاستيعاب كتب أرسطو في الطبيعة ، ، وذلك عن طريق أسلوب المطالعة المدرسية المتبع في العصور الوسطى . وكانت الجامعات خالية من المعامل ، وظلت هكذا حتى نهاية العصور الوسطى بفترة طويلة . كذلك لم تعرف الجامعات مواد التاريخ والعلوم الاجتماعية إلا في فترة متأخرة . وكان استخدام الشدة هو القاعدة المتبعة فيما يتعلق بالتقنين والتدريب على مجموعة قليلة من الكتب عليها آثار الإبهام واضحة من كثرة الاستخدام وتقليب الصفحات . هذا ، وتؤدي دراسة الفنون ، عادة ، إلى الحصول على

(١) حول حركات الهرطقة في العصور الوسطى ، أنظر Turberville, A. S., *Mediaeval Heresy and the Inquisition* (London, 1920), pp. 18 ff , 145 ff. ; Coulton, G. G., *The Inquisition* (London, 1929), p. 5 ff. [المترجم] .

درجة الماجستير خلال ست سنوات ، بينما يحصل الطالب على درجة البكالوريوس في فترة ما أثناء دراسته الجامعية . وكان الحصول على إبرة الجامعة في الآداب يعنى الإعداد العام للدراسة المتخصصة اللازمة دو العلم اللاهوت والمألوفة لإعداد المحامين والأطباء . وهذا تقليد سليم لا غبار عليه ، لم يوجه إليه العالم الأمريكى إلا اهتماما ضئيلا للغاية .

وخلافا للفكرة الشائعة ، فقد كان طلبة اللاهوت قليلى العدد نسبيا في جامعات العصور الوسطى ، لأن التدريب والتمرس على المسائل اللاهوتية التى تتيح لصاحبها الدخول فى سلك الكهنوت لم يأتيا إلا مع حركة الإصلاح الدينى المضادة^(١) . وكانت شروط الالتحاق صعبة قاسية ، كما كان منهج الدراسات اللاهوتية نفسه طويلا . أما الكتب فكان ثمنها باهظا . حقا لقد كانت هذه الكتب فى مجموعها هى الكتاب المقدس ، وكتاب الجمل Sentences لبطرس اللباردى^(٢) . وكان الكتاب

(١) حول حركة الإصلاح الدينى المضادة Counter - Reformation ، أنظر Cragg, G. R., The Church and the Age of Reason (Bristol, 1960), pp. 99 f., 212, 257, 262. [المترجم] .

(٢) هو تلميذ ايبيلارد ، وقد اتبع مذهبه باستخدام المنطق . وكان يشغل وظيفة أسقفية بباريس ، وقد قام بنشر تعاليم أستاذه ومبادئه التى ضمنها فى كتابه المعروف باسم « كتاب الجمل » الذى غدا مصدرا رئيسيا فى دراسة علم اللاهوت فى الفترة الباقية من العصور الوسطى . ويعتبر بطرس اللباردى - بحق - أول قادة الفكر الفلسفى النقدي فى العصور الوسطى - أنظر كسولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والمحاضرة (الترجمة العربية) من ٢٢٤ وح ١ . راجع أيضا ، ماسبق ، ص ١٠٣ وح ١ من القسم الأول من هذا المجلد ، المترجم]

المقدس خلال القرون الوسطى يتألف من عدة مجلدات ، وبخاصة عندما تلحقه شروح وتعليقات . وكان نسخ هذه المجلدات باليد عملية معضنة باهظة التكاليف . وثمة طالب طموح في جامعة اورليانز كان بحاجة إلى المال لشراء الكتاب المقدس والبدء في دراسة علم اللاهوت ، نصحه والده بقوله إنه من الأفضل له أن يتجه نحو مهنة تدر عليه الربح ، وإنه في أحسن الظروف عليه أن يجار بالشكوى إلى رؤساء جامعة باريس من أن الطلبة يدرسون علم اللاهوت في سن متأخرة ، الأمر الذي يجب أن يكون « توأم شبابهم » .

وبالمثل كان الطب يدرس في الكتب وبخاصة في مؤلفات جالينوس وهيبوقراط ، مع ترجمة العرب لها وشروحهم وتعليقاتهم عليها ، ومن بين هؤلاء الطبيب العربي ابن سينا (١) الذي تبوأ المكانة الأولى [في جامعات الغرب] بعد القرن الثالث عشر . وفي الحقيقة كان ابن سينا شديد الارتباط بالشرق ، لأنه متأخرا

(١) اشتهر ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨ هـ / ٩٨٠-١٠٣٧ م) بالطب وبرع فيه منذ شبابه ، ترك عدة مؤلفات في هذا الميدان ، من بينها « القانون » وهو موسوعة من خمسة كتب ضمنها كل ما يتعلق بالطب ، ولم يترك بابا إلا طرقه وأفاض فيه . وإلى جانب « القانون » كتب عدة رسائل في الطب مثل رسالة في الادوية القلبية ، وأخرى في النبض ، وثالثة في القولنج ، وغير ذلك . وله أيضا أراجيز طبية ، منها « الارجوزة في الطب » التي تبلغ ألف بيت اختصر فيها التعاليم الطبية . ولعل أشهر تأليفه على الإطلاق هو « القانون » الذي يشتمل على كل ما يحتاج إليه الأطباء ، فكان بذلك أهم مرجع في العصر الوسيط ، وأصبح يدرس في جامعات الغرب . وقد قام جيرار السكريموني بترجمة « القانون » في طليطلة إلى اللغة اللاتينية . كذلك ترجمت له رسالة الادوية القلبية في القرن الثالث عشر « الارجوزة في الطب » . ويكفي أن جامعات أوروبا اتخذت « القانون » مرجعا أساسيا لتعليم الطب . وكانت جامعة بولونيا هي أول من اعترف به رسميا كمرجع في تدريس الطب في القرنين

في عام ١٨٨٧ م كان غالبية الأطباء المواطنين في عاصمة الفرس د لايرفون عن
الطبيب شيئا سوى طب ابن سينا ، . (١) وإذا استثنينا بعض التقدم الذي أحرزه
علما التشريح والجراحة في عدد من مدارس الجنوب [الأوروبي] مثل بولونيا
ومونتبلييه ، فلم تعضف جامعات العصور الوسطى جديدا إلى المعرفة الطبية ،
لأنها لم تسكن من بين موضوعات الدراسة التي تتلائم ومنهاجهم السائد من حيث
التمسك بحرفية اللفظ والقياس المنطقي (٢) .

== الثالث عشر ، حيث ألفت في تلك الجامعة عام ١٢٦٠ م كلية للعلوم ، ومنذ ذلك الحين
بدأ « القانون السينوي » يفرض جامعات أوروبا ومدارسها حتى أصبح يمثل نصف المقررات
الطبية في سائر الجامعات الأوروبية في أواخر القرن الخامس عشر . وظلت موسوعة « القانون »
هذه تتربع على عرش الجامعات حتى أوائل القرن السابع عشر عند تولد الطب القائم على
المنهج العلمية الحديثة . أنظر أحمد نوّاد الأدهواني : ابن سينا (القاهرة ١٩٥٨) ، ص
٢٧-٣٠ ؛ راجع أيضا صفحات ٣١-٣٣ و ٨٣-٨٤ من نفس الكتاب ، وكذلك
Rosenthal, E. I. J., *Political Thought in Medieval Islam* (Cam-
bridge, 1958), pp. 4 f., 19, 39, 116, 118, 132, 143 - 157 et sqq. ;
Hitti, P. K, *History of the Arabs* (London, 1964), pp. 367-368
et sqq. ; Arnold, T. & Guillaume, A. (eds.), *The Legacy of
Islam* (London, 1952), pp. 254 - 260, 350 - 354 et sqq ; Mahmud,
[المترجم] S. F., *The Story of Islam* (Karachi, 1959), pp. 118, 128.

Browne, E. G., *Arabian Medicine* (1921), p. 98. (١)

(٢) قامت النظرية السكائوليسكية في العصور الوسطى حول عصمة الكتاب المقدس من
الخطأ ، والتمسك بالمعنى الحرفي للأحداث وقبول الأوصاف كما وردت في الكتاب المقدس
من حيث حرفيتها وفي أدق معناها . وعلى هذا كان الاتجاه نحو الرمزية أو الاجتهاد والتفسير
على تمسك الناس بالمعنى الحرفي للأحداث شذبا للنهاية في العصر الوسيط . وقد عبر عن ذلك ==

أما فيما يتعلق بدراسة القانون فتعتبر « مجموعة قوانين جستنيان المدنية » المعروفة باسم Corpus Juris Civilis هي أساس التعليم كله ؛ ذلك أن القانون المألوف في أوروبا في العصور الوسطى لم يكن على الإطلاق موضوعا لدراسة جامعية ، وكان الكتاب الرئيسي في هذا الصدد هو « شرح القوانين » ، أو « الديجست » ، Digest الذى يلخص ذروة ما بلغه علم القانون الرومانى . وقد أدت سيادة أساتذة القانون المدنى في العصر الوسيط فى كتاب « شرح القوانين » ، إلى شهرتهم وتفوقهم . لقد أتوا بالمصادر المتعلقة بمجموعة القوانين المدنية كلها حيث تناولوا كل جملة أو عبارة واردة فيها بالشرح والتعليق فى عناية وتدقيق . وبذلك أمطروا اللثام عن عقلية قانونية تمتاز بصفاة ودقتها ، على غرار الفلاسفة المدرسين فى القرون الوسطى . وبعد كل ما تقدم ، فإن « القانون إنما هو شكل من أشكال الفلسفة المدرسية فى العصر الوسيط » . غير أنه إذا كان الأسلوب المدرسى فى الفلسفة قد خفف من قبضته فى كثير من جامعات العصر الحديث ، إلا أن أعمال المفسرين والشراح التى ترجع إلى العصر الوسيط لا تزال باقية . وفى ذلك يقول راشدال (١) : « يمثل العمل فى مدرسة بولونيا فى كثير من النواحي والمجالات أروع وأفضل ما أنتجه الفكر الأوروبى الوسيط . وتمتاز عقلية العصور الوسطى ، فى الحقيقة ، باستعداد طبيعى ينم عن الرغبة فى دراسة تراث قانونى موجود بالفعل

== غير محير لاهوتى من مؤيدى الفكرة السكلمية وقد ذاك هو القديس توما الأكوينى (١٢٢٠-١٢٧٤ م) . انظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٥٨-٦٠ .
[المترجم] .

والعمل على التوسع فيه . وإن اقتصر معرفة تلك العقلية بالماضى وبالعالم المادى المحسوس لم يكن ، بحال ، عائقا أو حاجزا أمام سيادة علم يعنى بكل بساطة بعلاقات العمل وأمور الحياة اليومية . لقد اعتبر المشرعون والقانونيون بمجموعة جستنيان مصدر ثقة يرجعون إليها . وكانت هذه أيضا هى نظرة اللاهوتيين إلى الكتابات المتعلقة بالقانون الكنسى والآباء الأول . وكذلك اهتم الفلاسفة بمؤلفات أرسطو التى كان من نعم الحياة أن حصلوا عليها بلغتها الأصلية . وكان المطلوب أن تكون تلك المؤلفات فى متناول الفهم فحسب ، وأن تكون الترجمة مطابقة للأصل بحيث يمكن الرجوع إليها والعمل على استكمالها ... وربما كانت أعمال أولئك للرجال هى الثمار الوحيدة التى حققها العلم خلال العصور الوسطى . هذا ، ويمكن أن يرجع إليها فى العصر الحديث الأستاذ المتخصص فى أى فن من الفنون لقيمتها التاريخية فحسب ، أو لجرد الأمل فى العثور على آراء وأفكار لها قدرها ووزنها ، أو لاحتمال الحصول على حلول للمسائل موضع الشك ، أو بسبب الصعوبات والمشاكل التى لاتزال تواجه طلاب العلم فى العصر الحديث وتمسك بتلابيبهم .

وقد كان القانون الكنسى وثيق الصلة بالقانون المدنى . كما كان ، لأسباب عديدة ، ضروريا لحصول الدارسين على درجة دكتور فى كلا هذين الفرعين Doctor utriusque juris ، (١) أو كما نقول دكتور فى القانونين المدنى والكنسى ، J.U.D. ، أو دكتور فى القانون ، LL.D. (٢) ولقد أدان اللاهوتيون القانون الكنسى بوصفه عملا دمدرا للربح ، « lucrative » ، مما

(١) ترجمتها بالعربية « دكتور فى كلا القانونين » ، والمقصود بذلك القانون المدنى والقانون الكنسى [المترجم] .

(٢) أصلها باللاتينية legum doctor [المترجم] .

أدى إلى انصراف الطلبة عن العلم الحقيقي الأصيل الذى يؤدى بهم إلى المناصب الكنسية الرفيعة . وما أن حل القرن الثالث عشر حتى غدت كنيسة العصور الوسطى جهازا إداريا واسع النطاق بحيث احتاج إلى محامين لتولى شئونه . وكان أمام أى إنسان متفقه فى القانون الكنسى ومدرّب تدريبا حسنا ، فرصة طيبة لبلوغ أعلى المراتب [الدينية] . (١) ولا غرابة فى أن القانون الكنسى قد اجتذب إليه العلموحين و الأثرياء بل والكسالى أيضا ؛ إذ قيل إن الطلبة الكسالى فى باريس كانوا يواظبون على حضور المحاضرات التى يلقيها أساتذة القانون الكنسى فى منتصف النهار أكثر من مواظبتهم فى المناهج الأخرى التى كانت تبدأ فى الساعة السادسة صباحا . وكان الكتاب المدرسى النموذجى فى القانون الكنسى هو مرسوم جراسيان Decretum of Gratian ، مضافا إليه أوامروقرارات ومراسيم البابوات اللاحقين ، وبخاصة المجموعة الكبرى التى أذاعها [البابا] جريجورى التاسع فى عام ١٢٣٤ م على الجامعات الرئيسية [فى الغرب] (٢) . وكانت الأساليب

(١) وردت هذه الأبيات باللاتينية و الأصل الإنجليزى من كتاب هاسكنز (أنظر من ٣٧ ح ٣) التى قدما بترجمته و هذا القسم من المجلد ، و هى :

Sic heredes Gratiani
Student fieri decani,
Abbates, pontifices.

وترجمتها « وحتى يبلغوا المناصب الكبرى ويصبحوا رؤساء و قدي أديرة وأجبارا ، عليهم أن يدرسوا أوائله القديين جاءوا بعد جراسيان » [المترجم] .

(٢) كان البابا جريجورى التاسع قد أمر فى عام ١٢٣٤ م بإعداد مجموعة رسمية جديدة للراسم البابوية نهضت باعتبارها امتدادا لنشاط المجمع الكنسى جراسيان . وقد اضيفت مجموعات أخرى مماثلة خلال القرن الرابع عشر . وكان آخر البابوات فى القرون الوسطى الذى أمر بذلك هو البابا يوحنا الثانى والعشرون فى سنة ١٣١٧ م . أنظر كوتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة (الترجمة العربية) ، ص ٢٥١ . وللمزيد من المعلومات من جراسيان ومرسومه أنظر ، ما سبق ، ص ١١١ - ١١٢ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

المتبعة في دراسة هذه النصوص هي نفس الأساليب المتبعة في دراسة النصوص المتعلقة بالقانون المدني . وقد نمت مجموعة المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالقانون الكنسي التي ترجع إلى آخريات القرون الوسطى ، وكذلك الشروح والتفسيرات بالهوامش التي أمدت الإنجيل والدكاترة العظام بالأهلية والاستحقاق ، وفقا لقوله [الشاعر الفلورنسي] دانتي اليجييري .

وفيما يتعلق بالكتب المدرسية والمراجع العامة المطلوبة في كافة هذه الموضوعات ، فقد أخذت الجامعة على عاتقها ضمان تزويد سريع تتوفر فيه الكفاية والدقة مع الثمن الزهيد ؛ ذلك أن تنظيم عملية تجارة الكتب كان من أقدم الامتيازات الجامعية وأكثرها أهمية . ونظرا لأن الكتب كانت باهظة الثمن ، فقد كانت — عادة — تؤجر مقابل ثمن معلوم يحسب بعدد الملازم في كل كتاب ، وذلك بدلا من اقتنائها . وقد كانت عملية بيع الكتب — في الحقيقة — مقيدة بقيود شديدة يهدف الحد من احتكار الأسعار ، فضلا عن الحيلولة دون تسربها خارج المدينة . وترجع أقدم تعريف للكتب في باريس إلى حوالي عام ١٢٨٦ م . وقد أقيمت فيها أسعار تأجير مائة وثمانية وثلاثين كتابا مختلفا . وبمرور الزمن أخذ كثير من الطلبة يتهافون على اقتناء الكتب لأنفسهم ، كان يقتنوا — مثلا — الكتاب المقدس أو بعض أجزاءه على أقل تقدير ، أو يحصلون على جزء من كتاب « شرح القوانين ، المعروف بالديجست ، وربما يشترون « العشر بن كتابا المغلفة باللون الأسود أو الأحمر ، الوارد ذكرها في قصيدة الشاعر تشوسر المسماة « متفقه من أكسفورد » . Oxford clerk . وسواء أكان الطالب يستأجر الكتاب أم يمتلكه ، فقد كانت حركة الإمداد والتزويد واسعة ذات شأن . ومن بين آثار [جامعة] بولونيا أثر يمثل الطلبة وأمام كل منهم

كتاب . وطالما أن كل نسخة من هذه الكتب كانت تكتب باليد ، فقد كانت الدقة أمرا له أهميته الكبرى . وكان يوجد في الجامعة مراجعون ومصححون لهذا الغرض ، حيث يقومون في فترات دورية بفحص كافة الكتب المعدة للبيع في المدينة . وكانت جامعة بولونيا ، فضلا عما تقدم ، تمون برصيد دائم من الكتب الجديدة ، استجابة للرغبة التي أبديت ومفادها أنه يجب على كل أستاذ أن يحول نسخة من محاضراته ومناقشاته إلى مكاتب النسخ لنسخها . وكانت الكتب الرئيسية في القانون واللاهوت هي الثمرة الطبيعية لتلك المحاضرات الجامعية . هذا ، وبناء على عملية طلب التزويد التي كانت مركزة إلى حد بعيد في الجامعات ، وليس مما يثير الدهشة أو الغرابة أن تصبح تلك الجامعات هي المراكز الرئيسية لتجارة الكتب وأعمال النسخ كما يتعين علينا أن نقول . وطالما كان بوسع الطلبة استئجار الكتب التي هم بحاجة إليها ، فقد غدت الحاجة إلى المكتبات أقل مما كنا نظن في بادئ الأمر . وكان طبيعيا جدا ألا توجد مكتبة في جامعة العصر الوسيط لفترة طويلة من الزمن . غير أنه ، بمرور الوقت ، كانت الكتب تعطى للطلبة ليطلعوا عليها ويفيدوا منها . وغالبا ما كان ذلك في شكل هبات موقوفة على الكليات الجامعية ، حيث يمكن استعارتها خارجيا أو الاطلاع عليها في الداخل . وحوالي عام ١٣٣٨ م كان كنالوج مكتبة السوربون ، وهي المكتبة الرئيسية في باريس ، يضم ١٧٢٢ مجلدا ، ولا يزال عدد كبير منها موجودا في المكتبة الأهلية في باريس ، بينما تحتفظ كثير من معاهد أكسفورد وكلياتها بكتب ومصاحف كانت مكتباتها تقتنيها في العصور الوسطى .

وإذا ما تركنا الكتب وبدأنا التحدث عن الاساتذة فإننا نلاحظ منذ أول وهلة أن العصور الوسطى قد أنجبت الكثير من الاساتذة الممتازين المرموقين .

وكانت ميكانيكية العلم والتعليم ووسائل تنظيمها لاتزال ، إلى حد ما ، بسيطة ؛ فلم تكن تحوى شيئا فوق الطاقة . وعلى الرغم من ارتباطها الوثيق بالنصوص التي تدرس ، فقد كان هناك مجال واسع النطاق للعلم يبرز فيه شخصيته . وهكذا أصبح الكوين Alcuin ، قبل قيام الجامعات بوقت طويل ، هو الروح المحركة لإحياء العلم والتعليم في بلاط الإمبراطور شارلمان وفي المدرسة الديرية في مدينة تورز الفرنسية . كما أثار جربرت الريمي (١) Gerbert of Rheims الذي جاء بعده بقرنين من الزمان دهشة معاصريه لإفادته الحاذقة البارعة من تراث اليونان والرومان القدماء فيما يتعلق بدراسة البلاغة وعلم البيان ، وكذلك لقدرته على تدريس علم الفلك بطريقة ماهرة إن دلت على شيء . فلإنما تدل على ذكاء خارق ، حتى بدت كما لو كانت « إلهية » . (٢) هذا ، ومن العصر الذي بدأت فيه البذور الأولى للجامعات أمكن الحصول على فكرة واضحة ، إلى حد ما ، عن بطرس ابيلارد (٣) كاستاذ ويملا حجرة الدراسة بمجو مشوق خلاب . فهو جسر مبتكر ، لامع الفكر ، لاذع الجدل ، ممتلئ حيوية ونشاطا ، فضلا عن أنه كان قادرا على

(١) فيما يتعلق بكل من الكوين وجربرت الريمي ، انظر ماسبق ، ص ١٨ و ٥١ و ٥٤ و ٥٥ و ٦١ و ٦٢ و ٦٤ و ٦٧ و ٧١ و ٧٢ و ٧٥ و ٧٧ و ٨٣ و ١١٤ و ١٥٥ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

(٢) Richer of Reims, Histor., III, cc. 45—54. هذا ، وتوجد مقتطفات مترجمة إلى اللغة الانجليزية في كتاب هـ. تايلور Taylor, H. O., The Mediaeval Mind (Cambridge, Mass, 1925) [المؤلف] وكتاب تايلور طبعه جديدة تقع في جزئين (طبع نيويورك ، سنة ١٩٥٩) [المترجم] .

(٣) حول الفيلسوف بطرس ابيلارد وكتاب « نعم ولا » ، انظر ماسبق ، ص ٩٩ و ١٠٤ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

إثارة عقول الجادين من الناس فيدفعهم إلى الضحك . « وتبدر طريقته المنظمة التي عرضها في كتابه « نعم ولا » ، « Sic et non » ، شاملة لعناصر التأيد والجدل بهدف تفنيد وإثبات أو نفي ودحض قضايا ومسائل معينة ، وهي طريقة «رمان ماسار على منوالها جراثيان Gratian صاحب كتاب «التوفيق بين القوانين الكنسية المتعارضة» ، « Concord of Discordant Canons » ، ومعززاً إياها بكتاب «المنطق الجديد» لأرسطو . وبذلك أصبحت هي الطريقة السائدة في المنهج المدرسي للقديس توما الأكويني^(١) St. Thomas Aquinas ، وظلت

(١) نعرف من توما الأكويني (١٢٢٠ - ١٢٧٤) أنه التحق في سلك الرهبان الدومنيكان ولم يكن قد تجاوز العشرين من العمر . وقد تلمذ على البرث السكوتو العظيم (١١٣٩ - ١٢٨٠م) ، وانتقل بين مدن إيطاليا وفرنسا إلى أن أصبح أساتذاً في جامعة باريس وهو في سن الحادية والثلاثين . له مؤلفات عديدة منها آراءه وأفكاره منها كتاب « شرح الأحكام » ورسالة « في الوجود والماهية » اعتمد فيها على كل من ابن سينا وابن رشد ، وكذلك « شرح الأسماء الإلهية لديونيسيوس » و « المجموعة الفلسفية » و « المرح على أرسطو » ورسالة « في وحدة العقل رداً على الرشديين » وأخرى « في أزلية العالم رداً على المتأخرين » ثم كتابه الضخم المعروف باسم « المجموعة اللاهوتية » الذي لحص فيه مؤلفاته السابقة . أنظر يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط (القاهرة ١٩٥٧) ، ص ١٤٤ - ١٧٧ ؛ كوتون : عالم العصر الوسيط (الترجمة العربية) ، ص ٥٨ وح ١ و ٦٣ و ٢٢٥ وما يليها . أنظر أيضاً Downs, N. (ed.), Basic Documents in Medieval History (New York, 1959), p. 116. هذا ، ويوجد عرض ممتاز لسيرة توما الأكويني وفلسفته ومؤلفه « المجموعة اللاهوتية » بأعلام فريدريك هير F. Heer وفريدريك كوبلستون F. Copleston واثين جيلسون E. Gilson في كتاب : Landmarks Baker, D. N. & Fasel, G. W. (eds), in Western Culture, vol. I (New Jersey, 1968), pp. 249 — 282.

[المترجم]

تفرض نفسها على الفكر لمدة أجيال تالية . وهكذا كانت هذه الطريقة على أيدي
أبيلارد ومن جاءوا بعده بمثابة قوة دافعة لحدة الذكاء ، وهى طريقة تتعارض
على طول الخط مع منهج « نعم ولا » كما وضعه مؤلفه ، بحيث لم تترك مجالاً في
ثناياها لحل وسط . لأن التفكير بهذا الأسلوب — حسبما أوضح رينان Renan —
يؤدى ، عادة إلى اكتشاف الحقيقة .

ولتكوين فكرة عصرية حديثة عن مدرسى القرن الثانى عشر ، لا نجد ما هو
أفضل من المقتطفات التى يصف فيها جون أوف ساليسبورى رحلته
Wanderjahre التى استغرقت عدة سنوات في فرنسا في الفترة الواقعة بين عامي
١١٣٦ و ١١٤٧ م ، وبصفة خاصة جولته في كل من باريس وشارتر (١) . ولما
كان جون قد تعلم أصول المنطق على يد أبيلارد ، فقد ظل تحت تأثير اثنين من
المدرسين لهذا الفن ، أحدهما كثير الشك والتشكك في الدقائق والتفاصيل منطلق

(١) هذه المقتطفات مترجمة إلى الإنجليزية في كتاب بنواد « صور من تاريخ الفكر
في العصور الوسطى » تأليف ر.ل. بول ، أنظر Poole, R. L., Illustrations of
History of Mediaeval Thought, 2nd ed. (London, 1920), pp.
203 — 212. وكذلك في كتاب « قراءات في تاريخ التعليم » تأليف أ.و. نورتون
نظر Norton, A.O., Readings in the History of Education
(Cambridge, Mass., 1909), pp. 28 — 34.

وقد تناول ر.ل. بول هؤلاء الأساتذة بالدراسة والنقد والتحليل في مقال عنوانه
« أساتذة المدارس الجامعة في باريس وشارتر في عصر جون أوف ساليسبورى » ، ثم أعاد
طبعه في كتابه الذى يحمل اسم « دراسات في علمي السكرولوجيا والتاريخ » ، طبع
أكسفورد سنة ١٩٣٤ م ، انظر

Poole, R. L., " The Masters of the Schools of Paris and Chartres
in John of Salisbury's Time, " English Historical Review,
XXXV (1920), pp. 321 — 342 ; idem, Studies in Chronology
and History (Oxford, 1934), pp. 223 — 247.

اللسان يميل إلى الافتضاب والإيجاز ويدخل في الموضوع مباشرة ؛ أما الآخر فهو حاذق ، ذو دهاء ، غزير المادة ، مبينا أنه ليس في الإمكان إعطاء إجابات بسيطة . وبعد ذلك ذهب أحدهما إلى بولونيا ونفى ما كان يقوم بتدريسه ، حتى أنه عند عودته توقف عن ذلك النوع من التدريس . ، وعندئذ توجه جون أوف ساليسبورى إلى شارتر ليتعلم النحو وقواعد اللغة على يدى كل من وليم أوف كونش^(١) William of Conches والقديس برنارد أوف كليرفو . وهنا أثار الأسلوب الإنسانى في تدريس الآداب ، وهو أسلوب واف متقن ، إعجاب جون الشديد ، إذ أنه دراسة متقنة للآداب تتضمن استظهار بعض المقتطفات المختارة وتعلم النحو عن طريق الانشاء وتقليد الناذج الممتازة ، إلى جانب زيادة لارحة فيها المحسنات اللفظية المستعارة . تلك هى الصفات التى جعلت القديس برنارد د أغزر مصدر للأدب في غالة^(٢) في العصر الحديث . ، وعند عودة جون أوف ساليسبورى إلى باريس بعد غيبة دامت اثنتى عشرة سنة ، وجد زملاءه القدامى على نفس الحال حيث هم من قبل ، وفى نفس الموقع الذى تركهم فيه . ويبدو وكأنهم لم يصلوا إلى تحقيق هدفهم فى شرح وتفسير القضايا والمسائل القديمة مشار البحث والجدل ، كما أنهم لم يضيفوا شيئا جديدا على الإطلاق إلى تلك القضايا ، وما زالوا تحت إيماء تلك الأهداف التى كانت مصدر إلهامهم فيما مضى^(٣) . وهم لم يحرزوا تقدما إلا فى مسألة واحدة فقط ، وهى أنهم بدأوا

(١) قام وليم أوف كونش بتدريس التراث الكلاسيكى القديم بـ مدرسة شارتر التى كانت تعتبر أعظم مركز لتدريس العلوم الإنسانية فى القرن الثانى عشر . وقد بلغت هذه الدراسات ذروتها وشخص جون أوف ساليسبورى . أنظر LaMonte, op. cit., p. 558 [المترجم] .

(٢) المقصود بذلك فرنسا [المترجم] .

(٣) أى أنهم طلوا كما هم وحيث هم دون أن يقدموا خطوة واحدة إلى الأمام . [المترجم] .

يتجاهلون الاعتدال والمثابرة . فلم يعودوا يعرفون التواضع ، بل تغالروا في هذا التجاهل إلى درجة بدا أن شفاءهم منه أصبح ميثوسا فيه . واستطرد جون قائلا : وهكذا أكسبتني الخبرة نتيجة واضحة هي أنه بينما يساعد المنطق والعلوم اللسانية [أى الكلامية] الدراسات الأخرى ، إلا أن هذه الدراسات إذا ظلت منفردة قائمة بذاتها فإنها تصبح عقيمة جدباء لا حياة فيها ولا تهز أعماق النفس لتقدم ثمارا فلسفية جديدة اللهم إلا نفس الأفكار التي يمكن التوصل إليها من أى مصدر آخر .»

وأما مدرسو القرن الثالث عشر الذين يتحدثون عن أنفسهم أكثر من اللازم هم أساتذة النحو والمنطق والعلوم الكلامية ، من أمثال بونكومبانيو Buoncompagno في بولونيا ، وجون أوف جارلانند (١) John of Garlande

(١) جون أوف جارلانند شاعر إنجليزي وأستاذ في علم النحو ، ولد حوالي سنة ١١٩٥ م وتوفي حوالي سنة ١٢٧٢ م . وقد ترك إنتاجه أثره في تطور لاتينية المصو والوسطى . ولد في إنجلترا من أسرة مريضة ، ودرس في أكسفورد على أستاذ يدعى جون أوف لندن ، ثم ذهب إلى باريس حوالي عام ١٢٠٢ م لمواصلة دراسته ، وتعلم هناك على يدى ألين دي ليل Alain de Lille ، وقام بعد ذلك بالتدريس في باريس حتى عام ١٢٢٩ م حيث ذهب إلى جامعة تولوز الجديدة . ومن تأليفه في الأجرومية وقواعد اللغة وثرا كيبها كتاب « ملخص الأجرومية » المعروف باسم « Compendium grammaticae » وكتاب « التركيبات اللغوية » « Liber de constructionibus » وله أيضا قاموس لغوي لاتيني باسم « Dictionarius » أشهره ت . رايت T. Wright عام ١٨٥٧ م . وكذلك مؤلف باسم « كتاب السلوك المدرسى » « Morale scolarium » تناول فيه موضوعات شتى مثل السلوك العام وآداب المائدة والفضيلة ودفاع البابا ضد رذيلة السبونية ، وقد قام بتعريبه له . ج . بيتاو L. J. Paetow في عام ١٩٢٧ م ، وأمدنا الناشر في مقدمته للكتاب بنسخة من حياة جارلانند ومؤلفاته . أنظر مقالة « جون أوف جارلانند » في دائرة المعارف البريطانية (طبعة شيكاغو) سنة (١٩٦٤) ، ج ٩ ، ص ١١٤٦ [المترجم] .

في باريس ، وبونس أوف بروفانس Ponce of Provence في اورليانز ، ولورنزو أوف أكويليا Lorenzo of Aquileia في نابولي ، بل وفي كل مكان تقريباً . وسوف نتعرف جيداً على كتاباتهم المتفخمة الجوفاء في مجالات أخرى . ولعل أهمها مايقصه علينا أودوفريدوس (١) Odofredus في محاضراته عن كتاب « الديجست القديم » ، Old Digest ، في بولونيا . فيقول : « فيما يختص بطريقة التدريس فقد راعى الدكائرة ، القدامى والحديثون ، وبخاصة أستاذي الشخصي ، الأسلوب التالي ، وهو نفس الأسلوب الذي سوف أتبعه . سأمدكم أولاً ، بمختصرات لكل فصل من فصول الكتاب قبل البدء في دراسة النص . ثانياً ، سأعطيك بياناً واضحاً ومفصلاً قدر الاستطاعة عن فحوى ومضمون كل قانون وارد في الكتاب . ثالثاً ، سأقرأ النص مستهدفاً من وراء ذلك تصحيحه . رابعاً ، سأكرر باختصار فحوى القانون خامساً ، سأضع حلولاً للمتناقضات الظاهرة مضميلاً إلى ذلك أية مبادئ قانونية عامة يمكن استخلاصها من تلك البند المقتطفة ، وهي التي تعرف - عادة - باسم « القواعد » Brocardica ، وكذلك أية فوارق واختلافات أو مسائل عربية quaestiones ذات نفع وفائدة قد تنشأ عن القانون هي وحلولها على قدر ماتمكنني العناية الإلهية . هذا ، وإذا بدا أن قانوننا ما يستحق الإعادة بسبب أهميته أو صعوبته ، فسأعتمد فرصة إعادته في إحدى الأمسيات ، لأنني سأتناول هذه المسائل بالنقاش والمجادلة مرتين في العام على أقل تقدير . وستكون

(١) هو مؤرخ إخباري عاش في أواسط القرن الحادي عشر (١٠٧٦م) . وللمزيد من المعلومات عنه ، أنظر LaMonte, op. cit., p. 575 وكذلك وهيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في العصور الوسطى ، ص ١٨٠ . [المترجم]

المناقشة الأولى قبل عيد الميلاد ، والأخرى قبل عيد القيامة إن شئت ذلك .

ويستمر أودوفر بدوس قائلا : « وسأبدأ دائما بكتاب « شرح القوانين القديم » في عيد القديس ميخائيل الذي يقع في السادس من أكتوبر أو بعد العيد بشمانية أيام ، وانتهى منه تماما — بعون الله ومشيتته — مع كل شيء مألوف أو غير مألوف ، حوالى منتصف أغسطس . وسأتناول الكتاب المتضمن زبدة الشرائع والأحكام Code (١) دائما بعد حوالى اسبوعين من عيد القديس ميخائيل ، وأتمه — بعون الله — بكل ماهو مألوف وما هو غير مألوف ، حوالى أول أغسطس . وقد اعتاد الدكاترة ، فيما مضى ، ألا يلقوا محاضرات عن الفصول التي هي فوق مستوى إدراك الطلبة ومفهومهم ، ولكن سوف يستفيد منى جميع الطلبة حتى البلداء والمستجدون لأنهم سيستمعون إلى الكتاب بأكمله ، ولن يحذف منه شيء البتة كما كان متبعنا هنا فيما مضى . وهكذا ، سيكون بوسع الجهلة الاستفادة من شرح القضية وعرض النص . أما الطلبة الأكثر تقدما فسيكونون بالآخرى أكثر تضلعا ، وسيكون بمقدورهم التغلب على الآراء المتعارضة والمسائل المويضة المثيرة للحيرة . وسأتلو عليكم كل الشروح والتفسيرات ، وهذا ما لم يمارسه أحد من قبل . ثم تعقب ذلك نصيحة عامة تتعلق باختيار الأساتذة وطرق التدريس ، يتلوها عرض عام لكتاب « شرح القوانين » المعروف باسم « الديجست » .

ويختتم أودوفر بدوس هذا المنهج بقوله : « والآن ، أيها السادة ، قد بدأنا وانتهينا ، وقرأنا هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، كما تعلمون أنتم يامن واضبطتم

(١) المقصود مجلة أحكام جسنيان [المترجم] .

على حضور هذا الدرس . ولأننا نتقدم بالشكر إلى الله وإلى أمه السيدة العذراء
وجميع قديسيه . ومن التقاليد القديمة المتبعة في هذه المدينة أنه عندما ينتهى كتاب
ما يقام قداس ديني من أجل الروح القدس ، وهو تقليد حميد ، ولذلك يجب الأخذ
به . ولما كان من المتبع أن يتحدث الدكاترة عند الانتهاء من دراسة كتاب ما من
خطوطهم المقبلة ، فسأخبركم بجانب منها ، ولستكنى لن أطيل عليكم الحديث .
وأوقع أن ألقى في العام القادم محاضرات هادئة بأسلوب قانوني حسن كما كنت
أفعل دائما . ولستكنى لن أقوم باللقاء محاضرات فوق العادة ^(١) ، لأن الطلبة
لا يدفعون بسخاء . فهم يرغبون في التعلم ولستكنهم لا يريدون دفع الثمن ، وذلك
وفقا للمثل السائر : الرغبة في اقتناء المعرفة مع الامتناع عن الدفع . وليس لدى
ما أقوله لكم أكثر من ذلك ، سوى أن استودعكم مشمولين ببركة الله ورعايته ،
راجيا منكم المواظبة على حضور القداس الديني . ، ^(٢)

هذا ، وبالرغم من أن المحاضرة الرسمية ^(٣) كانت لها أهميتها في تلك الأيام
الغابرة التي كانت فيها السكتب قليلة العدد والتي لم توجد فيها معامل ، إلا أنها لم

(١) أى محاضرات ذات لجة كبرى . [المترجم] .

(٢) أنظر عن ذلك Paris, Bibliothèque Nationale, MS. Lat. 4489

f. 102; F. G. von Savigny, *Geschichte des römischen Rechts im Mittelalter* (Heidelberg, 1834), III, pp. 264, 541, 553 ; cf. also

Rashdall, op. cit., I, p. 218. هذا ، وطبقا لخاشية وردت في الطبعة المنقحة

لنفس السكتاب (ص ٢١٩ ح ٣) ، يتضح أن هذه المذمة كتبها بالفعل أحد تلامذة

أودوفريدوس ويدعى بطرس برجروسي Petrus Peregrossi الذي كان يعمل مدرسا
في أورليانز .

(٣) يقصد النظامية [المترجم] .

تكن إطلاقا الوسيلة الوحيدة للتدريس . وإن استعراضا شاملا للتدريس بالجامعات [في المصور الوسطى] ليجتاج إلى أن نضع في الاعتبار تلك المحاضرات السريعة السطحية ، أو « غير المألوفة » ، التي ألقى كثير منها خريجون بدرجة الليسانس فحسب . وكذلك تلك المراجعات والإعادات التي كثيرا ما ألقى في بيوت الطلبة أو في الكليات في فترات المساء ؛ ثم تلك المجادلات التي تمهد للتجربة النهائية القاسية التي كانت تقام علنا لمناقشة رسالة التخرج (١) .

ولقد زالت منذ وقت طويل حجرات الدراسة التي كانت تلقى فيها هذه المحاضرات . فإن لم يجد الأستاذ حجرة ملائمة في بيته ، فقد يجد نفسه مضطرا لأن يستأجر قاعة في مكان مناسب مجاور له . وفي باريس كانت معظم هذه القاعات تقع في شارع واحد يطل على الضفة اليسرى المسماة فيكوس سترامينيوس *Vicus Stramineus* أو شارع دى فوار *Rue de Fouarre* المشهور باسم شارع داتى . ويبدو أنه سمي كذلك بسبب الأرضية التي كانت مغطاة بالقش الذي كان الطلبة يجلسون عليه عندما يكتبون مذكراتهم . أما في [جامعة] بولونيا فقد كانت حجرات الدراسة — إلى حد ما — أحسن حالا . وقد كتب بوكومبانيو *Buoncompagno* عام ١٢٣٥ م يصف قاعة محاضرات نموذجية مضاءة ونظيفة تطل نوافذها على منظر بديع خلاب ، وقد غطى جدرانها طلاء أخضر ، ولا توجد فيها تماثيل أو صور تصرف انتباه الطالب عن متابعة المحاضرات . وكان مقعد الأستاذ مرتفعا كي يرى الجميع ويراه الجميع في نفس الوقت . وقد رتبت مقاعد الطلبة دائما حسب « الأهم » التي ينتمون إليها وفقا لشهرة الطالب وسميته والطبقة

(١) المقصود امتحان التخرج [المترجم] .

التي ينتمى إليها . ويضيف بونكومبانيو إلى ذلك قولا له دلالة ومنزاه وهو :
 ، لم يكن لي مثل هذا البيت على الإطلاق ، ولا أعتقد أن مثل هذا البيت قد بنى في
 وقت ما . ، وإن كل ما نعرفه من حقائق عن حجرة الدراسة في جامعة بولونيا
 مستقاة ، أساسا ، من الآثار والصور المصغرة لأساتذة القرنين الرابع عشر
 والخامس عشر ، والتي يظهر فيها الأستاذ جالسا معتدلا أمام مكتب تحت مظلة
 مثبتة على قاعدة مرتفعة ، بينما جالس الطلبة أمام أدرج مستوية أو مائلة السطح
 وقد وضعت عليها كتبهم مفتوحة . وكان أمام الاساتذة ، سواء أكانوا أساتذة
 طب أو قانون ، مجلد مفتوح بصفة دائمة .

ويظهر طابع الامتحان النهائي بمثلا أحسن تمثيل في [جامعة] باريس حيث
 وصفه عالم الأخلاق البشوش روبرت السوربونى (١) Robert de Sorbon
 مؤسس معهد السوربون في كتابه [الذى ألفه باللاتينية] المسمى « الضمير ،
 » De Conscientia ، وذلك عندما قارن مقارنة لها منزاه بين امتحان التخرج
 النهائي والدينونة الأخيرة . وقد اتخذ روبرت من طموح أيوب موضوعا له
 لأن « خصمه وغريمه قد ألف كتابا » . ثم حدد بحمل عناوينه وفقا لما هو سائد في
 عصره . فيبدأ بقوله إنه إذا قرر شخص ما الحصول على إجازة التيساس
 licentia legendi من باريس ، لا يمكن إعفاؤه من أداء الامتحان كما كان الحال
 بالنسبة لكثير من العظماء وعلية القوم الذين نالوا هذه الإجازة بصفة شخصية
 تقديرا لهم وإكراما . فكثيرا ما أخطر رئيس الجامعة أو شخص يكون موضع
 ثقته الطالب بالكتاب الذى سيتمحن فيه . والطالب الأحمق الضعيف حقسا هو

(١) حول روبرت السوربونى والمهد الذى ينسب إليه ، أنظر ماسق ، ص ٢١٢

و ٢٦٦ ح ٢ و ٢٧٢ وح ٣ من هذا القسم من المجلد [المترجم]

الذى يهمل الكتاب بعد معرفته به ، ثم يقضى وقته فى دراسة كتب أخرى غيره .
وله كذلك لطلاب أحق مفتون ذاك الذى يفشل فى دراسة كتاب « الضمير »
الذى ستمتحن فيه جميعا دون استثناء فى اليوم الآخر .

وفوق هذا وذاك ، فإنه إذا حرم رئيس الجامعة شخصا ما من أداء الامتحان ،
فيعجز لإعادة امتحانه بعد معنى عام . ومن الممكن إقناع رئيس الجامعة بالتراجع
عن قراره إذا ما توسط للطلاب المعارف والأصدقاء ، أو إذا قدم الطلاب الهدايا
أو أدى الخدمات المناسبة لأقارب المدير والممتحنين الآخرين . هذا ، بينما سيكون
الحكم فى الدينونة الأخيرة نهائيا لارجمة فيه ، ولن تفيد الثروة ولن ينفع النفوذ .
كذلك لن يكون لادعائه الجرى بمقدرته كواحد من رجال الدين أو من
العلمانيين أو بدرأيته بكل أنواع الجدل والسفسطة — لن يكون لسكل هذا أى
أثر فى سحب قرار الدينونة الأخيرة . ثم أنه إذا فشل أى طالب أمام
رئيس جامعة باريس فلن يعرف هذه الحقيقة سوى خمسة أو ستة أشخاص فحسب ،
ولن يدوم فضله بل سيذول بمرور الوقت ، بينما يدمغ الله ، وهو الديان الأعظم ،
الإسان الخاطيء بالدليل والبرهان « فى جامعة كاملة حقا ، وأمام العالم أجمع .
كذلك لن يجلد رئيس الجامعة الطالب المرشح للحصول على إجازة التدريس ،
ولكن فى الدينونة الأخيرة سينال المذنب عقابه بضربه بقضيب من حديد من
وادی يهوشافاط (١) Jehosaphat وبطول الجحيم وعرضه . (٢) ولن نستطيع

(١) نسبة لى يهوشافاط بن آسام ملك يهوذا فى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد وحول
سيرته وأخباره وبمملكته وحروبه ، أنظر الكتاب المقدس — العهد القديم — سفر الملوك
الأول : الأصحاح ٢٢ ، وسفر أخبار الأيام الثانى : إصحاح ٢٠ . [المترجم] .
(٢) هذه الأفكار الخاصة بالدينونة واليوم الآخر والجحيم وألوان المذاب التى يلقاها
المذنب ، تناولها المؤرخ جورج جوردون كولتون فى كتابه « عالم المصور الوسطى » فى
شبه من التفصيل والتعليل والتدقيق . أنظر كولتون : عالم المصور الوسطى فى الأنظم والحضارة
(الترجمة العربية) ، ص ٥٥ — ٦٦ [المترجم] .

أن نفكر مثل الأولاد الكسالى في مدارس الأجرومية عندما يتهربون من عقاب يوم السبت مدعين المرض أو التغيب بدون أعذار أو لكونهم أقوى جسمانيا من الأستاذ ، أو نمرى أنفسنا مثلهم بما معناه أننا بعد كل هوانا وعشنا نستحق الضرب بالسياط . وامتحان رئيس الجامعة أيضا اختياري ، فهو لا يلزم شخصا ما بضرورة الحصول على الدرجة الجامعية ، بل ينتظر رغبة الطلاب أنفسهم . وقد يشعر أيضا بثقل مطالبهم المتلاحقة في عقد الامتحانات لهم .

ثم أنه في دراستنا لكتاب ضميرنا ووجداننا ، يجب أن نقشبه بأولئك الطلاب الذين يسمعون للحصول على إجازة الليسانس ، فيقتصدون في المأكل والمشرب ويثابرون أيضا على دراسة الكتاب الأرواح الذي يستعدون له ، ويبحثون في كافة المراجع التي تتعلق به ، ويستمعون فقط إلى الأساتذة الذين يحاضرون في هذا الموضوع ، حتى لنجد أنه من العسير عليهم إخفاء حقيقة استعدادهم للامتحان عن زملائهم . ولا يمكن أن يكون إعدادهم للامتحان حصيلة خمسة أيام أو عشرة ، بل هو ثمار جهد سنوات عديدة ؛ هذا في حين أنه يوجد كثيرون ممن لا يقضون يوما واحدا أو حتى ساعة واحدة في التأمل فيما اقترفوه من خطايا وذنوب . وفي يوم الامتحان يسأل رئيس الجامعة الطالب قائلا : « بماذا تهيب يا أخى عن هذا السؤال ؟ وماذا تقول بالنسبة لهذا الأمر أو ذاك ؟ » وسوف يكتفى الرئيس بمعرفة محصلة الطالب للألفاظ الموجودة في الكتب دون فهم أو إدراك لمعناها ، وذلك خلافا للديان الأعظم ، الذي سيستمع إلى كتاب ضميرنا من أوله إلى آخره دون أخطاء . هذا ، بينما يطالب رئيس الجامعة الطالب بسبع أو ثمان قطع فحسب من الكتاب الذي سيتمحن فيه ، ويعتبر الطالب ناجحا إذا استطاع الإجابة عن ثلاثة أسئلة من أربعة . وثمة فارق آخر هو أن رئيس

الجامعة لا يترأس دائما الامتحان بصفة شخصية ، وذلك حتى يتمكن الطالب الذى يشعر بالرهبة أمامه العزيز أن يحميد الإجابة أمام الاساتذة الذين ينيبهم المدير عنه . ولا يمكن فى هذا المجال أن نذكر شيئا عن الإجماع العام للبحث أو الرسالة التى يتقدم بها الطالب من جميع الحاضرين (١) ، وهو الإجراء الأخير العام الذى لاتزال الجامعات الألمانية نأخذ به حتى اليوم .

وكان يوجد فى جامعة بولونيا فى بادى الأمر امتحان صارم رهيب ، يؤديه الطالب أمام عدد من الدكاترة وقد أقسم كل منهم أن يعامل الطالب المتقدم للامتحان كما لو كان ابنه الشخصى . ثم يتبع هذا الامتحان امتحان آخر على وصفه أحد الطلاب فى خطاب له بعث به إلى ذويه حيث يقول : « رتلوا لرب أنشودة جديدة وامتدحوه بالصنح والطبول . رنموا بالدفوف ذات الرنين العالي لأن ابنكم قد أجاد المناقشة التى حضرها جمع غفير من الاساتذة والطلبة ، وأجاب كذلك عن كل الاسئلة دون الوقوع فى أية أخطاء ، ولم يستطع أحد أن يتغلب على مجادلاته . وفضلا عن ذلك ، فقد أقام مأدبة فاخرة شرفها الاغنياء والفقراء ، ولم يحدث أن أقيمت مثلها من قبل . ولقد بدأ [ابنكم الطالب] فى الوقت المناسب بإلقاء المحاضرات التى أحبها الجميع ، حتى لقد هجر الطلبة حجرات الدراسة الأخرى ، وتوافدوا جماعات يملأون حجرته . » ويحدثنا أيضا نفس هذا الشخص البليغ عن طالب فاشل لم يستطع أن يفعل شيئا أثناء المناقشة ، بل جلس على كرسية كمنزلة ، بينما أطلق عليه الحاضرون لفظ « ساخام » وذلك على سبيل التهكم والسخرية . وقد قدم فى وليته طعاما لا يشجع على تناول المشروبات ، واضطر إلى استئجار عدد من الطلبة لحضور فصوله والاستماع إليه .

(١) يقصد المتحدثين . [المترجم] .

وعندما نتناول المركز الاجتماعي لآساتذة العصور الوسطى ، يجب علينا أن ننظر إليه في ظل نظام اجتماعي لعصر يختلف عن العصر الذي نعيش فيه . حيثندربما نجد أن أقرب الأمور إلى ظروفنا في العصر الحديث ما كان سائدا في مدن إيطاليا ، حيث يوجد الدليل في العصور الوسطى ، كما هو الحال الآن ، على ذلك المركز الممتاز الذي كان يتمتع به العديد من آساتذة الطب والقانون المدني . وكثيرا ما وصل علماء اللاهوت وآساتذة القانون الكنسى إلى رتب ومراكز رفيعة في الجهاز الكنسى ، مثل وظائف الاسقفية والكاردينالية . وإن أوائل الذين وصلوا إلى أعلا المراتب والدرجات السامية من بين الفلاسفة ورجال اللاهوت كانوا قطعا آساتذة في الجامعات ، من أمثال توما الاكوينى والبرت العظيم ^(١) Albertus Magnus وبونافنتورا ^(٢) Bonaventura - هذا الرعيل من الدكاترة الذين كان يغلب عليهم الطابع الملائكى . فكان لا يمكن التغلب عليهم أو دحض آرائهم وحججهم ، كما كانوا ذوى حذق ومهارة ودهاء ، ومعروفين

(١) حول البرت العظيم (١١٩٣ - ١٢٨٠ م) أنظر نمر (١٠١٠ ل) : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العرينى والدكتور ابراهيم أحمد المدوى - ج ٢ (القاهرة : ١٩٥٧) ، ص ٢٦٩ ؛ راجع أيضا Stone, D., France in the Sixteenth Century (New Jersey, 1969), p. 16 ; Calmette, J., Le Moyen Age (Paris, 1948) , p. 601. [المترجم]

(٢) كان القديس بونافنتورا (١٢٢١-١٢٧٤ م) معاصرا لتوما الاكوينى . وهو من جماعة الإخوان الفرنسيسكان ، وكان رئيسا لهذه الجماعة والكاتب الرسمى لسيرة القديس فرنسيس الأسيسى . وهو - بلا شك - أبرز الإخوان الفرنسيسكان وأكثرهم تضامنا في علم اللاهوت . ونجد مثلا واضحا لذلك في تعليقاته على كتابات بطرس المباردى . أنظر من ذلك LaMonte, op. cit., p. 566. - وللمزيد من المعلومات عن حياته ومنهجه ، أنظر هيدالغو : فلسفة العصور الوسطى ، ص ١٢٨-١٢٩ [المترجم] .

للعالم أجمع . وعلى الرغم من أنهم كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان الدومينيكان^(١) أو جماعة الإخوان الفرسييسكان^(٢) ، إلا أن هذا لم يبعدهم عن العالم الدنيوى سوى بعدا جزئيا .

وإذا كان مركز الاساتذة الاجتماعى واحترامهم لأنفسهم يتضمن أيضا

(١) مؤسس جماعة الإخوان الدومينيكان هو القديس الأسباني دومنيك St. Dominic وكان تأسيس هذه الجماعة سنة ١٢١٥ م بهدف مكافحة تيار الهرطقة القدي ظهر فى الكنيسة اللاتينية للكاتوليكية وخارجها فى اواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادى . ومن مبادئهم الوعظ والإرشاد بين الناس حتى اشتهروا أيضا باسم الإخوان المبشرين . ووجه الشبه قريب بينهم وبين الإخوان الفرسييسكان فى التقاليد وطريقة الحياة وفى الامتزاج بالعالم الخارجى : انظر عن ذلك Baldwin, M. W., *The Mediaeval Church* (New York, 1953), p. 60 f.; Painter, op. cit., p. 318 ff. [المترجم] .

(٢) مؤسس جماعة الإخوان الفرسييسكان هو القديس فرنسيس الأسيسى (حوالى ١١٨١ - ١٢٢٦ م) ، وهو يعتبر من الشخصيات البارزة التى أسهمت فى تطور حركة الفسك وتحرر الروح والنفس البشرية فى الحقبة الوسيطة من التاريخ . واما يكن هدف أعضاء هذه الجماعة التى أسسها واتى انتسب إليه البقاء فى أدبرتهم لأداء فرائض العبادة والصلاة فحسب ، وإنما السعى فى الأرض للوعظ والتبشير وتعليم الناس ، مع الفقر والاكتفاء بالكفاف من العيش القدي يمكنهم الحصول عليه بالسكد والعمل اليدوى إذا كان ذلك متوفرا أو بالعدل إذا لم يكن هناك سبيل للكسب : أنظر فسر : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ٢٣٤ وما بعدها . Heer, F., *The Medieval World : Europe 1100 — 1350* (London, 1962), p. 79 ff.; Downs, op. cit., p. 139 ff.; cf. also Monnier, L., *le Histoire de Saint François d'Assise*, 2 vols., Paris & Lyon, 1906. وبخاصة الجزء الأول ص ١٣٤ وما بعدها و١٢٦ وما بعدها و٢١٧ وما بعدها والجزء الثانى ص ١ وما بعدها و٨٩ وما بعدها من الكتاب المذكور [المترجم]

إدارتهم لشئون الجامعة حسبما يؤكد دعاة الإصلاح ، فقد كان العصر الوسيط هو العصر الذهبي لسلطة الأساتذة وميمنتهم . فلقد كانت الجامعة نفسها مجتمعا للأساتذة أكثر منها مجتمعا للطلبة . ولما لم تكن لها في ذلك العصر أوقاف أو هبات توفرت عليها لها وزنها وقيمتها ، فلم يوجد بها مجالس وكلاء أو قيمين ، كما لم يكن ثمة نظام يماثل نظام إشراف الدولة [على الجامعة] كما هو معروف الآن في أوروبا وفي أجزاء عديدة من الولايات المتحدة . ولم تكن هناك ، إطلاقا ، إدارة جامعية بالمفهوم الحديث من هذا الاصطلاح . وكان الأساتذة يستنفدون جل وقتهم في اجتماعات الجامعة المختلفة . لقد كانت الجامعة مستقلة بذاتها إلى حد ما ، وكانت لها شخصيتها التي تتمتع بكل احترام وتقدير . وبذلك لم تتعرض لبعض عيوب نظام يسمح للوكلاء والقيمين أو نواب الملك بالتحدث عن أساتذة الجامعة كما لو كانوا « رجالهم المأجورين » . وأما عما إذا كانت حرية الأستاذ تعتبر مكتملة في ظل هذا النظام ، فهذا موضوع آخر . فلقد كان لهيئة الأساتذة القدرة على ممارسة سلطة تامة في نطاق عملهم ، وإن لم تمتد سلطتهم إلى حد السيطرة على الرأي والتحكم فيه . ولم يكن تحكم الزملاء إلا نوعا من « تحكم الجار الذي يعيش في البيت المجاور » ، وهو ما يبدو أن العالم لم يستطع أن يتجنبه أو يتعاشاه .

تبقى بعد ذلك مسألة حرية الفكر بالنسبة للأستاذ وحقه في أن يقوم بتدريس الحقيقة كما يراها هو ، وهي التي أصبحنا نطلق عليها الحرية العلمية . فن الواضح أن الكثير يعتمد فيما يتعلق بهذا الخصوص على مفهومنا للحقيقة . فإذا كانت الحقيقة شيئا نترصل إليه عن طريق البحث ، فلا بد أن يكون البحث حرا من القيود . ولكن إذا كانت الحقيقة شيئا قد كشفت المصادر النقاب عنه من قبل ،

فن الواجب تنازلها بالشرح والتفسير فحسب . وليس هناك مدعاة للقول بأن الأمر الثاني كان هو مفهوم العصور الوسطى عن الحقيقة ووسائل تدريسها . وكان الرأي السائد ، أن الإيمان يسبق العلم ويحدد أبعاده ويصف أحواله ، . (١) وقد قال أنسيلم (٢) Anselm « إني أؤمن لكي أفهم ، ولكنني لا اقتنى المعرفة كي أحصل على الإيمان . » (٣) وبناء على ذلك ، إذا كان للعقل حدوده وطاقاته ، فواجب العقل أن يكون متواضعا . فقد قال البابا جريجوري التاسع (٤) « لا تتركوا أساتذة جامعة باريس وطلابها يبدون كفلاسة ، ولكن دعوهم يجهلون في سبيل الإيمان ، هذا ، وتكشف كثير من القصص والروايات التي لها دلالتها عن أخطار الفطرسية الفكرية والاعتماد على العقل فحسب ؛ إذ تسلط الاضواء على أساتذة ففقدوا مكانتهم ومراكزهم بسبب خيالاتهم وغرورهم . فوجد إثنين دي تورناي Etienne de Tournay ، بعد أن أثبت عقيدة الثلاث « بكل وضوح وبطريقة يبدو فيها التناقض والانسجام وبكاثوليكية خالصة » ، يؤكد أنه يمكنه بكل سهولة وبكل بساطة أيضا هدم هذا الإثبات . وكانت مسيحية العصور

(١) Alzog, J. B., Manual of Universal Church History (Cincinnati, 1876), II, p. 733.

(٢) حول أنسيلم وأفكاره ، أنظر ماسبق ، ص ٩٩ و ١٠٤ - ١٠٥ و ١٠٧ من الاسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

(٣) وهو بذلك يعبر عن وجهة نظر الكنيسة اللاتينية في العصور الوسطى ، وهي أن العقيدة والإيمان يسبقان الفكر والعقل [المترجم] .

(٤) شغل جريجوري التاسع الكرسي البابوي من سنة ١٢٢٧ م إلى سنة ١٢٤١ م ، وهو الذي أصدر مرسومه المعروف لصالح جامعة باريس سنة ١٢٣١ ، وله آراء وأفكار فيما يتعلق بسيادة الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية [المترجم] .

الوسطى المستقيمة تنظر شذرا إلى مجرد الاجتهاد العقلي ، ذلك لأن الكثير من مناقشات المدارس الجامعة لم تؤدي إلى أية نتيجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد اتضح أن العقل الذي يفكر في أمر ما بحرية تامة ، قد يقع بسهولة في المهرطقة . لذلك أقامت كنيسة العصور الوسطى [في الغرب] نوحا خاصا من المحاكم عرفت باسم محاكم التفتيش مهمتها اكتشاف أمر البدع والمهرطقات وإدانتها ومعاينة مبتدعيها (١) .

هكذا كانت الأحوال السامة للأساتذة . فماذا كان ، إذن ، الموقف على حقيقته ؟ كانت الحرية ، في الواقع ، مكفولة بوجه عام ، فيما عدا ما يتعلق بالفلسفة وعلم اللاهوت . لقد كان الأساتذة يتمتعون بحرية تامة في إلقاء المحاضرات والمناقشات في القانون والطب والنحو والرياضيات . ولم يصادفوا أية متاعب لأنه لم تكن توجد مشاكل اجتماعية يفهمها الحديث ، كذلك لم يكن تدريس العلوم الاجتماعية كما هو الحال الآن . وبقدر معرفتنا لم يدان أى أستاذ في العصور

(١) اقدمانى المصلحون والمراطقة الدينيون في الغرب العصور السكتير من صنوف الاضطهاد والتنكيل ، وبخاصة خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي . فقد امتازت هذه الفترة بظهور محاكم التفتيش الدينية خلال بايوية كل من جريجوري الخامس والوسنت الرابع ، والتي كانت تنقل عن عموم حوله شبهة المهرطقة أو الخروج على تعاليم الكنيسة اللاتينية السكاوليكية حتى صنوف التعذيب . أنظر في ذلك Bell, M. I. M., A Short History of the Papacy (London, 1921), p. 171 ; Turberville, — op. cit., pp. 145 ff. راجع أيضا على مظهر : محاكم التفتيش (القاهرة : ١٩٤٧) ، س ٤٩ وما بعدها . [المترجم] .

الوسطى لأنه بشر بحرية التجارة أو حرية استخدام الفضة (١) أو الاشتراكية (٢)، أو ما إلى ذلك من أمور. وفوق هذا وذاك، بينما كان من الجائز أن تحرق علنا الرسائل والمقالات الفردية كما كان يحدث في العصر المتأخر للإمبراطورية الرومانية، إلا أنه لم توجد رقابة منظمة على الكتب قبل القرن السادس عشر.

وننتقل الآن إلى الحديث عن الفلسفة واللاهوت. لقد كانت المشكلة تكن، بطبيعة الحال، في علم اللاهوت. أما الفلسفة فقد كانت عمرة طليقة غير مقيدة

(١) اعتبرت كنيسة العصور الوسطى التجارة عملا مردولا وكسبا غير حلال، ولهذا قاومتها وحاربتها دون رفق أو هوادة. وكان الربح الناتج عنها، في نظرهم، خطارا على الحياة الروحية، ولذلك وقع التجار تحت طائلة القوانين الكنسية. وما يقال عن العبارة يقال أيضا عن الربا، وهو إقراض المال مقابل فوائد. وكان الربا، في نظر الكنيسة، خطيئة مميته باعتباره هو الآخر محرما صراحة في الكتاب المقدس. وكان هذا هو موقف كثير من البابوات والمفكرين واللاهوتيين من هاتين المشكلتين، من أمثال البابا جريجوري التاسع والقدوس توما الأكويني. ولكن مع ظهور التجارة النامية في أوروبا اعتبارا من القرن الثاني عشر، وما ترتب على ذلك من ظهور مشكلات الربح والربا التي أصبحت مسألة حياة أو موت بالنسبة لحرية التجارة، استمدى الأمر البحث عن وسائل وحلول تتفق والأوضاع الجديدة التي طرأت على المجتمع الغربي في أواخر القرون الوسطى، وأصبح الانجساح الغالب هو التساهل والتسامح والتخفيف في وقت كانت فيه أوروبا تمر بفترة تغير وانتقال من العصر الوسيط إلى عصر النهضة، وفي وقت كان فيه كل شيء في تغير تدريجي مستمر. أنظر كولتون: عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة (الترجمة العربية)، ص ٢٨٧ — ٣٠٣؛ راجع أيضا Pirenne, H., Economic and Social History of Medieval Europe (London, 1961), p 14 f., 28 f. [المترجم].

(٢) حول الاشتراكية في المسيحية، أنظر كولتون: عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ص ٢٨٨ و ٢٩٤، ح ٣١٦، ح ١ [المترجم]

طالما لم تمس المسائل اللاهوتية . هذا من جهة . ولكن من جهة أخرى كانت الفلسفة مهيأة تماما لأن تمس المسائل اللاهوتية وتمرض لها . وكانت الحرب قائمة بصفة متقطعة طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر بين اللاهوت المسيحي والفلسفة الوثنية ممثلة في مؤلفات أرسطو . وقد بدأها بطرس أبيلارد عندما حاول تطبيق منهجه المنطقي على البحث اللاهوتي ، واستمر الحال على هذا المتوال عندما شجع معاصره جيلبرت دي لا بوريه (١) Gilbert de la Porrée على الإكثار من استخدام منطق أرسطو في التسأل في المسائل اللاهوتية . وفي نهاية القرن الثاني عشر كانت العقول قد تشربت تقريبا هذا المنطق الجديد ، New Logic . ثم جاءت بعد ذلك كل من الفلسفة العقلية (٢) والفلسفة الطبيعية لأرسطو مع تعليقات العرب عليها . وقد كانت دراستها ممنوعة رسميا في جامعة باريس في عامي ١٢١٠ م و ١٢١٥ م . وفي عام ١٢٣١ م طلب البابا (٣) أن «تفحص [هذه الأفكار] وتظهر من كل شك في أي خطأ وارد بها .» ولكن في عام ١٢٥٤ م أصبحت هذه الدراسات جزءا من المنهج الدراسي في الآداب . ولم يتم تصحيحها أو تنقيتها ، وإنما أصبحت مسيرة لمفهوم الإيمان المسيحي . وبعد ذلك بجيل كانت هناك انتكاسة بظهور الرشدية (٤) Averroism ، مؤكدة مذهب أرسطو في المادة وعدم فناؤها وتحديد الأجرام السماوية لما يحدث على الأرض

(١) جيلبرت دي لا بوريه يعتبر من أبرز تلامذة الفيلسوف بطرس أبيلارد ، وقد أدين بالهرطقة بسبب الآراء التي كان يناهض بها ، انظر LaMonte, op. cit., p. 565 [الترجم]

(٢) وتعرف أيضا باسم ميثافيزيقيا ، أي علوم ما وراء المادة [الترجم] .

(٣) هو البابا جريجوري التاسع [الترجم] .

(٤) نسبة إلى ابن رشد ، وحول الرشدية اللاتينية وأثرها في الغرب أنظر عبد الرحمن

بدوي : فلسفة العصور الوسطى ، ص ١٦١-١٦٥ [الترجم] .

من أفعال . ولقد أدان أسقف باريس في عام ١٢٧٧ م مائتين وتسعة عشر خطأ لهذه الجماعة (١) ، وهو نفس الأسقف الذى انتهر الفرصة لإعلان أسفه لإحجام طلبة الآداب أنفسهم فى المسائل اللاهوتية . وخلال هذه الفترة كانت آراء أرسطو وأفكاره كلها تعلم وتدرس فى [جامعة] باريس . كما استخدم توما الاكوينى طريقته فى بناء صرحه الضخم لعلم اللاهوت المدرسى . وقد اختص آخرون بتأمل فلسفى واسع النطاق ، وكان باستطاعتهم عندما تواجههم المتاعب لإنقاذ أنفسهم بالالتجاء مرة أخرى إلى المذهب القائل بأن ما يصدق فى الفلسفة قد لا يصدق فى اللاهوت ، وأن العكس هو الآخر صحيح .

هذا ، وفيما يتعلق بموضوع حرية التعليم ، فقد أطلعت على جميع المستندات الخاصة بالقرن الثالث عشر المحفوظة فى دار الارشيف والسجلات فى باريس Paris Chartularium ، ولم أعر على ما هو جديد خلاف ما ذكرت من عجاياة ومجادلات عظيمة . ففى عام ١٢٤١ م فحص رئيس الجامعة وأساتذة اللاهوت بها مجموعة من عشر مخالفات وأدانوها ، وهى عبارة عن سلسلة من المقالات والقضايا العويصة المجردة التى تتعلق بإثبات جوهر الطبيعة الإلهية والملائكة والمقر الفعلى للأرواح الممجة فى العالم الآخر ، سواء أكان ذلك فى السماوات العليا أم فى السماء الشفافة . ويبدو أن أستاذا يدعى ريموند Raymond كان قد سجن عام ١٢٤٧ م لأخطاء ثبتت عليه ، وذلك وفقا للشورى التى أبدأها أساتذة اللاهوت . كما حرم أستاذ آخر يدعى جون دى بريسكان John de Brescaïn من حقه فى التدريس بسبب أخطاء معينة فى المنطق ، بدت أقرب

(١) وهى مقالات كان يتم فحصها وإعلان ما بها من ابتداع ومخالفة للدين [المترجم] .

ما تكون إلى الهرطقة الأريوسية . (١) وبذلك اختلطت الموضوعات المتعلقة بطبيعة المسيح الذين وضع حدودهما الآباء [الأول في المسيحية] (٢) .

(١) نسبة إلى كاهن سكندري يدعى اريوس Arius ، وقد انفجرت بدعته إلى ما وراء الحدود المصرية داخل الامبراطورية الرومانية الشرقية وخارجها ، وبين الأمم الجرمانية بصفة خاصة ، وتلخص بدعته في أن المسيح مخلوق وهو يشبه الله الأب ، ولكن طبيعته تختلف عن طبيعة الأب الذي كان موجودا قبله ، غير أن عمل الأب انتهى بخلق الابن بنفحه من روحه القدس في العذراء مريم ، وهذا الابن خلق العالم . وقد تصدى لأريوس في المجمع المسكوني الأول الذي عقد عام ٣٢٥ م في مدينة نيقية تحت رئاسة الإمبراطور قسطنطين الكبير أنطاسيوس السكندري الذي أصبح فيما بعد بطريركا على الاسكندرية ، ودحض حجج اريوس حتى قرر المجمع خطأ نظريته وحرمان اريوس من السكينة واعتبار حركته هرطقة . انظر عن ذلك Chadwick, H., *The Early Church* (London, 1969), pp. 129 f., 133 ff.; Stanley, D., *Lectures on the History of the Eastern Church* (London, 1924), pp. 130, 143, 155 ff. [المترجم]

(٢) كان ذلك في المجمع المسكوني الرابع المعروف بمجمع خلقيدونية الذي عقد عام ٤٥١ م بدعوة من الإمبراطور البيزنطي مارشيان (٤٥٠—٤٥٧ م) ، فنظر والبحث في مسألة الطبيعة والمشيئة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح . وكانت هذه المسألة تعتبر وقتها من أخطر المسائل التاريخية . وقد أخذ الحزب الأوروبي فيها بالقول الأول ، بينما ظل الحزب المصري عاقفا على مبدأ الطبيعة والمشيئة الواحدة بالرغم من انحياز أغلبية المجمع للرأي الآخر . وبلا حظ أن النزعات السياسية اتخذت مكانا لها وراء الجدل الديني لأول مرة في تاريخ هذا المجمع وما أصدره من تاليم وقرارات أثارت موجة من الجدل والخلافات المذهبية التي اهتز لها كيان العالم المسيحي بصفه انظر عن ذلك Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, pp. 55, 59, 72, 96 f.; Baynes, N. H. & Moss, H. St. L. B. (eds.), *Byzantium* (Oxford, 1953), pp. 99 ff., 215 ; Bury, J. B., *History of the Later Roman Empire*, vol. II (New York, 1958), pp. 65, 357 ff. [المترجم]

وحوالى عام ١٢٥٥ م كانت باريس تغلى غليانا بسبب ما أطلق عليه اسم « الإنجيل الخالد » (١) Eternal Gospel . وهو عبارة عن رسالة تتضمن رؤيا رمزية تتلأأ بعدد جديد للروح يبدأ فى عام ١٢٦٠ م ، وهو العام الذى يجب أن يبطل فيه العمل بالعهد الجديد ويعزل البابا وهيئة رجال الدين . وعندما اعتنقها بعض الأفراد التقدميين من جماعة الإخوان الفرنسيسكان ، أصبحت هذه العقائد مجالا لصراع طويل مع الجماعات الرهبانية التى من مبادئها التسول فى طلب الصدقة والإحسان ، واسكن دون الوصول إلى نتائج حاسمة قاطعة . وفى عام ١٢٧٧ م وصل إلى باريس منشور يحتوى على ثلاثين مخالفة فى الآداب أداهاها جامعة أكسفورد ليس باعتبارها هرطقة ، وإنما لأنها كانت تكفى لعزل الأستاذ الذى يقوم بتدريسها . ولكن عندما نجهد الأساتذة فى الجامعات يلغون حالات الإسم ونهايات الأفعال فى اللغة اللاتينية (٢) [أى عندما يتحدثون بصيغة الغائب] ، فلما نشر بمطاف أكثر نحو الطلاب السيء الحظ أكثر من إشفافنا على الأسانذة المعزولين أنفسهم . وإن هذا ليزكرنا بالتعريف الحديث للحرية العلمية بأنها « من حق الفرد أن يعبر عما يفكر فيه ، واسكن دون التفكير فيما يقوله شخص ما »

(١) هو عبارة عن سفر رمزى من أسفار العهد الجديد يتميز بغموضه الشديد ، وقد وضعه شخص يدعى يوحنا اللاهوتى من جزيرة باتموس فى عهد الإمبراطور دوميشيان Domitian ، وفيه يدعى كاتبه أنه يكشف عن مستقبل المسيحية بعد زوال مملكة المسيح الدجال . أنظر كولون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة (الترجمة العربية) ، ص ٥٥ وح ٢ . [المترجم] .

(٢) كأن يقول باللاتينية ego currit, tu currit ، أى بصيغة الغائب ، وترجمتها « أنا يجرى ، أنت يجرى » ، وهكذا . وذلك بدلا من التصريف للمادى وهو « أنا أجرى ego curro » و « أنت تجرى tu curris » ، وهكذا [المترجم] .

هذه هي الأمثلة الملحوظة فقط فيما يتعلق بالتدخل في حرية التعليم عندما يفرض الفرد في زوابع التأملات اللاهوتية ، وكان ذلك في أكثر فترات تاريخ العلم حيوية ونشاطا . وهنا يجب أن نقرر أنه كان يوجد قدر كبير من الحرية الحقيقية . ولقد ثارت كل المصاعب والمشاكل تقريبا بما كان يعتبر هرطقة تمس المسائل اللاهوتية ، أو إفراطا في التطفل في المسائل والأمر اللاهوتية من جانب أولئك الذين كان ينقصهم التدريب والتعمق في علم اللاهوت . وأما أولئك الذين ارتبطوا بوظائفهم ارتباطا وثيقا ، فيبدو أنهم قد تركوا وشأنهم بصفة عامة . وكما أجاب المشرع العظيم كوجاس (١) في القرن السادس عشر عندما سألوه إن كان على المذهب البروتستانتي أم المذهب الكاثوليكي ، فرد بأن هذا الأمر ليس من اختصاصهم (٢) . وحتى فيما يتعلق بمجال الدراسات اللاهوتية والفلسفية الذي كان موضع رعاية أكثر من غيره ، فن المشكوك فيه أن وجد الكثيرون أنفسهم وقد ضيق الخناق عليهم . ولم يشعر الناس بالقيود المتعلقة بحرية إبداء الرأي مثلما تشعر بها الآن ، بعد أن قبلوا مبدأ سيادة القانون باعتباره نقطة البداية [في أي أمر من الأمور] . فلا يعتبر هذا الحاجز عائقا بالنسبة لأولئك الذين لا يوردون الخروج منه . وإن العديد من الحواجز والعقبات التي كانت تبدو غير محتملة في عصر زاد فيه الشك والإلحاد ، لم يشعر رجال العلم في

(١) هو المشرع والقانوني المعروف جاك كوجاس (١٥٢٠ — ١٥٩٠ م) .

ولمزيد من المعلومات عنه أنظر . Stone, op. cit., pp. 136 , 138, 169 .

[المترجم] .

(٢) وباللاتينية : « Nihil hoc ad edictum praetoris » ، وترجمتها

الحرية : « إن هذا ليس من اختصاص السيد الرئيس » . [المترجم] .

ظلمها بأنها حواجز أو موانع . فهو حر من يشعر فيما بينه وبين نفسه بأنه حر طليق .

وعلاوة على ذلك ، فن السهل على أولئك الذين اعتادوا على التناقضات الواسعة والفجوات العميقة في وجهات النظر المتباينة في العالم الحديث ، أن يكونوا صورة زائفة غير حقيقية عن تطابق الفكر واتساقه في العصر الوسيط . فلم تكن الفلسفة المدرسية ذات طابع واحد ، وإنما كانت متعددة الجوانب والزوايا كما يذكرنا مؤرخوها على الدوام . ولقد ثارت المنازعات واحتدم الجدل والنقاش بين المدارس المختلفة . وكانت الخلافات في الآراء حادة عنيفة ، مثلما كانت بين الإغريق القدماء ، أو كما هو الحال في عصرنا الحالي . وإن بدت الاختلافات في معظم الأحيان عقيمة عديمة الأهمية والجدوى أو غير حقيقية لمن ينظر إليها من بعد ، إلا أنه برسنا أن نضعها في قالب حديث . وذلك ، على سبيل المثال ، بالاتجاه إلى المشكل القديم الخاص بطبيعة التصورات الكلية التي فرقت بين الإسميين Nominalists والواقعيين Realists في العصور الوسطى . فهل السكليات هي مجرد أسماء ، أم أن لها وجود جدى مستقل عن تحققها ؟ (١) وقد يبدو الأمر برمته سقيا إذا اعتبرنا المسألة مسألة منطق فحسب ، ولكنه مثير حقا بمجرد أن يصبح

(١) المقصود بذلك مشكلة السكليات ، وفناها هل توجد السكليات من حيث هي خارج الذهن ، أم هل توجد داخل الذهن ، أم أنها لا توجد على الإطلاق ، ويوجد الجزء فحسب ؟ وقد كان على رأس الإسميين ولما أوكهام ومدرسته وعلى رأس الواقعيين توما الأكويني ومدرسته [المترجم] .

مسألة حياة . ذلك أن جوهر حركة الإصلاح الديني (١) يكمن بدون شك فيما إذا كنا ننظر إلى الكنيسة من وجهة نظر إسمية أم من وجهة نظر واقعية . وتعتمد المشكلة الرئيسية المتعلقة بالسياسة ، إلى حد كبير ، على وجهة النظر الإسمية أو الواقعية للدولة . ولا شك أنه في سبيل وجهتي النظر الخاصتين بهذه المشكلة مات الملايين من الناس بطريقة فظلة ، وبدون وعى ، وفي معظم الحالات وهم غير مدركين لنقاط الخلاف العميقة للسلطة السياسية التي حاربوا من أجلها ، ولكنهم مع ذلك يفهمونها عندما يعبر عنها بشكل ملبوس متناسك ، وذلك بوضع مصلحة الدولة فوق مصلحة الأفراد .

وهكذا ، كثيراً ما عالج أستاذ العصور الوسطى الاهتمامات والمصالح الإنسانية الدائمة في زمنه وبأسلوبه الخاص ، عندما شحذ عقول الناس وأبقى على التقليد العلمي المتصل حياً متقدماً .

(١) المقصود بذلك الحركة اللوثرية في القرن السادس عشر نسبة إلى زعيمها مارتن لوتر الذي نادى بالخروج على كل ما انتجته الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية من تعاليم وأفكار ، وقت كانت فيه هذه الكنيسة قد فقدت سيطرتها العالمية وذات هيبتها وقدرتها وأخذ الناس ينفضون من حولها ويتشككون فيها بسبب الانحلال الذي دب في كيائها . وقد كان لهذه الثورة البروتستانتية المعارضة آثارها في قيام ما عرف في تاريخ الكنيسة الرومانية باسم حركة الإصلاح الكاثوليكي في القرن السادس عشر ، والتي أهدت إلى الجهاد الكنسي البابوي في الغرب بعض ما كان له من مكانة وهيبة في بداية المسيحية . انظر من ذلك Mackie, J. D., *The Earlier Tudors* (Oxford, 1966), p. 337 f. et seq.; Vidler, A. R., *The Church in an Age of Revolution* (London & Beccles, 1968), pp. 215, 239, 258; Cragg, *The Church and the Age of Reason*, pp. 93 ff, 101, 103, 212, 215, 228 f. [276 المترجم] .

بعض المراجع للفصل الثاني (١)

- Artz, F.B., *The Mind of the Middle Ages, A.D. 200—1500: A Historical Survey*. New York, 1954.
- ويتضمن كتاب ف.ب. آرتز قائمة ممتازة بالمراجع المتعلقة بالفكر في العصور الوسطى .
- Bolgar, R.R., *The Classical Heritage and Its Beneficiaries*. Cambridge, 1954.
- Boyce, G.C., "American Studies in Medieval Education," *Progress of Medieval and Renaissance Studies*, XIX (1947), pp. 6—30.
- Breen, Q., "The Twelfth-Century Revival of the Roman Law," *Oregon Law Review*, XXIV (1944—1945), pp. 244—287.
- Castiglioni, A., *A History of Medicine*. New York, 1941.
- Cavazza, F., *Le scuole dell'antico studio bolognese*. Milan, 1896.
- ويعتبر كتاب ف. كافاتزا أفضل ما كتب عن حركات الدراسة في جامعة العصور الوسطى .
- Chambon, F. (ed.), *Robert de Sorbon's De conscientia*. Paris, 1903.
- Crombie, A.C., *Augustine to Galileo : The History of Science, A.D. 400—1650*. London, 1952.
- Cubberley, E.P., *Syllabus of Lectures on the History of Education, with Selected Bibliographies*. New York, 1902.
- يتضمن كتاب أ.ب. كوبرلي قائمة مفصلة بالمراجع المتعلقة بالتعليم .
- Drane, A.T., *Christian Schools and Scholars*. New York, 1909.
- Duhem, P., *Le système du monde de Platon à Copernic*. 5 vols. Paris, 1913—1917.
- Eckstein, F.A., *Lateinischer Unterricht*. Leipzig, 1882.
- Eckstein, F.A., *Lateinischer und griechischer Unterricht im Mittelalter*. Ed. by H. Heyden. Leipzig, 1887.

(١) أنظر قائمة المراجع المذيل بها الفصل الثامن من كتاب كولتون (ج.ج.) : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق د. جوزيف نيم يوسف - ط. ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ٢٣٨ - ٢٤٦ ، فهي تتضمن مراجع في تاريخ الحضارة والثقافة في العصر الوسيط بعامة ، ومراجع متخصصة في حرية الفكر وفي الحياة العقلية ، بها فصول عن العلم والتعليم وقتذاك .

- Gilson, E., *History of Christian Philosophy in the Middle Ages*. New York, 1955.
- Grabmann, M., *Geschichte der scholastischen Methode*. 2 vols. Freiburg, 1909—1911.
- Grabmann, M., *Mittelalterliches Geistesleben, Abhandlungen zur Geschichte der Scholastik und Mystik*. 3 vols. Munich, 1926—1956.
- Graves, F.P., *A History of Education During the Middle Ages and the Transition to Modern Times*. New York, 1910.
- Haskins, C.H., *Studies in the History of Mediaeval Science*. Cambridge, Mass., 1927.
- Haskins, C.H., "The Early 'artes dictandi' in Italy," *Studies in Mediaeval Culture* (Oxford, 1929), pp. 170—192.
- Haskins, G.L., "The University of Oxford and the 'ius docendi'," *English Historical Review*, LVI (1941), pp. 281—292.
- Hight, G., *The Classical Tradition*. New York & London, 1949.
- Laistner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe, A.D. 500—900*. London, 1957.
- Leach, A.F., *Educational Charters and Documents, 598—1909*. Cambridge, 1911.
- Leach, A.F., *Some Results of Research in the History of Education in England with Suggestions for Its Continuance and Extension*. Oxford, 1915.
- Liebeschuetz, H., *Medieval Humanism in the Life and Writings of John of Salisbury*. London, 1950.
- Masius, H., *Die Erziehung im Mittelalter*. Stuttgart, 1892.
- Monroe, P., *Syllabus of a Course of Study on the History and Principles of Education*. New York, 1911.
- ويشتمل المؤلف ب. مونرو قائمة بالمراجع الخاصة بالتعليم .
- Monroe, P. (ed.), *A Cyclopedia of Education*. 4 vols. New York, 1911—13,

- Norton, A.O., *Readings in the History of Education : Mediaeval Universities*. Cambridge, Mass., 1909.
- ويشتمل كتاب أ.أ. نورتون على دراسة قيمة عن كتاب «نم ولا» للفيلسوف بطرس ابيلارد.
- Pactow, L.J., *The Arts Course at Medieval Universities with Special Reference to Grammar and Rhetoric*. Urbana, Ill., 1910.
- Pactow, L.J. (ed. & tr.), *Henri d'Andeli's La bataille des VII arts*. Berkeley, Cal., 1914.
- Paulsen, F., *Das deutsche Bildungswesen in seiner geschichtlichen Entwicklung*. Leipzig, 1906.
- Poole, R.L., *Illustrations of the History of Mediaeval Thought and Learning*. London, 1920.
- Post, G., "Alexander III, the 'licentia docendi', and the Rise of the Universities," *C.H. Haskins Anniversary Essays*. (Boston, 1929), pp. 255—277.
- وتحدث ج. بوست في مقاله عن «إجازة التدريس في الجامعة».
- Post, G., "Master's Salaries and Student-fees in the Mediaeval Universities," *Speculum*, VII (1932), pp. 181—198.
- بينما تناول في هذه المقالة موضوع المصروفات الجامعية ومراتب الأساتذة.
- Post, G., Giocarinis, K. & Kay, R., "The Medieval Heritage of Humanistic Ideal i "scientia donum Dei est, unde vendi non potest," *Traditio*, XI (1955), pp. 195—234.
- Richardson, H.G., "Letters of the Oxford dictatores," *Oxford Historical Society, n.s.*, V (1942), pp. 329—450.
- Riesman, D., *The Story of Medicine in the Middle Ages*. New York, 1936.
- Sandys, J.E., *A History of Classical Scholarship*, Vol. I. Cambridge, 1921.
- Sarton, G., *Introduction to the History of Science*. 3 vols. Baltimore, 1927—1948.
- Schmid, K.A., *Enzyklopädie des gesamten Erziehungs-und Unterrichtswesens*. Ed. by W. Schrader, 10 vols. Gotha & Leipzig, 1876—87.

- Sikes, J.G., Peter Abailard. Cambridge, 1932.
- Smith, D.E., History of Mathematics. Boston & New York, 1923—1925.
- Specht, F.A., Geschichte des Unterrichtswesens in Deutschland von den ältesten Zeiten bis zur Mitte des 13 Jahrhunderts. Stuttgart, 1885.
- Taylor, H.O., The Mediaeval Mind. 2 vols. New York, 1959.
ويعتبر كتاب هـ. ا. تايلور من المراجع العامة التي تتميز بأهميتها البالغة فيما يتعلق بموضوع العلم والتعليم في العصور الوسطى. هذا، وقد اعتمد شارل هومر هاسكنز في كتابه «نشأة الجامعات» على الطبعة الرابعة من مؤلف تايلور، وهي طبعة كامبريدج سنة ١٩٢٥.
- Taylor, W.J., A Syllabus of the History of Education. Boston, 1909.
- Thorndike, L., History of Magic and Experimental Science. 6 vols. New York, 1923—1941.
- Vinogradoff, P., Roman Law in the Middle Ages. Oxford, 1929.
- Watson, F. (ed.), An Encyclopaedia and Dictionary of Education. 4 vols. London, 1921—22.
- Webb, C.C.J., John of Salisbury. London, 1932.
ويعتبر مؤلف ويب من أفضل ما كتب عن جون أوف ساليسبوري حتى الآن.
- Wieruszowski, H., "Ars dictaminis in the Time of Dante," *Medievalia et Humanistica*, I (1943), pp. 95—108.
- Wieruszowski, H., "Arezzo as a Center of Learning and Letters in the Thirteenth Century," *Traditio*, IX (1953), pp. 321—391.
- Wulf, M. de, History of Mediaeval Philosophy, Vol. I, trans. from the 6th French ed. by E.C. Messenger. New York, 1952.

الفصل الثالث

طالب العصور الوسطى

مصادر معلوماتنا عن طالب العصور الوسطى :

المصوبات التي تكتنف معالجة موضوع حياة الطالب في العصور الوسطى - مصادر معلوماتنا عنه : سجلات المحاكم ، اللوائح الجامعية ، الخوليات ، عظات المبشرين ، قصائد الشعراء - أهمية هذه المصادر في الكشف عن حياة الصنخب والهبوط التي انغمس فيها بعض الطلبة ، وحياة البؤس والشقاء التي كان يحياها البعض الآخر .

كتاب الطالب :

قاموس الطالب - دليل الطالب - كتاب فن المحادثة - تقيوم هايدلبرج - بعض المختصرات الأولية للسلوك والآداب - كتيب في فن الحديث والمجاملات وكيفية قضاء الطالب يومه الدراسي - كتابا التأديب وآداب المائدة - كتاب الإتيكيت وآداب السلوك .

خطابات الطلبة ومراسلاتهم :

رسائل الطلبة تسلط الأضواء على ظروف الحياة الجامعية - معظمها مجرد نماذج صماء وقوالب جامدة - خلوها من العنصر الشخصي أو الفردي - طالب المال هو أغنية الطالب الأولى ، - مخطف الحجاج والأعداء التي يتعلل بها الطالب للحصول على المال من الأهل والأقارب .

أشعار الطلبة وقصائدهم :

الطلبة المتجولون - الجولياردون والشعر للغنائى الجولياردى - المواضيع التي يتناولها هذا الشعر : الخمر ، النساء ، الحياة المنطلقة المتحررة ، الهجاء ، التهكم على الجهاز الكنسى البابوى - تقييم الشعر الجولياردى والشعراء الجولياردين ، ونماذج من أشعارهم .

خاتمة :

حياة الطالب المثالي المجد الوقور ، ومدى كشف شعر العصر ووثائقه
عنها - أهمية الوثائق والمستندات المتعلقة بالجانب التعليمي في الجامعة
في الكشف عن حياة الطالب - الكتاب الجامعي - الإنتاج الأدبي للطلبة
يعبر عن صوت المجموع وليس صوت الفرد - أوجه الشبه والخلاف بين
طالب الأمس وطالب اليوم .

لقد قال الاساتذة أكثر من مرة ، تعد الجامعة مكانا مريحا للغاية لو أنها لم تكن للطلبة . ، وإذا كنا قد تحدثنا حتى الآن عن الجامعات من وجهة نظر الاساتذة ، فقد جاء دور الحديث عن الطلبة . وسواء اعتبرنا هؤلاء شرًا لا بد منه ، أو نظرنا إليهم باعتبارهم السبب الرئيسي في وجود الجامعة ، فن المؤكد أننا لا نستطيع تجاهلهم أو أن ننقض الطرف عنهم . فلم تكن جامعة العصور الوسطى كتبية من الضباط ، بل كانت مجتمعا من المدرسين والدارسين ، أو من الاساتذة وطالبي العلم . لذا يجب أن نوجه عنايتنا إلى هذا العنصر الثاني الأكثر عددا .

لقد بدا طالب العصور الوسطى في صورة أكثر غموضا من مدرسيه ، لأنه كفرد أقل وضوحا ولفتا للنظر . وعلى هذا يجب أن ننظر إليه في مجموع الطلبة . وفصلا عن ذلك ، فإن المجتمع الطلابي يختلف اختلافا بينا من حيث الزمان والمكان ، ومن هنا تبدو العموميات والتعميمات في هذا الصدد صعبة . فإ ينطبق على عصر ما أو جامعة بذاتها ، قد لا ينطبق على العصور والجامعات الأخرى . ويكفى القول إننا إذا نظرنا إلى الجامعات الأمريكية التي تعتبر أحدث عهدا من غيرها ، نجد الاختلافات شاسعة بين طلبة جامعة هارفارد في القرن السابع عشر وبين طلبة جامعتي وليم وماري في القرن الثامن عشر وجامعة كاليفورنيا في القرن التاسع عشر وجامعة كولومبيا في القرن العشرين . فمن المستحيل ، إذن ، أن نعطي صورة صادقة مما استطعنا جمعه بدون تمييز من المصادر المختلفة المتنوعة . ويبدو أننا لا نستطيع أيضا أن نصف حياة الطالب في العصر الوسيط وصفا دقيقا ما لم ندرس ظروف كل جامعة من جامعات هذا العصر دراسة زمنية كرونولوجية . ولم يحاول أحد معالجة هذا الموضوع الأولى معالجة متسقة منظمة .

وليس أماننا الآن أكثر من أن نشير إلى المصادر الرئيسية التي استقينها منها معلوماتنا ، وما تلقيه من أضواء على حياة الطالب .

وقد استطعنا ، لحسن الحظ ، أن نحصل على كمية وافرة من المادة التي تعالج شئون الطلبة بطريقة مباشرة تقريبا ، وذلك من الشذرات المتناثرة [في المصادر والأصول] التي خلفتها لنا العصور الوسطى . فهناك ، أولا ، سجلات المحاكم التي احتفظت من وقت إلى آخر بنبذ حية معبرة عن الحياة في العصور الوسطى ، وذلك ضمن التفاصيل الجوهرية لحوادث الاضطراب والشغب البسيطة والإساءات المتكررة الحدوث . مثال ذلك قضية الطالب البولوني الذي هوجم في قاعة الدرس بسيف محدد ، الأمر الذي ترقب عليه إلحاق أضرار بالغة وخسارة فادحة بأولئك [الطلاب] الذين تجمعوا للاستماع إلى محاضرة دكتور في القانون رفيع القدر عظيم المكانة . ومثال آخر ذلك الطالب الذي هاجمه أحد الكتبة في عام ١٢٨٩م في الشارع أمام قاعة المحاضرات ، فأصابه بجرح في رأسه نتيجة قذفه بحجر ، فتفجر الدم بغزارة من رأسه ، بينما قدم زميلان لمساعدته مقدمين النصيح له قائلين : « هيا .. أضربه .. أضربه .. » وما أن وقعت الجريمة حتى ولوا الإدبار . وهكذا تروى ملفات المدعين العموميين في اكسفورد الكثير عن أعمال العنف الدموية التي وقعت في المدينة ، وكذلك حوادث الشغب والفوضى بين طلاب الجامعة . هذا ، ويكشف السجل الذي نشر حديثا لعامى ١٢٦٥ و ١٢٦٦ م كيف شرع طلبة بولونيا بهمة في الحصول على المال بالالتجاء إلى الاقتراض أو بيع الكتب الدراسية .

وهناك بطبيعة الحال ، لوائح الجامعة والكتليات التي تثبت الأمور الممنوعة والمحرمات ، والغرامات الموقعة على المخالفات ، والتي تنظم كذلك موضوعات المناقشة ، وتحدد شكل ولون غطاء الرأس والأرواب ، تلك الملابس الجامعية

التي كان الطلبة يرتدونها ، والتي تبدو لنا اليوم من مخلفات العصور الوسطى ، والتي بدت في شكل حديث تماما عندما اتخذت في وقتنا هذا طابعها الأمريكي المعروف ، كذلك حرصت تلك اللوائح على أن تتضمن المسائل القانونية الهامة ؛ ومثال ذلك المادة التي تحرم على طلبة أى كلية جامعية قذف الكنيسة بالحجارة ، أو العقوبات المتدرجة في جامعة ليبزيج التي كانت توقع على الطالب الذي يتناول شيئا ليقتذف به أستاذه . ويستوى في ذلك من يقتذف أستاذه ولا يصيبه ومن يقتذفه ويحدث به إصابة تلحق به الضرر . وكثيرا ما يتوقف كتاب الحوليات عند سرد رواياتهم عن أعمال الملوكة والأمراء ليقصوا شيئا عن الطلبة وتصرفاتهم ، ولو أنهم ركزوا انتباههم ، كما تفعل الصحف الحالية التي خلقتهم في العصر الحديث ، على ثورات عصيان الطلبة وأفهامهم الخارجية على القانون ، أكثر من توجيه اهتمامهم إلى الروتين اليومي المستمر للحياة الأكاديمية .

ويأتى بعد ذلك دور مبشرى العصر . فقد كان الكثيرون منهم أساتذة أيضا ، وقد تضمنت عظاتهم الكثير من التلميحات عن عادات الطلبة وطباعهم . ونستطيع أن نتخذ من مبشرى باريس في هذا العصر دليلا كافيا على عدم صحة الوم القائل بأن جامعة العصور الوسطى قد كرست نفسها لدراسة الإنجيل والتربية الدينية ، هذا إن كنا بحاجة إلى دليل آخر بالإضافة إلى ما تقدم . يقول أحد هؤلاء المبشرين ، إن قلب الطالب كان متمرغا في حاة الوحل ، متعلقا بالديويات ووسائل إشباع رغباته منها . ، لقد كان الطلاب كثيرى التخاسم والتشاحن حتى أنهم لم يعرفوا السلام . وأينا ذهبوا وحيثما حلوا ، وسواء أكان ذلك في باريس أم في اورليانز ، فقد كانوا يقلقون أمن البلد الذى يحملون به ، كما كانوا يقلقون راحة زملائهم ، حتى أن الجامعة نفسها لم تسلم منهم . ، وتجهول الكثيرون منهم في الشوارع والطرق وهم مسلحين يهاجمون المواطنين ويقتحمون المنازل ويمنون

النساء موجّهين لمن ألفاظ الشتائم والسباب . وكان النزاع والخصام يثور بينهم من أجل السكّاب والنساء وأمور أخرى عديدة . فكانوا يقطعون الأصابع بسيوفهم أو بالسكاكين التي يحملونها في أيديهم ، ويندفعون دون أن يحمي شيء قمة رؤوسهم الخليفة ، حيث ينغمسون في صراعات لا يستطيع الفرسان المسلحون صدها أو دفعها . ويسرع مواطنوهم من الطلبة إلى نجاتهم ، وسرعان ما نجد أعلاماً بأكلها من الطلبة مشتركة في المعركة . وهكذا نجد مبشرى باريس يصفون لنا الحالة السائدة في الحى اللاتينى ، فيميطون اللثام عن الكثير من أنشطة الطلبة المختلفة المتعددة الألوان . فنسمع صيحاتهم وأغانيتهم التي يتغنون بها في الشوارع على دقوفهم وقيثاراتهم . وهاك أغنية تقول :

الوقت يمضى ،
ولم أعمل شيئاً .
الوقت أزف ،
ولم أفعل شيئاً .^(١)

وتجدنا نسمع « شتائمهم وألفاظهم البذيئة » ، وصفيرهم ، وتصفيقهم ،

(١) واصل هذه الأبيات بالفرنسية القديمة :

Li tens s'en veit,
Et je n'ei riens fait ;
Li tens revient,
Et je ne fais riens.

Gf. Haskins, G. H., The Rise of Universities (New York, 1960), p. 63 ; Funck — Brentano, F., Le Moyen Age, p. 195.

• [المترجم]

لوحة رقم (٧)



طالبان يطالعان ويتناقضان

[نحت على قبر بدير القديس دانيال بفراسا]

وصيحات [عجابهم المدوية عند الاستماع إلى العظات والمناقشات . ونراهم وهم
يسخرون من جارة لشعرها المستعار ، أو يخرجون ألسنتهم ، ويكثرون المارة
ويشوحون لهم بوجوههم . كما نرى الطالب وهو يدرس عند نافذة حجرته
يتحدث عن مستقبله مع زميله في الغرفة . ونراه أيضا وهو يستقبل والديه عند
زيارتهم له ، أو عندما يرعاه زملاؤه أثناء مرضه ، أو عندما يرتل المزامير
في جنازة أحد الطلبة . كذلك نراه عندما يزور أحد زملائه من الطلبة ، ويطلب
منه زيارته قائلا له : د لقد قمت بزيارتك ، والآن فلتفضل عندى
في دارى .

وهكذا نجد جميع النماذج ممثلة . فهناك الطالب الفقير الذى لا صديق له سوى القديس نيقولا (١) ، وهو يحاول الحصول على صدقة يقدمها له أحد الناس ، أو يحصل على راتب زهيد بحمل المساء المقدس أو بنسخ الكتب للآخرين بخط جميل غير دقيق . وقد نجده فقيرا معذرا لا يستطيع شراء الكتب أو الوفاء بمصاريف دراسة أحد مناهج العلوم اللاهوتية . ومع ذلك فهو ، عادة ، متفوق على من هم أحسن حالا منه ، من أقرانه الذين لديهم وفرة من الكتب التى لا يلقون عليها نظرة واحدة على الإطلاق . وهناك أيضا الطالب المتيسر الذى يملك إلى جانب كتبه ومكتبه شمعة تضىء حجرته وفرشا وثيرا مريحا تملؤه مرتبة ناعمة وعليه أغطية تدل على الترف الذى يعيش فيه ، ونجده يقنع تحت عوامل الإغراء وينغمس فى اللولح الذى اشتهرت به العصور الوسطى بارتدائه الثياب الفاخرة تحت زيه الجامعى وغطاء الرأس ، وفى حجرته أيضا دولاب الملابس البسيط - تلك الأمور التى حددتها اللوائح الجامعية .

وإلى جانب الطلبة البؤساء والمتيسرين ، نجد أيضا الطلبة الكسالى والمتسكمين

(١) كان القديس نيقولا St. Nicholas أسقفا على ميرا Myra فى ليسكيا فى عهد الإمبراطور الرومانى دفلديانوس . وهو محل تقديس الإغريق واللاتين على السواء ، ويعرف عند القرييين باسم سانتا كلوز Santa Claus . ويقع عيدُه فى السادس من ديسمبر من كل عام . وقد اضطهد وعذب بسبب عقيدته وظل فى السجن حتى عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير الذى تميز بالنسامح حيال المسيحية وأتباعها . ويقال إنه حضر مجمع نيقية المسكونى القدى عقد سنة ٣٢٥ برئاسة الإمبراطور قسطنطين ، وإن كانت لا توجد أدلة كافية على ذلك . انظر مقالة نيقولا (القديس) فى دائرة المعارف البريطانية (طبعة سنة ١٩٦٤) ، ج ١٦ ، ص ٤١٦ ، وكذلك Grump & Jacob, Legacy of the Middle Ages, p, 147. [المترجم] .

الطائشين الذين لا هدف لهم يسمعون إليه ، وهم يهجرون مدرسا وينضمون إلى مدرس آخر ، أو وهم ينتقلون من مدرسة إلى أخرى . فهم لا يستمعون إلى مناهج تامة كاملة أو إلى محاضرات منتظمة . كما نجد آخرين لا يعينهم سوى أن يطلق عليهم اسم طلبة وهم نعمون بالدخل الذي يتقاضونه في فترة التحاقهم بالجامعة ، فيذهبون إلى حجرة الدراسة مرة أو مرتين فحسب كل أسبوع ، ويفضلون اختيار المحاضرات الخاصة بالقانون الكنسي التي تسمح لهم بوقت كاف للنوم في فترة الصباح . ويتناول كثير منهم الكمك في الوقت الذي يجب أن يتواجدوا فيه في الدراسة ، أو نجدهم يغطون في النوم في حجرات الدراسة نفسها ، ثم يمشون بقية وقتهم في الشراب في الحانات أو بناء الحصون في أسبانيا *Castella in Hispania* . وعندما يحين الوقت لمغادرة باريس يعودون إلى آبائهم ومعهم المؤلعات الضخمة المجلدة بجلد العجول ذات الهوامش العريضة والأغلفة الحمراء الجميلة ليظهروا لذويهم مقدار علمهم . وبذلك نجدهم يعودون إلى آبائهم بأحال مليئة بالحكمة وعقول خاوية منها . ويتساءل المبشر قائلا : د أي معرفة هذه التي قد يسرقها الصوص وتلتهمها الفيران والعشاء ويمطباها الماء وتأتي عليها النيران ؟ ، ثم يقدم لنا مثلا عندما يسقط جواد الطالب في النهر حاملا كل كتبه معه .

وهناك أيضا عدد من هؤلاء الطلبة لا يعودون إلى أوطانهم بالمرة ، بل يستمرون في الاستمتاع بحقق وغباء بثار دخولهم ومعاشاتهم وحتى في أثناء العطلات عندما يعود الأغنياء مع خدمهم راكبين جيادهم والفقراء مترجائين إلى أوطانهم تحت شمس محرقة ، يبقى كثير من المتسككين في باريس بما يؤدي إلى إلحاق الضرر بهم وبالمدينة نفسها . وعلينا أن نتذكر أن باريس في العصور الوسطى

لم تكن « أم العلوم » التي لا تبارى فحسب ، بل كانت أيضا مكانا للترفيه الحسن والزمالة الطيبة ومختلف المتع والمباهج ، كما كانت ملاذا مفضلا ليس فقط للشغوفين بتحصيل العلم بل أيضا للكهننة الريفين في عطلاتهم . ولذا فليس مما يدعو إلى الغرابة أو الدهشة أن يمد طلاب العلم أحيانا فترة إقامتهم دون مبرر ، أو يتباكون عند رحيلهم عنها بعبارات أكثر بلاغة من المعتاد .

ولم يغفل شعراء العصر شأن الطلبة . ومن بين هؤلاء الشاعر [الفرنسى] ولیم رتبهف (١) Guillaume Rutebeuf الذي يعطينا صورة عن باريس في القرن الثالث عشر تشابه تلك التي زودنا بها الوعاظ الدينيون . هذا ، بينما نجد جان دى هوتفيل (٢) Jean de Hauteville في القرن السابق له يصور تعاسة

(١) عاش ولیم رتبهف في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (١٢٤٥ — ١٢٨٥ م) . ونراه في إنتاجه الشعرى يسخر ساخرة مريرة من الجهاز الكنسى البابوى القى دبه فيه الفساد . ففى إحدى قصائده يهاجم الفكرة الصليبية قائلا في صراحة تامة لأنه من الخرافة والتبوء أن يخاطر الإنسان في أوروبا في حرب اتسم بالطابع الدينى خارج بلاده مادام بوسعه أن يتصل بأقرب وطنه وهو بين أهله وعشيرته، وأن يعيش في نعمة ويسر وسلام. أنظر جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، ط ١ . ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ٩٨-٩٩ و ٣٠٥ و ٣٣٦-٣٣٧ ؛ جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي والرأى العام الغربى (الاسكندرية ١٩٦٨) ، ص ٤٩-٥٠ . أنظر أيضا Masson, G., *Mediaeval France* (London, 1888), p. 96 f. [المترجم] .

(٢) جان دى هوتفيل شاعر نورمانى عاش في أواخر القرن الثاني عشر ، واد ألف قصيدة باللغة اللاتينية سداسية الوزن تعرض فيها لمفاسد العصر القى عاش فيه وبخاصة جشع وتسلاب أصحاب الدرجات العليا في السلك الكنسى . انظر من ذلك Larousse de X^e siècle, t. IV (Paris, 1931), p. 168. [المترجم]

الطالب الفقير المثابر الذى يقع فى سبات عميق وهو منكب على كتبه ، كما يهجو
 نيجل (١) Nigel الطلبة الإنجليز الذين يتلقون العلم فى باريس فى شخصية
 حار (٢) يدعى برونييلوس Brunellus ، والذى أشار إليه [الشاعر الإنجليزى
 المعروف] تشوسر بإسم « دون بيرنل » ، (٣) « Dawn Burnell » . فهو يقص
 علينا كيف أنه أمضى هناك سبع سنوات يدرس دون أن يتعلم كلمة واحدة .
 وفى نهاية المرحلة ينهى تماما كالحمار مثليا كان يفعل فى بدايتها ، ثم يترك المكان
 فى آخر الأمر وقد اتخذ قرارا أن يصبح راهبا أو أسقفا . وإن أفضل وصف
 يمتاز بدقته لحياة طالب هو وصف تشوسر الذى لا يوجد مثيل له لطالب علم
 من أوكسفورد Oxenford سخاوى الوفاض رث الثياب غير متعلق بحطام
 الدنيا ، فهو يقول :

كان يفضل أن يكون عند مقبلة فراخه
 عصفور كتابا مجلدة بمجلدة سوداء أو حمراء

(١) تلمذ نيجل على أنسيلم أوف لون Anselm of Laon ، وأصبح أسقفا على
 إيل Ely سنة ١١٣٣ م ، وتوفى سنة ١١٦٩ م . أنظر مقالة « نيجل » فى دائرة
 المعارف البريطانية (طبعة ١٩٦٤) ، ج ١٦ ، ص ٤٣٧ [المترجم]

(٢) كان الحمار يرمز منذ عهد الإغريق القدماء وفى الأساطير والأمثال القديمة إلى
 بلاهة الذهن والجبل والغباء . ومن هنا جاءت تعبيرات وحكم وأمثال عديدة . أنظر من ذلك
 Murray, J. A. H. (ed.), A New English Dictionary on Historical
 Principles, vol. I (Oxford, 1888), p. 498. [المترجم]

(٣) جاء ذكر هذه الشخصية فى قصيدة بعنوان « متفقه من أكسفورد » Oxford
 clerk ، والمقصود بقطة « دون بيرنل » الأستاذ الحمار ، وذلك تهكما على الطلبة الخلقى
 الأغبيا . [المترجم]

من كتب أرسطو وفلسفته ،
يفضلها من الثياب الثمينة وآلات الطرب المرحية .
.....
وكان حديثه عادة يدور حول فضائل الخلق ،
ويجد لذة في أنه يتعلم ، كما كان يجد لذة في أن يعلم . (١)

ولكن ، بعد كل ما تقدم فإن أحدا لا يعرف عن حياة الطالب أكثر من
الطلبة أنفسهم . ولذا أود أن أقتبس من المصادر الأدبية التي كتبها الطلبة في المصور
الوسطى ، أو من تلك التي كتبت عنهم . وإن ما خلفوه من تراث علمي يمكن
تصنيفه إلى ثلاثة أنواع هي : كتاب الطالب ، وخطاباته ، والشعر الذي كان
يقرضه . ولنبدأ في التأمل فيها على التوالي .

أما عن كتاب الطالب ، في المصور الوسطى الذي يتضمن النصائح
والمشورة ، فهو لا يتطلب الوقوف طويلا أمامه . فثمة مقالات رسمية عن كل

(١) وفيما يلي نص الأبيات المذكورة بالإنجليزية القديمة :

For him was lever have at his beddes heed
Twenty bokes, clad in blak or reed,
Of Aristotle and his philosophye,
Than robes riche, or fithle, or gay sautrye
.....
Souninge in moral vertu was his speche,
And gladly wolde he lerne, and gladly teche.

أنظر - Haskins, op. cit., pp. 65-66. وهذه الأبيات قلها تشوسر في مقدمته
لقصص كاتربري ، وهي كلها تدور حول طلبه العلم في العصر الوسط الذي يدورون في دائرة
الدين . وأرقام أسطر هذه الأبيات في مقدمة قصص كاتربري هي ٢٩٣ - ٢٩٦ و ٣٠٧ -
٣٠٨ [المترجم] .

واجبات الطلبة ، وقد تميزت بما اعتاد عليه العقل في الدراسة في العصور الوسطى . ولكن النصائح والتوجيهات التي احتوتها ما هي إلا نصائح وتوجيهات تتميز بعموميتها الشديدة ، ويمكن تطبيقها من عصر إلى آخر . وكان يعوزها الأمثلة الملموسة التي تحمل عظمات العصر تنبض بالحياة باعتبارها مصادر ذات فائدة في الكشف عن الحياة الجامعية .

وثمة نموذج أكثر أهمية وإقناعاً من كتاب الطالب ، ألا وهو قاموس الطالب ، الذي يدين بوجوده إلى متانة مركز اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الدولية السائدة في دوائر العلم والتعليم في القرون الوسطى . فقد كانت المحاضرات والكتب الدراسية المقررة مكتوبة كلها باللغة اللاتينية . وأكثر من ذلك ، كان الطلبة ملزمين باستخدام اللاتينية في أحاديثهم ومحادثاتهم . وقد وضعت هذه القاعدة الحد من التخاطب ، وحتى تكون دافعا لهم على تحصيل العلم في ذات الوقت . وكان يتم تنفيذها بتوقيع العقوبات على المخالفين وبواسطة مخبرين كان يطلق عليهم لفظ « ذئاب » .

هذا ، والطالب المستجد ، أو ذو المنقار الأصفر كما كان يطلق عليه في الأحاديث الخاصة بالعصور الوسطى ، قد يجد نفسه غير مزود بما يجعله مفهوما في مجتمعه الجديد . وتيسيرا له فقد أعد له أستاذ من جامعة باريس في القرن الثالث عشر يدعى جون أوف جارلاند^(١) John of Garland كتابا بالمفردات اللغوية التي تساعد على وصف مختلف الأشياء . وقد تم تبويبه حسب الموضوع ، كما تم تخصيص أجزاء كبيرة منه للأشياء التي يراها الطالب أثناء تجواله في شوارع

(١) حول جون أوف جارلاند ، انظر ما سبق ص ٣١٤ وح ١ من هذا الكتاب [المترجم] .

باريس . (١) وهكذا ، يقود الكتاب قارئه من حى إلى آخر ، ومن حرفة إلى أخرى ، ومن مكتبات بارفى نوتردام Parvis Notre-Dame وسوق الدواجن القائم فى الشارع الجديد المجاور إلى موائد الصياغة وسوانيت الصاغة عند الجسر الكبير وإلى صانعى الأقواس عند بوابة القديس لمارز (٢) . ولم يغفل المؤلف فئات العمال Ouvrières التى يحتل جدا أن يتعرف إليها الطالب . فهناك السروجية وصانعو القفازات والفراء ، وهناك أيضا الإسكافيون والصيدلة ، الذى قد يستخدم الطالب سلعهم وبضائعهم جميعا . هذا ، إلى جانب مكتبة والشموع وأدوات الكتابة التى تعتبر من مستلزمات دراسته . وكان للطالب صلات كثيرة مستمرة ببائى الطعام والشراب الذين انتشر وكلاؤهم يعرضون بضائعهم بلجاجة ولحاح ونشاط فى شوارع الحى اللاتينى وبين أزقته ودروبه ، وهم يقدمون السلع الرخيصة للطلاب وسخدمهم . كما وجد باعة النبيذ الجائلون يصيرون معلنين عن عيناتهم لمختلف أنواع الاثربة التى توجد فى الحانات . وثمة بائعو الفاكة يشنون الطلبة فى الخس والجرجير والكريز والكشوى والتفاح الاخضر . وفى الليل كان هناك باعة فطائر الحلوى بسلالم المغطاة بعناية وهم يديمون الرقاق والسكنافة والمحشيات التى كانت رهانا مألوفاً بين الطلبة فى مباريات الترد التى كانوا يلعبونها . وكان من عادتهم أن يدلوا بالسلال التى يربحونها من

(١) وهو أشبه ما يكون بكتب الأداة التى يستخدمها السياح فى العصر الحديث [المترجم] .

(٢) هذه الأماكن والباقى عدة على خريطة « باريس فى عصر فيليب اوفمجلس » ، وكذلك خريطة « باريس فى العصور الوسطى » بآخر القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

نوافذهم عندما يستطيع أحدهم إلقاء الرمية ، المحظوظة في لعب النرد وهي « ستة » . وكان لدى صانعى الفطير والحلوى pâtissiers كثير من السلع الدسمة التى تتناسب مع أذواق الطلبة كالكمك المحشو بالبيض والجبن وفطائر لحم الخنزير ولحم الدجاج والشعابين المتبلّة بالقلقل . وكثيرا ما لجأ خدم الطلبة إلى الشوامين rotisseurs ليس فقط للحصول على الحمام والأوز والطيور الأخرى المشوية على سياخهم ، بل أيضا للحصول على لحم البقر والخنزير والعنّان النيء والمتبل بالثوم وبعض الصلصات المركزة . ولكن مثل هذا النوع من الطعام لم يكن للطلبة الفقراء الذين دفعتم أكياس نفودهم الفارغة إلى تناول السكرشة وأنواع السجق المختلفة التى قد تأنّسب بسببها بسهولة معركة تودى إلى « ذبح الجزايرين أنفسهم على أيدي الطلبة الحائقين الساخطين . »

ونترك هذا القاموس الذى يحتفظ به الطالب إلى كتاب من نوع آخر وهو « كتاب فى فن المحادثة » . وكانت هذه الطريقة لتعلم اللغات الأجنبية طريقة قديمة ، فهى من غلفات مصر القديمة ، وهناك شواهد على ذلك . وما زالت مثل هذه السكتب توقع فى شباكها السائح الغافل خير الحذر الذى يعد العدة لزيارة أوروبا ، كأن يذهب مثلا إلى مدينة أوليندورف Ollendorff . ويبدو أن هذه الطريقة قد هيات لسكتتاب العصر الوسيط المناخر فرصة استثنائية لربط تعلم اللغة اللاتينية بالنظام الأكاديمى السام . وقد تركت لنا آثارا وغلفات من المدرسة والجامعة على السواء . يمكن تصفحها ومطالعتها .

ولن أمتع هذه السكتب المدرسية هو الذى يحمل عنوان « كتاب الطلاب الذين يعزّمون الانحاق بالجامعات الطلاية والإفادة منها » . وبينما السكتاب فى شكله العام قد صمم لطلبة جامعة هايدلبرج [الألمانية] فى سنة ١٤٨٠ م ،

إلا أنه أمكن تكييفه بإجراء بعض التعديلات الطفيفة عليه ليناسب أى جامعة من الجامعات الألمانية ، حتى أننا نستطيع أن نطلق عليه اسم « تقويم هايدلبرج » . وقد رتبت فصوله الثمانية عشرة بهدف إعداد الطالب من شهادة الثانوية العامة إلى الدرجة الجامعية . ثم أنه يزوده بمعلومات عن كثير من الموضوعات التى لا أهمية لها . فعندما يصل الشاب [إلى الجامعة] يقيد باسمه ويذكر أن والديه يتمتعان بظروف طيبة معقولة ، وأنه قد حضر للدراسة وتلقى العلم . ثم إذ به يجابه بالتقاليد الألمانية التى تسبب إزعاجا له ، فهى تعتبر الطالب حيوانا قدرا له قرون وأنياب لابد وأن يقتلها زملائه الفضوليون الذين يستمعون أيضا إلى اعترافه بآثامه وخطاياها ، ثم يلزمونه بإقامة عشاء جيد كمارة له . وبعد ذلك يبدأ دراساته بحضور ثلاث محاضرات يوميا ، ويتعلم كيف يناصر الإسمية nominalism ضد الواقعية realism ، (١) وكيف يقف مع مسرحيات تيرانس (٢) Terence الكوميديّة ضد القساوون ، ويناقش مزايا الجامعات المختلفة وثمن الطعام ونوع الجمعة السائدة فى المدن الجامعية . ثم نجدته يتشاحن

(١) فيما يتعلق بالإسمية والواقعية ، انظر ماسبق ص ١٠٥ وح ٢ و ٣٣٥ من هذا الكتاب .

[المأرجم] .

(٢) هو بوبليوس ترنتيوس افر Publius Terentius Afer ، ولد حوالى سنة ١٨٥ ق.م وتوفى حوالى سنة ١٥٩ ق.م . وهو يعتبر أعظم كتاب الرومان فى كتابة المسرحيات الكوميديّة بعد بلاوتوس Plautus . ومعلوماتنا عن سيرته وحياته مستقاة مما ذكره عنه سوتونيوس Suetonius (ق ٢ م) . ونعرف أنه ولد فى قرطاجنة ، ثم ذهب إلى روما كعبد يعمل لى منزل السناتور ترنتيوس لوكانوس Terentius Lucanus الذى قام بتعليمه وتحريره من رتبة العبودية . وقد نجح تيرانس فى اكتساب صداقة عدد من النبلاء الرومان الذين أدوا له مساعدات جليلة . وله العديد من المسرحيات أولاها مسرحية باسم =

مع زميله في الحجارة لأنه وجد كتاباً موضوعاً في غير مكانه ، أو وهو يندفع عند سماع أول رنين لناقوس تناول العشاء حيث يبدأ الحديث بين الطلاب عن القيمة الغذائية للحم البقرى والفوا ، ونجده أيضاً وهو يسير في الحقول بعيداً عن انطاق الجامعى متقبعا طريق الفلاسفة المشهور الذى اجتذب إليه الأجيال العديدة من شباب هايدلبرج . ونجده يتبادل الملاحظات [مع زملائه] باللغة اللاتينية عن الطيور والاسماك أثناء تجمواله . ثم نجد بعد ذلك المناظرات والمحاورات القصيرة ، مثال ذلك طالب العلم الذى يخالف اللوائح فيقترض نقوداً ويعيدها [إلى من اقترضها منه] ، أو الطالب الذى يقنع في شرك الحب ثم يفنى منه ، أو ذلك الذى يذهب لسماع راهب ايطالى بدين مقرط السمعة وهو يعظ ، أو يشاهد الحواة والمشعوذين أو يتابع المباريات بين الفرسان في ساحة السوق . ومنه يعرف أيضاً أن أيام الشعر ^(١) آتية ، فهو يحس بها تدور في رأسه . وأخيراً يخبره والده بأن الوقت قد حان للحصول على درجته الجامعية

== « اندريا » Andria . وقد توجه بعد انتاج آخر مسرحياته وهو فى سن الخامسة والمفشرين إلى الشرق ، ولم يعد ثانية إلى الغرب . ومما يذكر أن اللغة اللاتينية التى كتب بها تيرانس والتي تميزت بسهولة وبساطتها ، فضلاً عن النغمة الأخلاقية التى تبدو واضحة في مسرحياته ، جعلته من الكتاب المفضلين في العصور الوسطى . هذا ، وقد نهجت هرسويت Roswitha الراحبة في دير جاندزهايم في القرن العاشر نهج تيرانس في ست مسرحيات كوميدية مسيحية الطابع . أنظر مقالة « تيرانس » في دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢١ (طبع شيكاغو ، ١٩٦٤) ، ص ٩٤٧ - ٩٤٨ ؛ راجع أيضاً Blakeney, E. H., A Smaller Classical Dictionary (London, 1923), pp. 522-523. [الترجم] .

(١) يطلق عليها لفظ « dog — days » ، وهى تنسج بين أواخر يوليو ونهاية سبتمبر من كل عام ، أى لها بين تموز وأيلول [المترجم] .

ليعود إلى وطنه . وعندئذ يعتريه القلق والاضطراب ، فقد واضطرب على عدد قليل من المحاضرات ، ، وعليه أن يقسم أنه قد حضر بانتظام ، وهو لم يبذل الكثير من الجهد . وقد تعرض لعداوة كثير من الأساتذة ، ويثنيه أستاذه عن دخول الامتحان لأنه يخشى عار الرسوب ولكن محادثته في هذه المحاورة يؤكد له باقتباس مناسب من أوفيد^(١) Ovid ، بأن توزيع الهدايا بحكمة وحذر قد يفعل الكثير . فما هي إلا قروش يستطيع بها كسب عطف الجميع ، ويطلب منه الانهال بأمله لإمداده بمبالغ أكثر ، ثم يدعو أساتذته إلى ولية فاخرة . فإن عاملهم معاملة حسنة فلن يخشى النتيجة ، وهكذا تلقى هذه النصيحة ضوفا عجميا على مستويات العصر التربوية . ويبدو أنها كانت عادة متبعة ، لأن الكتاب ينتهى بمجموعة من نماذج دهوات الأساتذة للولائم والجماعات المجانية التي تسبقها .

فإذا كان طلبة الجامعة قد احتاجوا لمثل هذه المختصرات الأولية السلوك والآداب ، فن الواضح أنه كان لها في المدارس الأدنى من الجامعات مجالا رحبا

(١) أوفيد شاعر لاتيني ولد سنة ٤٣ ق. م من أسرة تلتقى إلى الطبقة المتوسطة . درس الخطابة ، واستكمل تعليمه في أثينا ، ثم سافر إلى صقلية وآسيا . وقد عاش في عصر الإمبراطور أوغسطس وتمتع بهطفه ورضاه . ثم تولى سنة ٩ ق. م إلى منطقة البحر الأسود ، وربما كان ذلك بسبب قصيدة غرامية له تسمى «فن الغزل» أو بسبب علاقته الغرامية بمجوليا ابنة أوغسطس . وتوفى في المنفى سنة ١٧ م وله من العمر ٦٠ عاما . ولأوفيد أعمال كثيرة متعددة وباقية . أنظر مقالة أوفيد في كتاب Warrington, J , Everyman's Classical Dictionary (London, 1969), p.376; Barrow, The Romans, pp. 119, 121; Carcopino, Daily Life in Ancient Rome, pp. 116, 171, 178, 219. [المترجم] .

فسيحا ، حيث اتخذت طابعا شعريا باللغة اللاتينية يتطبع بسرعة في ذاكرة التقليد .
ويبدو أن مثل هذه السكتيات المدرسية الأولية كانت شائعة في مدارس المدن
في ألمانيا في أواخر القرن الحساس عشر ، والتي أبرز أهميتها بما فيه الكفاية
المؤرخون الحديثون المعنيون بالتعليم الثانوي . ففى أثناء ترسلهم من مدينة
إلى أخرى ، مثلهم في ذلك مثل الطلبة المتجولين (١) في عصر سابق ، أصبح هؤلاء
الأولاد الألمان في حاجة ملحة لمراعاة أصول الأخلاق والقواعد العامة في آداب
السلوك ، مع العمل على تزويدهم بها . وكانت بداية الحكمة عند الطالب تتمثل
في تذكر الخالق وطاعة الأستاذ . وكان على الطالب مراعاة سلوكه وتصرفاته
في الكنيسة ، وأن يرفع صوته أثناء الترانيم والتراتيل (٢) . وكان الحضور الإلجبارى
إلى الكنيسة والترنيم مع زمرة المرتلين يعتبر من السمات المألوفة لهذه المدارس .

(١) يقصد الشعراء المتجولين في بروغانس جنوبي فرنسا والمروفين بإسم التروبادور
Troubadours ، وكذلك للشعراء المروفين بإسم التروفر Trouvères في الشمال .
وقد ظهرت أشعار التروبادور في أواخر القرن الحادى عشر ، وهى مأخوذة عن الشعر العربى
الأندلسى الذى عرف بالفلز الرقيق والرائى الباكى . ويرى كثير من المؤرخين أن «تروبادور»
أصلها لفظة عربية هى « دور طرب » ثم قدمت الصفة على الموصوف فأصبحت « طرب دور»
وأخيرا حرفت إلى « تروبادور » كما حدث بالنسبة لكثير من الألفاظ العربية التى وجدت
مكانها في اللغات الأجنبية . أنظر سميد عاشور : المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة
الأوربية ، ص ٧٢ وما بعدها ؛ كولتون : عالم المصور الوسطى في العظم والحضارة (الترجمة
العربية) ، ص ١٣٥ . راجع أيضا ، Crump, C. G. & Jacob, E. F. (eds.),
The Legacy of the Middle Ages (Oxford, 1951), pp. 190, 405 ;
Coulton, Medieval Panorama, pp. 207, 208 ; wallon, H., Saint
Louis (Tours, 1879), p. 364 ff. [المترجم] .

(٢) المقصود بذلك المردات . [المترجم]

وعلى الطالب، أيضا، الاحتفاظ بالكتب نظيفة، والمبادرة بدفع مصاريف المدرسة. كذلك يجب عليه غسل الوجه واليدين في الصباح؛ أما الحمامات فكان لا يزورها بدون الحصول على إذن بذلك، ولم يكن مسموحا للفتيان بالانزلاق على الجليد أو اللعب بكرات الثلج. وكان يوم الأحد هو اليوم المخصص لهم. وكان اللعب في فناء الكنيسة فقط حيث وجب على الفتیان عدم لعب الرد أو كسر الأحجار من الجدران أو إلقاء أى شيء على الكنيسة. وكانت اللاتينية هى اللغة التى يتحدثون بها، سواء أثناء اللعب أو في البيت.

ويوجد كتيب آخر يرجع إلى القرن الخامس عشر، وهو أكثر تنسيقا وأحسن تنظيما مما سبق، وم محفوظ في نسخة خطية توجد بالمسكنة الأهلية في باريس (١). يقول مؤلفه: «لما كان سنخف الشباب وغباؤهم لا يمكنهم من التقدم في معرفة اللغة اللاتينية اللهم إلا من الوجهة النظرية فحسب»، لذلك فقد أعد المؤلف لمساعدتهم مجموعة من النماذج التى تتضمن العبارات وأما لیب الحديث التى يكثر الطلبة من استخدامها. وهى تبدأ بذكر ما يتعلق بالمجاملات فى الحياة المدرسية، وأن طاعة الأستاذ وتبجيله هما بداية الحكمة. فيجب على الفتى أن يتعلم كيف يقدم التحية لأستاذه، وكيف يستأذنه عند الانصراف، ثم كيف يعتذر عن الخطأ الذى ارتكبه، وكيف يدعو أستاذه لتناول الغذاء أو العشاء مع والديه. ويوجد نحو ستة نماذج من مثل هذه العبارات. كذلك يتعلم كيف يستطيع الإدلاء بالإجابات الصحيحة لأرثلك الذين يخبرون معلوماته «حتى لا يبدو غبيا أبلها أمام والديه». فإذا سأله الأستاذ مثلا «أين كنت هذه الغيبة الطويلة؟»، فعليه أن يكون على

استعداد ليس فقط بأن يدعى أنه كان يقاسى من صداع لم يستطع تجنبه أو أنه لم يستطع الاستيقاظ في الميعاد، بل عليه أيضا أن يعبر عن أسباب التأخير المعروفة جيدا للصبي القروى، كأن يقول إنه كان يتولى أمور البيت، أو إنه كان يرعى الماشية، أو إنه كان منوطا بتقديم ماء الشرب للجواد، أو إنه قد احتجز لحضور حفل زفاف أو لجمع الكرم أو كتابة الفواتير، أو تحضير الجمعة وتقديمها للضيوف وهى التى اعتاد الصبية الألمان على عملها .

وفى المدرسة بعد التزود بالغذاء الروحى فى درس ترايم الصباح، يأتى الغذاء الجسدى . فقد كان هذا يقدم، عادة، بعد ساعات الدراسة «لأن قوة الفضيلة المتقدمة القادرة على الإبداع يعوقها — عادة — الامتلاء والشبع الحديث» . وأثناء الحديث فى فترة الغذاء أو أثناء اللعب فى الفناء «كان الطلبة يميلون إلى التخلي عن المصطلحات اللاتينية والتحدث باللغة الأم» . وكان الذى يتحدث اللغة الألمانية ينعتبه الأستاذ الحازم بلفظ «الحمار» (١) رمزا للحق والجبل البائنين . ويحاول كل من يحمل هذا اللقب جاهدا أن ينزعه عن نفسه ليلقب به آخر، وهكذا . ويأخذ الحوار بين الطلبة والأستاذ الشكل التالى : يقول أحد الطلبة متسائلا بالألمانية : «من الذى يريد أن يشتري قلبا ؟» ويرد آخر بالألمانية كذلك : «أنا أريد أن أشتري قلبا» . فيعقب الأستاذ باللاتينية : «أنت إذن الحمار» ، ويستطرد قائلا : «آه .. يالك من أحمق غي !» (٢) وكان الضحية يعرض على

(١) أظن، مسبق، ص ٣٥٣ ح ٢ من هذا الكتاب . [المترجم]

(٢) ونس الحوار كما ورد فى كتاب هاسكينز كالتالى : «Wer wel ein Griffel kouffe[n] ? » « Ich wel ein Griffel kouffen. » « Tecum sit asinus. » « Ach, quam Falsus es tu ! », cf. Haskins, op. cit., p. 73. [المترجم]

الذى خدعه أحيانا أن يلتقيا بعد صلاة المساء ، وهنا يبدأ هزر تعود عليه طلبة المدارس حيث يتبارى فيه الطالبان . ولما كان التضارب باللكات مموعا في المدرسة ، فقد تعلم الفتيان كيف يتحدثون عن عداؤهم وخصوماتهم ، وكيف يدونون شكواياتهم في حوار باللغة اللاتينية . ويبدأ الحديث كالآتي : « لقد كنت خارج المدينة بعد أن حل الظلام ، ولعبت مع العلمانيين يوم الأحد ، وذهبت للسباحة يوم الإثنين ، وتغيبت عن صلاة الصبح واستغرقت في النوم أثناء القداس » . ثم يشكو قائلا : « أستاذنا المجهل .. لقد لطخ هذا الفتى كتابي وهو يصيح ورائي أينما ذهبت وهو يسبني ويلعنني . »

وبالإضافة إلى المجادلات الرسمية ، كان الطلبة يتناقشون في الأحداث الجارية مثل معركة في الشارع ، أو زفاف ابن عم ، أو الحرب المتوقع نشوبها مع دوق سكسونيا ، أو الوسيلة التي يمكن الوصول بها إلى إرفورت Erfurt في ألمانيا حيث ينتوى أحدهم الذهاب هناك عندما يبلغ السادسة عشرة من العمر للدراسة في الجامعة . وكانت التجربة القاسية التي يعاني منها الطالب في يومه الدراسي هي سؤال الأستاذ له في النحو اللاتيني الذي يصل إلى حد الإحاجى والألفاظ ، وذلك عندما يأتي الدور على كل طالب لسؤاله « auditio circuli » . وكان على التلاميذ أن يتلوا على أستاذهم ما حفظوه من تكوينات وتصاريح ، فيبدأ السكسالي في الارتعاش عندما تحين ساعة الدرس . وكان الطلبة يتمنون ألا يحضر الأستاذ قائلين : « عنده ضيوف » ، و « اسكن سيتركونه في الوقت المناسب » ، و « قد يذهب إلى الحمامات » ، و « لكنه لم يمض على ذهابه إليها منذ آخر مرة أسبوع كامل » . ثم يقولون : « ها هو قد حضر » . أذكر اسم القط فإذا به

ينط ، (١) ويرتكن الطالب المترجم في النهاية على أمنيته الوحيدة بأن يجلس بجوار طالب يعد بأن يلقنه .

وعندما ينتهى التسميع غايبا ويلقى الأستاذ الدرس ، يبدو البشر على وجوه الطلاب لاقترب ساعة العودة إلى المنزل ، فينغمسون في حديث فارغ و مستحذفه من هنا خشية أن يكون وسيلة للإساءة ، وعلى أية حال ، يخفف احتدام الجدل بين الطلبة ، والذي يسبق انصرافهم ، من حالة البهجة والمرح فيما بينهم . وهى عبارة عن مناقشة و حادة حامية من أجل النصر ، حتى يضمن أحدهم الفوز ، بينما يحتفظ الآخر بلقب و الحار ، asinus حتى اليوم التالى .

وبعد انتهاء اليوم الدراسى يذهب الفتيان للعب فى فناء الكنيسة . والألعاب التى جاء ذكرها هى الأطواق والبلى على ما يبدو والسكر ، ويكون ذلك فى فترة الصوم الكبير . وثمة نوع آخر من اللعب الذى يدخل فيه الحساب . ويميز المؤلف هنا بين الأطواق التى ترمى والأطواق التى تدحرج ، وهى عبارة عن كرات من الخشب أو الحجر . واسكن لب الموضوع سرعان ما يصبح أمرا شديدا العمق بالنسبة لمقدرة الطالب فى اللغة اللاتينية ، وفى غمرة هذا الموضوع يصل الكتاب إلى نهاية فجائية مبتورة .

وكان كتاب الطالب يتناول فى بعض نماذجه موضوعا يعالجه نوع آخر من كتيبات العصور الوسطى ، وهو كتيب عن الأخلاق وآداب السلوك ويحمل عنوان

(١) وهو نفس المثل العامى الشائع عندنا فى العربية وفى معظم اللغات الأوروبية

الحديثة . [المترجم]

« كتاب التأداب » ، The Book of Urbanity ، أو « كتاب آداب المائدة » ، The Courtesies of the Table ، إلى آخر مثل هذه المسميات . ولقد حظيت هذه السكتيات بشعبية كبيرة اعتبارا من القرن الثالث عشر فصاعدا . ومع ذلك ، لم يصل أى من هذه السكتيات فى صفقه إلى ماوصل إليه كتاب « الإتيكيت » ، أو كتاب « آداب السلوك الحديث » ، الذى يتميز بدقته وإحكامه . فالولئك الذين لم يحسنوا استخدام السكين والشوكة لا يمكنهم أن يحسنوا التفاعل الاجتماعى . وعلى هذا فإن قراء كتيبات المصور الوسطى كانوا لايزالون يتمثلون وهم يخطون الخطوات الأولى فيما يختص بآداب السلوك . فقد ورد فيها : لغسل يديك فى الصباح ، وإن كان لديك متسع من الوقت فاغسل وجهك أيضا . واستخدم منشفة المائدة ومنديلك ، وتناول الطعام بثلاثة أصابع ، ولا تزدرد الطعام اذرادا . ولا تسكّر من الضجيج أو اللشاحن عندما تجلس إلى مائدة الطعام ، ولا تحملق فى جارك أو فى طبقه ، ولا تنقذ الطعام ، أو تنظف أسنانك بسكينك . . وإن مثل هذه القواعد فى الآداب وغيرها من القواعد التى لا تزال تعتبر من المبادئ الأولى فى أصول الإتيكيت ، كانت من المبادئ العامة التى ورد ذكرها فى هذا العصر باللغات اللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية . وكانت لا تزال فى المهد ، ولكنها كانت دائما مكتوبة بالشعر [ليسهل استذكارها] . وكانت تصانف إليها بين وقت وآخر لمسة من لمسات العصر . مثال ذلك : نظف العظام بسكينك ولكن لا تكسرها ، وعندما تكون قد انتهيت منها إلقها فى سلطانية أو على أرضية الحجرة !

ولإذا كانت مراسلات طلاب المصور الوسطى قد حفظت لنا التفاصيل الحقيقية العارضة ، فليس هناك ما هو أفضل منها لإمدادنا بصورة حية نابضة عن

ظروف الحياة الجامعية . ولكن العصر الوسيط كان بالنسبة لنا ، لسوء الحظ ، من بعض النواحي والوجوه ، عصر النماذج والأشكال والقوالب المختلفة فيما يتعلق بكتابة الخطابات ، مثلما هو الحال في غير ذلك من الأمور . ولم يكن تدوين خطاب ما ، في نظر الناس ، تعبيرا عن مشاعر الفرد وأحاسيسه وبمجاربه أكثر من كونه عملية نسخ بشطة لخطاب شخص آخر بعد إدخال التعديلات الضرورية عليه ليناسب الظروف الجديدة . وإذا كان الخطاب قد احتوى شيئا جديدا أو مسألة شخصية ، فلم تكن هناك فرصة كبيرة للحفاظ عليه ، طالما أنه لن يكون ذا قيمة أو فائدة لمن يأتي بعد ذلك مستقبلا من كتاب الخطابات ، فبمقدور ما كان يعتق بالشكل بقدر إهماله للفحوى والمضمون . والنتيجة ، إذن ، أن المئات من خطابات الطلاب التي وصلت إلينا في عتبات العصور الوسطى قد جاءت في صورة مجموعات لنماذج وأشكال أو خطابات كاملة خلعت غالبيتها من العنصر الشخصي أو الفردي . ومن أجل هذا كانت تلك المراسلات تعكس المظاهر والسمات الأساسية والعامة للحياة الجامعية بأمانة وإخلاص أكثر من أى شيء آخر .

وكان طلب المال هو أبرز هذه العناصر وأوفرها في مراسلات طلاب العصور الوسطى .^(١) وقد كانت أغنية الطالب الأولى هي طلب المال ، كما يقول والد متنجر في خطاب له باللغة الإيطالية ، ويستمر الخطاب : « ليس هناك خطاب على الإطلاق لا يتضمن طلب النقود . » وكان كيفية ضمان هذه الحاجة الأساسية

(١) أظن في هذا الموضوع الكتاب التالي Furck — Brentano, op. cit.,

p. 196 f. [المترجم] .

لحياة الطالب ، بلا شك ، واحدة من أهم المشاكل التي واجهت طالب المصور
الوسطى . وكان أمام الطالب كثير من التاذج التي وضعها أصحاب البلاغة
أمامه ليثبتوا بها المزايا العملية لفنهم . وكانت هذه الخطابات على وجه العموم
موجهة إلى الوالدين ، وفي بعض الأحيان كانت توجه إلى الإخوة والأعمام
والأخوال وإلى رعاة الطلبة من رجال الدين . وثمة أحد التازين التي نُسبها الطلاب
كان يحتوى على اثنتين وعشرين ذريعة مختلفة للتقرب من رئيس الشمامسة في هذا
الموضوع الحساس . ففي العادة يعلن الطالب أنه في مثل هذا المركز العلى سعيد
وفي حالة جيدة ، وإنما هو في حاجة ملحة إلى المال من أجل شراء الكتب والوفاء
بالمصاريف الأخرى الضرورية . وثمة مثال من أكسفورد بانجلترا يغلب عليه الطابع
الفردى خلاف غيره من مراسلات العصر ، وهو مكتوب بلغة لائيقية رديئة على
غير العادة ، وفيه يقول كاتبه :

« تحية وسلاما من فلان إلى سيده الموقر فلان . قد كتبت هذا لأحيطك علما
أننى أدرس في أكسفورد بمثابة لا حد لها . ولكن المال يقف ، إلى حد بعيد ،
عقبة كأداء في سبيل تقدمي ، لأنه قد مضى الآن شهران منذ أن أنفقت آخر درهم
أرسلته إلى . إن المعيشة في المدينة باهظة التكاليف ، وتستلزم مطالب عديدة .
فعلى أن أستاذج مسكنا لإقامتي ، وأن أشتري بعض الضروريات والمستلزمات ،
وأن أنى بما تتطلبه أمور أخرى كثيرة لا أستطيع تحديدها بالتفصيل الآن . ومن
أجل ذلك ألتس من أبوتكم ، بكل احترام وبما يدفعكم به العطف الإلهي ، مساعدتي
لكي أتمكن من إتمام ما قد بدأت به بداية حسنة ، لأنه يجب أن تعلم أنه بدون

سيرس^(١) Ceres [إلهة الحنطة والحراثة] وباخوس^(٢) Bacchus [إله الخمر]
لا يستطيع أبولو Apollo [إله الشمس والموسيقى والطب] أن ينمو ويحيى ،

فإذا كانت يد الوالد ممسكة ، وجدت ثمة أسباب خاصة لحته على الدفع ، كأن
يقول له إن المعيشة في المدينة تكلف كثيرا كما كانت المدن الجامعية دائما ، أو إن
تكاليف المعيشة كانت مرتفعة بصفة استثنائية بسبب شتاء قاس أو حصار تعرضت له
المدينة أو نتيجة نقص في المحصول أو بسبب العدد الغير عادى للطلاب ، أو أن
الرسول الأخير الذى أوفده إليه قد سلبت منه النقود أو ولي بها هاربا ، ولم يعد
بوسع الابن أن يقترض من زملائه أكثر من ذلك ، أو أن يقترض من
البرود^(٣) ، وهكذا . وكانت آلام الطالب وعنه مصورة بلغة مثيرة مشفوعة
بالتماسات عديدة . وجهة إلى كبرياء الوالدين وعجتهم . ففى بولونيا نسمع عن
الوحد الخفيف الذى لابد للشباب أن يشق طريقه وسطه وهو يتسول من باب إلى باب
صائحا : يا أيها السادة الطيبون ،^(٤) ، ثم يعود إلى بيته خالى اليدين . وفى أحد
النماذج النمساوية يكتب طالب من أعماق السجن حيث الخبز اليابس الجاف ، وماء
الشرب وقد اختلط بالدموع ، والظلام الدامس وقد بلغ من حلكته أنه يمكن

(١) هى إلهة زحل . [المترجم] .

(٢) هو إله الخمر عند قدماء اليونان والرومان . [المترجم] .

(٣) اشتهر يهود أوروبا في العصور الوسطى بالتجارة وإفراض المسائل للناس بالربا

الفاحش . [المترجم] .

(٤) المأمور بطلب الصدقة والإحسان ، أى التسول للعطاء . طالب الحياة في محيطه

الدهلي الجديد . [المترجم] .

الإحساس به . وهناك طالب آخر يقول في خطاب له إنه يرقد على القش بدون غطاء ، ويذهب بدون حذاء أو قيص ، ويأكل ما لا يستطيع ذكره . وهي قصص ابتدعت وصممت لتوجه إلى أخت له ، وهو يطلب رداً على الخطاب [الذى بعث به إليها] ومعه مائة قطعة من التورنوا الفرنسى sous tournois وزوجان من الملابس وعشرة أذرع من قماش فاخر ، وأن ترسل هذه الأشياء كلها دون علم زوجها . وهاك موجز مركز محبوبك لطلاب من شارتر بفرنسا : قد قننا بشرح عدد قليل من السكتب ، ولكننا مدينون بالمال . ،

وكان الرد المناسب على مثل هذه الطلبات ، بالطبع ، خطاباً رقيقاً يفيض بالحب ويثنى على مثابرة الشاب وانكبابه على العمل ، ومع الخطاب حوالة مالية بالمبلغ المطلوب . وفى بعض الأحيان ينصح الراسل الطالب بالاعتدال فى مصروفاته ، قائلاً له إنه كان من الواجب عليه أن يعيش مدة أطول بالمبلغ الذى كان قد تسلمه من قبل ، كما يجب عليه أن يتذكر حاجات أخواته ومطالبهم ، وكان الواجب أن يعمل والدية بدلاً من محاولة ابتزاز النقود منها ، إلى آخر هذه العبارات . ويمتدح والد أحد أولئك الطلبة - وهو يقتبس من هوراثيوس (١)

(١) هوراثيوس أو حورس شاعر لاطنى ولد سنة ٦٥ ق . م ، وكان أبوه من الأحرار ، وقد تلقى تعليمه فى روما فى مدارس لها شهرتها وصيتها الذائع . وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره انتقل إلى أثينا لدراسة الشعر والفلسفة اليونانية . وقد حضر معركة فيليبى سنة ٤٢ ق . م ، ثم قتل عائداً إلى روما . واسترعت قصائده نظر الشاعر المعروف لرجيل بما سهل له أمر التعرّف من الإمبراطور أوغسطس . ومن أعماله المتبقية قصائده فى التقديس الاجتماعى ، وهى فى قالب من السخرية والتعسك . وهناك أيضاً قصائده الغنائية . وقد توفى هوراثيوس سنة ٨ ق . م عن ٥٧ سنة . أنظر عن ذلك المراجع الأجنبية التالية

Horace — بسبب عجز كرمه عن إعطاء الثمار . وكثيرا ما يحدث أيضا أن يكون الوالد أو العم قد بلغته تقارير سيئة عن الطالب الذى يجب عندئذ أن يكون مستعدا لإنكار مثل هذه الوشائيات فى سخط وحق ، وهى التى يعتبرها من تلفيق أعدائه الذى لا أساس له من الصحة . وهاك مثال يكشف عن اللوم والتعنيف الأبوى مأخوذ من مجموعة ممتعة [من المراسلات] تعزى إلى منطقة فرانك كوتيه^(١) Franche - Comté :

« يبعث ب من بيزانسون Besancon بفرنسا إلى ابنه ج الذى يقيم فى مدينة اورليانز، بتحياته مقرونة بالحماس والغيرة الأبوية . وهكذا مكتوب إن السكسول فى عمله هو أيضا أخ للبذر المتلاف . فلقد اكتشفت حديثا أنك تعيش حياة ملوها الفسق والسكسل ، وأنتك تؤمر الإباحة وقلة الحياء والانطلاق على التقيد والمحافظة ، وتفضل اللعب على العمل ، وتعزف على القيثارة بينما الآخرون منهمكون فى دراساتهم . وعلى هذا فإنك لم تقرأ سوى مجلد واحد فى القانون ، بينما قرأ زملاؤك الذين هم أكثر منك كدأ واجتهادا العديد من الكتب . لذلك فقد قررت أن أنبهك هنا بأن ترجع كلية عن طرقك الفاسدة العابثة التى تقسم باللامبالاة حتى لا يدعوك أحد بعد ذلك بأنك مضياح . وهكذا يتحول العار الذى لحق بك إلى سمعة حسنة طيبة . »

Warrington, op. cit., p. 282 f. ; Barrow, The Romans, pp. 24, 84 = f., 115 et sqq. ; Carcopino, Daily Life in Ancient Rome, pp. 116, 155 et sqq. [المترجم] .

(١) فرانك كوتيه منطقة يحدها من الشمال اللورين ومن الشرق الايلزاس وسويسرا ومن الغرب دوقية برجنديا ومن ناحية الجنوب كل من برس Bresse وبجي Bugey [المترجم]

ونجد في النماذج المحفوظة في بروفانس بفرنسا مدرسا يكتب لوالد طالب بأنه بينما ابنه الطالب يتقدم في دراساته ، إلا أنه طائش شرس نوعا ما ، ولكن يمكن تقويمه بالنصح والعظة الحكيمة . وبالطبع فقد طلب الأستاذ ألا يعرف الطالب أن هذا الخبر قد نقله هو إلى والده . لذلك كتب الوالد إلى ابنه يقول :

« لقد علمت من مصدر معين جدير بالثقة ، وليس عن طريق أستاذك مع أنه ما كان يجب عليه أن يخفى عني مثل هذه الأمور ، علمت أنك لا تدرس في حجرتك ولا تسلك في المدارس كما يجب أن يفعل الطالب الجيد . ولكنك تلعب وتتجول هنا وهناك وتعصى أستاذك ، وتغفم في الرياضة وفي بعض الأفعال الشائنة التي لا أهتم الآن بقوضيها في شطاب . » ثم يتبع ذلك بالنصح المعتاد الذي يهدف إلى التقويم والإصلاح .

ثم نجد غلامين في اورليانز يصفان وصولهما إلى هذا المركز العلمي قائلين :

« تحية وطاعة بنوية من الإبنين م . وس . إلى والديهما العزيزين المحترمين السيد م . مارتري M. Martre وزوجته السيدة م . لقد حررنا هذا لنحيطكما علما أننا ، بفضل الله ورحمته ، نتمتع بصحة جيدة في مدينة اورليانز ، وأنها تكرر أنفسنا كلية للدراسة ، وأن نعي ونتفهم كلمات كاتو (١) . ولأنه لما

(١) المفقود هنا كاتو الأكبر ، ولد في ٢٣٢ ق م وتوفي في ١٤٧ ق م عن ٨٥ سنة . وهو سهامي روماني معروف اشترك في الحرب البونية الثانية في الحملات ضد اثيبونوس الثالث ملك سورية ، كما ساهم في الحياة العامة ، وكان من الداعين إلى تدمير قرطاجنة . وهو =

يستحق الثناء أن يتعلم الإنسان شيئا ، فنحن نقيم في سكن مريح ، على مقربة من المدارس ومحلة السوق ، حتى نستطيع أن نذهب إلى المدرسة يوميا دون أن تبطل أقدامنا . كما أن لنا رفاقا طيبين يعيشون معنا في نفس المنزل ، وهم متقدمون جدا في دراساتهم ، ولهم عادات ممتازة ، وهذه ميزة نقدرها حق التقدير ، لأنه كما يقول صاحب المزامير ” طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار“ (١) .

ولم يستطع مثل هؤلاء الشباب الانتهاء من حياتهم العلمية بسرعة . وكانوا يطلبون ، مرة بعد أخرى ، إذنا بأن تمد لهم فترة دراساتهم . وقد نشب الحروب ، وقد يموت الآباء والإخوة ويتطلب الأمر تقسيم التركة ، ولكن الطالب يرسل دائما في طلب تأجيل العودة . فهو يرغب في أن تطول خدمته في محلة بالاس Pallas . وعلى أية حال ، لا يستطيع الطالب الرحيل قبل عيد القيامة ، لأن أساتذته قد بدأوا برامج هامة من محاضراتهم . وقد يستدعى طالب من

== فضلا عن ذلك ، خطيب مفوه كتب عن الحياة الرغبة ، وله مؤلفات تاريخية فقدت ولم تصلنا .
أنظر Warrington, op. cit., p. 131 ; Cochrane, Christianity and Classical Culture, pp. 30, 32 ff., 37; Barrow, op. cit., pp. 61
ff., 162 ; Garcopino, op. cit., pp. 50, 64, 84 et sqq. [المترجم]

(١) أنظر العهد القديم — مزامير — المزمور الأول: العدد الأول . وجددير بالذكر أن هذه الفكرة توجد في سفر المزامير على امتداد إصحاحاته ، وبخاصة الإصحاح الأول حيث يفرق داود النبي صاحب المزامير بين الرجل الصالح البار والرجل الطالح الشرير .
[المترجم] .

سينا (١) Siena للعودة إلى وطنه كي يتزوج من سيدة شديدة الفتنة والإغراء .
فيجيب بأنه يعتبر هجره لقضية العلم في سبيل امرأة ضربا من الخيانة والغباء ، لأن
الشخص قد يستطيع الحصول على زوجة في أى وقت ، ولكن العلم إذا افتقده
مرة ، فلن يستطيع استعادته أو تعويضه .

ومع ذلك ، فإن وقت الرحيل لابد وأن يأتي آخر الأمر . وحينئذ تكون
مشكلة الطالب الكبرى هي المال لدفع المصاريف اللازمة للتقدم للامتحان ؛ وكان
يطلق على هذا المشروع وتحتك الولية التي تقام بمناسبة العودة . وعلى هذا
يلتمس طالب من جامعة باريس من صديق له أن يوضح لوالده أنه طالما أن
سناجة عقل أى فرد من العامة لا يستطيع إدراك مثل هذه الأمور ، كيف أنه
في النهاية بعد دراسة طويلة لا يعترض طريقه شيء سوى المال اللازم لإعداد
المأدبة التي تقف عقبة في سبيل حصوله على درجته العلمية . فن أورليانز يكتب
د . بوتيريل D. Boterel إلى أقاربه الأعزاء في مدينة تورز قائلا إنه منهمك في
دراسة المجلد الأخير في القانون ، وعند الفراغ منه سيكون بوسعه التقدم لنيل

(١) سينا مدينة ومركز أسقفية توسكانيا بإيطاليا ، وبها جامعة تأسست سنة ١٢٠٣ م
تقتصر على كليات القانون والطب . وهي مدينة يرجع تاريخها إلى أقدم العصور ، وقد كانت
مستعمرة رومانية زمن الإمبراطور أوغسطس . أما المدينة الحالية فهي ترجع برمتها إلى
العصر الوسيط . وكانت مركزا أسقفيا منذ القرن السابع الميلادي ، وربما قبل ذلك التاريخ .
هكذا ، ويرتبط تطور تاريخ سينا ارتباطا وثيقا بنمو الكنيسة اللاتينية وازدياد نفوذ
الأسقفية بها . أنظر مقالة « سينا » في دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٠ (طبع شيكاجو ،
١٩٦٤) ، ص ٦٢٠ — ٦٢٣ [المترجم] .

درجته الجامعية إذا ما أرسلوا إليه مبلغ مائة جنيه فرنسي (١) لتغطية المصاريف اللازمة. هذا ، وقد ذكرنا شيئا عن التقدم للامتحان في بولونيا في الفصل السابق (٢) .

وإذا كانت خطابات الطلبة ومراسلاتهم قد امتدت طوال العصور الوسطى المتأخرة ، فقد كانت الأشعار التي قرنها طلبية العصور الوسطى ، أو بالأحرى أفضلها ، على العكس من ذلك . إذ اقتصرنا على فترة زمنية قصيرة نسبيا ، تشمل على وجه التقريب السنوات الواقعة بين عامي ١١٢٥ م و ١٢٢٥ م ، تلك الفترة التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالطابع الكلاسيكي لنهضة القرن الثاني عشر . وكان هذا الشعر ، إلى حد بعيد ، هو نتاج طلاب العلم المنجولين في هذا العصر . لقد كان من نتاج طلبية لايزالون يدرسون ومن طلبية سابقين ومن أساتذة كذلك ، وهم الذين كانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى سعيا وراء العلم ، وما زالوا مستعدين لمغامرات أبعد من ذلك . وهم طلاب علم بالإسم فحسب ، ولكن حياتهم بعيدة كل البعد عن حياة البحث والجري وراء العلم . يقول المؤرخ ج . أ . سيموندز J. A. Symonds : « إنهم بعيدون عن أوطانهم ولا يشعرون بأية مسؤوليات ، جيوبهم فارغة وقلوبهم خاوية ، وهم مهملون يبحثون عن المتعة ،

(١) يطلق عليه بالفرنسية livre ، وهو العملة التي كانت متداولة في فرنسا وقتذاك قبل استبدال الفرنك الفرنسي . وكانت هذه العملة تعرف أيضا باسم « تورنوا » Tournois نسبة إلى مدينة تورز . أنظر ، Grande Encyc. , Art. France, Numismatique, vol. XVII, p. 1141 & Art. Tournois, vol. XXXI,

p. 247. [الترجم] .

(٢) أنظر ، ماسبق ، ص ٣٢٢ من هذا الكتاب وما بعدها . [الترجم]

ويحيون حياة متحررة شائنة ، ، ويكتب راهب من رهبان القرن الثاني عشر قائلاً : « لأنهم معتادون على التجوال حول العالم ، يزورون جميع مدنه حتى يصيبهم الجنون من فرط تعلمهم . فهم في باريس يدرسون الفنون الحرة ، وفي أورليانز يدرسون التراث الكلاسيكي القديم ، وفي سالرنو يتعلمون الطب ، كما يدرسون السحر في طليطلة . ولكنهم لا يجدون في أى مكان دراسة تتعلق بأداب السلوك والأخلاق . ، وعلى أية حال ، فقد كان شمال فرنسا هو مقرهم الرئيسى حيث المركز الخاص بالنهضة الأدبية الجديدة .

ويمكن القول بأن هؤلاء الطلبة المتجولين قد اتخذوا لأنفسهم إسم « الجوليارديين » Goliardi ، إشارة إلى التلميح المبهم إلى جولييات Goliath الفلسطينيين (١) ، ولهذا السبب عرف شعرهم بوجه عام بإسم الشعر الجولياردى .

(١) جولييات أو جلييات أو جولياس هو أحد المحاربين الفلسطينيين المعروف بضافته وقوته الحارقة . وقد تمكن داود النبى ، وهو بعد غلام صغير نحيل الجسم ضعيف البنية ، من منازلة هذا العملاق والتغلب عليه ، في حين أن أحدا من كبار بنى إسرائيل لم يجرؤ على منازلته خوفاً من قوته وبطشه . أنظر تفاصيل القصة في العهد القديم - صموئيل - المصحح ١٧ . هذا ، ويختلف المؤرخ سيدنى بينتر مع هاسكنز حول شخصية جولييات ، إذ يرجع أنه شخصية خرافية أسطورية لعبت دوراً بارزاً في الشعر الجولياردى ولا ظل لها من الحقيقة التاريخية . ويتحدث بينتر عن الشعر الجولياردى قائلاً أنه من إنتاج عدد من طلاب العلم المتجولين الذين ينتمون إلى للدرجات الدينية الصغرى في سلك الكهنوت ، ويرجع أنهم كانوا من طلاب الجامعة . ويضيف أن اشعارهم تتلى بهجة ومرحاً وتتحدث عن الحب والمزاج . وكانت هذه القصائد مكتوبة باللغة اللاتينية وتبدو فيها الروح الدليرية الداعية إلى التمتع بالحياة ومباهجها وملذاتها . وهى ، بذلك ، تعبر عن صحوة حية لم تمر طويلاً ، بدا فيها الاهتمام واضحاً بالأدب اللاتينى الذى ميز القرن الثانى عشر ويعتبر من أبرز خصائصه .

أنظر Painter, A History of the Middle Ages, p. 447 f ; LaMonte,

The World of the Middle Ages, p. 556 f. [المترجم]

ويعزى هذا الإنتاج الشعري ، في معظمه ، لأشخاص مجهولين ؛ ولو أن البحث الحديث (١) استطاع تمييز شخصيات كتاب معينين من مؤلفي هذه المجموعة الشعرية ، وبصفة خاصة هيوغ Hugh كاهن اورليانز الذي عاش حوالى عام ١١٤٢ م والمعروف بالرئيس ، وكذلك شخص آخر يسمى أركبويت (٢) Archpoet . وكان هذا الشاعر لا ذعا ماهرا شديد الخلق ، كما كان شائنا دينا إلى أبعد حد ، حتى لقد اشتهر لعدة أجيال بأنه الشاعر المرتجل المدهش الذى لو كان قد حول قلبه إلى حب الله لاحتل مكانة كبيرة فى الأدب اللاهوتى ، ولأثبت أنه أنفع لإنسان فى كنيسة الله . ، وكان أركبويت موجودا ، فى الغالب ، فى إيطاليا فيما بين عامى ١١٦١ م و ١١٦٥ م حيث كان يحيا د حياته الخاصة ، خلال فصلى الربيع والخريف . ولكن عندما يحين وقت الخريف يعود إلى حياة التسول طالبا قميصا أو عباءة من رئيسه الدينى وهو رئيس أساقفة كولونيا . ثم يطلب منه رئيسه أن ينظم له ، فى مدى أسبوع واحد ، ملحمة شعرية فى مدح الإمبراطور .

(١) لقد أمكن تمييز شخصية اثنين من هؤلاء الشعراء ، أولهما هيوغ الاورليانز المعروف باسم الرئيس Primate وذلك بفضل الدراسات التى قام بها العالمان ل. ديليس L. Delisle و . و. ماير W. Meyer ؛ وثانيهما هو الشاعر أركبويت المعروف بأبى الشعراء وذلك بفضل البحوث التى أجراها العالمان ب. شميدل B. Schmeidler و م. مانيتيوس M. Manitius [المترجم] -

(٢) هو أحد رجال الدين بمدينة كولونيا بفرنسا حوالى عام ١١٦٠ م . هذا ، وقد نسبت تلك المجموعة الشعرية الغنائية فى وقت من الأوقات إلى شخص يدعى والتر ماب Walter Map الذى يحتدل أن يكون قد كتب جانبا منها . ولكن مما لا شك فيه أنه لم يكن مؤلف المجموعة كلها . أنظر من ذلك LaMonte, op. cit., p. 557. راجع أيضا هارتمان وباراسلاف : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٠ و ح ٣ و ٢٢٤ . [المترجم]

ويجيب [الشاعر] قائلاً بأنه لا يستطيع الكتابة بمعدة خاوية ، وإن نوع شعره يعتمد على نوع شعره ، وينص قوله :

« أنا أقرض الشعر مثلنا أحتسى النبيذ . » (١)

ولابد أن شاعرنا قد وجد في بعض الأحيان النبيذ الجيد ، لأنه نظم قصيدة للمدرسة كلها تعتبر أروع قطعة أدبية شعرية له ، وهي تحمل اسم « إعراف أحد الجولياردين » ، « Confession of a Goliard » ، وقد تضمنت وصفاً لا ينسى للمغريات المشتعلة في بافيا [بايطاليا] ، حيث يمجّد فيها مسرات الحانات وملذاتها ومباهجها . يقول الشاعر :

في الحانة العامة أموت ،
هذا هو ما صممت عليه .
فليكن النبيذ قريباً من شفقي ،
عندما تنتهي الحياة .
وتجمل الملائكة يصبحون ،
بقصاحة ماؤها السرور ،
« لمنع هذا السكير يارب في علاك
نعمة ومنفرة ٢ » (٢)

(١) وينص قوله باللاتينية ، « Tales versus facio quale vinum bibo » ، cf. Haskins, op. cit., p. 830. — والمقصود أنه يريد الثمن على الشعر الذي يقرضه [المترجم] .

(٢) هذه الأبيات من قصيدة تحمل اسم « اعترافات جوليات » ، وهي تعبر — بدون شك — عن أخس مشاعر الجولياردين وأدق انفعالاتهم وأحاسيسهم . وأنزل ترجمة لها باللغة الإنجليزية توجده كتاب سيموندز Symonds, J. A., Wine, Women, and Song, Chatto and Windus, 1925. وهناك ترجمة أخرى لقصيدة المذكورة — بقلم السكاتية هيلين وادل Helen Waddell في كتابها « من الأغاني اللاتينية في العصر الوسيط » [المترجم] .

ومع أن الشعر الجولياردى قد كتب باللغة اللاتينية ، إلا أنه تخلى عن نظام الوزن القديم ليستخدم القافية والحركات فى الشعر الجديد . ومع ذلك ، فإن أفضل الترجمات الحديثة له ، مثل ترجمة جون أدينجتون سيموندز John Addington Symonds التى أخذت عنها ، تفشل فى إعطاء الوزن والنغم والانسحاب الموسيقى القصيدة بلغتها الأصلية . فلقد كان مؤلفوها يعرفون أساطير اليونان والرومان القدماء ، وبخاصة كتابات أوفيد الذى نهج الشاعر نهجه بحرية وبدون قيود ، وهذا أن تم نسخها فى كلونية مترجمة (١) . هذا ، والجانب الأكبر من الشعر الجولياردى كلاسيكى فى نظراته الوثنية الصريحة للحياة . فآلهته هم فينوس Venus [إلهة الحب والجمال] وباخوس [إله الخمر] ودشيويس Decius أيضا وهو إله التردد . وكانت مواضعه العامة تدور حول الحب والخمر والربيع والحياة فى الطريق الطلق وتحت السماء الزرقاء . وكانت روحه المعبرة هى الاستمتاع الشديد فى هذه الحياة الدنيا ، أى المتعة والبهجة والحياة من أجل الحياة . (٢) وهذا هو ما يحده القارىء فى إنتاج شعراء اليونان والرومان القدماء ، أو فى تلك الأغنية الطنانة التى ترجع إلى عصر متأخر ، والتى مازال عالم الدراسة والبحث يعتز بها ويحافظ عليها ، وفيها يقول الشاعر :

« يطربنا ويفشينا أننا الآن شباب . » (٣)

(١) نسبة إلى جماعة كلونى الديورية . [المترجم] .

(٢) أى الاستمتاع بالحياة وتمجيدها فى شتى صورها ومظاهرها [المترجم] .

(٣) وباللاتينية « Gaudeamus igitur iuvenes dum sumus, » cf. Haskins, op. cit, p. 85.

وعلى العموم ، فقد كان الشعر الجولياردى من النوع غير الشخصى ، أى الذى لا يختص بفرد ما ، ولم يمدنا سوى بتفاصيل قليلة عن أى مكان بالذات . ولكنه كان يعكس الجانب الأكثر مرحا والأشد جذالة وطربا من حياة طلاب العلم فى العصر الوسيط . كما يلقى الضوء على حياة أولئك الطلاب الذين لا يتميزون بسيرة حسنة أو سمعة طيبة . وإن هذا الطراز من الحياة الذى يعيشه أولئك المتشردون المستهترون ، بقواعده التى لا تعتبر قواعد على الإطلاق ، موصوف هنا أمام الناس من كل الفئات والأذواق . فهم أشخاص يقومون من نومهم متأخرين ، أو هم مقامرون طروبون يحبون اللهو والمتعة . وإن أى فرد من جماعة الجوليارديين لا يملك أكثر من سترة واحدة على ظهره ، ولذلك فهم ينتقلون من مدينة إلى أخرى مستعطفين الناس لإمدادهم بالمال . وهاك بضعة آيات من الشعر تطابق ما جاء فى خطابات الطلبة بهذا الخصوص :

أنا صي متجول أطلب العلم ،
خافت العمل الشاق والحزن ،
وفى كثير من الأحيان يدفعنى
الفقر إلى الجوع .

والأدب والمعرفة
كم كنت أتمنى أن أغل أكتسبها ،
لولا الحاجة للرزق
الذى تجعلنى أموقف عن طلب العلم .

فهذه الملابس البالية التى تمسوفنى ،
كم هى رقيقة وممزقة .
وكم هابت من البرد
بعد أن استأى الدفء .

وقلما أستطيع الذهاب إلى السكنيسة
وأرغم قه نسيبها كما يجب ،
فيفوئى القداس وصلوات المساء
مع أنتى أحبها بحس .

آه . . أنت يا مغفرة وطنك
إنى احسك مطلقك بحقوقك
أن تساعدنى أنا البائس المحتاج
وأكيدا سوف تكافئك السماء .

اتصبه الآن
كما تنبىه إلى القديس مارتن . (١)
وأكسى عرى الحاج
ثم ادع له عند القراق .

فلينقل الله روحك
إلى سلام أبدي .
ولتكن سعادة القديسين من نصيبك
فى ملكوته الأعلى .

(١) كان القديس مارتن St. Martin (حوالى ٣٣٠ - ٣٩٧ م) أسقفا على مدينة
تورز ، ويعتبر أباً الرهبنة فى غالة ومن أكثر القديسين فى أوروبا الغربية تبيلا واحتراما ؛
ولممن أبوين وثنيين واعتنق المسيحية فى سن مبكرة ، وقد خدم فى شبابيه فى الجيش الرومانى ،
وبروى تلميذه ومؤرخ سيرته سولبيكيوس سلفيروس Sulpicius Severus قصة اعتناقه
المسيحية عند ما طلب إطفاءه من الجندي بعد أن أصبح من جنود المسيح . هذا ويقع عيد
القديس مارتن فى الحادى عشر من نوفمبر من كل عام . انظر Taylor, The Classical
Heritage of the Middle Ages, pp. 11 n. 4, 282 n. 4. انظر ايضا مقالة
مارتن (القديس) فى دائرة المعارف البريطانية (طبعة سنة ١٩٦٤) ، ج ١٤ ، ص ٩٨٥
— ٩٨٦ . [الترجم]

— ٣٨٢ —

ويحيي الإخوة بعضهم بعضا فى الحانات الجانبية بمثل هذه الأغنية التى تقول :

نحن فى تجوالنا

طرويين مسرفين .

تارا ، تنتارا ، تينو !

نأكل حتى تمتلئ البطون

ونشرب فى وقار .

تارا ، تنتارا ، تينو !

ونضعك حتى تتمزق منا الجنوب

وللبس الأسماك على الجلود .

تارا ، تنتارا ، تينو !

نمزر إلى الأبد

ونجرح بطرانة جهنمية .

تارا ، تنتارا ، تينو !

وتستمر القصيدة على هذه الوتيرة إلى آخرها .

ونحمد وصفا للسكران المتجمعين معا ، فى قصيدة أخرى ، تقول أبياتها :

البعض ينامر والبعض يعمر ،

والبعض يعيش دون أن يفكر .

ومن بين أولئك الذين يسبون الصخب والضجيج ،

تجرد البعض من المعاطف والسترات .

والبعض ينعم بملايس من ناعم الريش ،

والبعض لا يملك شروى نقير .

فليس هناك من أحد ينهى غزو الموت ،

ولسكن الجميع يمارون فى المراهب .

ثم هم يشربون منتهكين حرمة الدين ، مرة من أجل جميع المساجين والأسرى ، وثلاث مرات من أجل الأحياء ، ومرة رابعة من أجل جميع المسيحيين ، وخامسة لأولئك الذين رحلوا عن هذا العالم وهم على الإيمان باقون ، وهكذا حتى الجرة الثالثة عشرة التي تكون من أجل أولئك الذين يسافرون برا أو بحرا . ويعقب ذلك احتساء متواصلا للمرة الأخيرة من أجل كل من الملك والبابا . ويفبر مثل هذا الشعر تعبيرا صادقا عن عصر « الشراب واحتساء الخمر » .

ولما كان الشعر الجولياردى شعرا يتحدث عن الخمر والنساء ، فقد احتوى قدرا كبيرا من التهكم والهجاء . ولما كان هذا الشعر يخاطب أيضا جمهورا يألف الكتاب المقدس والطقوس الكنسية ، فقد كان مؤلفوه يعبرون بطريقة هزلية عن أي أمر من الأمور الجدية ، كالإنجيل وتراجم العذراء ، والمراسم الخاصة بالقداس ، كما هو الحال في قصيدة تعرف بإسم « قداس السكران » ، Drinkers ، Mass ، وأخرى بعنوان « كتاب صلات المقامرين » ، Office for Gamblers . ثم أن إحدى القطع الشعرية الممتازة عبارة عن ذم وهجاء في البابوبة وتحمل إسم « الإنجيل يقابل وزنه من الفضة » ، The Gospel according to Mark - s ، of silver . وما هذه القصيدة إلا إحدى الهجمات المريرة على روما ، وهي تصور خطرة وعناد وجشع طبقة كبار رجال الدين ممثلة في شخصية الأسقف جولياس Golias the Bishop . وكانت وجهة النظر هذه ، بصفة عامة ، هي وجهة نظر السكينة ذوى المراتب الدنيا ، وبخاصة العنصر المتجول غير المنظم الأكثر حرية وانطلاقا الذى ارتاد المدارس والطرفات ، وهو عنصر المشعوذين أو الجونجلير jongleurs الذين ينتمون إلى السلك الكهنوتى وكانت مثل هذه المواضيع مألوفة للتشريع الكنسى منذ القرن التاسع الميلادى .

وإن شعرا من هذا النوع يخالف تماما المفاهيم والأفكار التقليدية في العصور الوسطى ، حتى أن بعض الكتاب أنكروا شخصيته الوسيطة . فيقول أحدهم « إنه ينتمى إلى العصور الوسطى من الناحية الزمنية فحسب » ، بينما يجد فيه الآخرون علاقة وثيقة بروح عصر النهضة أو حركة الإصلاح الدينى . وقد يكون أكثر ملاءمة لروح التاريخ أن يجعل دائرة أفكارنا عن القرون الوسطى أكثر اتساعا وشمولا حتى تتمشى مع حقائق الحياة فى تلك القرون . فلم يكن الجليارديون إنسائين قبل عصر النهضة ، ولم يكونوا مصلحين قبل حركة الإصلاح الدينى ، وإنما كانوا — بكل بساطة — رجالا من العصور الوسطى الذين كتبوا لوهم فحسب . فإن كانت كتابات هؤلاء الشبالين ، وبخاصة طلاب العلم الفرنسيين ، تبدو وكأنها تنبئ باقتراب عصر النهضة فى إيطاليا ، فلربما أمكن القول بأن عصر النهضة قد بدأ مبكرا ، وأنه لم يكن لإيطاليا خالصا كما هو مفروض أن يكون . وإذا كان قارضو الشعر الجولياردى أكثر علمانية ، بل دهبوين أكثر مما يجب أن نتوقع ما يكون عليه طلاب العلم ، فيجب أن يكون معلوما أننا سوف نتوقع شيئا مختلفا ومغايرا . فى الشعر الغنائى ، كما هو الحال فى الملاحم والدراما ، نتعلم الآن الشيء الكثير عن التداخل بين العالمين الديوى والكنسى ، الذى لم يعد يفصل بينهما مثل تلك الفواصل والحواجز الجافة المحسكة التى ابتدها الخيال فى فترة متأخرة عن هذا العصر . وسواء أكانت روح الشعراء الجولياردين دهبوية أم دينية ، فقد كانوا بلا شك إنسائين . لقد عاشوا الحياة وأحسوا بها إحساسا قويا ، ثم كتبوا ما عرفوه وما أدركوه .

ويجىء بعد ذلك دور إنصاف الطلبة وإعطائهم حقهم بكلمة عن المنصر الأقل تطفلا ، ومعنى بذلك الطالب المجد . ويقول هاستنجز راشداك (١) : ليست

هناك سجلات تاريخية وحوليات تتحدث عن الطالب الفاضل . ، ولم يكن مثل هذا الطالب في كل المصور ماقنا للأنظار أو ملحوظا بالقدر الذي كان عليه زملاؤه المندفعون المتهورون . ولذلك فإن طالب العلم المثالي الذي يستمع إلى العظات الدينية لم يكن له لون ظاهر مميز ، وإنما كان مطيعا عتوما متحمسا لتلقى العلم ، مواظبا على المحاضرات ، جريئا في المناقشات ، متبصرا في دروسه حتى أثناء نزهاته المسائية على شاطئ النهر . والطالب المثالي في دراسة الكتب في مختلف الفنون هو ذلك الذي يتدرب على ما جاء بها من تعاليم ويمارسها . والطالب النموذجي في الآداب قد وصف نفسه كشخص كرس حياته تماما للدراسة والعلم ، ولو أنه يعرّضه المال إلى حد ما .

أما عن الطالب الذي يقرض الشعر الجيد ، فلم يوجد مثل هذا الشخص ! فلم يكن شعر الطالب د كله يتعلق بالخمر والعريضة والعشق والغزل ، ، وغير ذلك من المسائل الدينيوية (١) ، ولكن الكثير منه كان كذلك . ويجب هنا ألا نبحث عن الجانِب الأَكْثَر وقارا وجدية في الحياة العلمية . ويقول جان دى هوتفيل Jean de Hauteville عن طالب العلم المسكين المتأثر بأنه يمثل جانبا كبيرا من الطلبة ، ولكنه لم يخاف لنا مجموعة كبيرة من الشعر . وتنعكس أعمال الطالب الجيد انعكاسا ممتازا أثناء دراسته . ويبدو جده واجتهاده أحسن ما يكون في مذكراته وجدله ومناقشاته .

كذلك كانت الوثائق والمستندات المتعلقة بالجانِب التعليمي في الجامعة ، هي الأخرى ، مصدرا للكشف عن حياة الطالب . فقد لوحظ أن الاتحادات

الجامعية للطلاب في أيامنا هذه كانت أكثر خصباً في تذكّر صراعات الطلبة أكثر مما هي إنجازا العمل اليومي المنوطة به . فالصبي المجتهد في يومنا هذا لا يخالف هذه الخطوط الرئيسية مثلما كان يفعل زميله في الماضي ، ولم ير أحد أنه من المناسب إنتاج مسرحية أو قصة سينمائية « تبين ملامح وسمات الطالب المجد » . ومع ذلك ، فإن كل شخص على معرفة بالجامعات المعاصرة يعلم تماماً أن الطالب الجاد يمثل قطاعاً كبيراً من الطلبة ، وقد وضع بصفة قاطعة أن الشهرة والعصيت اللذين يتمتع بهما ينمكس أثرهما عليه في فترة تالية من حياته . وقد كان هذا هو الوضع القائم في العصور الوسطى .

هذا ، وقد أصر طلبة القانون في جامعة بولونيا على أن يحصلوا من أساتذتهم من العلم نظير المال الذي يدفعونه لهم . وكانت الامتحانات التي وصفها روبرت السوربون تحتاج إعداداً جاداً . ولم يكن الحصول على مهنة أو عمل هو وحده الدافع المحرك للدراسة في جامعة العصور الوسطى ؛ بل كانت هناك حماسة شديدة لاقتناء المعرفة ومناقشة العديد من المسائل العقلية . وقد كانت الجامعات الكبرى ، على الأقل ، نابضة بالحياة الفكرية ، بالإضافة إلى « قدسية العلم والتعليم » التي دعت في فترة مبكرة تلامذة أيبيلارد للتوجه إلى البرية ، وأن ينووا لأنفسهم أكواخاً حتى يقتاتوا من عليه وكلامه . وكانت كتب العصر يكتبها — إلى حد كبير — أساتذتها ، وكان للطلبة حق تصفحها والنظر فيها أثناء إعدادها . وهكذا كانوا ينهلون العلم من منبعه . وفي ذلك الوقت ، كما هو الحال الآن ، كانت السمعة الأخلاقية للجامعة تعتمد على قوة كيانها الفكري وجديته .

وإذا أمعنا في النظر في مجموعة المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالطلاب على وجه الإجمال ، نجد أن الظاهرة البارزة والنجية للأمال في نفس الوقت هي

حاجتها إلى كيان شخصي مستقل. فثمة الكتاب المدرسي «Manuale Scholarium» الذي أعد ليستخدمه جميع الطلبة الذين يرمعون الالتحاق بالجامعات . وقد أعدت الرسائل والخطابات ، بصفة عامة ، لتناسب رغبات أى طالب يحتاج إلى المال والملابس والكتب . وحتى القصائد التي يحق لنا أن نتوقع أن نرى فيها تعبيراً عن الأحاسيس الفردية ، كان لها نفس الطابع العام الذي يميز الجانب الأكبر من شعر المصور الوسطى . فقد كان معظمها يعبر عن صوت المجموع وليس عن صوت الأفراد .

وفي نفس الوقت يجب أن نتذكر أن هذه الخاصية التي تميز بها الإنتاج الأدبي للطلاب ، وإن كانت تسلب منهم شيئاً ، إلا أنها تزيد من القيمة التاريخية لهذا الإنتاج . إذ يتناول المؤرخ النواحي العامة أكثر مما يعالج الجوانب الخاصة ؛ ثم يجب عليه أن يبني معرفته عن طريق التجميع المضني والمقارن للحقائق الفردية التي يبلغ من قاتها وعدم تجانسها أنها لا تسمح بإصدار تعميمات سليمة . وعلى أية حال ، ففنياً يتعلق بسجلات الطلاب هذه التي تم التنقيب فيها من أجلهم ، نجد أنها بالشكل الذي وصلتنا فيه قد فقدت على أيدي الطلاب أنفسهم كل ما هو على أو خاص أو استثنائي . وأصبحت تمثل خبرة وتجربة قرون عديدة في حياة الطالب ، وذلك في ضوء طبيعة وكنه المعلومات التي وصلت إلينا ، وهي غير ما كان يأمل المؤرخ نفسه .

هذه هي الناحية الإنسانية العريضة التي تضيء على إنتاج طالب المصور الوسطى أهمية خاصة بالنسبة لعالم اليوم . فهي في مادتها ، إن لم تكن في شكلها وإطارها العام ، تماثل ما هو كائن في كل من جامعتي هارفارد Harvard وييل Yalo اليوم ، مثلاً كانت بالنسبة لجامعتي أكسفورد وباريس في المصور الوسطى .

فإن المناظرات والمناقشات والمجادلات باللغة اللاتينية ، ووحل بولونيا ، والمعارفة عند الجسر الكبير في فرنسا — كلها تنتمي بوضوح إلى العصور الوسطى ، ولا صلة لها بعصرنا هذا . ولكن المال والملبس والمسكن والمدرسين والكتب وحياة البهجة والمرح والزمانة الطيبة — كل هذه كانت ولا تزال موضع الاهتمام في كل زمان ومكان .

ولقد قال أحد أساتذة التاريخ ، ذات مرة ، إن الصعوبة الكبرى في تدريس التاريخ تكمن في إقناع التلاميذ بأن أحداث الماضي لم تحدث كلها في القمرفالصور الوسطى عصور سحيقة جدا ، وفي بعض النواحي تبدو بالنسبة لنا أكثر بعدا من العصور القديمة . ومن الصعب أن ندرك أن الرجال والنساء هم — بعد كل ماتقدم — نفس البشر ونفس الآدميين في الماضي وفي الحاضر . ويجب علينا أن نتذكر دائما أن العوامل الرئيسية الجوهرية في تطور الإنسان وتقدمه قد ظلت كما هي من عصر إلى آخر ، ويجب أن تظل هكذا طالما استمرت الطبيعة البشرية والبيئة والظروف الطبيعية باقية على ما هي عليه . فقد كان وجه الشبه بين طالب العصور الوسطى وخلفه طالب العصر الحديث ، فيما يتعلق بقصته مع العلم والحياة ، أكثر مما نظن أو نفترض . وإذا كانت الظروف المحيطة به تختلف عن تلك التي تحيط بطالب اليوم ، إلا أن المشاكل كانت — إلى حد بعيد — واحدة . وإذا كانت سيرة طالب العصر الوسيط أسوأ من سيرة زميله في العصر الحديث ، إلا أن طموحه كان نشطا للغاية ، ومناقشاته ومبارياته سامية شديدة باللغة العنف ، ورغبته في التعلم جادة هوفة متقدمة إلى أقصى حد . وكانت المحصلة العلمية بالنسبة له ، كما هو الحال بالنسبة لنا ، تعنى عضويته في مدينة الآداب التي لا تبنى بالأيدي ، وإنما هي مجموعة طلاب العلم القديمة الجامعة .

بعض المراجع للفصل الثالث (١)

Allen, P.S., *Modern Philology*, V, pp. 423—476, VI, pp. 3—43 (1907 & 1909).

وهو يشتمل على المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالشعر الجولياردى .

Allen, P.S., *Medieval Latin Lyrics*. Chicago, 1931.

Bahlmann, P. (ed.), *Mitteilungen der Gesellschaft für deutsche Erziehungs-und Schulgeschichte*, III (1893).

وتنقام ب. بالمان بنشر القوانين واللوائح المتعلقة بالطلبة
في الجزء الثالث من كتابه المذكور (ص ١٢٩ - ١٤٥) .

Bernard, E., *Les Dominicains dans l'université de Paris*. Paris, 1883.

Burke, R.B., *Compendium on the Magnificence, Dignity, and Excellence of the University of Paris in the Year of Grace 1517* (by, Robert Goulet). Philadelphia, 1928.

Fuchs, P., "Student Life in Paris During the Middle Ages," *Living Age*, CXCXCIX (1926), pp. 682—685.

Gabriel, A.L., *Student Life in Ave Maria College, Mediaeval Paris History and Chartulary of the College*. Notre Dame, Ind., 1955.

Ghellinck, J. de, *L'essor de la littérature latine au XIIe siècle*. Brussels & Paris, 1946.

أنظر ، بصفة خاصة ، الجزء الثاني من الكتاب المذكور (ص ٢٧٠ - ٢٨٤) .

Glizelli, S., "Les contenance de table," *Romania*, XLVII (1921), pp. 1—40.

ونجد في الكتاب المذكور دراسة طيبة عن كتب الطالب وأدواته الدراسية .

Gratien, "Les Franciscaines à l'université de Paris : notes et documents," *Etudes franciscaines*, January, 1912.

Haskins, C.H., "Life of Mediaeval Students as seen in their Letters," *American Historical Review*, III (1897—98), pp. 203—229.

(١) حول المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالشعر الجولياردى والشعراء الجولياردى ،
Paetow, L.J., *A Guide to the Study of Medieval History*. أنظر (London, 1931), pp. 484 ff., 489—493.
(المترجم) .

Haskins, C.H., "The University of Paris in the Sermons of the Thirteenth Century," *American Historical Review*, X (1904), pp. 1-27.

ويمكن ، أيضا ، الاطلاع على المقالين سالفى الذكر فى كتاب :

هاسكنز : دراسات فى ثقافة العصور الوسطى ، ص ١ - ٧١ (بالانجليزية) .

Haskins, C.H., "Manuals for Students," in his *Studies in Mediaeval Culture*, pp. 72-91.

Haskins, C.H., *Studies in Mediaeval Culture*. Oxford, 1929.

Hewett, W.T., "University Life in the Middle Ages," *Harper's Magazine*, XCVI (1898), pp. 945-955.

Hilka, A. & Schumann, O., *Carmina Burana*. Heidelberg, 1930.

وتشتمل هذه الطبعة على النصوص الأصلية للشعر الجولياردى مع التعليقات عليها .

Holmes, U.T., *Daily Living in the Twelfth Century : Based on the Observations of Alexander Neckam in London and Paris*. Madison, Wis., 1952.

Kilbre, P., *The Nations in Mediaeval Universities*. Cambridge, Mass., 1948.

ويعتبر هذا الكتاب من أحسن ما كتب عن نظام « الأمم » فى جامعات العصور الوسطى .

Kilbre, P., "Scholarly Privileges : Their Roman Origins and Medieval Expressions," *American Historical Review*, LIX (1954), pp. 543-567.

Langosch, K., *Hymnen und Vagantenlieder*. Basel, 1954.

ونجد فيه معلومات لا بأس بها عن كل من هيوج وأركهويت ، أنظر بصفة خاصة صفحات

٢٩٢ - ٣٤٠ .

Luchaire, A., *Social France at the Time of Philip Augustus*, translated by E.B. Krehbiel. New York, 1912.

وهمنا ، بصفة خاصة ، الفصل الثالث من الكتاب المذكور الذى يتحدث فيه المؤلف عن حياة الطلبة فى العصور الوسطى .

Mandonnet, P., "De l'incorporation des Dominicains dans l'ancienne université de Paris," *Revue Thomiste*, IV (1896), p. 156 ff.

Manitius, M., *Geschichte der lateinischen Literatur des Mittelalters*, Vol. III. Munich, 1931.

أنظر ، بخاصة ، صفحات ٩٦٣ - ٩٨٤ من كتاب م. مانتيوس .

- Milburn, J.B., "University Life in Mediaeval Oxford," Dublin Review, CXXIX (1901), 72—97.
- Epistolae academicae رسائل العلمة في مؤلفه بالعرض الرسائل العلمية التي قام ه. أنسلي H. Ansley بنشرها في جزئين (طبع أكسفورد ، سنة ١٩٠١) وهي تلي الفهم على الحياة الجامعية في القرن الخامس عشر .
- Moireau, A., La journée d'un écolier au moyen âge. Paris, 1889.
- Munro, D.C., "The Mediaeval Student," University of Pennsylvania, Translations and Reprints, Vol. II, No. 3; Philadelphia, 1899.
- Monroe, P., Thomas Platter, 1499—1582, and the Educational Renaissance of the Sixteenth Century. New York, 1904.
- Norton, A.O., Readings in the History of Education : Mediaeval Universities. Cambridge, 1909.
- Paetow, L.J. (ed.), John of Garlande's Morale Scolarium. Berkeley Cal., 1927.
- Pegnes, F., "Royal Support of Students in the Thirteenth Century," Speculum, XXXI (1956), pp. 454—462.
- Perrod, M., Maître Guillaume de Saint-Amour : l'université de Paris et les ordres mendiants au 13 siècle. Paris, 1895.
- وقد نقد الكاتبان ماندونيه Mandonnnet وفلدر Felder مؤلف م. بيروود نقداً عنيفاً .
- Perrod, M., Etude sur la vie et sur les oeuvres de Guillaume de Saint-Amour (1202—1272). Lous-le-Saunier, 1902.
- ويبدو أن هذا الكتاب عبارة عن طبعة جديدة لكتاب م. بيروود المنشور في باريس سنة ١٨٩٥ .
- Raby, F.J.E., A History of Secular Latin Poetry in the Middle Ages. Vol. II. Oxford, 1934.
- Rait, R.S., Life in the Mediaeval University. Cambridge, 1912.
- ونجد في هذا الكتاب عرضاً طيباً لحياة الطلبة في جامعات العصور الوسطى ، ويعتمد فيه المؤلف على الفصل الأخير من كتاب « جامعات العصور الوسطى » لراشداًل .
- Schmeller, J.A., Carmina Burana. Breslau, 1894.
- يتضمن كتاب ج. ا. شمير أفضل مجموعة من الشعر الجولياردى ، وهي مجموعة متنازة فريدة في نوعها .
- Seyblot, R.F. (tr.), The Manuale Scholarium. Cambridge, Mass., 1921.
- وهو عبارة عن ترجمة مع التعليق عليها .

- Seyblot, R.F., *Renaissance Student Life, a Translation of Paedologia of Petrus Mossellanus*. Urbana, 1927.
- Shackford, M.H. (ed.), *Legends and Satires from Mediaeval Literature*. Boston, 1913.
- ويشتمل هذا الكتاب على قصيدة للشاعر الفرنسي وليم روتبف W. Rutebucf من القرن الثالث عشر يتكلم فيها على طالب في جامعة باريس ، والقصيدة مترجمة إلى الإنجليزية تحت عنوان « أغنية جامعة باريس » (ص ١٢٥ - ١٢٧) من الكتاب المذكور .
- Süssmlich, H., *Die lateinische Vagantenpoesie des 12. und 13. Jahrhunderts als Kulturerscheinung*. Leipzig, 1917.
- Symonds, J.A., *Wine, Women, and Song*. London, 1884.
- ويتضمن كتاب ج.ا. سيموندز أفضل تراجم للشعر الجولياردى باللغة الإنجليزية .
- The Septicentennial Celebration of the Founding of the Sorbonne College in the University of Paris. Chapel Hill, N.C. 1953.
- Thompson, J.W., "Goliardi," *Studies in Philology*, XX (1923). pp. 83—98.
- وقد قامت جامعة كارولينا الشمالية بنشر هذه الدراسات القيمة التي تتعلق بأصل كلمة « جولياردى » ومشتقاتها .
- Waddell, H., *The Wandering Scholars*. London, 1934.
- Waddell, H., *Mediaeval Latin Lyrics*. London, 1948.
- يحتوى كتاب ه. وادل على تراجم بالإنجليزية للشعر الجولياردى .
- Webster, H., *Historical Selctions*. Boston, 1929.
- من المصادر الرئيسية التي أشارت إلى حياة الطلبة في العصور الوسطى (أنظر ص ٥٧٩ - ٦٠٤) .
- Weingart, M. (ed.), *Statuta vel Precepta Scolarium*. Metten, 1894.
- Whicher, F., *The Gloiard Poets*. Cambridge, Mass., 1949.
- يتضمن هذا الكتاب ، هو الآخر ، تراجم انجليزية للشعر الجولياردى .
- Wright, T., *A Volume of Vocabularies, Vol. I*. London, 1857.
- يتضمن كتاب ت. رايت قاموس جون أوف جارلانده (ص ١٢٠ - ١٣٨) .
- Wyngaert, A. van den, "Querelles du clergé séculier et des ordres mendiants à l'université de Paris au XIIIe siècle," *la France franciscaine*, V (1922), pp. 257—281, 369—397; VI (1923), pp. 47—70.

بيان اللوحات

صفحة

- لوحة رقم (٥) حياة طلاب العلم في كاتدرائية نوتردام في باريس
٢٥٩ في القرن الثالث عشر [كاتدرائية باريس] .
لوحة رقم (٦) خطاب مزخرف . [مخطوطة لائينية برقم ١٦
٢٩٩ ٧٤٣ - ٤٦ بالمكتبة الاهلية بباريس] .
لوحة رقم (٧) طالبان يطالعان ويتناقشان [نحت على حجر بدير
٢٤٩ القديس ديس بفرنسا] .

الذى خدعه أحيانا أن يلتقيا بعد صلاة المساء ، وهنا يبدأ هزر تعود عليه طلبة المدارس حيث يتبارى فيه الطالبان . ولما كان التضارب بالكلمات ممنوعا في المدرسة ، فقد تعلم الفتيان كيف يتحدثون عن عداءهم وخصوماتهم ، وكيف يدنون شكاياتهم في حوار باللغة اللاتينية . ويبدأ الحديث كالآتي : « لقد كنت خارج المدينة بعد أن حل الظلام ، ولعبت مع العلبانيين يوم الأحد ، وذهبت للسباحة يوم الإثنين ، وتفتيت عن صلاة الصبح واستغرقت في النوم أثناء القداس » . ثم يشكو قائلا : « أستاذنا المبجل .. لقد لطخ هذا الفتى كتابي وهو يصبح ورائي أينما ذهبت وهو يسبني ويلعني » .

وبالإضافة إلى المجادلات الرسمية ، كان الطلبة يتناقشون في الأحداث الجارية مثل معركة في الشارع ، أو زفاف ابن عم ، أو الحرب المتوقع نشوبها مع دوق سكسونيا ، أو الوسيلة التي يمكن الوصول بها إلى إرفورت Erfurt في ألمانيا حيث ينتوى أحدهم الذهاب هناك عندما يبلغ السادسة عشرة من العمر للدراسة في الجامعة . وكانت التجربة القاسية التي يعاني منها الطالب في يومه الدراسي هي سؤال الأستاذ له في النحو اللاتيني الذي يصل إلى حد الأحاجي والألغاز ، وذلك عندما يأتي الدور على كل طالب لسؤاله « auditio circuli » . وكان على التلاميذ أن يتلوا على أستاذهم ما حفظوه من تكوينات وتصاريح . فيبدأ الكسالي في الارتعاش عندما تحين ساعة الدرس . وكان الطلبة يتمنون ألا يحضر الأستاذ قائلين : « عنده ضيوف » ، و « اسكن سيتركونه في الوقت المناسب » ، و « قد يذهب إلى الحمامات » ، و « لكنه لم يمض على ذهابه إليها منذ آخر مرة أسبوع كامل » ، ثم يقولون : « ها هو قد حضر » . أذكر لاسم القط فإذا به

محتويات الكتاب القسم الثاني

صفحة

كلية المترجم	٢١٨-٢٠٥
مقدمة بقلم تيودور أ. ميسن	٢٢٩-٢٢٥

الفضائل الأولى

٢٨٦-٢٣٣

الجامعات المبكرة

مقدمات :

الجامعة بمعناها المعروف من نتاج العصر الوسيط — أوجه
الخلاف بين جامعة الأمس وجامعة اليوم — جامعة القرن
العشرين سلسلة ووريثة جامعتي باريس وبولونيا في العصر
الوسيظ — غير معروف على وجه التحديد متى بدأت معظم
الجامعات المبكرة — نهضة القرن الثاني عشر وآثارها — العلم
والمعرفة في العصر الوسيط المبكر — للفنون السبعة الحرة —
أثر العرب في الحضارة الأوروبية .

بولونيا والجنوب :

تاريخ جامعة الطب في سالرنو — جامعة بولونيا مركز
لإحياء القانون الروماني — إدريوس والقانون المدني —
الراهب جراشيان والقانون الكنسي — اتحادات الطلبة

— ٣٩٦ —

المغتربين في بولونيا — أصل كلية « جامعة » وتطورها —
 القيود التي عاش الأستاذ الجامعي أسيرها — « الأمم » داخل
 المحيط الجامعي — نقابات الأساتذة — إجازة التدريس
 والدرجات الجامعية — بولونيا مدرسة للقانون المدني —
 جامعات الجنوب الأخرى .

باريس والشمال :

المدارس السكاتدرائية في باريس — بطرس ايلارد ونشأة
 الجامعة — البدايات الأولى لجامعة باريس — المراسيم
 والبراءات الصادرة من السلطات الدينية والعلمانية لصالح
 جامعة باريس — حياة الطلبة في باريس — بيوت الطلبة
 والمعاهد العلمية — الطوائف والأمم والصراعات بينها —
 باريس نموذج لجامعات الشمال — جامعتا أكسفورد
 وكامبريدج — الجامعات الألمانية — الجامعات الأوروبية
 الأخرى .

تراث العصور الوسطى :

مخلفات جامعات العصور الوسطى — ليس لها مبان خاصة
 بها ، ولم تترك بقايا وآثارا مادية كافية ترجع إلى تاريخ
 مبكر — الاحتفالات الأكاديمية — الزي الجامعي — التقاليد
 والنظم الجامعية — جامعة العصور الوسطى جامعة نذرت
 نفسها للعلم .

الفصل الثاني

أستاذ العصور الوسطى ٢٨٧-٢٤٠

الدراسات والكتب الدراسية :

الفنون السبعة الحرة — الكتب الدراسية في الفترة المبكرة
من التاريخ الوسيط — حركة إحياء التراث الكلاسيكي في القرن
الثاني عشر : صحتها ثم خيوها — الاهتمام بالمنطق والقانون
والبلاغة وغيرها من الدراسات المستجدة — أرسطو
ومؤلفاته — فن تدوين المكاتبات والرسائل وأهميته — لم
تعرف جامعات العصر الوسيط المعامل، ولم يدرس فيها التاريخ
والعلوم الاجتماعية — أهمية دراسة الآداب — صعوبة دراسة
اللاهوت — دراسة الطب — الدراسات القانونية وبمجموعة
قوانين جسنينان المدنية، — أهمية القانون الكنسي —
مرسوم جراشيان ولواحقه — الكتب المدرسية والمراجع
العامة — عدم الحاجة إلى المكتبات الجامعية .

التعليم والامتحانات :

أساتذة العصور الوسطى وميكانيكية العلم والتعليم — بطرس
ابيلارد — جون أوف ساليسبورى — برنارد أوف كليرفو —
أساتذة النحو والمنطق والعلوم الكلامية — طريقة التدريس
وأصوله — قاعات الدراسة والمحاضرات — الامتحانات

النظام الجامعي والحريات :

المركز الاجتماعي لاساتذة العصر الوسيط — مفهوم العصر
الوسيط عن الحقيقة وحرية الفكر — الاجتهاد العقلي وموقف
الكنيسة منه — الفلسفة واللاهوت ، ومدى التدخل في حرية
العلم والتعليم .

الفصل الثالث

طالب العصور الوسطى ٣٩٢-٣٤١

مصادر معلوماتنا عن طالب العصور الوسطى :

الصعوبات التي تكتنف معالجة موضوع حياة الطالب في
العصور الوسطى — مصادر معلوماتنا عنه : سجلات المحاكم ،
الدرائع الجامعية ، الحوليات ، عظات المبشرين ، قصائد
الشعراء - أهمية هذه المصادر في الكشف عن حياة الصنخب
واللهو التي كان يحياها بعض الطلبة ، وحياة البؤس والشقاء
التي كان يحياها البعض الآخر .

كتاب الطالب :

قاموس الطالب - دليل الطالب - كتاب فن المحادثة - تقويم
هايدلبرج - بعض المختصرات الأولية للسلوك والآداب -
كتيب في فن الحديث والمجاملات وكيفية قضاء الطالب يومه
الدراسي - كتابا التأديب وآداب المائدة - كتاب الإتيكيت
وآداب السلوك .

خطابات الطلبة ومراسلاتهم :

رسائل الطلبة تسلط الأنواء على ظروف الحياة الجامعية -
معظمها مجرد نماذج صماء وقوالب جامدة - خلوها من
العنصر الشخصي أو الفردى - وطلب المال هو أغنية الطالب
الأولى ، - مختلف الحجاج والأعذار للقى يتعللها الطالب للحصول
على المال من الأهل والأقارب .

أشعار الطلبة وقصائدهم :

الطلبة المنجولون - الجوليارديون والشعر الغنائى الجولياردى -
المواضيع التى يتناولها هذا الشعر : الخمر ، النساء ، الحياة
المنطلقة المنحرفة ، الهجاء ، التهكم على الجهاز الكنسى البابوى -
تقييم الشعر الجولياردى والشعراء الجوليارديين ، ونماذج
من أشعارهم .

خاتمة :

حياة الطالب المثالى المجد الوقور ، ومدى كشف شعر العصر
ووثائقه عنها - أهمية الوثائق والمستندات المتعلقة بالجانب
التعليمى فى الجامعة فى الكشف عن حياة الطالب - الكتاب
الجامعى - الانتاج الأدبى للطلبة يعبر عن صوت المجموع
وليس صوت الفرد - أوجه الشبه والخلاف بين طالب
الأمس وطالب اليوم .

بيان اللوحات ٣٩٣

محتويات الكتاب (القسم الثانى) ٣٩٥-٤٠٠

— ٤٠٠ —

- فهارس الكتاب ٤٠١ وما يليها
- أولاً : فهرس الأعلام .
- ثانياً : فهرس الأماكن والآثار .
- ثالثاً : بيان بالمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المراكز
الواردة ذكرها في الكتاب .
- رابعاً : فهرس النظم والحضارة والفكر والحياة .

فهارس الكتاب

أولاً : فهرس الأعلام .

ثانياً : فهرس الأماكن والآثار .

ثالثاً : بيان بالمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المراكز الفكرية
الواردة ذكرها في الكتاب .

رابعاً : فهرس النظم والحضارة والفكر والحياة .

هذه الفهارس خاصة بالقسمين الأول والثاني من هذا المجلد .

أولا فهرس الأعلام

أدريوس (المشرع) ١٠٩-١١٢،	(١)
٢٤٩ و ح ٤	إبراهيم أحمد العدوي (دكتور) ٢١٠
أريوس (الكاهن السكندري) ١٢١١ ح	ابن رشد ٣١١ ح ٢، ٣٢٩ ح ٤
آسر العالي (الأسقف) ٦٨	ابن سينا ٣٠٣ و ح ١، ٣٠٤، ١٢١١ ح
أقليدس ٢٤٣، ٢٩٤ و ح ١	إيلارد (بطرس) ٩٧، ٩٩، ١٩
الاريك الجرمانى ٣٠	١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٤، ١١٥
البرت العظيم ٣١١ ح ١، ٣٢٣ ح	١٢٦، ١٣١، ٢٠٥، ٢١٣
الفريد السكسوني (الملك) ١٨، ٦٧،	٢٥٧ و ح ٢، ٣٠٢ ح ٢، ٣١٠
٦٨، ١٢٥، ٢٠٥، ٢٤٤ و ح ١	٣ و ح ٣، ٣١٢، ٣٢٩ و ح ١، ٣٨٦
الكوين ١٨، ٥١، ٥٤ و ح ٢، ٥٥،	أتيلا (ملك الهون) ٤٦
٦١ و ح ٢، ٦٢ و ح ٣، ٦٤،	أتين دي تورناى ٣٢٦
٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ١٥٥، ٣١٠	أثناسيوس السكندري ٣٣١ ح ١
و ح ١	أجوبارد الليوني ٦٦
ألين دي ليل ٣١٤ ح ١	أدهارد (المؤرخ) ٧٠
امبروز (القديس) ٣١	آرثر (الملك) ١٧١ و ح ١، ٢٦٤ و ح ١
انتيوخس الثالث (الملك) ٣٧٢ ح ١	أرسطو ١٩، ٤٢، ٤٣، ٢٤٣، ٢٩٤
إسميلم اللاهوتي ٩٩، ١٠٤، ١٠٥،	١ و ح ١، ٢٩٦، ٢٩٧ و ح ٢، ٣٠١
و ح ١، ١٠٧، ٣٢٦ و ح ٢،	٣٠٦، ٣١١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٥٤
٢٥٣ ح ١	أركيبويت (الشاعر الجولياردى) ١١٧،
أوسنت الثانى (البابا) ٩٨، ١٠٠،	٣٧٧ و ح ١-٢
أوسنت الثالث (البابا) ١٣٤	

باوجولف (رئيس دير فولدا) ١٥٦،

١٦٣

باولينوس اوف اكويليا ٦١

باولينوس اوف نولا (القدس) ٣٢

بين القصير ١٦٥ و ح ٢، ٢٤١ ح ٢

بدييه (جوزيف) ١٧٤ ح ١

برنارد اوف كليرفو ١٩، ٩٧، ٩٨

و ح ٢، ١٠١، ١٠٢، ١٢٦،

٢٠٥، ٢١٣، ٢٥٦ و ح ١، ٣١٣

برنتون (س) ٦٠ ح ١

برنجمار (الملك) ٨١

برنجمار التوري ١٠٣، ١٠٤

برودنتيوس (الشاعر) ٣٢، ٧٥

برونو (رئيس أساقفة كولونيا) ٧٩

بريسكوس ٤٦، ٢٩٢ و ح ١، ٣٣٠

بريسكيان — أنظر بريسكوس

بطرس برجروسي ٣١٧ ح ٢

بطرس البيزوي ٦٠، ٦١، ٦٤

بطرس اللباردي ١٠٣ و ح ١، ١٠٧،

٣٠٢ و ح ٢، ٣٢٣ ح ٢

بطرس الناسك ٢٦٢ ح ٢

بطليموس الإغريقي ٢٤٣، ٢٩٤ و ح ١

انوسنت الرابع (البابا) ٣٢٧ ح ١

اوغو الصغير (الإمبراطور) ٨٢

اوغو الكبير (الإمبراطور) ٧٩-٨١

اودوفريدوس ٣١٥ و ح ١، ٣١٦،

٣١٧ ح ٢

اوروسيوس ٢٩٧ ح ١

اووونيوس (الشاعر) ٣٣ و ح ١

اوغسطس (الإمبراطور) ٣٦٠ ح ١،

٣٧٠ ح ١، ٣٧٤ ح ١

اوغسطين اوف هيبو (القدس)

٢٨-٣١، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٥٣،

١٢٤

اوفيد ٢٥، ٣٤، ٤٦، ٢٢٤ ح ٢،

٢٩٢ ح ١، ٣٦٠ و ح ١، ٣٧٩

ايزاك (جيل) ٦٨، ٦٩

ايزيدور ٥٢، ٦٤

ايف (القدس) ٢٥٦

أينهارد ٦٦ و ح ١، ٧٠، ٧١ ح ١

ايوجين الثالث (البابا) ٩٨

(ب)

باسكيبه (اين) ٢٣٨ و ح ١

بيسكوب ٥٢، ٢٩٣ ح ٢	بلاوتوس ٣٥٨ ح ١
بينتر (سيدنى) ١٦٠، ٢٤٢ ح ١	بلوك (مارك) ٢٨٩ ح ٢، ٢٤٢ ح ٢
٢٧٦ ح ١	بليك (رب) ٢٢٦ ح ١
بينز (نورمان) ٣٠ ح ١	بلى ٢٥، ٤٦
بيوثيوس (انيكيوس مانليوس)	بندكت (القديس) ٤٩، ٨٧ ح ١
٤٠-٤٣، ٢٤٤ ح ٢-٣	بوثيريل (د) ٣٧٤
٢٩٣ ح ١	بورشيا ٢٥٥
(ت)	بول (ر.ل) ٣١٢ ح ١
تايلور (٥) ٢١٠ ح ٢	بولس الشماس ١٠٦١، ٧١٠، ٧٩٠ ح ١
ترنتيوس لوكانوس ٣٥٨ ح ٢	بولس اللباردى ٧٠
تشوسر (جوفرى) ٢٤٤ ح ٣	بولوك (ف) ٢٤٨ ح ١
٢٩٦ ح ١، ٢٠٨، ٢٥٣	بونافنتورا (القديس) ٤٠، ١٢٤
٣٥٤ ح ١	٣٢٣ ح ٢
توما الاكويينى (القديس) ٢٩٧ ح ١	بونس اوف بروفانس ٣١٥
٢٣٠٤ ح ٢، ٣١١ ح ١، ٢٢٣	بونكومبانيو ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩
٢ ح ٢، ٣٢٨ ح ١، ٣٣٠، ٣٣٤	بويك (ف.م) ٢٢٨ ح ١
١ ح	بيبو ٢٤٨ ح ١
تيرانس (بوليوس ترنتيوس افر)	بيتاو (لويس جون) ٢٠٦ ح ١
٢٥٨ ح ٢	٣١٤ ح ١
٢٥٦ ح ١	بيده الوقور ١٨، ٥١ - ٥٥، ٦١
	٢ ح ٢، ٢٩٣ ح ٢
	بيرين (هنرى) ١٣ ح ٢

١١٢ ، ٢٤٩ و ٢ ح و ٣٠٧ و

ح ١-٢ ، ٣١١

جربرت الریمی ٨٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ،

٣١٠ و ح ١

جریموریانوس ٢٤٦ ح ٢

جریموری الاول (البابا) ٢٤٤ و ح ١ ،

٤٧-٤٠ ، ٥٣ ، ١١٤

جریموری السابع (البابا) ٢٦٩ و ح ٢

جریموری التاسع (البابا) ١٢٩ و ح ٢ ،

١٣٥ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٢٦٠ و ح ٢ ،

٣٠٧ و ح ٢ ، ٣٢٦ و ح ٤ ، ٣٢٧

ح ١ ، ٣٢٨ و ح ١ ، ٣٢٩ و ح ٣

جریموری الثوری ٣٤ - ٣٧ ، ٤٧ ،

٥٤

جستینان (الإمبراطور) ٥٠ ، ١١٠ ،

٢٤٦ و ح ٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٠ ،

ح ١ ، ٣١٦

جنجولفوس (القديس) ٨٠

حنيفيف (القديسة) ١٣١ و ح ٢ ،

٢١٢ ، ٢٥٧

جوجو (أحد أصدقاء الشاعر

فورتوناتوس) ٣٣

(ث)

تورندايك (ل) ٢٦٠ ح ٢

ثيودوريك القوطي ٤١ ، ٤٤ ،

ثيودوسيوس السكبير (الإمبراطور)

٢٤١ و ح ١

ثيودولف الاسباني ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٢ ،

ثيوفانو (ابنة نقفور الثاني فوكاس)

٨١

ثيوفيلوس ٨٢

(ج)

جالكدي فيتري ١٤٤ و ح ١ ، ١٥٨ -

١٦٠ ، ١٧٠ ح ٤ ، ٢٦٢ و ح ٢ ،

٢٦٣

جالكلي جوف (المؤرخ) ٥٥ ح ١ ،

٢٢٩ ح ١ ، ٢٣٦ ح ٣

جاكوب (١) ٢١٠

جاليليو ٢٥٥ و ح ٢

جالينوس ٣٠٠ و ح ١ ، ٣٠٣

جان دي برين ٢٦٢ ح ٢

جان دي هوتفيل ٣٠٢ و ح ٢ ، ٣٨٥

جراشيان (المشرع) ١١١ و ح ٣ ،

جويوم دورانج ٧٣
 جيبون (ادوارد) ح ١٦ و ح ١٢٠٢
 جيرار الكريمنى ح ٣٠٠ ح ١٢٠٢
 ح ١
 جيركه (ارتو) ح ٢٤٨
 جيروم (القديس) ح ٢٨، ح ٢٩١
 ح ٣٥، ح ٢٤٤
 جيارت دى لا بوريه ح ٢٢٩
 جيلداس (القديس) ١٠٠
 جيلسون (لوتين) ح ٣١١
 (ح)
 حسن حنفى حسنين (دكتور) ٢١٠
 حورس — أنظر هوراتيوس
 (د)
 داتى اليجيرى ٤٣، ح ٢٩٧
 ٣٠٨
 داوند (نورتون) ح ٤٩، ح ١٥٧
 دشويس ٣٧٩
 دقلديانوس (الإمبراطور) ح ٣٥٠
 ديلسل (ل) ح ٣٧٧
 دنيس (القديس) ١٠٠

جوردانيس القوطى (الأسقف) ٤١،
 ٤٥ - ٤٧
 جوف — أنظر جاك لى جوف
 جوقروا دى بلييه ح ٢٦٥
 جوفرى اوف مونماوث ح ٢٦٤
 جوفينال (الشاعر) ح ٢٩٢
 جوليا (ابنة أوغسطس) ح ٣٦٠
 جولياس (الأسقف) ٢٨٣
 جولياس الفلسطينى (يسمى أيضا
 جوليات وجليات) ح ١١٦
 ح ٢٧٦ و ح ٣٧٨
 جوليان الممسكين (القديس) ٢٧٠
 جسون اوف بريسكان — أنظر
 بريسكوس
 جسون اوف جارلاند ح ٣١٤
 ح ٣٥٥
 جسون اوف ساليسبورى ح ١٠٦
 ح ٢١٣، ح ٢٥٦، ح ٢٩٥
 ٣١٢ - ٣١٤
 جسون اوف لندن ح ٣١٤
 جسون سكوتوس اريوجينا ٦٦
 جوهر الصقلى ح ١٢١

دیت (١٠٠ س) ٢٠٦	دنیفل (٥) ٢٠٧، ٢٤١
ریشارد الیمی ٨٣، ٢٥٦ و ح ٢	دومینیک (القديس) ح ٣٢٤ ١
ریموند (استاذ جامعی) ٣٣٠	دومیشیان (الإمبراطور) ح ٣٣٢ ١
ریمی (القديس) ٨٣	دوناتیوس (یسمى أيضا دوناتوس)
رینان ٣١٢	٦٤، ٢٩٢ و ح ١
رینوه دی منتوبان ٧٣	دیروزیل (ج . ب) ح ٦٦ ٣ ،
(ص)	١٣١ ح ٢
سالوست ٢٥، ٤٦، ٢٩٢ ح ١	دیفیز (هنری ولیم کارلس) ٢١٠
سالیفان (ر . ١٠) ٤٩	(ر)
سانتا کلوز — أنطرنیقولا (القديس)	راشدال (هاستنجز) ح ١٣١ ٢ ،
ستاتیوس ٢٥، ٢٤٤ ح ٣ ، ٢٩٧	٢٠٦، ٢٠٩، ٢٤١ و ح ٤ ،
ح ١	٢٦٨ ح ١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠٥
سیدولیس سکوتوس ٦٦، ٧٥	راند (ا . ک) ح ٥٥، ٢٢٦ ح ١
سرفاتوس لوبوس ٧٧	رایت (ت) ح ١٣٤ ١
سعید عاشور (دکتور) ح ٩٣ ٢ ،	رتبف (الشاعر ولیم) ح ٣٥٢ ١
٢١٠، ٢٠٩	روبرت السسترشیانی ح ٩٨ ٢
سقراط ٢٤، ٣٥، ٢٣٧ و ح ٢	روبرت السوربونی ٢١٢، ٢٦٥ ح ٢ ،
سماراجدوس ٦٦	٢٧٢ و ح ٣، ٣١٩ و ح ١، ٣٨٦
سوتونیوس (المؤرخ الرومانی)	روبرخت (الکونت) ح ٢٦٧ ١
٣٥٨، ٧٠ ح ٢	روسلین ١٠٤، ١٠٥
سولیبیکوس سفیروس ٢٤ ح ١ ،	رولان ٧٤
٣٤، ٣٥، ٤٧، ٣٨١ ح ١	

(ع)

عبد الرحمن بدوي (دكتور) ٢١٠
الغزراء (السيدة مريم) ١٣٤، ٢٦٢

٣٨٣، ١ ح ٣٣١، ٣١٧

العزير بالله (الخليفة) ١ ح ١٢١
عماد الدين زنكي ٩٨

(ف)

فالتيتان الثاني (الإمبراطور) ٣١

فرجيل ٢٥، ٣٤، ٤٦، ٢٤٤ ح ٢،

٢٩٢ ح ١، ٢٩٧ ح ١، ٢٧٠ ح ١

فرنسيس الأسيسى (القديس) ٣٢٣

٢ ح ٢٤٣، ٢٤٤

فرنسيسكا ٤٣

فريدريك بارباروسا (الإمبراطور)

١٣٨، ٢٤٦ ح ١، ٢٥٠ ح ١

فريدريك الثاني (الإمبراطور) ٢٤٦

١ ح ٢٥٤

فشر (هربرت) ٢١٠

فلودورد اليمى ٨٣

فليس (القديس) ٢٤٩

فذاقتيوس فورتوناتوس (الشاعر)

٢٣، ٣٤، ٦١ ح ٢، ٧٥

السيد الباز العريفي (دكتور) ٢١٠

سيدونيوس ابوليناريس ٢٣

سيموندر (ج ١٠) ٣٧٥، ٣٧٨

٢ ح ٣٧٩

(ش)

شاتوبريان (الكاتب) ٥٩

شارل العظيم — أنظر شارلمان

شارل مارتل ٦٣

شارلمان (الإمبراطور) ١٨، ٢٣،

٥٢، ٥٤ ح ٢، ٥٩ — ٦٣، ٦٥

٧١، ٧٤، ٧٧ — ٧٩، ٨٧

٩٠، ١١٧، ١٢٥ ح ١، ١٣١

١٥٥، ١٥٦ ح ١، ١٥٧ ح ١

١٦٣، ١٦٥، ٢٠٥، ٢٤١ ح ٢،

٢ ح ٢٩٣، ٣١

شميدلر (ب) ٣٧٧ ح ١

شيشرون ٢٥، ٤٦، ٢٩٢ ح ١،

٢ ح ٢٩٩

شيلديريك الثالث ١٦٥ ح ٢

(ص)

صلاح الدين الأيوبي ١ ح ٢٥٠

کانتور (ن. ف.) ۱ ح ۳۶، ۱ ح ۴۵، ۱ ح ۴۶

کثرت (القدیس) ۵۲

کرامب (ج.) ۲۱۰

کلودیان ۲۴۴ ح ۳

کوبلستون (فریدریک) ۱ ح ۳۱۱

کوجاس (المشرع جاک) ۱ ح ۳۳۳

کوفمان (ج. ر.) ۱ ح ۲۲۶

کوکرین (تشارلز نوریس) ۱ ح ۲۲۷

کولتون (جورج جوردون) ۱۶

۱ ح ۳۹، ۱ ح ۹۰، ۱ ح ۹۱، ۱ ح ۱۰۳

۲ ح ۲۲۰، ۲۱۰

کیر (و. ب.) ۱۶، ۲۳، ۳۶ ح ۱

۴۲، ۵۳، ۵۴، ۶۱ ح ۲، ۷۱

(ل)

لامونت (جون) ۳۷، ۶۰، ۷۱

۱ ح ۸۲، ۹۳، ۱۴۱، ۱۴۱ ح ۱۳۱

۲ ح ۳۳۷، ۱ ح ۲۵۶

لانفرانک (رئیس اساقف کانتربری)

۱۰۴

لماز (القدیس) ۳۵۶

فوکاس ۶۴

فولبرت (الاسقف) ۱۱۳

فیتری — انظر جاک دی فیتری

فیلسوفیا — انظر بیوئیوس

فیلیب أوغسطس (الملك) ۱۱۵،

۱۲۹ ح ۲، ۱۲۳ ح ۱، ۱۵۷ ح ۱

۱۵۸، ۱۶۷ ح ۱، ۱۷۵ ح ۱، ۲۶۰ ح ۱

(ق)

قسطنطين الإفريقی ۲۱۲

قسطنطين الاول (الإمبراطور) ۳۲۱

۱ ح ۲۵۰، ۱ ح ۲۵۰

قسطنطين السابع (الإمبراطور) ۸۱

قیصر ۲۵

(ك)

کاز (سولومون) ۲۳۷ ح ۱

کاتو ۲۵، ۲۷۲ ح ۱

کاسیان ۶۴

کاسیودورس (ماجنوس اورلیوس)

۴۱، ۴۴، ۴۵ ح ۱، ۴۷ ح ۱

۵۲، ۵۱

ماربود (الشاعر) ١١٥	لوبوس (دوق شامبانيا) ٣٤
مارتر (م) ٣٧٢	لوبوس أوف فريير ٦٦
مارتياوس كايلا ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ،	لوثر (مارتين) ١ ح ٣٣٥
٢٩١ ح ١	لومير (الإمبراطور) ٧٨
مارتين التوري (القديس) ٣٥ ، ٣٨١	لورنزو أوف اكويليا ٣١٥
و ح ١	لومجريد (ف . جيون دي) ٢٢٩
مارشيان (الامبراطور) ٢ ح ٣٣١	لويس التاسع (ملك فرنسا) ١٥٧ ،
ماليه (البرت) ٦٨ ، ٦٩	٢١٥ ، ٢٢٦ ح ١ ، ٢٧٢ ح ٣
مانيتيوس (م) ١ ح ٣٧٧	لويس الحادي عشر (ملك فرنسا)
ماير (و) ٣٧٧ ح ١	١٣٦
مق ارنولد ٢٧١ ح ١	لويس الثاني عشر (ملك فرنسا)
محمد انيس (دكتور) ٢٠٩	١٣٦
محمد بلران ٢١٠	لويس الصالح ٧١ ح ١ ، ٧٨
محمد مصطفى زيادة (دكتور) ٢١٠	ليون بازيل (الإمبراطور) — أنظر
مريم العذراء (السيدة) — أنظر	ليو السادس
العذراء	ليوتبراند الكريمو ٨١ — ٨٣
مكابي (ج) ٢٠٧	ليو الثالث (البابا) ٦٢
ممن (قيودور) ٢٠٦ ح ١ ، ٢٠٨	ليو السادس العاقل (الإمبراطور)
٢٢٥ ، ٢٢٩	٢٨٢ ح ٢
مونرو (د . ص) ٢٦٢ ح ١	(م)
ميتلاند (ف . و) ٢٤٨ ح ١	ماتزي (سير لاو) ٤٣
ميخائيل (القديس) ٣١٦	مايلدا (ابنة اوتو العظيم) ٨٠

هنرى الثالث (ملك انجلترا) ١٤٥	ميخائيل الاول (الإمبراطور) ٦٢
هنرى الرابع (الإمبراطور) ٢٢٦٩ ح	(ن)
هنرى السادس (الإمبراطور) ٢٤٦	نقفور الثانى فوكاس (الإمبراطور) ٨١
ح ١	نورتون (١٠ و) ٢٠٧، ٣١٢ ح ١
هنرى داندلى (الشاعر) ٢٩٥	نيشارد (المؤرخ) ١٧١ و ح ١
هنرى الصياد (الملك) ٧٩	نيجل ٣٥٣ و ح ١
هنكمار الريمى ٦٦، ٧١	نيقولا (القديس) ٣٥٠ و ح ١
هوايتلوك (الكتابة حوروثى) ٥٣	(ه)
هوجاشيو (المشرع) ١١١ و ح ٤	هاسكنز (شارل هومر) ١٥، ١٨ ح
١١٢	١، ١٠٥ ح ٢، ١١١ و ح ٢
هوجو (فيكتور) ٢٥٨	١١٦ ح ١، ١١٧، ١٢١ و ح ١
هوراتيوس ٢٩٢ ح ١، ٣٧٠ و ح ١	١٣١ ح ٢، ١٣٣ ح ١، ١٤٨، ١٥٩
هومير (الشاعر) ٣٤	١٦٠، ١٦١ ح ١، ٢٠٦ — ٢١٧
هيبوقراط ٢٤٥ و ح ١، ٢٥٦، ٣٠٣	٢٢٥ — ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٩ ح ١
هير (فريدريك) ٣١١ ح ١	٢٤١ ح ٤، ٢٥٣ ح ١، ٢٥٥ ح ١
هيرموجينياوس ٢٤٦ ح ٢	٢٧٢ ح ٢، ٢٩٦ و ح ١، ٣٠٧ ح ١
هيلدبرانت- أنظر جريجورى السابع	٣٦٣ ح ٢، ٣٧٦ ح ١
هيلدبرت اوف ليان (الأسقف)	هرايانوس ماوروس ٦٦
١١٤، ١١٥، ٢٩٤ ح ٢	هرتسويث (الراهبة) ٧٩، ٨٠
هيوج (الملك) ٨١	٣٥٨ ح ٢
هيوج الأورليانى (الشاعر) ١١٧	هرقل ٢٤
٣٧٧ و ح ١	هنرى الثانى (ملك انجلترا) ١٤١

ويلا (زوجة برنهار) ٨١	(و)
ويلسون (الرئيس الأمريكي) ٦١	واحد (هيلين) ٣٧٨ ح ٢
٢ ح	والافريد سترابو (الشاعر) ٧٥
ويلبرود (القديس) ٢ ح ٦١	والتر مات ٣٧٧ ح ٢
(ي)	وليم (استاذ المنطق في باريس في القرن
يهوشافاط بن آسا (ملك يهوذا)	الثاني عشر) ٩٩
١ ح ٣٢٠	وليم اوف كوش ٣١٣ ح ١
يوحنا الثاني والعشرون (البابا) ٣٠٧	وليم او كهام ٣٣٤ ح ١
٢ ح	وهيب ابراهيم سمعان (دكتور) ٢١٠
يوحنا اللاهوتي ٣٣٢ ح ١	ويدو كند (الراهب) ٨٠ ، ٧٩
يوسف كرم ٢١٠	

ثانيا

فهرس الأماكن والآثار

الالب (جبال) ١٠٨ — ١١٠ ،	(١)
٢٥٠ ، ١٤٠	أثينا ٤١ ، ٥٠ ، ٣٣٧ ح ٢ ، ٢٣٨ ،
المانيا ٦٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ،	٣٦٠ ح ١ ، ٣٧٠ ح ١
١٠٨ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ٢٠٧ ،	آخن — أنظر اكس لاشابل
٢٦١ ، ٢٦٢ ح ٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ،	الأراضي المقدسة ٧٤ ، ٩٢
أريكا ٢٠٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،	الأراضي الراحنة — أنظر الفلنك
٣٢٥	(بلاد)
انجلترا ١٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ،	أرفورت (بالمانيا) ٣٦٤
٦٠ ، ٦٢ — ٦٦ ، ٦٨ —	اسبانيا ٦١ ، ٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ،
٧١ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ،	٣٥١
١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ٢٤٠ ،	الاسكندرية ٢٣٨ ، ٣٣١ ح ١
٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٤٤ ح ٣ ،	آسيا ٣٦٠ ح ١
٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٢٤٣ ح ١ ،	أفريقية (شمال) ٢٦٦ ح ١
٣٦٨	أفنيون ١٧٦ ، ١٧٧
الاندلس ٩٤ ، ٢٠٩ ،	أكسفورد ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٢٦٦ ،
أورليانز ٣١٥ ، ٣١٧ ح ٢ ،	٢٧١ ، ٣١٤ ح ١ ، ٣٦٨ ،
٣٤٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،	أكس لاشابل (مدينة) ٥٤ ح ٢ ،
٣٧٧	٦٠ ، ٦١ ، ٧١ ح ١ ، ٧٧ ، ١٥٥ ،

(ب)

باتموس (جزيرة) ح ٣٣٢

بارفي نوتردام (في باريس) ٣٥٦

باريس ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٢٨ ح ٢ ، ١٣٠ - ١٣٢ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٢٩ ، ١٤٢ -

١٤٤ ، ١٦١ ، ١٦٧ - ١٦٩ ،

١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ،

٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،

٢٥٨ ، ٢٦٠ - ٢٦٤ ، ٢٦٧ ،

٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ح ١ ، ٣١٥ ،

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤٧ ،

٣٥٠ - ٣٥٣ ، ٣٦٢ ، ٣٧٦ ،

بافيا ٤٢ ، ٨١ ، ٣٧٨

بالاس (محلة) ٣٧٣

البحر الأبيض المتوسط ٧٨

البحر الأسود ح ٣٦٠

بحر الشمال ٧٨

بحر مرمرة ٣٨

برابانت ١٧١ ، ٢٦٤

برج مجدالين ٢٧١

أوروبا ٣٨ ، ٦١ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٥١ ، ١٥٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ،

٢٢٧ ح ١ ، ٢٣٧ ح ١ ،

٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٩٧ ح ٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٥ ،

٣٢٨ ح ١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٨ ح ١

أوكتنفورد ٣٥٣

أوليندورف ٣٥٧

أيرلندا ١٧ ، ٥١ ، ٥٤ ،

إيطاليا ٢٤ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٧٨ ، ٨١ - ٨٣ ، ٨٧ ح ١ ،

٩٢ ، ١٠٨ - ١١٠ ، ١١٣ ،

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ،

٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ ،

٣١١ ، ٣٢٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

— جنوب ٣٢ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٢٠٩ ،

— شمال ١٣٨

الايلازاس ح ٢٧١

أيلي ٣٥٣ ح ١

(ج)

الجزيرة الرودية ٢٦٩ ح ١
جزيرة المدينة (في باريس) ٢٥٨
الجسر الصغير (في باريس) ٢٦٢، ٢٥٨
الجسر الكبير (في باريس) ٢٨٨، ٢٥٦

(ح)

الحى اللاتيني (في باريس) ٢٥٨ ،
٣٥٦ ، ٣٤٨

(خ)

خلقيدونية ٢ ح ٣٣١

(د)

دمياط ٢ ح ٢٦٢
دى فوار (شارع في باريس يعرف
أيضا باسم شارع دانتي) ٣١٨

(ر)

الراين (نهر) ٣٣
الرها ٩٨
روما ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٧٤
٢ ح ٢٩٣ ، ١٤٥ ، ٩٣ ، ٨١
٢ ح ٢٥٨ ، ٣٧٠ ، ١ ح ٢٨٣
ريز ٧١ ، ٨٣ ، ١١٣ ، ٢٥٦

برجنديا ١ ح ٢٧١ ، ٧٨

بروفانس ٣٧٢ ، ١ ح ٣٦١ ، ٧٨

بروفيدانس ٢٦٩ ح ١

بريتاني (فرنسا) ١٧١ ، ١٠٠ ، ٢٦٤

بريطانيا - أنظر إنجلترا

البسفور ٣٨

بغداد ١٢١ ح ١

بنسلفانيا ٢٢٥ ، ٢٠٧

بوابة القديس لازار (في باريس) ٣٥٦

بواتييه ٣٣ ، ١٧٠ ، ٢٦٤

بودليان (مكتبة) ٢٧١

بولونيا ١١٠ ، ١١١ ح ٢ ، ١١٢ ،

١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٨ - ١٤٠ ، ٢٤٥ ،

٢٤٨ ح ٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ،

٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٣١٣ - ٣٦٩ ، ٣١٥

٣٧٥ ، ٣٨٨

بيت المقدس ٢٥٠ ، ٢٦٢ ح ١

بيزانسون (في فرنسا) ٣٧١

(ت)

تورز ٣٤ ، ٣٥ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ٢٩٤

٢ ح ٣١٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ح ١

توسكانيا ٣٧٤ ح ١

تونس ٢٦٦ ح ١

(ع)

عكا ٢٦٢ ح ٢

(غ)

غالة ٢٤، ٣٦، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٦٦ -

٦٨، ٧١، ٨٣، ١٢٥، ١٥٥،

١٦٥، ٣١٣، ٣٨١ ح ١

الغرب الأوروبي ١٥-١٨، ٢٣، ٢٤،

٢٦، ٢٩-٣٧، ٣٥، ٣١-٢٩،

٤١، ٤٤، ٤٧، ٥٠، ٥٢ -

٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٦

و ح ٢، ٦٩، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٧،

٨٣، ٨٧، ح ١، ٨٨ - ٩٤،

٩٨، ح ٢، ١٠٢، ١٠٧ -

١٠٩، ١١٣، ١١٦، ١١٧،

١٢١، ح ١، ١٢٥، ١٢٦،

١٣٠، ١٤٢ - ١٤٥، ١٥٥،

١٥٧، ١٥٩، ٢٤٢، ٢٤٣،

٢٥٠، ح ١، ٢٧٤، ٢٩٣، ح ٢،

٢٩٤، ٣٠٧، ٣٢٧، ح ١،

٣٢٩ ح ٤

(ف)

فالكون (في باريس) ٢٦٢

(س)

سالرنو ٢٤٥، ٣٧٦

سان جاك (شارع في باريس) ٢٦٢

سكسونيا ٣٦٤

سوان (في باريس) ٢٦٢

سويكا (بايطاليا) ٨٧ ح ١

سورية ٣٧٢ ح ١

سويسرا ٣٧١ ح ١

السيغين (منطقة - باريس) ٢٦٢

السين (نهر) ١٤٤، ٢١٢، ٢٥٨،

سيلينا ٣٧٤ ح ١

(ش)

شارتر ١٠٦، ١١٣، ٢٥٦، ٢٥٧،

٣١٢، ٣١٣، ٣٧٠

الشام (بلاد) ٩٤، ٢٠٩، ٢٦٥، ح ٢،

٢٦٦ ح ١ - أنظر سورية

شامبايا ١٠٠

(ص)

صقلية ٩٢، ٩٤، ٢٠٩، ٢٤٣، ٢٥٤،

٢٦٤، ٣٦٠ ح ١

(ط)

طليطلة ٣٠٣ ح ١، ٣٧٦

٢٧٠، ٢٦٦
كانت بري ١٠٥، ١٠٤
كريمونا ٨١
كليرفو ٩٨ و ح ٢
كليرمون ٣٣
كنيسة القديس جوليان المسكين ٣٧٠
كنيسة نوتردام ١٤٥
كولونيا ٣٧٧، ٧٩ و ح ٢
كوينسي (فرنسا) ١٠٠
(ل)
لانجويديك (مقاطعة) ١٤١
لمبارديا ٧٨
لوتارنجيا ٧٨
اللورين ٣٧١ ح ١
ليكيا ٣٥٠ ح ١
ليمان (فرنسا) ٢٩٤ و ح ٢
ليبيج ٧٥

(م)

مصر ١٢١ ح ١، ٢٦٥ ح ٢، ٢٦٦
ح ١، ٢٥٧
مونت كاسينو ٥٠، ٦٦، ٨٧ ح ١
ميدفيل ٢٢٥
ميرا ٣٥٠ ح ١

فرانش كوتيه ٣٧١ و ح ١
فرنسا ٦٨، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٩٦ ح ١،
١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١١٣،
١١٤، ١٢٩، ١٤١، ١٥٩، ١٦٢،
١٧٠، ١٧٦، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٥٤،
٢٦٢ و ح ٢، ٢٦٣، ٢٩٨، ٣١١،
٣١٢، ٣١٣، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٠،
٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧ ح ١
ح ٢ - جزيرة ١٤٤

فريزيا ٧٨

الفلاندرز - أنظر الفلنك (بلاد)
فلسطين ٧٤، ٢٦٢ ح ٢
الفلنك (بلاد) ١٧١ و ح ٢، ٢٥٥،
٢٦١

فيكوس سترامنيوس (في باريس) ٣١٨

(ق)

القبر المقدس ٢٦٢ ح ٢
فرطاجنة ٣٥٨ ح ٢، ٣٧٢ ح ١
القسطنطينية ٢٣، ٣٨، ٨١، ٨٢ ح ١
(ك)

كامبريدج ١٢٨، ١٤٢، ٢٠٧، ٢٢٥،

(أ)	ميلان ٣١
هايدلبرج ٣٥٩	(ن)
(و)	نابولي ٣١٥ ، ٢٤٥
وسكس ٦٧ ، ٢٤٠ ح ١	نوتردام ٢٥٨
الولايات المتحدة الأمريكية — أنظر	نورثمبرلاند — أنظر نورثمبريا
أمريكا	نورثمبريا ٦٢ ، ٧١ ، ١٥٥
(ى)	ليقية ٣٣١ ح ١
يهوشافاط (وادی) ٢٢٠ ح ١	النيل ٢٦٥ ح ٢
يورك ٦٢	

ثالثا

بيان بالمدارس والمعاهد والجامعات
وغيرها من المراكز الفكرية الوارد ذكرها في الكتاب

— جامعة كاليفورنيا ٢٢٨ ، ٢٤٥	(ب)
— جامعة كورنيل ٢٢٩ ، ٢٣١	البيوت والنزل العلمية
— جامعة كولومبيا ٣٤٥	— بيت باليول بالبحر ٢٦٦
— جامعة ماري ٣٤٥	— البيت البطرسي بالبحر
— جامعة هارفارد ٢٠٧ ، ٢٢٥ ،	(بيترهاوس) ٢٦٦ ، ٢٧٠ —
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٨٧	أنظر المعاهد العلمية
— جامعة وليم ٣٤٥	(ج)
— جامعة ويسكونسن ٢٠٧ ، ٢٢٥	الجامعات الإسلامية في العصر الوسيط
الجامعات الأوروبية في العصر الوسيط	— جامعة الأزهر ١٢١ ح ١
— جامعة أدنبره ٢٦٨	الجامعات الأمريكية في العصر الحديث
— جامعة أفنيون ١٦٢ ، ١٧٦ ،	٢٦٨ ، ٣٤٥
٢٦٨ ح ١	— جامعة براون ٢١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩
— جامعة أكسفورد ١٢٨ ح ٢ ، ١٣٠ ،	١ ح
١٤٢ ح ١ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ،	— جامعة برايس ٢٧٤
٢٤٠ ، ٢٤٢ ح ١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،	— جامعة جونز هوبكنز ٢٠٧ ، ٢٢٥
٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣٣٢ ، ٣٨٧	— الجامعات الرائدة الإحدى عشر
— جامعة أورليانز ١٤٦ ، ٢٥٤ ،	٢٧٤
٢٧٠ ، ٣٠٣	

الطلبة ١٢٩، ١٣٣، ١٤٤ ح ١،
 ١٥٧، ١٥٨، ١٦٧-١٧٢، ١٧٤،
 ١٧٥، ٢١٢، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦١،
 ٣٢٦ - الحى اللاتيسى ١٤٥ -
 الدرجات الجامعية ٢٥٨، ٢٦٠،
 ٣١٩، ٣٢١ - رئيس الجامعة
 (المدير) ١٣٦، ٢٦٢، ٣١٩ -
 ٣٣٢، ٣٣٠ - كليات ١٣٨ وح ٢،
 ٢٦١ - المحاضرات ٢٦١ - مرسوم
 البابا جريجورى التاسع (١٢٣١ م)
 ١٦١، ١٧٢-١٧٥، ٢٦٠ وح ٢،
 ٣٢٦ ح ٤ - مرسوم فيليب
 اوغسطس (١٢٠٠ م) ١٥٧،
 ١٦٧ - ١٦٩، ١٧٥ ح ١،
 ٢٥٨، ٢٦٠ - مناهج الدراسة
 ٢٩٦ - موقف الملكية الفرنسية
 ١٣٦، ١٣٧ - النزاع بين الجامعة
 وأمين الكاتدرائية ١٣٥، ١٣٦ -
 نقابة الاساتذة (رابطة الاساتذة)

٢٣٣-١٣٥

— جامعة بالرمو ٢٥٣ وح ١

— جامعة براغ ٢٦٨

— جامعة بادوا ٢٥٣ - ٢٦٨، ٢٥٥،
 ٢٦٩، ٢٧٢
 — جامعة باريس ١٠٧، ١٠٨، ١١٣،
 ١٢٨ ح ٢، ١٣٠، ١٣١، ١٤١،
 ١٤٦، ١٦١، ١٦٣، ١٧٣، ٢١١،
 ٢١٢، ٢٣٨ ح ١، ٢٣٩، ٢٤١،
 ٢٤٢ ح ١، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨،
 ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٣،
 ٣١١ ح ١، ٣٢٩، ٣٣٠،
 ٣٥٥، ٣٧٤ - أساتذة ١٧١ -
 ١٧٥، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٨٧ - أصولها
 الاولى ٥٩، ١٣١ وح ٢، ٢١٢،
 ٢٥٨ - الاعتراف الرسمى بها
 ١٢٩، ١٣٣ ح ١، ١٣٤، ١٣٦،
 ١٣٧، ١٥٧، ١٦١، ١٦٧، ٢١٢،
 ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١ - امتحانات
 ٣١٩ - ٣٢٢ - الامم ١٣٤، ١٤٣،
 ١٤٤، ١٧٠، ١٧٢، ٢٦١،
 ٢٦٢ - أنظمة وتشريعات ١٣٤،
 ١٣٥، ٢٦١ - جامعة أساتذة
 ١٣٨، ٢٣٩ ح ١، ٢٦١ - حياة

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| هجرات الطلبة ٢٥١ | — جامعة برلين ٢٦٨ |
| — جامعة تولوز ١٤١، ١٤٦، ٣٠٠، | — جامعة بولونيا ١١٣ ، ١٣٠ ، |
| ٣١٤ ح ١ | ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، |
| — جامعة سلامنكا ١٤١ و ح ٣ ، | ١٤٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ — |
| ٢٦٨ | ٢٤٠ ، ٢٤٢ ح ١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، |
| — جامعة سالرنو ١٣٠ ، ١٤٦ ، ٢١٢ ، | ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، |
| ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، | ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، |
| — جامعة السوربون — أنظر معهد | اتحادات الطلبة الغرباء في بولونيا |
| السوربون | ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٥٠ — ٢٥٣ |
| — جامعة سينا ٣٧٤ ح ١ | — إجازة التدريس ٣٥٣ — |
| — جامعة شتراسبورج ٢٦٨ | الاحتكاك بين الطلبة والأساتذة ١٤٠ ، |
| — جامعة فيينا ٢٦٨ | ٢٥٢ — الامتحانات ٣٢٢ — |
| — جامعة كامبريدج ١٢٨ ح ٢ ، | الأمم ٢٥٢ — البراءات الصادرة |
| ١٤١ ، ١٤٢ و ح ١ ، ٢٤٢ ح ١ | لصالحها ١٣٨ ، ٢٥٠ — جامعة طلبة |
| ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، | ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٣٩ ح ١ ، ٢٥٣ ، |
| — جامعة كراكو ٢٦٨ | ٣٤٦ — هجرات الدراسة ٣١٨ ، |
| — جامعة كريميرا ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، | ٣١٩ — الدرجات العلمية — ٣١٨ ، |
| — جامعة لندن ٢٦٨ | ٢٥٣ ، ٢٥٤ — القيود التي عاش |
| — جامعة لوفان ٢٦٨ | الاستاذ أسيرها ٢٥٢ — المكتب |
| — جامعة لينزيج ٢٦٨ ، ٣٤٧ | ٣٠٩ ، ٣١٩ — المحاضرات ٣٠٩ ، |
| — جامعة ماشستر ٢٦٨ | ٣١٩ — الجامعة كركز لإحياء القانون |
| | الرومانى ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ — |
| | نقابة الأساتذة ١٣٩ ، ٢٥٣ — |

٢٩٤، ١ ح ٢٥٧، ١ ح ٢٥٦
 و ح ٢، ٢١٣، ١ ح - مدرسة لون
 الكاتدرائية ٢٥٦ - مدرسة ليج
 الكاتدرائية ٢٥٦ - مدرسة نوتردام
 الكاتدرائية ١٣١ و ح ٢، ٢١٢،
 ٢٥٥، ٢٥٨

المدارس الكنسية ١٣٢ - مدرسة
 كنيسة القديس فيكتور ١٣١ و ح ٢
 المدارس الأخرى
 — مدارس أئينا الفلسفية القديمة
 ٥٠

— مدارس الفروسية ٨٩ ح ١٢٢،
 — المدارس الكارولنجية ٦٤، ٦٥،
 ٦٧، ١٢٥، ١٥٧ ح ١
 — مدرسة بارفبوتاني (في
 باريس) ٢٥٨

— مدرسة البلاط (في اكس لا
 شابل) ٦١، ٦٣، ٦٤، ٧١ ح ١،
 ٧٧، ٩٠، ١٣١، ١٥٥
 — مدرسة بولونيا للقانون ١٠٩،
 ١١٠ و ح ١، ١١١ ح ٢، ١١٢
 أنظر جامعة بولونيا

— جامعة مونتبلية ١٤١، ١٤٦،
 ٢٥٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٠٤
 — جامعة ميرتون ٢٧١
 — جامعة نابولي ٢٥٤
 — جامعة هايدلبرج ٢٦٧، ٣٥٧
 (م)

المؤسسات الدينية العلمية - المدارس
 الملحقة بها ٣٩، ٦٥، ٩١، ٩٤،
 ٩٥، ١٠٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥،
 ٢٠٥

المدراس الاسقفية ١٣١ ح ٢
 المدارس الديرية ٣٩، ٦٤، ٨٩،
 ٩٠، ١٠٧، ١٢٥، ١٢٦، ٢٤٤،
 ٢٩٢ - مدرسة تورز الديرية ٣١٠ -
 مدرسة القديسة جنيفيف ١٣١
 و ح ٢، ٢١٢، ٢٥٧

المدارس الكاتدرائية ١٠٧، ٢٤٤،
 ٢٥٥، ٢٩٢، ٢٩٤ - مدرسة
 اورليانز الكاتدرائية ٢٩٤ - مدرسة
 باريس الكاتدرائية ١٠٧، ٢٥٦،
 ٢٥٧ - مدرسة ريمز الكاتدرائية
 ٢٥٦ - مدرسة شارتر الكاتدرائية

٢٦٥ و ٢٦٢ ، ٢٦٢ و ٢٦٢ ، ٢٦٢ و ٢٦٢	المعاهد العلمية ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ —
١٦٩ و ١٦٩	٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
المكتبات	٢٧٣ — أنظر البيوت والنزل
— المكتبة الاهلية في باريس ١٣٤ ،	العربية
١٤٧ ، ٣٠٩ ، ٣٦٢	— المعهد الاسباني في بولونيا ٢٦٦
— مكتبة بودليان باكسفورد ٢٧١	— المعهد الرودى في أمريكا ٢٦٩
— مكتبة السوربون ٣٠٩	— معهد السوربون في باريس ٢١٢ ،

رابعاً

النظم والحضارة والفكر والحياة

في العصر الكارولنجي ٧٧ - في

عصر الجامعات ١١٤ ، ٢٩٨

الادوية القلبية ، (ابن سينا) ٣٠٣

ح ١

الاديرة ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٧١

٧٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٦٣ ، ٢٥٥

٣٢٤ ح ٢ - دير جارو ٥٢ ، ٥٣

٢٩٣ ح ٢ - دير جاندر شام

٧٩ ، ٣٥٨ ح ٢ - دير ريخناو ٧٥ -

دير فريير ٧٧ - دير فولدا

٦٦ ، ١٦٣ - دير القديس

جيلداس ١٠٠ - دير القديس

دنيس ١٠٠ - دير القديس ديمي

٨٣ - دير القديس فليس ٢٤٩ -

دير كلوني بفرنسا ١٠١ - دير

كورن ٧٩ - دير ويرماوث

٥٢ - الكتب والمكتبات الديرية

٨٨ ، ٩٩ - مكتاب النسخ

الديرية ٣٩ ح ٢ ، ٨٧ ح ١

٨٨ ، ٩٥

(١)

الله ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ح ١ ، ٤٢ ، ٩٠

١٠٥ ح ١ ، ١١٥ ، ١٦٣ ، ١٦٥

٢٦٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢

٣٣١ ح ١ ، ٣٥٢ ح ١ ، ٢٧٢

٣٧٧ ، ٣٨١

الابروشيات - ابروشية باريس

٢٥٨

ابولو ٣٦٩

الاخلاق (علم - في عصر الجامعات)

٢٤٤ ، ٢٩٦

الاخوان المبشرون - انظر الدومنيكان

الادب (في العصر الوسيط المبكر)

٢٨ ، ٤٢ - في العصور الوسطى

الحقيقية ٩٤

الادب الجرمانى (في العصر

الكارولنجي) ٧٨

الادب الكلاسيكي (في العصر الوسيط

المبكر) ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٩ ، ٥١ -

وح ١- الحركة المضادة ٣٠٢ و ح ١،

١ ح ٣٣٥

الإصلاح الكاوفي - الاهتمام بالعلم

والتعليم ٩٦ و ح ١، ٢٠٥

د اعترافات أوغسطين ، ٣٠ ،

٤٢

د أعمال الإمبراطور اوتو الأول ،

(الراهبة هروتسويت) ٨٠

أغاني المآثر ٧٢، ٧٣

الإغريق القدماء ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٥،

٣٦٩، ١ ح ٣٥٣، ٣٣٤، ٣١٠

٣٧٩، ٢ ح

أغنية حج شارلمان ٧٣ و ح ١ ،

٧٤

الافخارستية ١٠٣

الأفلاطونية ٤٣

الإفطاع (في المجتمع الغربي الوسيط)

٣٨ ح ١، ٦٦ ح ٣، ٧٣، ٧٦،

٨٩ و ح ٢، ١٠٩، ١١٦، ١٣٠،

١٢٧

— الأديرة الإيرلندية ٥١

— الأديرة البندكتية ٨٧ — ٨٩ ،

٢ ح ٩٨، ٩٥

— الأديرة الكلوونية ٩٦

— أديرة نورثمبريا ٦٢

د الأرجوزة في الطب ، (ابن سينا)

١ ح ٣٠٣

الأساطير ٧٤، ٥٢ — أسطورة سنة

١٠٠٠ م ١٨، ٩٠ و ح ٢، ٩١ -

أساطير اليونان والرومان القدماء

٣٧٩

الإسمية والواقعية (في العصر الوسيط)

١٠٥ و ح ٢، ٣٣٥، ٣٥٨

و ح ١

الإسبيون والواقعيون ٣٣٤ و ح ١

الاشتراكية في المسيحية (في العصر

الوسيط) ٣٢٨ و ح ٢

أشعيا النبي ١٧١

الإصلاح البندكتي ٩٨ ، ٢٠٥ —

الاهتمام بالعلم والتعليم ٩٥ ، ٩٦

الإصلاح الديني (حركة) ٣٣٥

(ب)
 البابا ٣٨٣، ١١٦، ٣٨
 البابوية ٩٢، ٩٦، ١٣١، ٢٢٥، ١٣٥،
 ٢٨٣، ٢٢٦٩، ٢٦٧، ٢٢١٦٥
 المراسيم ١١٢
 البابوية والإمبراطورية (الصراع)
 ٩٢، ١٠٩، ٢٢٧، ١٥٩، ٢٢٧
 ح ١، ٢٢٦٩، ٢٢٧ - نظريات الكفاح
 ١٠٩، ١١٢، ٢٢٧
 باخوس ٣٠١، ٣٦٩، ٢٢٧، ٢
 البرلمانات (في العصر الوسيط) ٢٢٧
 البروتستانتية ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٣
 البطالسة ٢٤٣
 البلاغة (فن - في العصر الوسيط المبكر)
 ٢٥، ٢٨، ٤٦، ٢٤٣ - في عصر
 الجامعات ١٠٨، ١١٤، ١٤٨،
 ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠١، ٣١٠
 (ت)
 التاريخ والتدوين التاريخي (في العصر
 الوسيط المبكر) ٣٦، ٥٢ - في عصر
 شارلمان ٧٠ - ٧٢ في عصر
 الجامعات ٣٠١

الألمانية (اللغة - في عصر الجامعات)
 ٣٦٦، ٣٦٣
 الإمبراطورية الرومانية - الشرقية
 ٢٣، ٩٣، ٢٤١، ١٢٣٣١، ١٢٣٣١
 الإمبراطورية الرومانية القديمة ١٥،
 ٢٣، ٢٢، ٣٧، ٣٨، ٤٧، ٧٢،
 ٢٣٧، ٢٠٦ ح ١ - نظم وحضارة
 ٤٧، ١٥
 الإمبراطورية الرومانية المقدسة
 (إمبراطورية شارلمان) ٥٢
 الإمبراطورية الرومانية المقدسة
 الغربية المجددة (إمبراطورية أوتو)
 ٧٩، ٨١، ١٠٩، ٢٥٠، ١٢٣
 إمبراطورية الفرنجة ٧٨
 الإمبراطورية الكارولنجية ٦٦ ح ٣
 الأنجلوسكسون ٤٨، ٨٠، ٢٢٤٤، ٢٢٤٤
 الإنجليزية (اللغة - في عصر الجامعات)
 ٣٦٦
 الإنجيل - أنظر الكتاب المقدس
 الإنجيل الخالد ٣٣٢ ح ١
 اندريا، (تيرانس) ٢٥٨ ح ٢
 أشودة رولان ٧٣ ح ١، ٧٤ ح ١
 الإيطالية (اللغة - في عصر الجامعات)
 ٣٦٦، ٣٦٧

- ٢٤٨، ٣٢٨ ح ١
تدوين المراسلات (فن - في العصر
الوسيط) ٢٩٨ - ٣٠٠
القرات الكلاسيكي القديم ١٣٩ ح ٧٢ -
في العصر الوسيط المبكر ١٩، ٢٦ -
٢٨، ٣٥، ٤١، ٥٤ ح ٤٧، ٤٩
٤٩ - ٥٣، ٥٩، ٦٩، ٨٨ - في العصر
الكارولنجي ٧٧ - في عصر الجامعات
١١٣، ١١٤، ٣٩٤، ٣٧٦
الترايم الدينية (التراتيل - الاناشيد)
٣١ ح ١، ٤٠، ٦٤، ١١٥
١٢٤، ١٤٨، ٣٦١، ٣٦٣
والتركيبات اللغوية، (جارلان) ١٤ ح ١
التروبادور ٣٦١ ح ١
تروفير (طلاب العلم المتجولين) ٧٣،
٣٦١ ح ١
التشريح والجراحة (علماء - في عصر
الجامعات) ٢٤٥، ٣٠٤
د تعليقات جريجوري على سفر أيوب،
(جريجوري الكبير) ٤٨
د التواريخ، (ريتشارد الريمي) ٨٣
التورنوا الفرنسي (عملة) ٣٧٠
- د تاريخ الحروب الاملية، (نيشارد)
٧١
د تاريخ حياة القديس ويلبرود،
(السكوين) ٦١ ح ٢
د تاريخ ريمز الكنسي، (فلودورد
الريمي) ٨٣
د تاريخ السكسون، (ويدوكند)
٧٩
د تاريخ شارلمان، (اينبارد) ٧٠
د تاريخ الفرنجة، (جريجوري التوري)
٣٦، ٣٥ ح ١
التاريخ القديم ١٢١، ٢٣٨
د تاريخ القوط، (جوردانيس) ٤٥،
٤٦ ح ١
د التاريخ الكنسي، (بيده) ٥٢، ٥٤
د تاريخ المباردين، (بولس
المباردي) ٧٠
د تاريخ يورك، (الكوين) ٦١ ح ٢
التجار (في العصر الوسيط) ١٢٧،
٣٦٩ ح ٣
التجارة (احياء - في اواخر العصر
الوسيط) ٩٣، ١٠٩، ١٣٠، ١٦٨،

١٧٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٢ ح ١ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 ٣٢١ — ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٧ ، ٣٦٠ — ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ،
 ٣٧٥ ، ٣٨٦ — ٣٨٨ — أصل كلمة
 وجامعة ، وتطورها ٢١١ ، ٢٤٠ ،
 ٢٥٠ ح ٢ ، ٢٥١ ، ٢٧٣ —
 الاعتراف الرسمي بها ١٢٨ — ١٣٠ ،
 ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٧٦ — أعداد
 الطلبة ١٣٠ ، ١٤٥ — الامتحانات
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣١٨ — ٣٢٢ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٥ — الامتيازات
 والاعفاءات والبراءات ١٥٥ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٨ — الأمم
 (الطوائف) ١٤٣ ، ١٥٨ — ١٦١ ،
 ٢٦٧ ، ٢٤٨ — بيوت الطلبة ١٢٨
 ح ٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ،
 ٣١٨ — التخصصات ١٤٦ —
 حجرات الدراسة ١٤٨ ، ٢١٣ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٢٥١ — الحرية

والتوفيق بين القوانين الكنسية

المتعارضة ، (جراشيان) — أنظر

مرسوم جراشيان

تيودور (أسرة) ٢٧١ ح ٢

(ث)

الثورة الفرنسية ٢٦٥

الثقافة الرومانية القديمة — أنظر

الحضارة الرومانية القديمة

(ج)

الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

١٨ ح ١ ، ١٠٧ ، ٩٥ ، ١٢٦ ،

١٤١ — ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٦٨ ،

٣٠٥ ح ١ ، ٢٧٤ ، ٣٠٣ ح ١ ، ٣٠٥ ،

٣٠٩ — الاتحادات والنقابات

١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢١١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ،

٢٥٠ ، ٢٨٥ — إجازة التدريس ٢١١ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ —

الاحتفالات ٢٧١ ، ٢٧٢ — أدلة

الطالب ٣٥٤ — ٣٦٦ الأساتذة

١٤٧ (لوحة ٣) ، ١٦٠ ، ١٧٦ ،

٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ —
 ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ —
 ٣٨٨ — الكليات ١٤٦ ، ٢١٣ ،
 ٢٣٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٤٦ —
 اللوائح والقوانين ٣٠٠ ، ٣٤٦ ،
 ٢٤٧ — المتاحف ٢٣٨ — مجتمع
 أساتذة ٣٣٥ — المحاضرات ١٢٩ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦١ ،
 ١٧٣ — ١٧٨ ، ١٧٣ ، ٢١٣ ، ٢٧٣ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
 ٣٧٣ — خلفات ٢٣٨ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٠ — ٢٧٣ المدارس العامة
 ١٢٢ ، ٢١١ — المدن الجامعية
 ٣٥٨ ، ٣٦٩ — المراحل التي مرت
 بها ١٢٢ — ١٣٠ المعامل ٢١٣ ،
 ٢٣٨ ، ٣٠١ ، ٣١٧ — المعاهد
 العلمية ١٢٣ ، ١٢٦ — ١٢٨ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٥ — المكتبات ٢١٣ ، ٢٣٨ ،
 ٣٠٩ — من تناسج العصر
 الوسيط ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢٣٧ و ح ١ — المناهج

العلمية وحرية الفكر ٢١٣ ، ٣٢٥ —
 ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ — ٣٣٥
 الدرجات والرسائل العلمية ١٤٨ —
 ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦ و ح ١ — ٢ ، ٣١٨ ، ٣٥٨ ،
 ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٢٧٥ — الزى
 الجامعي ٢١٩ ، ١٧٣ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ —
 الصحافة ٢٣٩ — طرق التدريس
 ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣١٥ — ٣١٨
 الطلبة ١١٧ ح ١ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٤٧ (لوحة ٣) ، ١٤٩ (لوحة
 ٤) ، ١٥١ ، ١٥٨ — ١٦١ ،
 ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢١٦ — ٢٤٠ ، ٢٥٩
 (لوحة ٥) ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 ٣٢٠ — ٣٢٢ ، ٣٤٥ — ٣٨٦ ، ٣٨٠ —
 ٢٨٨ العادات والتقاليد الجامعية
 ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٣ ، ٢٥٨ — الكتب والمراجع
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥٢ ،

- والمقررات (مواد الدراسة) ١٣٤،
١٤٦، ٢١٣، ٢٣٨، ٢٩١، ٣٠١،
٣٠٢، ٣٠٧، ٣٥١ — نشأتها
وبداياتها ١٥، ١٩، ١٠٥، ١١١،
١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٥٠، ٢٠٥
٢٠٧، ٢٤١، ٢٤٢ وح ١٥٨-٢٥٨
النشاط الرياضي ٢٣٩، ٣٦٢،
٣٦٥، ٣٧٢ — تقاسبات الاساتذة
والطلاب ٢٥١
الجيلين (حزب) ١٥٩، ٢٥٤ وح ١
المجلد (علم — في العصر الوسيط
المبكر) ٤٦ — في عصر الجامعات
١٠٨، ١٢٤
المجلد ٤ (كتاب - شيشرون) ٤٣
الجرمان البرابرة ١٥، ١٧، ٢٣، ٣٤،
٤٧، ٥١، ٨٠، ٨٩ —
غزوات ١٥، ١٧، ٢٣، ٢٦،
٣٧، ٤٧، ٥٢، ٧٢، ٨٨، ٩١،
١٥٥، ٢٤٦، ٢٩٣ ح ٢ —
نظم وحضارة ١٥
الجلف (حزب) ١٥٩، ٢٥٤ وح ١
الجماعات الرهبانية ٩٦، ٩٧ ح ١،
١٣١ ح ٢، ١٦٣
- الجنية الفرنسية (عملة) ٣٧٥ وح ١
الجولياريون ٣٧٦ — ٣٧٨،
٣٨٠ — ٣٨٣
جونجوير ٧٣، ٣٨٣ أنظر
تروفير
(ح)
حانات باريس ٢٦٢، ٣٧٨، ٣٨٢،
٣٨٣
الحرب البونية الثانية ٢٧٢ ح ١
الحركة الصليبية ٧٤، ٩٢، ٩٨، ٢٥٠،
٢٦٢ ح ١، ٢٦٢ ح ٢، ٢٦٦ ح ١،
٣٥٢ ح ١
الحساب (في العصر الوسيط المبكر)
٤٠، ٤٦، ٤٤، ٦٤، ١٢٤، ٢٤٣ —
في عصر الجامعات ١٤٨، ٢٤٢
الحضارة الإسلامية (في العصر الوسيط)
٩٤ وح ١
الحضارة الجرمانية ٢٣، ٥٩
الحضارة الرومانية القديمة ١٦، ٢٣،
٤٧، ٤٨، ٧٢، ١٠٨ — في
العصر الوسيط المبكر ٢٤ — ٢٧،
٣٧، ٤١، ٥٠

- الامبراطورية الرومانية القديمة
الدومينيكان (الإخوان) ٩٦، ٣١١
وح ١٣، ٢٢٤، وح ١
الديجست (جستنيان) ٢٤٦ ح ٢،
٢٤٧، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦
الديرية (الحركة) أنظر الديرية
(د)
الربا (في العصر الوسيط) ١٣٢٨ ح ١،
٣٦٩ ح ٣ - أنظر التجارة
الرشدية ٣٢٩ وح ٤
الرهينة ٢٩، ٣٥، ٤٨، ١٣٨٧ ح ١
١٠٠، ١٠٥، ١٦٣ - أنظر
الديرية
الرومان ١٥، ٤٦، ٢٣٧، ٣١٠،
٣٦٩ ح ٢، ٢٧٩
الرياضيات (في العصر الوسيط المبكر)
٤٠، ٤٤ - في عصر الجامعات
٣٢٧، ٩٤
(ز)
زحل ٣٦٩ ح ١
(س)
السحر والشعوذة (في العصر الوسيط
المبكر) ٤١ - في عصر الجامعات
- الحوليات (نظام) ٧١ - الديرية ٧١،
٧٢ وح ١ - الملكية ٧٢ وح ١
الحياة الجديدة، (داتني) ١٣٩٧ ح ١
حياة رهبان ديرى ويرماوث
وجارو، (بيده) ٥٢
حياة القديس كثرث (بيده) ٥٢
(خ)
الخط (في العصر الوسيط المبكر) ٢٦ -
في العصر الكارولنجي ٧٢
(د)
الدانيون ٢٤٠ ح ١
داود النبي ٣٧٣ ح ١، ٣٧٦ ح ١
الداوية (جماعة الفرسان) ٩٨
الدراسات الإنسانية (في العصر
الوسيط المبكر) ٢٤ - في القرن
الثاني عشر ١٠٦، ٢٥٦ وح ١،
٢٩٤، ٣١٣ ح ١
الدراسات القانونية (في عصر الجامعات)
١٠٨ - ١١٠
الدولة البيزنطية - أنظر الإمبراطورية
الرومانية الشرقية
الدولة الرومانية القديمة - أنظر

الشعر اللاتيني (في القرن الثاني عشر)

١١٥

(ص)

الصناع (في العصر الوسيط) ١٢٧

الصيدلة (في عصر الجامعات) ٩٤

(ض)

د الضمير ، (كتاب — روبرت

السوربون) ٣١٩ — ٣٢١

(ط)

الطب (في عصر الجامعات) ٩٤ ،

١٧٦ ، ٢٤٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ ،

٣٧٦

(ع)

العالم الإسلامي ٩٣ ، ١٢١ ح ١

العالم العربي ٧٤ ، ٩٨

العالم القديم ٤٠ ، ٤٧

العالم المسيحي ٣٣١ ح ٢

العرب ٧٤ ، ٩٢ ، ٢٤٣ ، ٣٠٣ ،

٣٢٩

العصر البندكتي ٨٧

العصر الحديث ١٩ ، ١٠٢ ، ١١٧ ،

٢٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٣ ،

٣٨٨ ، ٣٥٦ ح ١

٣٧٦ — أنظر الأساطير

السسترشيان (الإخوان) ٩٦ ، ٩٨

وح ٢

السكسون — أنظر الانجوسكسون

د سلوى الفلسفة أو عزاء الفلسفة ،

(بيوتيس) ٤٢ ، ٤٣

سيرس ٣٠١ ، ٣٦٩ وح ١

السيمونية ١٧٠

(ش)

د شرح الأحكام ، (توما الاكوينى)

١ ح ٣١١

د شرح الاسماء الالهية لديونيسيوس ،

(توما الاكوينى) ١ ح ٣١١

د الشرح على أرسطو ، (توما الاكوينى)

١ ح ٣١١

د شرح القوانين ، (جستنيان) —

أنظر الديجست

الشعر (في العصر المسيحي المبكر)

٣١ - ٣٤ - في العصر النكارولنجي

٧٢ - ٧٧

الشعر الجولياردى ١١٥ ، ١١٦ ، ١ ح ١

١٥٩ وح ١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٣٧٦

وح ١ ، ٣٧٧ - ٣٨٣

٢٢٩، ٢٠٩ تاريخ - ٣٨٠، ٣٦٧ -	العصر المسيحي المبكر (حضارة) ٢٥،
وثائق وسجلات ١٤٥، ١٥٩، ١٦٠،	٥٠ - كتاب ٢٥ - مخطوطات ٢٦
٢٠٧، ٢١٦، ٢٢٧، ٣٥٤، ٣٤٦،	عصر النهضة ١٩، ٦٨، ٩١، ١٠٢،
٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٨٧ - ٣٨٨	١١٧، ١٣٧، ٢١٧، ٢٢٧ ح ١
العلم (في العصر الوسيط المبكر) ٢٣،	٢٤٢، ٢٦٩، ٢٩٧، ٣٢٨ ح ١
٢٥، ٢٨، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٤،	العصور المظلمة ١٦، ١٨، ٢٣، ٣٣،
٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٣، ٥٤،	٢٩٢، ١٠٩، ١٠٨، ٩٤، ٤٧
٦٠، ٦٩، ٧٧، ٨٩، ٩٠، ٢٩١ -	العصور الوسطى ١٥ - ١٧، ١٩،
في العصر الكارولنجي ١٢٥ - في عصر	٢٣، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥،
الجامعات ٨٣، ١٠٠، ١١٣، ١١٧	٣٧ - ٤٠، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥،
١٢١، ١٢٧ وفي مختلف صفحات الكتاب	١ ح ١، ٥٩، ٧١، ٧٤، ٧٧، ٩٥،
«علم المنطق» (أرسطو) ٢٩٤	٢٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١١٣، ١١٧ ح ١،
العلوم الاجتماعية (في عصر الجامعات)	١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٧،
٣٠١، ٣٢٧	١٣٩، ١٤١ - ١٤٤، ١٥٠، ١٦٠،
العلوم الطبيعية (في عصر الجامعات)	٢٠٥ - ٢٠٨، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٧،
٢٩٦، ٣٠١	٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٦٦،
العلوم العقلية (في عصر الجامعات)	٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩١،
٢٤٤	٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧ ح ١، ٣٠٥،
العمال (في العصر الوسيط) ١٢٧	٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٢٣،
«العناية الربانية» (جريجوري الكبير)	٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨ ح ١، ٣٣٤، ٣٤٧،
٤٨	٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٨ ح ٢، ٣٦٥،

العهد القديم - أنظر الكتاب المقدس

(ف)

الفرجة ٣٣، ٣٥

الفرنسية القديمة (اللغة - في عصر

الجامعات) ٤٩، ٣٦٦

الفرنسيسكان (الإخوان) ٩٦، ٣٣٣

ح ٢، ٣٢٤ و ح ١ - ٢، ٣٣٢

الفرنسية ٨٩

الفكر ١٧، ١١١ ح ٤ - البروتستانتى

٣٠ - الحر ١٨، ١١٣ - الكاثوليكي

٣٠

الفكرة الإمبراطورية في العصور الوسطى

٧٩

الفلسفة ٤١، ٤٣، ٤٨، ٩٤، ١٠٥

١١٣، ١٢٤، ١٤٣، ٢٩٦، ٣٠١

٣٢٧ - ٣٣٣، ٣٣٠

فلسفة أرسطو ١٩، ٣٣٩

الفلسفة الطبيعية ٣٠١، ٣٢٩

الفلسفة العقلية ٣٢٩ و ح ٢ - أنظر

الميتافيزيقيا

الفلسفة المدرسية ١٨، ٩٤، ١٠٤

١٠٧، ١١٣، ٣٠٥، ٣٣٤

الفلسفة اليونانية القديمة ٤١

الفلك (علم - في العصر الوسيط المبكر)

٤٠، ٤٦، ٢٤٣ - في عصر

الجامعات ٩٤، ١٤٨، ٣١٠

الفلك (بطليموس) ٢٩٤

الفنون الحرة (في العصر الوسيط المبكر)

٥٣، ٦٥، ١٥٦، ١٦٥، ٢٤٢ و ح ٣

٢٩١ - في عصر الجامعات ١٤٦، ١٤٨

١٤٨ و ح ١، ١٧٦، ٢٥٤، ٢٥٦

٢٩٤ و ح ٢، ٢٩٥، ٣٧٦

في أزلية العالم ودا على المتذمرين ،

(توما الأكويني) ٣١١ ح ١

في الوجود والماهية (توما الأكويني)

٣١١ ح ١

فينوس ٣٧٩

في وحدة العقل ردا على الرشدين ،

(توما الأكويني) ٣١١ ح ١

الفيزياء (في عصر الجامعات) ٩٤

(ق)

القاموس ، (كتاب - جارلاندا)

٣١٤ ح ١

١٠٣ — كاتدرائية نورث دام ١٤٤

١٧٢ و ٢٠٢ ح ٢٧٠

الكاثوليكية ٣٣٣

د كتاب الجمل ، (بطرس اللباردي)

١٠٣ ، ٣٠٢ و ح ٢

د كتاب السلوك المدرسي ، (جارلانند)

٣١٤ ح ١

الكتاب المقدس ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٢ ،

٤٠ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ،

— ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ،

— ١٦٦ ، ١٧١ ح ٣ ، ٢٥٥ ،

٢ ح ٢٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ح ٢ ،

٣٠٨ ، ٣٢٨ ح ١ ، ٣٣٢ ح ١ ،

٣٤٧ ، ٣٧٣ ح ١ ، ٣٧٦ ح ١ ،

٣٨٣

الكتاب الوثنيون القدامى ٢٤ ، ٤٧ ،

١٠٦

الكتب (في العصر الوسيط المبكر)

٢٤ ، ٦٠ — صناعة نسخ الكتب

٢٤

كلوني (جماعة) ٢٧٩ ح ١

د القانون ، (كتاب — ابن سينا)

١ ح ٣٠٣

القانون الجرمانى (في العصر الوسيط

المبكر) ٢٤٦

القانون الرومانى (في العصر الوسيط

المبكر) ٢٤٦ — ٢٤٨ في عصر

الجامعات ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ،

٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٧ ،

القانون الكنسى (في عصر الجامعات)

١١١ ح ٤ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٤٩ ،

٢٥٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ — ٣٠٨

القانون المدنى (في عصر الجامعات)

٢١١ ، ٢٩٥

قصص كاتدربرى (تشوسر) ٢٤٤

٢ ح ٣٥٤ ، ١ ح ١

القوانين الجديدة (جستنيان) ٢٤٦

٢ ح

القوط الشرقيون ٤١ ، ٤٤

القوط الغربيون ٤٦ ح ١

(ك)

الكاتدرائيات ٢٢٧ — كاتدرائية

بيستويا ١٤٩ — كاتدرائية تورز

١٥٥، ١ ح ١٢٥، ١٠٨، ٩٥	الكنيسة الإيرلندية ٥١
٢٢٠، ٢٩٨، ٢٠٥، ١٦٧	الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ١٧
٢٨٣، ١ ح ٣٧٦، ٣٦٨، ٣٣٢	٥٠، ٤٧، ٤٦، ٣٩، ٣٧، ٢٨
والكوميديا الإلهية، (دائق) ٤٣،	٩٧، ٩٢، ٨٨، ٧٨، ٧٧، ٧٤
١ ح ٢٩٧	١١٦، ١٠٨، ١٠٣، ١٠٠، ٩٩
الكينياء (في عصر الجامعات) ٩٤	٢٥٥، ١٦٥، ١٤٣، ١٣٣، ١٢٤
(ل)	٣٢٦، ١ ح ٣٢٤، ٣٠٧، ٢٣
اللاتينية الكلاسيكية (اللغة) ٢٥ —	٣٦١، ١ ح ٣٢٨، ٣٢٧، ٣ ح
في العصر الوسيط المبكر ٢٥، ٢٦،	٣٦٥، ٣٧٤ ح ١، ٣٨١ — آباء
٢٨، ٣١ ح ١، ٣٦، ٣٧،	الكنيسة الأولى ١٧، ٢٥، ٢٨،
٤٠، ٤٢ — ٤٤، ٤٦، ٤٧،	٢٩، ٤١، ٤٨، ٥٥ ح ١،
٥٠، ٥٣، ٥٤، ٦٤، ٦٧، ٧٢،	١٤٨، ٣٣١ — أسلحة ٩٧، ٩٨،
٧٤، ٨٠، ١٢٥ — في عصر	١٧٥ — تدهورها ومفاسدها ١٠٠،
الجامعات ٨٢، ١١٤، ١١٥، ١٤٣،	١١٦، ٣١٤ ح ١، ٢٣٥ ح ١،
١٤٨، ١٤٩، ٢٩٤، ٣١٤ ح ١،	٣٥٢ ح ١ — تعاليم ١٧، ٩٧، ١٧٤،
٣٣٢ ح ٢، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٩،	٣٢٧ ح ١، ٣٣٥ ح ١ — سيادة
٣٦١ — ٣٦٨، ٣٦٦، ٣٧٦ ح ١،	٣٢٦ ح ٤ — طقوس ٣٨٣ —
٣٧٩	عماظتها على التعليم في بدايات العصر
اللاتينية (أجرومية اللغة) في العصر	الوسيط ١٧، ٣٧ — ٣٩ وفي
الوسيط المبكر ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣٥،	مختلف صفحات الكتاب — هيئة
٣٦ ح ١، ٥٤، ٦١، ٦٥،	رجال الدين ٣٠، ٤٨، ٥٥، ٥٩،
١٢٥، ٢٤٣، ٢٩٢ ح ١ —	٦٥، ٧٤، ٧٥، ٨٣، ٨٩، ٩٠،

- ٢٥١ (م ٣٣١ ح ٢)
 د مجمل علم الفلك ، (كتاب — بيده)
 ٢٩٣
 د المجموعة الفلسفية ، (كتاب —
 توما الأكوينى) ١١١ ح ١
 د مجموعة القوانين المدنية ، (جستنيان)
 ١١٠ و ٢ ح ١١١ ، ٢٤٦ ح ٢
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦
 د المجموعة اللاهوتية ، (كتاب —
 توما الأكوينى) ١١١ ح ١
 د المحادثات ، (كتاب — جريجورى
 الكبير) ٤٩
 عا ك التفتيش (فى الغرب) ٢٢٧ ح
 ١ — أنظر المراطقة ، والمراطقة
 المدينة ٩٣ ح ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣٧ ، ١٤٥ — أنظر التجارة
 د مدينة الله ، (كتاب — القديس
 أوغسطين) ٢٩ ، ٣٠
 د مرسوم جراشيان ، ١١١ ح ٣ ،
 ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٧
 المزامير — أنظر الكتاب المقدس
 المسيح (عليه السلام) ٩٠ ، ٩٩ ،
 فى عصر الجامعات ١٠٨ ، ١٢٤ ،
 ١٤٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ،
 ٣١٣ ، ٣١٤ ح ١ ، ٣٢٧ ، ٣٦٤
 اللاهوت (علم — فى العصر الوسيط
 المبكر) ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٨ ،
 ٦٥ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ —
 فى عصر الجامعات ١٢٤ ، ١٤٣ ،
 ١٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ و ٢ ح ٣٠٣ ،
 ٣٢٧ — ٣٣٠ ، ٣٣٣
 اللغة الانجلاوسكسونية ٤٩
 اللغة الجرمانية ٢٥ ، ٧٨
 (م)
 المتجولون (طلاب علم) ٧٣ ، ٣٧٥ ،
 ٣٧٦ ح ١ — أنظر الجوليارديون
 د متفقه من اكسفورد ، (تشوسر)
 ٣٠٨ ، ٣٥٣ ح ١
 المجامع المسكونية — مجمع نيقية
 المسكونى (٢٢٥ م) ٣٣١ ح ١ ،
 ٢٥٠ ح ١ — مجمع خلقيدونية المسكونى

أنظر الأساطير	١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٧٥
المفول ١٢١ ح ١	٢٧١ ، ٣١١ ح ١ ، ٣٣١ ح ١-٢
د ملخص الأجرمية ، (كتاب —	المسيحية ١٧ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ،
جارلاندا) ٣١٤ ح ١	٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٧ ،
المنطق (في العصر الوسيط المبكر)	٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ،
٤٤ ، ٤٦ ، ٤٣٢ — في عصر	٩٩ ، ١٠٤ ، ١٤٤ - ١١٦ ، ١٢٥ ،
الجامعات ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٤٨ ،	٢٩٣ ح ٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
٢٣٤ ، ٣١٤ ، ٣٠١ ، ٢٩٦ - ٢٩٤ ، ٢٤٤	١ ح ١ ، ٣٣٥ ح ١ ، ٣٥٠ ح ١ ،
د المنطق الجديد ، (كتاب - أرسطو)	٣٨١ ح ١ — تأثيرها على اللغة
٣١١ ، ٢٩٦	اللاتينية ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ح ١ —
د المواظ ، (جريجوري الكبير) ٤٨	تأثيرها على العلم والتعليم ٢٧ —
المؤسسات الدينية والديرية ٢٦ ،	التبشير بها ٤٨ ، ٤٩ ح ١ —
٦٥ ، ٣٩	تعاليمها ٣٢ — فلسفتها ١٧ ، ٢٦ ،
موسى النبي ١٧١	٢٧ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٨١ ،
الموسيقى (في العصر الوسيط المبكر)	١١٥ ، ١١٦ ، ٣٢٠ ح ٢ — والفلسفة
٤٤ ، ٤٦ ، ١٢٤ ، ٢٤٣ — في	اليونانية القديمة ٤١
عصر الجامعات ١٤٨	المخطوطات (في العصر المسيحي المبكر)
الميتافيزيقيا (علم — في عصر	٧٧ - في العصور الوسطى الحقيقية
الجامعات) ٢٩٦ — أنظر الفلسفة	٨٨
العقلية والجامعات الأوربية في	المعجزات والمغامرات (في العصر
العصور الوسطى	الوسيط المبكر) ٣٦ ح ١ ، ٤٩ -

النهضة الألمانية السكسونية (القرن

العاشر) ٧٩

نهضة القرن الحادى عشر ١٨ ، ٩١٠

نهضة القرن الثانى عشر (فى الغرب) ١٨

و ح ١ ، ١١٧ ، ٩٢ ، ٥٥

١٢٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٢ ،

٢٤٨ ، ٢٩٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ح ١

النورمان ٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٦٤

(٥)

البراطقة ١٢٤ ، ٣٢٧ ح ١

البرطقة ٩٩ - ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٣١

٢ ح ٢٥٥ ، ١ ح ٣٠١ ، ١ ح ١

٣٢٤ ، ٣٢٧ ح ١ ، ٣٢٩

١ ح ٣٣٠ ، ١ ح ٣٣٢ ، ٣٣٣ -

الاريسية ٣٣١ ح ١ -

الالبيجنسية ١٥٨ ، ٢٦٢ ح ٢

المهندسة (فى العصر الوسيط المبكر) ٤٠ ،

٤٦ ، ٢٤٣ - فى عصر الجامعات

١٤٨ ، ٢٤٣

الهنون (قبائل) ٤٦

(ن)

النثر (فى العصر المسيحى المبكر)

٣٥ ، ٣٤

د النطق السليم د (كتاب - الكوين)

٦٤

النظام الابرىشى ١٢٣ ح ٢

د النظام فى البلاط الإمبراطورى ،

(كتاب أدلارد) ٧٠

د نعم ولا ، (كتاب - ايلارد) ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٢

النهضة الارستطالية الجديدة ٢٩٧

٢ ح

النهضة الايرلندية (القرن الثامن)

١٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ١١٧

النهضة الكارولنجية (القرن التاسع)

١٨ ، ٢٣ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ح ١ ،

٦٠ ح ١ ، ٦٤ ح ٣ ، ٦٦ -

٧٢ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٥٥ ،

١٥٦ ح ١ ، ١٦٣ - ١٦٦ ، ٢٠٩ ،

٢٩٣ ح ٢

النهضة السكسونية (القرن التاسع)

١٨

- ٤٤٩ -

الوثنيون ١٢٤	(و)
(ى)	الوثنية ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٤،
اليونانية (اللغة) ٧٩ ، ٨١ ،	٣٥، ٣٨، ٤٧، ٥٠، ٧٨، ١١٤-
٨٢	آلهة ٢٤، ٢٧، ٣٥ — فلاسفة
	٣٥

